مذكرات حول الحرب الأهلية الصومالية

ملحمة

النواب الأحرار الصوماليين
ضد الإحتلال الاثيوبى

٢٠٠٦ - ٢٠٠٩م



د.صالح محمد على

مذكرات حول الحرب الأهلية الصومالية

ملحمة

النواب الأحرار الصوماليين
ضد الإحتلال الاثيوبى

٢٠٠٦ - ٢٠٠٩م

د. صالح محمد على

الإهــــداء

أهدى هذا الكتاب إلى كل ضحايا الحرب الأهلية الذين لم يكونوا طرفا في إشعالها واستمراريتها.

المؤلف

المحتوى

الصفحة

تقديم

هذه الأوراق جزء من مذكرات لي أحببت أن أنشرها باللغة العربيـــة؛ لأن جلهـــا كان مكتوبًا بلغة الضاد، بينما ما زال جزء منها مدونًا بلغات أخرى كالصومالية.

إن سنة ٢٠٠٦م، وهى بداية الاحتلال الإثيوبي، تعتبر ســنة محوريـــة وحيويـــة لوجود الأمة الصومالية، مستقبلها ومصيرها، ككيان يحتوي على أكثر من عشرة ملايـــين من البشر. انتهى ما سمى بمؤتمر نيروبي (Mbagathi) الطويل الذي أفرز فـــى شـــهر أغسطس ٢٠٠٤م ٢٧٥ نائبًا للبرلمان المؤقت. وتلا ذلك اختيار البرلمان المؤقت الكولونيل عبد الله يوسف أحمد رئيسًا للجمهورية يوم ١٤ من شهر أكتوبر من السنة ذاتها، وذلك فى جلسة للبرلمان الصومالي بإستاد "كسرانى" على مشارف مدينة نيروبي.

الرئيس الجديد عين بدوره الأستاذ على محمد غيدي رئيسًا للوزراء. ولكن عندما قدم السيد على محمد غيدي تشكيلته الوزارية إلى البرلمان للحصول على الثقة الدستورية، رفض البرلمان إعطاءه الثقة، وذلك فى منتصف نوفمبر ٢٠٠٤م، كانت الـــوزارة مبنيـــة على التوازن القبلي المعروف بنظام الحصص ٤,٥. عين الرئيس مرة ثانيـــة ع/م غيـــدي الذي قدم تشكيلة حكومته الثانية إلى البرلمان. وفى ٣ يناير ٢٠٠٦م فاز بالثقة بسهولة مـــع إدخال بعض التعديلات الطفيفة على قائمة الوزراء السابقة.

انقسم النظام الجديد على نفسه فور تشكيل الحكومة لأسباب عديدة، أهمها:

أ- موضوع اشتراك الدول المجاورة (إثيوبيا، كينيا، وجيبوتي) فى قوات حفظ السلام الإفريقية.

ب- انتقال مؤسسات الدولة إلى مقديشو: الرئيس عبد الله يوسف، ورئـــيس الـــوزراء على محمد، وأغلبية البرلمان يؤيدون فكرة اشتراك الدول المجاورة فى قـــوات حفـــظ السلام الإفريقية، ويرون ضرورة الانتقال إلى مدينة غير مقديشو حتى إشعار جديـــد. بينما رئيس البرلمان وعدد من النواب يزيد على المائة يؤكدون ضرورة الانتقال إلـــى مقديشو وعدم اشتراك قوات الجوار فى حفظ السلام. ترى المجموعة .

المعارضة أن بيت القصيد فى نشر القوات الإفريقية بما فيها دول الجوار فى الصومال هو محاولة لإعطاء إثيوبيا سندًا قانونيًا لغزو البلد، وفرض هيمنتها عليه، وبسط وصايتها على النظام الصومالي الجديد.

وأصبح من الجلي أن أديس أبابا تستخدم منظمة إيغاد كذريعة للتدخل فى الشؤون الصومالية. ومن ناحية أخرى فإن ضغوط إثيوبيا المباشرة وغير المباشرة على النظام الصومالي شديدة إلى حد الاختناق. وفى قمة رؤساء الاتحاد الإفريقي المنعقدة بـ أبوجا بنيجيريا ٣٠-٣١ يناير ٢٠٠٥م طلب الرئيس أيضًا الحصول على قوات حفظ سلام إفريقية يبلغ عددها عشرين ألف جندي وضابط.

وفى ١٨/٣/٢٠٠٥م قرر مجلس وزراء منظمة إيغاد فى نيروبي بالإجماع السماح باشتراك دول الجوار فى حفظ السلام.

باتت المواجهة حادة بين المؤيدين والمعارضين لقرار إيغاد فى البرلمان. التكتلات والانتقادات الحادة، والنزاعات المفعمة بالتحزب بين البرلمانيين أصبحت ظاهرة اعتيادية طوال شهر مارس – إبريل سنة ٢٠٠٥م. لم تتمكن كل المحاولات التوسطية من حسم هذه الخلافات أو تهدئتها بصورة فعالة، بين شطري البرلمان المنقسم.

انفجر هذا الجو المشحون بالبغضاء والنفور فى يوم ١٧ مارس ٢٠٠٥م، عندما اصطدمت الفئتان داخل قاعة فى فندق جريت ريجنسي بنيروبي (لأن جميع المؤسسات الدستورية الصومالية لم تنتقل بعد إلى داخل البلد)، وكانت القاعة قد أعدت خصيصًا لجلسة رسمية للبرلمان. ولكن بدل المداولات الهادئة طارت فيها الكلمات المشينة والتهم غير اللائقة. ثم بدأ العراك وانشقت الكراسى بالتبادل على رؤوس النواب، والتقت الأيادي بالأيادي، وسالت الدماء بغزارة حتى خارت القوى، وأنهك الصراع المتضاربين ثم جيء بالبوليس الكيني ليقتاد عددًا من النواب إلى التوقيف، ثم أخلى سبيلهم بعد ساعات لتمتعهم بالحصانة البرلمانية.

هذه الحادثة الخطيرة هى الضربة الأخيرة والقاضية لوحدة البرلمان، وكونه أداة تشريعية وسياسية يمكن لها مباشرة أعمالها الدستورية تمشيًا مع ميثاق مباغاتي Mbagathi.

ومن هنا فإن قسم من أعضاء البرلمان الذي يمثل المعارضة انتقل إلى مقديشو ليتمركز فيها ويتمسك بالثوابت التاريخية للعاصمة، مصرًا على أنه لا بديل عنها لكونها قصبة الدولة، ومركز المؤسسات الدستورية.

أما القسم الآخر الذي يترأسه رئيس الدولة فاختار مدينة جوهر كمركز انتقالي للحكومة المؤقتة وأجهزة الدولة الأخرى.

وفى ختام هذا التقديم لا يفوتنى أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان للأستاذ **محمد رضوان محمد حسين**، المحرر بمجمع اللغة العربية بالقاهرة على ما بذله من جهد فى المراجعة لهذه المذكرات، وللسيدة/ **إلهام رمضان** على جهدها فى تنسيقها وإخراجها حاسوبيًا.

وأقدم إمتنانى العميق للأخ محمد عبد الله مرسل الذى طبع بالكمبيوتر نسخة من هذا الكتاب ونحن بمقديشو.

وفى ختام هذا التقديم لا يفوتنى أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان للأخ المحترم محمد عبداله حسين للتسهيلات التي قدمها لي في طباعة هذا الكتاب. كما اشكر الاستاذين الكريمين عبداله ومحمد شيخ شعيب في مساعدتهم متعددة الأوجه وضيافتهم القيمة.اشكر أيضا للأستاذ **محمد رضوان محمد حسين**، المحرر بمجمع اللغة العربية بالقاهرة على ما بذله من جهد فى المراجعة لهذه المذكرات، وللسيدة/ **إلهام رمضان** على جهدها فى تنسيقها وإخراجها حاسوبيًا.

وأقدم إمتنانى العميق للأخ محمد عبد الله مرسل الذى طبع بالكمبيوتر نسخة من هذا الكتاب ونحن بمقديشو

المؤلف

صالح محمد علي

القاهرة في ٧ شعبان ١٤٣١هـ

الموافق ١٩ يوليو ٢٠١٠م

شهر يناير ٢٠٠٦

قضيت الشهر كله بمقديشو.

١ يناير:

بداية سنة جديدة تنتقل إليها كثير من المشاكل التي أصبحت بؤرة الخلافات السياسية في السنة الماضية. لم ينجز البرلمان المنشق وأمراء حرب العاصمة أي قسط من رهانهم الذى حفزهم على الوصول إلى العاصمة، وأهمها تنصيب إدارة للمدينة. كما لـم يتحقـق مشروع سحب المليشيات من الطرق وإدخالها إلى معسكرات تأهيل وتدريب، تجعل مـنهم قوة تساعد على الأمن. وكان فعلاً قد اقتاد أمراء الحرب هذه المليشيات، وهم الآلاف مـن الشباب، إلى معسكرات "هيل ويني" والكيلو متر خمسين: الأول في شمال مقديشو، والثاني في غربها. هذه المبادرة الجريئة حفزت كثيرًا من حماس سـكان العاصـمة المتعطشـين للسلام، وتبرعوا بسخاء على قدر طاقتهم، وخاصة جمعية السيدات التي بـذلت المجهـود الأكبر لإنجاح المشروع. لم يتحقق أيضًا وعد فتح المطار والميناء، وإزالة نقـط حـواجز الطرق المعروفة محليًا بـ "إسبارو" والتي كانت تنصبها المليشيات لفرض الإتاوات علـى المركبات التجارية، وابتزاز المارة.

في أواخر ديسمبر وبعد استعدادات مضنية استمرت لأربعة أشهر، بـدأت عمليـات اختيار أعضاء مجلس محافظة بنادر وهي العاصمة ونواحيها الأربعة عشرة، وتم تعيـين ٦٤ نائبًا في مدرسة البوليس بالعاصمة لتشكيل مجلس المحافظة.

وتم التفاهم أيضًا بين رؤساء المليشيات أن يُعَيَّنَ لهذه الإدارة السيد محمـود عـدي غابو، بالتزكية المسبقة، محافظًا لمديرية بنادر وعمدة مقديشو فـي نفـس الوقـت. أمـا المنصب المرموق الثاني، وهو رئيس مجلس المحافظة فقد انتخب النـواب محمـد عمـر محمد "توتو" ليصبح رئيسًا له. ولكن محمد حيري المنافس الأول لـ "توتو"، كان متوقعًـا خسارته أمام المرشح المذكور فلم يحضر جلسة البرلمان المحلي يوم انتخاب رئيس مجلس المحافظة. صرح بعض المتتبعين للصراعات العشائرية في العاصمة بأن المرشح الثـاني لرئاسة مجلس المحافظة امتنع عن حضور الجلسة الانتخابية الفاصلة تحت ضغوطات من محمد قنيري أفرح، رئيس مليشيات عشيرته والمنفذ المعروف بالمناورات السلطوية بـين الفصائل، للطعن في الانتخابات بعد إجرائها.

وبالتالي قدم قنيري طلبًا لإلغاء انتخاب رئيس مجلس المحافظة قائلاً: "سبق أن تم التفاهم بينه وبين زملائه المسلحين على أن يكون رئيس مجلس المحافظة من نصيب عشيرته، لاعتبارات محلية قبلية". ولكن مؤيدو "توتو" رفضوا التنازل عن نتائج الانتخابات التي جرت، وإخلاء المنصب لشخص آخر.

محاولات عديدة بذلت لتسوية الخلافات استمرت يومين وانتهت بالفشل. انسحب على إثرها قنيري ومؤيدوه من عملية تنصيب إدارة وجهاز سياسي للعاصمة غير معترفين بنتائج العملية برمتها.

٢ يناير:

في جلسة عُقدت بالمركز القديم للحزب الاشتراكي الثوري الصومالي وحضرها ٤٥ عضوًا، انتخب مجلس محافظة بنادر السيد/ حسين شريف روبو وعثمان أبو بكر مهدي كنائب أول وثاني لرئيس المجلس تباعًا. من الواضح أنه تغيّب ١٩ نائبا عن الجلسة لأسباب مختلفة.

إن التطرف والجمود الفكري يخيمان على الأساليب السياسية والقيادية لأمراء الحرب، الذي يَجعل أي محاولة لمعالجة الخلافات بالطريقة العقلانية والتنازلات المتبادلة، للدفاع عن المصالح العامة، وإن كانت محصورة بالعاصمة، لتوفير قسط من الخدمات والهدوء بعدما شهدته من الدمار والإهمال لعقدين من الزمن – في عالمهم غير ممكنة.

اقتنع سكان مقديشو بأن أمراء الحرب الذين يسيطرون على المدينة لا يستطيعون فعل أي شيء إيجابي تجاههم، ولا يُنتظر منهم حل المشاكل الملحة محليًا وقوميًا؛ لأن الشقاق الحزبي من سمات سلوكهم المعتاد، ضد العمل لحساب المصالح العامة؛ إذ "فاقد الشيء لا يعطيه".

اقترحت على بعض المعنيين بصورة شخصية أن تتفاهم الإدارة الجديدة، مع المحافظ والعمدة السابق محمود عدي غابو، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه بالرغم من وجود التعنت القبلي والشقاق الحزبي، الذين تخسر فيهما كل الأطراف في النهاية.

انعكاسًا للخلافات، واستعراضًا للقوة، عادت إلى الطرق الحواجز المعروفة بـ "إسبارو" المفروضة من أمراء الحرب، وبالذات في طرق سوق بكارها، ومنطقة كاران التابعة لموسي سودي يلحو.

منذ يومين سافر رئيس البرلمان الصومالي شريف حسن شيخ إلى عدن بالجمهورية اليمنية، حيث كان في انتظاره الرئيس عبد الله يوسف (نختصر اسمه بعد الآن ع/ي). ومن الواضح أن رئيس البرلمان لم يصطحب أيَّ عضو برلماني للمفاوضات القادمة؛ ولهذا تتعسر تسمية المهمة مفوضة من البرلمان. ولا تنتظر المجموعة البرلمانية المتمركزة في مقديشو أي تطورات إيجابية من المحادثات المزمع عقدها بعدن بين الرئيس ع/ي وشريف حسن.

الثلاثاء ٣ يناير:

التوتر في ازدياد بالعاصمة بسبب الخلافات التي تجددت بين أمراء الحرب، أو رؤساء الفرق: إعادة الحواجز إلى الطرق والتي كانت قد أُزيحت منها في يونيو ٢٠٠٥ تخلق من جديد معاناة كبيرة لسكان العاصمة. وفي هذا الصدد يقول سائقو الباصات الصغيرة المعروفة بـ "بي إل" للمواصلات العامة: إن مليشيات كاران فرضت عليهم إتاوات باهظة، حيث يطلبون منهم ستة آلاف شلن كل يوم لمزاولة نشاطهم، في حين أن حالة أمن مقديشو تدهورت إلى مستوى ما قبل يونيو ٢٠٠٥. علاوة على ذلك يَئِنُ سكان مقديشو من الغلاء، والبطالة العامة، وسوء التغذية، وهي محاصرة منذ ستة عشر عامًا.

في ناحية تيجيلكو يتواصل الاقتتال بين قبائل "عيل قودي" و "بغل هوري"، بدون أي محاولة جادة لإيقاف الحرب من قبل أعيان د/م، أو من أي طرف آخر. هذه القبائل حصلت على الأسلحة النارية بصورة مضطردة، في غضون الحرب الأهلية، حيث امتلئت البوادي بهذه الأسلحة. ويبدو أن الرعاة أصبحوا يتبارون بالبنادق الكلاشينكوف، ويتوثبون إلى العراك والاصطدامات. حسب الوثائق الموجودة لدينا، نفذ الطليان إبّان احتلالهم لهذه المناطق بين ١٩١٠-١٩٢٠ خطة شاملة لنزع السلاح الناري، ومصادرة بنادق القبائل.

وكررت بريطانيا نفس الإجراء، عند احتلالها للصومال سنة ١٩٤١، بعد انسحاب إيطاليا. و كانت قد عمّت الفوضى البلاد، واستولى الناس على الأسلحة النارية التي تركها الإيطاليون في المخازن والمعسكرات. وتشير بعض الإحصائيات لتلك الفترة أن واحدًا من كل ثلاثة أشخاص كانت في حوزته بندقية، مسدس أو قنبلة.

الأربعاء ٤ يناير:

رئيس الجمهورية ورئيس البرلمان يواصلان مفاوضاتهما في مدينة عدن اليمنية وجهًا لوجه. يبدو أن مسئولي الدولة المضيفة لا يتدخلون مباشرة في المفاوضات. ترد أنباء محدودة من عدن حول المحادثات، والأخبار متناقضة. تقول بعض المصادر غير الرسمية: إن الرئيس ع/ي حصل على موافقة شريف حسن على أن تنتقل الحكومة من مدينة جوهر إلى مقديشو. وهذا التسرُب للأخبار بالون اختبار يقصد منه إسكات المعارضين لرئيس البرلمان، الذي ذهب إلى الهيجا بغير سلاح البرلمان، وعدم الحصول على تفويضه لهذه المهمة التاريخية الحاسمة لمصير نظام "مبغاتي". من الناحية الأخرى أحاط رئيس البرلمان بأحد مقربيه الموجودين هنا في مقديشو علمًا أنه اتفق مع السيد رئيس الجمهورية أن تعاد وحدة البرلمان من جديد على أن ينتقل موحدًا إلى أي مدينة تُختار بالتوافق، باستثناء جوهر محل إقامة الرئيس ع/ى الراهن.

أضاف رئيس البرلمان عند تحدثه مع الصديق قائلاً: "هذه النقطة الوحيدة التي تم التفاهم بينه وبين الرئيس عبد الله. أما تسلسل المفاوضات من هنا، وتحديد الأمور الخلافية وطريقة تعاطيها والبت في شأنها، فتتوقف على "إرشاداتكم وقراراتكم".

وإذا كان رئيس البرلمان قدم للنواب هذه "المزة" لاستدراج أكبر عدد من النواب المقديشيين إلى جانبه، بقدر من الذكاء السياسي الواضح، فإننا نتخوف أن تتلاشى أغلبيتنا بفعل الأوهام المعروفة بتقاسم السلطة والمناصب، وحشر القضايا الجوهرية في زاوية النسيان.

في نهاية شهر ديسمبر الماضي، بعد زيارة للجماهيرية الليبية لوفد برلماني يقوده شريف حسن، رئيس البرلمان، وكنت عضوًا فيه، مررنا بنيروبي في طريق عودتنا إلى مقديشو، وأقمنا بها لفترة قصيرة. جاء إلى الفندق الذي نزلنا فيه لمقابلة رئيس البرلمان، ممثلو الدول المعنية بالشئون الصومالية، وكان عددهم لا يقل عن ١٢ ممثلاً. ومن بينهم ممثلو إنجلترا، وفرنسا، وأمريكا، والسويد، وإيطاليا، والنرويج. بعضهم عاد إلى رئيس البرلمان أكثر من مرة. كنت أترجم لشريف حسن ما كان الممثلون يقدمون له من طلبات وأفكار ومعلومات. وكان من الواضح أنها كانت هجمة للضغط على رئيس البرلمان ليتصالح مع الرئيس عبد الله، ويعمل على إعادة وحدة البرلمان، وكل الممثلين كانوا يُكرِّرون هذه المطالب. من البديهي أن المجتمع الدولى، والدول الغربية الكبرى تعمل من

وراء الكواليس لتوحيد البرلمان، وجمع أقسام الدولة في مدينة متفق عليها، ليكون نظامها الموحّد قادرًا على اتخاذ قرارات بالوكالة لإفساح المجال لإثيوبيا للتدخُل في الشئون الصومالية.

الخميس ٥ يناير:

تسرُب موقف شريف حسن كان مفعوله سحريًا؛ إذ هدأ القيل والقال والمخاوف والشكوك، ولأن يرضخ وحيدًا للضغوط التي تمارس عليه من جوانب عديدة، ومنها الوفد الوزاري المساعد لرئيس الجمهورية، والجالية الصومالية في اليمن، والمجتمع الدولي وليس الأخير. والحكومة اليمنية ربما لا ترضى بإخفاق وساطتها مرة ثانية بين الرئيسين: المرة الأولى كانت كما أسلفنا يونيو ٢٠٠٥ وانتهت المفاوضات بالفشل.

إن انشطار البرلمان وانقسام النظام أضر كثيرًا بحكومة ع/م/ غيدي ونال من سمعتها، فكان أول مشاكلها متمثلاً فى كيفية توفير المساكن اللازمة لمسئولي الدولة، والأبنية المهمة لدواوين الحكومة، في مدينة مثل جوهر التي لم تكن مهيئة أصلاً لاستيعاب هذا العدد الهائل من مسئولي الدولة وأتباعهم. وأهم من ذلك أن النظام نفسه تقزَّم أمام المجتمع الدولي حيث فشل في حماية وحدته وتماسكه، وحشر كيانه في مدينة ريفية لا مرافق لها، ويصعب الوصول إليها.

إن اختيار جوهر كمركز مؤقت للدولة لم يكن موفقًا. أكد لنا هذه الحقيقة كثير من النواب الذين ذهبوا إليها وكانوا يشكون دائمًا من عدم توافر المساكن اللائقة، والمرافق الكافية، وصعوبات بيئية عديدة. من الناحية الأخرى كان محافظ المديرية محمد عمر حبيب يعامل مسئولي الدولة بأسلوب غير لائق. ويُشهد للمرء بكفاءة إدارية عالية، ولكن كان يبالغ في تطبيق أوامره.

يذكر من غرائب نزواته أنه أوقف جماعة من المصلين، ومن بينهم نواب برلمانيون، بعد أن قاموا للصلاة في فضاء بالمطار، في وقت كانوا ينتظرون وصول الرئيس من الخارج. وقف أمام المصلين قائلاً لهم وهو يُوبِّخهم: "بنيت لكم مسجدًا في المدينة (جوهر) فما بالكم تصلون في العراء؟!". ربما المحافظ تناسى المثل الصومالي القائل: " أدي صلاتك حسب ظروفك".

الجمعة ٦ يناير:

تتحدث الوسائل الإعلامية المحلية باهتمام بالغ عن الاتفاق بين رئيس الدولة ورئيس البرلمان (انظر الملحق رقم ١). وُقِّع على هذا الاتفاق تحت رعاية فخامة الرئيس على عبد الله صالح. نقتبس منه هنا بعض المواضع المهمة من محتواه، على أن يكون النص الكامل للوثيقة ملحقًا في آخر الكتاب:

١) تم التفاهم على تجاوز الخلافات وطي صفحة الماضي التي أضرت بأداء المسئوليات في كل المؤسسات.

٢) اتفق القادة على ضرورة التنسيق النشط المبني على احترام مبادئ وبنود الميثاق الفيدرالي الانتقالي، وفقًا للممارسات الدستورية المتعارف عليها.

٣) أن يجتمع البرلمان الفيدرالي الانتقالي في غضون ثلاثين يومًا، ابتداء من هذا التاريخ لعقد دورته الرسمية في أي مكان يُتّفق عليه داخل الوطن.

٤) أن يدعو القادة أعضاء البرلمان والحكومة لوضع حد للخلافات والتباينات التي لا مبرر لها.

٥) دعوة المجتمع الدولي وخاصة الأشقاء والدول الصديقة لتقديم الدعم الكامل لهذه الجهود الرامية لعقد الدورة العادية للبرلمان داخل الوطن.

تم توقيع هذه الوثيقة في الخامس من يناير ٢٠٠٦ بالقصر الجمهوري بعدن بالجمهورية اليمنية. كما يبدو جليًا أن الاتفاق المعلن أعلاه لم يعالج أو حتى يتطرق إلى المشاكل الجوهرية التي نتج عنها الخلاف بين شقي البرلمان وبين شقي الحكومة، ومنها كما أشرنا:

١) التدخل الإثيوبي.

٢) الحل العسكري للأزمة حسب توجه الرئيس.

٣) مقديشو مركز الدولة والحكومة.

٤) مصالحة حقيقية شاملة.

وافق رئيس البرلمان على شروط الرئيس كلها تقريبًا في الجولة العدنية، وهي نفس الشروط التي رفضها هو ووفده في الجولة الأولى بصنعاء، في يونيو ٢٠٠٥م دون أن

يستشير فريقا من النواب وعددهم ١١٠ نوّاب. ولهذا بالرغم من الأبواق الدعائية والطبول المدوية لتأييد الاتفاق، فإن المقديشيين من النواب الأحرار هم الخاسرون. وإصرار الرئيس ع/ى على تنفيذ قراراته وإفساح الطريق للاحتلال الإثيوبي آتى أكله. في تقديري لو وقف النواب المقديشيون وقفة رجل واحد ضد الدور الإثيوبي العسكري، وهو أهم أسباب انشطار البرلمان أصلاً، لغيرت التطورات التي أدت بالبلد إلى احتلال الأحباش، بعد سنة من توقيع اتفاق عدن.

علم الجميع فيما بعد أن الاتفاق المعلن كان هدفه الاستهلاك الداخلي الصومالي، وذر الرماد في عيون البسطاء؛ إذ إن الرئيسين توصلا إلى اتفاق سري أبرز بنوده أن تكون مدينة بيدوه العاصمة المؤقتة للدولة، ومركز البرلمان الموحد. وكان الرئيس ع/ي يحلم من عدة سنين أن تكون هذه المدينة مركز انطلاقه لغزو مقديشو، وإثيوبيا تحميه من ظهره.

ومن بنود التفاهم السري: عدم الاعتراض على انتقال جيش رئيس النظام إلى منطقة باي، والحصول على دعم سخي من المجتمع الدولي للبرلمان، وتغطية كاملة لميزانية الحكومة، والشروع في إعمار البلد الذي دمرته الحروب الأهلية المستمرة، وإغراءات أخرى متعددة الأنواع. ولكن هذه الوعود كغيرها لم تتحقق.

أكثرية النواب المقديشيين، الذين وقع شريف حسن الاتفاقية باسمهم، فاجأهم التفاهم بصورة سلبية، ورأوه استخفافًا بمطالبهم السياسية وبثوابتهم الوطنية.

في مناسبة توقيع الاتفاق صرح الرئيس اليمني علي عبد الله صالح، في خطاب مقتضب، بأن الرئيس ع/ي في منصب الرئيس السابق محمد سياد بري، ويجب تنفيذ أوامره. مضيفًا بلا أي مواربة: "لا بد لكم أن تتبعوا قيادة الرئيس ع/ي؛ إذ لا يمكن أن يكون في الغمد الواحد نصلان (خنجران)". وهذه أنشودة للأتوقراطية، وتحجيم للتعددية تطبيقًا للميثاق الوطني. ولم يعتبر فخامة الرئيس اليمني أن المرحوم محمد سياد كان رئيسًا تنفيذيًا يحكم البلاد من أقصاها إلى أقصاها، فأما الرئيس ع/ي فلا يحكم إلا مركز رئاسته، ومنصبه فخري وللتعشم. وحسب ميثاق القبائل المتفق عليه في قرية "مباغاتي" بكينيا أصبح رئيسًا برلمانيًا غير تنفيذي، ولكنه يتطلع إلى سلطة رئيس تنفيذي متناقضًا مع الميثاق الوطني نفسه.

لا أحد يشك في نزاهة الرئيس اليمني، الذي تَحمّلَتْ بلاده عبئًا فادحًا من أجل

الصومال. وكان مخلصًا في تقديم نصائحه، ولم ينافق في إعطاء نصائح لا يؤمن هو بها ولا يمارسها هو نفسه، ولكن كان يحث كل صومالي مؤمن بضرورة إعادة السلام والدولة إلى بلده. ولكن لابد أن يحمي الصومالي بلده من أي نظام دكتاتوري شمولي؛ لأن المأساة الراهنة التي تضرب بها الأمثال والنموذج للدولة الفاشلة، هي نتيجة تعسف نظام شمولي أحادي البنية، رفض التعددية والتوزيع الفعلي للسلطة، ونحن لا نريد تكراره بعد هذه الخبرة القاسية.

السبت ٧ يناير:

في صالة الاجتماعات فوق فندق الصحفي عُقدت جلسة للبرلمانيين المقديشيين حضرها عدد لا يزيد عن أربعين نائبًا. ليس لجو المجلس حيوية تذكر. تغيب عن الجلسة جميع أمراء الحرب عن قصد، ربما بعد تشاورات بينهم.

أجرت الإذاعات المحلية مقابلات مع عدد من نواب البرلمان، وكانت جل أجوبتهم في تقييم اتفاق عدن بين الرئيسين، غير مركزة. كان الكل يتهرَّب من تقييم واضح ومحدد للاتفاق.

حوالي الساعة الحادية عشرة صباحًا، والجو المشار إليه يخيم على المجلس، طلب مني النائب عمر حاش أدن [رحمه الله] ، وهو يترأس الجلسة، أن أقرأ على المجلس نص الاتفاق المبرم (النص الإنجليزي) كي أحوّله إلى اللغة الصومالية. أذهب إلى الميكروفون وأقوم بالترجمة. ولم يتقدم بالسؤال أي نائب، أو يطلب إيضاحات؛ لأن الذي يمكن له الإجابة عن الأسئلة وإعطاء الإيضاحات اللازمة للاتفاقية هو رئيس البرلمان الغائب.

الأحد ٨ يناير:

أعلنت عدة قطاعات من المجتمع المدني الصومالي تأييدها لاتفاقية عدن، في وقت ما زال فيه النواب ينتظرون مزيدًا من المعلومات. المنظمة النسائية [كوغوو] [Cogwo] من المؤيدين للاتفاق، ولكن منظمات رجال الدين، التي كانت تتعاون مع النواب المقدشيين في تثبيت أمن العاصمة، ما زالت صامتة وفي انتظار إيضاحات أكثر حول الموضوع.

الإثنين ٩ يناير:

اليوم التاسع من ذي الحجة، يوم وقفة عرفة. حسب بعض الإحصائيات يصل عدد

الحجاج الصوماليين من الداخل، خاصة من الجنوب والوسط، ستة آلاف ونيف، والرقم قياسي بالمقارنة بالظروف الأمنية الصعبة في الوقت الراهن. دكتور شريف أحمد عباس يستعجلني من لندن أن أرسل إليه سيرة حياتي مرة ثانية وثالثة. ويبدو أنه يلاقى صعوبة فى استخلاص الملاحق من حاسوبه، وقد بعثت إليه عدة مرات وثائق السيرة وملحقاتها.

يشكو الأهالي من ارتفاع أسعار الأضاحى من الغنم، إذ زاد سعرها ضعفين بالنسبة للسنة الماضية. أما سعر صرف الدولار اليوم فيساوي ١٤,٦٠٠ (أربعة عشر ألف وستمائة شلن صومالي). خسر الشلن ألفًا غضون الأسبوع لزيادة التحويلات من الخارج؛ لأن المغتربين يرسلون إلى عائلاتهم وأقاربهم في هذه المناسبة أموالاً للعيدية، كي يخففوا عنهم وطأة الأوضاع المعيشية القاسية قدر الإمكان.

أنتهز فرصة عطلة العيد لجمع معلومات عن دبلوماسية الحرب العالمية الثانية فيما يخص الأقطار الصومالية. ومما جذب انتباهي أن الكونت "جاليا سو تشانو"[Conte Galeazzo Ciano]وزير خارجية إيطاليا الفاشية وزوج ابنة بينيتو موسوليني Edda، لا يذكر في مذكراته الحرب الخاطفة، التي من خلالها احتل البريطانيون الصومال بين يناير ومارس ١٩٤١. بعد أن انهزمت إيطاليا وخسرت إمبراطوريتها بشرق إفريقيا. بينما شهري مارس وفبراير، عند احتلال مقديشو وإعطائها صيغة المدينة المفتوحة Mogadiscio citta' aperta، حُذفا من مذكرات الكونت، التي تغطي من ١٩٣٧ حتى سنة ١٩٤٣. تعتبر هذه المذكرات حتى هذه اللحظة من أهم مصادر الوقائع الدبلوماسية للحرب العالمية الثانية، وخاصة علاقة إيطاليا بألمانيا النازية والدول الأوروبية الأخرى. بينما الدبلوماسية الحربية البريطانية كانت نشطة ومجهودها يتركز على الزحف على الصومال بدءًا من الحدود الجنوبية، وكان ونستون تشرشل يعطي الأوامر لقواد جيشه بالزحف على الصومال تنفيذًا لعملية (canvas) للاستيلاء على مدينة كسمايو الصومالية الجنوبية. ويدون في مذكراته ما يأتي: "كنت قد صُدمت عندما علمت أن كاننغهام (وهو قائد الحملة البريطانية على شرق إفريقيا) قرر تأجيل العملية الجريئة" وكان يحث على إقدام واختراق سريع الوتيرة، بما لا يسمح التخطيط العسكري الحذر، وكان يأمل أن تنتقل هذه القوات إلى شمال إفريقيا، التي كانت أسخن الجبهات في تلك الفترة المبكرة من الحرب العالمية الثانية .

من اللافت أيضًا للانتباه أن موسوليني وتشانو كانا يحتقران كبار مساعديهم من وزراء ومرشالات، وجنرالات وسفراء، ويصفانهم بالأغبياء، المكارين والنصَّابين

[furbi e imbroglioni ،Fessi].

ومن الجائز أن نتساءل لماذا اختار السيد بينيتو موسوليني كل هؤلاء الأغبياء وغير الفاعلين في حرب بهذه الحجم والقسوة؟ إذا افترضنا أن الصفات المذمومة تنطبق على الموصوفين من أكابر الفاشية الإيطالية.

وبالرغم من طمأنات السيدة، Edda Ciano وجمهور من المحققين لهذه المذكرات، وشهادتهم أنها كاملة وصحيحة من الانتهاكات، إلا أننا نشك في وجود حذف وزيادة في هذه الوثائق.

الثلاثاء يوم العيد الأكبر ١٠ ذي الحجة .١٠ يناير ٢٠٠٦:

غادرت المنزل باكرًا لأصلي صلاة العيد عند فضاء مدرسة الإمام الشافعي، مع العائدين كانت هذه الساحة تعد من الأستاذين أحمد عبد الله [رحمه الله] ومحمد عبد القادر مديري المدارس لصلاة الأعياد منذ زمن يربو على عشر سنوات، وأكثر المصلين من أحياء هُذن وهول وداغ. لا أرى الازدحام المعهود في هذا الفضاء كما كان في السابق ولا أعرف السبب.

لا يتعدى عدد المشاركين في الصلاة الأولى مائة شخص باستثناء السيدات اللاتي لهن مصلى جانبي. أجد أيضًا أن رسائل التهنئة وهواتف المشاركة في الأفراح التي تصلني من الخارج قليلة مقارنة بالماضي، ربما إحساس من الأقارب والأصدقاء بأنه لا يوجد فى هذا البلد ما يدعو إلى البهجة والفرح. احتفل الأهالي بالعيد في كل محافظات الجمهورية، بالرغم من استمرار ظروف القحط والجفاف التي تعاني منها مقاطعات كثيرة في الجنوب.

لا شك أننا بإزاء تغير مناخي واسع النطاق. الأمطار الموسمية المعروفة بـ "الطويلة" في الربيع (مارس – مايو) [Gu] ، والقصيرة (أكتوبر – ديسمبر) [Deyr] ، تقلصت مدة هطولها، كما أصبح فصل الأمطار الساحلية المعروف أيضًا بأمطار الأشجب [Haga] ، من يوليو إلى مشارف سبتمبر يتلاشى.

وكانت الفصول الثلاثة زراعية في الماضي، حيث كان من الممكن للمزارع في محافظة شبيلي السفلى أن يزرع ثلاث مرات في السنة. و لكن تغيُّر الجو، وقلة الأمطار يجب التأقلم معهما. في الماضي كان الاعتماد على فترات المطر شبه كاملة، وكان تقويم

المزارع والراعي لفصول السنة مبني على حساب دقيق طبقًا للسنة الشمسية. وعلى أساس ذلك كانت بداية الأمطار ونهايتها قابلة للتنبؤ. سنوات القحط أيضًا كانت قابلة للتنبؤ، حيث كان من المسلم به أن يتكرر القحط مرة في كل خمس سنوات، وكان يغطي مقاطعات عديدة.

تتبع القحط والجفاف الآن في بلدنا ينسب إلى متهم كبير واحد، وهو التصحر الناتج عن قطع الأشجار وتحويلها إلى فحم يُصدَّر إلى الخارج. ولكن ظاهرة التصحر وأسبابها أكثر من ذلك وأعمق. في ظروف عادية كان من الملحّ منع قطع الأشجار واستخدامها كوقود للاستعمال المنزلي، أو تصديره. و لكن من المؤسف أن هذا الموضوع لم يعط من الحكومات المتعاقبة أي أهمية، ولم تكترث في البحث عن مصادر قوة بديلة. ليس هناك معنى للحديث عن حفظ البيئة في برامج الحكومات، وقطع الأشجار مستمر، بعد تحديث العملية بإدخال مناشر كهربائية تُسقط مئات الأشجار في ساعات قليلة.

ولهذا أصبح من المؤكد أن بعض أسباب القحط بما كسبت أيدينا، ولا يمكن إيقاف مجازر الأشجار إلا عند وجود حكومة فعالة تمنع قطعها بهذه الصورة غير المنضبطة. والشق الثاني يتعلق بمواجهة الأزمة البيئية الراهنة؛ لأنه لا يمكن لنا أن نشكو من شحة الأمطار والقحط، وعندما تكثر على غير العادة، وتضر الناس بالسيول، أو يحدث انفجار على ضفاف النهر وتغمر المياه المزارع والقرى، فيصبح المطر نقمة على الأهالي.

يجب قبل كل شَيْءٍ إجراء دراسة شاملة عن آثار تغيرات المناخ والسبل الكفيلة بمواجهتها. وأقدم هنا بعض المقترحات البسيطة والخطوات الملائمة للتأقلم مع الأحوال الراهنة، متى كان ذلك ممكنًا:

١) منع قطع الأشجار. تغيير نوع الزراعة من المبسطة إلى المكثفة في أحسن استغلال للأراضي، وكذا الرعي من مبسط إلى مكثف، وتحجيم عدد القطعان.

٢) زراعة الأعلاف بصورة منهجية فعالة.

٣) إدخال أصناف جديدة مغذية وسهلة، إلى جانب التقليدية ، كـ (موز الموتوكي) وتشجيع استهلاك الفواكه، الأسماك واللحوم البيضاء كالدجاج والأرانب [جزء كبير من الأهالى يستهجن استهلاك هذه الأصناف].

٤) إيجاد تقنيات لحجز مياه الأمطار، ونشر هذه المعرفة، والقدرة على حفظ المياه

لأطول وقت ممكن.

٥) الانتقال من فكرة الانتظار الكامل للأمطار والاعتماد الكلي عليها، والاستعداد للقحط والأمطار المدمرة.

٦) استغلال المياه الجوفية بصورة فعالة وعقلانية.

٧) الاستفادة من الخبرات في المجال الزراعي والبيئي لدى البلدان الأخرى، والقابلة للتطبيق في أرضنا.

٨) تشجيع الرعاة على أن يصبحوا مزارعين ومربين للحيوانات المزرعية في آن واحد، وتعريفهم أنه لا مفر من زراعة الأرض، وأنها لا تحط من كرامة الراعي.

٩) إدخال محاصيل ملائمة لزراعة الأراضي الجافة.

١١-١٢-١٣ يناير:

الرئيس ع/ي موجود الآن بأديس أبابا للتشاور مع السلطات الإثيوبية، بعد نجاحه الباهر في إقناع رئيس البرلمان بأن ينصاع إلى أفكاره.

من البديهي أن يكون اتفاق عدن في مصلحة إثيوبيا كخطوة إلى الإمام في تحقيق تدخلها المباشر، الذي كانت تحلم به من أزمنة قديمة.

يستصعب الناس هذا التودد الذي يلحّ الرئيس على إظهاره للسلطات الإثيوبية، بدون أي تحفظ، بحيث يستنتج أن هذه الصلة تجري بين آمر ومأمور.

ضرب القحط أقاليم كثيرة من الجمهورية، خاصة محافظة جدو وجوبا العليا، والأقاليم الصومالية تحت الإدارة الإثيوبية، إقليم الشمال الشرقي لكينيا.

نظمت الـ ب ب س / ق.ص طاولة مستديرة هذا العصر لمناقشة موضوع القحط والجفاف. خبراء صوماليون أربعة تداولوا المناقشة حول طبيعة الكارثة، أسبابها، مساحتها وعلاجها الممكن. وقدموا إلى بساط المستمعين معطيات مهمة وتدابير فعالة ووقائية وآنية لمعالجة الأزمة. ولكنهم لم يذكروا، حسب تقديري، مشكلة الأغذية المحلية التي يجب استغلالها بصورة جدية، وعدم الانتظار دائمًا لأغذية المانحين والاعتماد على المعونات الخارجية، حتى أصبح هذا الشعب كله يتكل على هذا النوع من" التعاون". وحسبنا ما لدينا من موارد كامنة يجب أن نشمر سواعدنا ونستخرجها من أرضنا الخصبة المعطاة.

هكذا يتحقق المثل الصومالي: "لا ينطفي ظمأك إلا أن تشرب الماء بكفيك".

السبت ١٤ يناير:

في منطقة "جلجلاتو" تجري حرب ضروس بين الحاج أبو بكر عمر عداني وبشير راغي شيرار، وهما ابنا عشيرة واحدة، لكن الأول منحاز إلى المحاكم الإسلامية، والثاني من أركان التحالف ضد الإرهاب. اتسعت رقعة الاقتتال حتى شملت كل منطقة الميناء المؤقت "عيل معان"، تشتد ضراواتها يومًا بعد يوم. كلا الطرفين يستخدم أسلحة ثقيلة كالهاونات ذات العيارات الكبيرة، ولكن من العبث استخدام هذه الأسلحة في حرب عصابات تتجابه فيها وحدات قتالية قليلة الأفراد، وموزعة على بؤر متباعدة، ربما دويها يفزع أكثر من تأثيرها القتالي الفعلي.

تفيد الأنباء بأن قتلى هذه المواجهات أربعة عشر وأن الجرحى نفس العدد. تؤكد مستشفيات المدينة لاحقًا موت اثنين من الجرحى. وجل الضحايا من الأطراف المتصارعة. والجرحى الباقون يعانون من حالات بالغة الصعوبة. هناك أيضًا ضحايا من المدنيين الذين عرجت إلى منازلهم، بحي كاران، الرصاصات الطائشة، يذكر في هذا الصدد أم وولدها.

الأحد ١٥ يناير:

عندما وصلت إلى فندق الصحفي، مقر البرلمان المقديشي، قابلني على السلم نائب أخبرني بانفضاض الجلسة، ولكن صعدت إلى التعريشة في السقف، فوجدت بعض الإخوة الذين كنت أبحث عنهم. تبادلنا الآراء حول لغز الاتفاق بين الرئيسين، وكان الجميع مقتنعين بأن الرئيس ع/ي انتصر على الآخرين، وحصل من رئيس البرلمان على كل الشروط التي كان يصر عليها منذ ٢٠٠٤، وأن إثيوبيا التي تعرف أصحابها في الرئاسة والبرلمان هي الفائزة أيضًا. وبالتالي، الرئيس ع/ي ذهب إلى أديس أبابا ليبلغ أصدقائه هذا النبأ العظيم، وتلقي المشورة المخلصة لتحقيق مزيد من النجاح في التخلص من المعارضة الموجودة بمقديشو.

يرى هؤلاء النواب الأكثر وعيًا، أن تباهي الرئيس بالصداقة الإثيوبية بمثابة تحد لاستقلال البلد، وخطر على وجوده. ينتظر الجميع كيف يتطور هذا الاتفاق ويتم تطبيقه على أرض الواقع.

هذه الصداقة والتودد لإثيوبيا، وإن كان بعضه استعراضيًا، يتناقض مع بعض الحكايات التي ذكرها الرئيس ع/ي في عدد من المناسبات؛ إذ كان ع/ي يقول دائمًا: إن سبب سجنه من الطاغية الإثيوبي منجستو هيلي مريم حصل عندما أصر أن البلدتين "جالدجوب" Galdogob و"بلانبللي" Blanballe كانتا صوماليتين، وكان الإثيوبيون الذين احتلوا البلدتين سنة ١٩٨٣ قد رفعوا علمهم عليهما. في تلك اللحظة كان الرئيس ع/ي رئيس الجبهة الديمقراطية لإنقاذ الصومال، المدعومة من إثيوبيا، ويحتمي في أراض تحت سيطرتها. سجنه ذلك النظام سبع سنين وخرج من الاعتقال بعد سقوط نظام منجستو. هناك أيضًا تفسيرات عدة وأسباب مغايرة لسجن ع/ي من الإثيوبيين.

ولابد أن نذكر هنا مفارقة تاريخية تدعو إلى التأمل؛ لأن الرئيس ع/ي، الطاعن في السن، والذي يعيش في أحوال صحية غير مستقرة، بعد أن حصل على ثقة الصوماليين آملين أن يخلصهم من الظروف المأساوية الراهنة، بدأ يأخذ شيئًا فشيئًا مسلكًا عكس آمال وأمنيات الشعب الصومالي؛ إذ آلى على نفسه أن يمهد الطريق للاحتلال الإثيوبي ولمواصلة الحروب الأهلية لحقبة جديدة من الاقتتال والدمار والتشريد.

هذا التوجه يتناقض مع أي ثوابت وطنية، وروح بقاء الصومال نفسها، ويتناقض مع الوطنية المشهودة له. هذا الرجل الذي حارب الإثيوبيين وأجبرهم على الارتداد إلى ما وراء حدودهم، في الحرب الحدودية القصيرة بين الدولتين سنة ١٩٦٤، وتقلد وسام الشجاعة عرفانًا بالأعمال البطولية التي قام بها.

ونظن أيضًا أنه كافح من أجل بلد ينعم بالعدالة والتقدم من ١٩٧٨، عندما أعلن تمرده على الحكم العسكري، حتّى سقوط النظام الذي خرج عليه. وبالتالي من المحيّر إذن أن نري هذه الشخصية وهي تسعى حثيثًا أن تسلم البلد إلى إثيوبيا على طبق من فضة! هل هذه هي خلاصة حلمه للوصول إلى السلطة؟ من البديهي علمه بأنه إذا حكم الأحباش الصومال فإنه سيصبح كبير الرعية فقط.

ويجوز التساؤل أيضًا ماهو حجم الديون التي ينوي قضائها للإثيوبيين إذ بادلوا طاعته وزملائه لهم بالسجن، بعد طرد جبهته وإفشالها حتى رجع فلولها يستجير بالنظام الذي كانت تحاربه؟، طبعًا كل هذه أمور محيرة للغاية ولا تزال لغزًا أمام الباحثين والجمهور العريض سواء بسواء.

أما الأمر الثاني الذي يجب الإشارة إليه فهو أن الإثيوبيين (وهو اسم مستحدث من

إمبراطور منيلك لدولته في نهاية القرن التاسع عشر) والأحباش من قبلهم، غيورون على بلدهم وسلامة أرضهم، ويكرهون من يعتدي على حرية بلدهم، ويحتقرون من يتعاون مع الأجنبي لينال من وجوده ووحدته. وبالتالي من البديهي أن الإثيوبيين، بالرغم من تظاهرهم بالصداقة والود للرئيس ع/ى إلا أنهم يحتقرونه ويرونه أداة صالحة، في الوقت القصير، لتحقيق طموحاتهم التوسعية على حساب الصومال.

كل من قرأ شيئًا من تاريخ إثيوبيا، يعرف أن هذا البلد لم يستسلم ولا لبرهة للاحتلال الفاشي المعتدي عليه سنة ١٩٣٦-١٩٤١، وكان الوطنيون الإثيوبيون يقاومون الغزاة والعنصريين الإيطاليين بجيش غير نظامي وهم حفاة عراة جوعى. وانتصروا جزاءً لوطنيتهم وعزيمتهم على واحد من أعتى الجيوش الأوروبية في الحرب العالمية الثانية. وأكّدت إثيوبيا للبلدان المستعمرة والمهضومة حقوقها أن الاستعمار يمكن هزيمته متى توفرت عند المستضعفين من الأمم المتخلفة صدق عزيمتهم. وكان الجيل الصومالي الذي كافح من أجل استقلال البلد يعتقد أنهم تأثروا بوطنية الإثيوبيين، الذين كانوا يستميتون في الدفاع عن حرية بلدهم، في وقت كان الصوماليون من ضمن الجيوش التي احتلت إثيوبيا بقيادة الجنرالين بيترو بادوليو Pietro Padoglio ، ورودلفو جراسياني Rodolfo Graziani .

الإثنين ١٦ يناير:

يتضح تدريجيًا أن حكومة ع/م/ غيدي ليس لديها الكفاءة الضرورية لإخراج البلد من الأزمة الراهنة، ولا حتى في استطاعتها بناء الأسس الأولية لإعادة بناء البلد. الوزراء ونوابهم ومناصب أخرى رفيعة ليسوا مستعدين لتحمل المسئولية الباهظة التي ألقيت على عاتقهم.

هؤلاء المسئولون، عكس ما تتطلب القطاعات التي أوكلت إليهم، يبحثون عن الاستفادة من مناصبهم في الوقت القصير والأقصر، عبر عمليات نصب واحتيال لتحقيق أكبر قدر من الأموال. ومن هذه العمليات بيع مشاريع وهمية لبعض الهيئات المغرضة، والحصول على التأشيرات من السفارات وبيعها؛ والحصول على منح دراسية، واصطحاب وفود إلى الخارج لا تعود إلى الصومال، وأشكال من الحيل الأخرى التي تنال من شرف البلد ما تبقى، ويضر سماعها بأي ضمير حي.

بعض النواب الذين يباركون الاتفاق الذي تصالح من خلاله الرئيسان، يؤكدون على

أن البرلمان الموحد سوف يجتمع ببيدوه، العاصمة الجديدة للدولة. ولهذا أرسل رئيس البرلمان إشارة إلى النواب المنتقدين لمواقفه الجديدة بأنه غيَّر توجهه القديم لإرضاء شعب مدينة بيدوه، ولتمكينهم من الاستفادة بالأموال التي ستتدفق إلى المقاطعة، مقابل خدماتهم من إيجار مساكن، وفنادق، ومواصلات، والحصول على عقود رابحة. يلوحون بأن هذه الأموال ستزيد من رواج التجارة وإنعاشها، وتحرر بيدوه من الخناق الذي فرضه عليها تجار الموانئ المحتكرين للموانئ الساحلية.

الثلاثاء ١٧ يناير:

النائب عبد القادر شيخ محمد، من نواب د/م، أخبرني أن رئيس البرلمان ينتظر إقلاع رحلته إلى مقديشو، من مطار "ولسن" ، للرحلات الداخلية بنيروبي، والساعة الآن الثانية عشرة ظهرًا، ولا يمكن أن يصل قبل الساعة الخامسة عشرة.

قرأت اليوم في الجريدة "القرطسية" حوج أوغال Hog Ogaal، أن مهندسًا اسمه عبد العزيز جهاد تيفو، أنشأ شركة لتأمين السيارات الخاصة (وليس في مقديشو سيارات حكومية) وأن الشركة ستبدأ عملها قريبًا. ليس هذا مما جذب انتباهي، لأننا نرى في هذا البلد الذي يعيش بدون أي تدخل حكومي، ما يدعو إلى الدهشة كل يوم، ولكن قول مدير الشركة المزعومة طبعًا: إنه يعمل بتفاهم مع المحاكم الإسلامية. هل الشركة تعمل على أساس الشريعة الإسلامية أو تعمل تحت نظامهم الأمني، أم هم شركاء له؟ لم يوضح المدير طريقة تنفيذ مشروعه، الذي لا يمكن له أن ينجو من المخاطر المحدقة.

هبطت طائرة شريف حسن في مطار "داينيلي" بعد الظهر. استقبله عدد من النواب ومجموعات من مؤيدي محمد قنيري أفرح، صاحب المطار، بينما العمدة محمد عمر محمد "توتو" وفريق من إدارته استقبلوه أمام فندق الصحفي عند مروره هناك، في طريقه إلى بيته.

الأربعاء ١٨ يناير:

رئيس البرلمان يفتتح الجلسة في الساعة العاشرة والنصف ثم يأخذ الكلمة عمر حاشي أدن، رئيس المجموعة المؤقت ليقدم تقريره عن نشاطات المجموعة البرلمانية المقدشية، فترة غياب الرئيس، والتطورات السياسية التي حدثت. ثم بدأ الرئيس يتحدث عن سفره وعن الاتفاق الذي توصل إليه مع الرئيس ع/ي بعدن. ولم يتطرق شريف حسن إلى الاتصالات التمهيدية للاتفاق، وجل القضايا التي كانت تحتوي عليها الأجندة، وكيف

تواصلت المناقشات، وما إلى ذلك من التفاصيل. كان التقرير الذي قدمه الرئيس إلى النواب مقتضبًا، وفي نبرة مكتومة. وعند انتهاء خطابه يرفع الجلسة تفاديًا لأسئلة حرجة أو مستفزة.

ثم بدأ الرئيس يجتمع مع مجموعات أو أفراد من النواب ليطلع على بعض الأمور التي لم يعلنها في الجلسة الرسمية ليطلب منهم تأييد الاتفاق. ورئيس البرلمان معروف بقدرته على إقناع المجموعات الصغيرة، عكس تأثيره على جمهور المستمعين في الجلسات الرسمية.

لتهدئة ردود الفعل البرلمانية وتأييد الاتفاق، اتصل بي رئيس البرلمان مباشرة، و كذا عبر نواب آخرين، وعدد من الأشخاص البارزين، وهو لم يزل خارج مقديشو، وليحاول إقناع ما بقي من النواب لإسكات المعارضة المحتملة للاتفاق، أو على الأقل تحييدها.

بمجرد أن سمعت مجموعة نواب د/م أن مدينة بيدوه ستصبح عاصمة للدولة ومركزًا للبرلمان الموحد، بدؤوا يشجعون المبادرة ويؤيدون الاتفاق، متنازلين عن الأمور المتنازع عليها التي أدت إلى انقسام البرلمان في يونيو الماضي.

وإذا نجحت المجهودات التشاورية المجزّئة لرئيس البرلمان إلى درجة ما، فإن محاولاته في استمالة أمراء الحرب، الذين اجتمع بهم انفرادًا [وهم يفهمون اللعبة بحذافيرها] لن تنجح في إقناعهم. عقدت الجلسة عند مركز محمد قنيري أفرح بـ "داينيلي" قلعته خارج المدينة، ووجّه المسلحون إلى رئيس البرلمان أسئلة محرجة وانتقادات عديدة؛ لأنهم يرون أن الاتفاق يعيدهم إلى المربع الأول، ويضعف موقفهم بإزاء الرئيس ع/ي، كما يطمعون في الحصول على "منافع" المساومة.

لا نستطيع البت فيما إذا كان رئيس البرلمان حاملاً رسالة شفوية من رئيس الدولة إلى أمراء الحرب يطلب منهم تأييد الاتفاق، مقابل قبوله لبعض شروطهم مما يمكن من إرغام شريف حسن أن يقابل هؤلاء المسلحين في مراكزهم. يمكن الحصول على أجوبة مقنعة لهذه الافتراضات مستقبلاً، بإذن الله.

الخميس ١٩ يناير:

زارني في البيت الصحفي إسماعيل من جريدة "حوغ أغال"، سجل الأخبار، وهي

من قرطسة العاصمة، لكنها الأقرب إلى ما يمكن أن نسميه صحيفة. يريد الصحفي أن أعطيه فكرة عن محتوى اتفاق عدن، والسبل الممكنة لتنفيذه، والإنجازات المتوقع تحقيقها من البرلمان الموحد عند استقراره في المقر الجديد. أخبرته ما كان لدي من معلومات حول الاتفاق، وأن البرلمان يمكن له أن يشرع لأول مرة، بعد سنة ونصف من تأسيسه، بعد أن شل الانقسام فعاليته الدستورية.

تحدثت مع عدد من النواب الذين يتتبعون هذه التطورات، بعد الاتفاق بدراية وإحساس عميقين. يعتقد الجميع أن الاتفاق يخدم الرئيس ع/ي، وعرّابه الأجانب، وإن كان ذلك تحصيل حاصل. يستأنف الحديث أحد النواب، وهو زعيم معروف: "لا نتشكك في رئاسة شريف حسن لنا كبرلمانيين، ولكن لا يحق له أن يتحكم في قناعاتنا السياسية أو يكتم أصواتنا الحرة، وليس هو زعيمنا السياسي".

في الساعة ١٤,١٥ التقيت بشريف حسن وطلبت منه أن يعمل جاهدًا للحفاظ على وحدة البرلمانيين المقدشيين، الذين فاجئهم اتفاق عدن واختيار مقر جديد للبرلمان، يمكن أن يثير الجدل من جديد. أجاب أنه يعتزم التقدم إلى البرلمان ليطلب منه التفويض اللازم لاختيار المدينة مقر البرلمان الموحد، ولكن لا بد أن يعلم الرئيس أن ثقة عدد كبير من النواب تجاهه قد اهتزت بصورة ملحوظة، في حين يشعر الجميع بأن عملية البحث عن مدينة فاضلة ليستقر فيها البرلمان ومسألة تفويض الرئيس ليختار وحده المقر المزمع انتقاله، كلها مسرحية يراد منها استغفال البسطاء من الناس؛ لأن مدينة بيدوه هي المرشحة الأولى والثانية كمقر. وسبق أن اتفق عليها الرئيسان وهم بعدن اليمن.

مهما سينجم مستقبلاً عن الاتفاق، والرجوع إلى مظلة الرئيس ع/ ي، الشارع هنا في مقديشو يؤيد شريف حسن والاتفاق. ليس حبًا لهذا أو ذاك بل رفضًا لهيمنة أمراء الحرب، وأدوارهم العبثية والعقيمة التي أهدرت وقتًا وأموالاً طائلة دون إعادة الأمن والوئام إلى العاصمة.

يوم ٣٠ يناير:

حسب معلومات سُربت إلى مقديشو أخبر الرئيس ع/ ي عدد من مساعديه ومقربيه أنه اتفق مع ش/ ح أن تكون مدينة بيدوه المقر الجديد للبرلمان ومؤسسات الدولة الأخرى. وهناك من يتوجس خيفة من مخطط الرئيس وهو القيام بحملة عسكرية على العاصمة، يكون جيشه الخاص حصان طروادة تغطية لاحتلال البلد، في وقت أصبح اختيار بيدوه

أمراً مفروغًا منه. يحاول الرئيس ع/ي أن تكون مدينة كسمايو الساحلية تحت سيطرته لأسباب إستراتيجية وعاطفية أيضًا؛ لأن عشيرته كانت تسيطر على المدينة منذ غزو الاستعماريين لها في نهاية القرن التاسع عشر، ولكن أبعدت منها من مليشيات متحالفة، ولم يأل الرئيس جهدًا منذ قرابة عقدين من الزمن لاستعادة المدينة إلى سكانها القدماء المجيرتين. وكان يمول كل الحملات العسكرية لاسترجاعها بعد سقوط النظام العسكري السابق.

وترجع أهمية كسمايو إلى أن لها ميناء كبيرًا يمكن أن يكون بديلاً لميناء مقديشو الذي أغلقته المليشيات المعادية للرئيس ع/ي. بينما يعمل ميناء كسمايو ليلاً ونهارًا، وعند الحاجة القصوى يمكن للنظام أن ينتقل إليها. وللمنفذ البحري مميزات عديدة أخرى.

وفي نفس الوقت لكسمايو مطار عالمي يجعل المدينة أحسن وضعًا من غيرها من المدن الداخلية من حيث المواصلات البحرية أيضًا بالمقارنة مع الوضع الراهن بمقديشو. ومن زاوية أخرى بسط سيطرة النظام على كسمايو يعطي لإثيوبيا فرصة النفوذ إلى البحر، وهذا ما تتلهف عليه. وكانت أديس أبابا تجري دائمًا وراء هذا الهدف، وتشجع حكومات إقليمية، وخاصة ما كان يسمى بدولة جنوب غرب الصومال، وعلى رأسها حركة مقاومة الرحنوين المتحالفة مع إثيوبيا. ومن المؤكد أن من مصلحة البلدين، إثيوبيا والصومال، أن يكون ميناء كسمايو مفتوحًا للحركة التجارية لأقاليم إثيوبيا الجنوبية كالصومال الغربي سيدامو وبالي، عبر اتفاقية تجارية مبنية على السلام والتعاون وتبادل المنافع.

السبت ٣١ يناير:

يوم الاجتماع الأسبوعي الأول للنواب، واليوم الثاني هو الخميس.

في الساعة الحادية عشرة إلا بضع دقائق الصالة على سطح فندق الصحفي ممتلئة. أعلن السكرتير أن النواب الموجودين ٩٧ نائبًا. عمر حاشي أدن، المتحدث باسم النواب المقدشيين، يقدم خطابًا تمهيديًا ثم يطلب من الرئيس أن يوجه كلمته للحضور. وبدوره يوجّه الرئيس إلى النواب خطابًا مقتضبًا جدًا، في وقت ينتظر منه الجميع أن يتكلم عن الاتفاق وتوحيد البرلمان، باعتبار أن أكثر من نصف الحاضرين اليوم لم يشتركوا في الجلسات السابقة. ولكنه ذكر موضوع التفويض بصورة ملتوية غير صريحة، وقد تشابه الأمر على كثير من الحاضرين. كما اتّضح لاحقًا أن صيغة طلب التفويض أُعدت خارج

البرلمان، وأن على الرئيس أن يُلَوِّح بالطلب فقط لتنفجر بعد ذلك جماعة من الغوغـائيين بالتصفيق والتهليل، لإرغام الأغلبية على إعطاء التفويض الصريح للرئيس، من غيـر أن يطلبه هو مباشرة. وهذا يتنافى مع أبسط ذوق سليم. وفي نهاية هذه الكوميديا، التي نأسف للظروف التي أرغمتنا على تفرجها، تُؤجّل الجلسة.

اجتمعت بعد الحادث بعدد من النواب المستنيرين، الذين كـانوا فـي مِثـل حـالتي غضبانين أسفًا، يشعرون بالمهانة والإجحاف في حقهم، ويتحفظون على تفويض مغشـوش يُسيء إلى ما تبقى من سمعة البرلمان.

الإثنين ٢٣ يناير:

سافر رئيس البرلمان إلى نيروبي بالأمس. وينتظر أن يلتقي بالرئيس ع/ي هنـاك، حيث يمكن أن ينتهز الفرصة ليطلعه على نجاح مجهوده في إقناع البرلمان بالموافقة علـى تفاهم عدن، وحصوله على تفويض لاختيار مقر البرلمان الموحـد، وأن الأمـر سـيقرره لوحده.

وقد يتعسر على الناس التتبع المنطقي لما يتوجب على البرلمان أن ينجزه في اتخاذ توجيهات سياسية، وأعمال تشريعية، ومساعدة الحكومة على وضع اللبنات الأساسية بـدلاً من النظام المنهار منذ عقود.

كثير من النواب يرون أن الاتفاق يجب تأييده؛ لأن مسئول منفذ أسر إلـيهم أنهـم مرشحون لمناصب وزارية في الحكومة القادمة. علاوة على هذا الحافز هناك من يُتعهد له بعلاوات وسفريات والحصول على منح دراسية لأولاده ولأقربائه. أما المتنفـذون الكبـار فإنهم يستخدمون الاتفاق كصفقة تجارية؛ لأن توقيعه مثمر، وإقناعه للنواب مدرار للعسل، وتحقيق الاجتماع الموحد للبرلمان يشجع المجتمع الدولي على أن يمنح جائزة كبرى لهم. وهذه العقلية تتطابق مع المثل الشعبي "إذا كان لرب البيت......" وهذه الاتصالات الكثيفـة والمناقشات الطويلة والخلافات المفتعلة ما هي إلا مسرحية هزيلة لكسـب ثقـة المجتمـع الدولي، ولدفع تكلفة المأموريات "الشاقة" ، ولكن كل شيء قد اتُّفق عليه في التفاهم السري بين الرئيسين بعدن.

تحول الرئيس ع/ي من جوهر إلى بيدوه يمكن أن يثير حفيظة أصدقائه ويخسرهم في تلك المنطقة التي استضافت رئاسته لشهور عديدة، وانحازوا إلى جانبه ضد معارضيه من البرلمانيين وأمراء الحرب. وربما ابتعاد الرئيس عن العاصمة سوف يؤدي إلى تشكيل

ائتلاف قبلي ضد "حكومة بيدوه" ولا يمكن البت حتى الآن فيما إذا كان هـذا التكتـل بـدأ يتأسس أو له صلة بالمخاوف التي تصدر عن الرئيس، إذ يقول هذه الأيام باسـتمرار: "إن بلدانًا عدوة للصومال تعمل لزعزعة أمن البلد". طبعًا لا يقصد إثيوبيا.

الخميس ٢٦ يناير:

رئيس البرلمان يتصل بي من نيروبي ويطلب مني أن أُؤيِّده في مساعيه، لجعـل اتفاق عدن نافذ المفعول. طمأنته بأنني مع المصلحة العامة، وسوف أساعده فـي تحقيـق ذلك، وليس لي مطالب شخصية أخرى.

حركة حماس الفلسطينية حصلت على٧٥% من الأصوات في الانتخابات التشريعية التي تم إجرائها هذه الأيام. والنسبة المئوية المعلنة مؤقتة، بينما حركة فتح، منافستها فـي الانتخابات، حصلت على النسبة المئوية المتبقية.

وحركة فتح، كما هو معلوم، في السلطة لأكثر من أربعين عامًا. هذا التطور لـيس فقط يؤثر على ميزان القوى بين الحركات الفلسطينية، وإنما هو تغيير نوعي في العلاقات مع إسرائيل. نرجو أن تكون الأغلبية الجديدة قادرة على دفع القضية الفلسطينية إلى الإمام، حيث إن هذا الشعب الشقيق، الذي يعيش في مأساة مستمرة منذ أن شُرد من أرضه، سوف يستطيع التقدم نحو تحقيق دولته وعاصمتها القدس الشريف.

هذا اليوم يتزامن مع تاريخ خروج الرئيس السابق محمد سياد بري من مقديشـو، بعد أن استولت الحركة المتمردة المؤتمر الصومالي الموحد (usc) على المدينة. يقـول شهداء عيان: إن الرئيس محمد سياد لم يكن مستعدًا للخروج مـن مبنـى الرئاسـة فـيلا صوماليا Villa Somalia، بالرغم من اختراق مليشيات المؤتمر للفيلا بعد تسلقهم للجدران الخارجية للرئاسة. وبالتالي اضطر مساعدوه أن يحملوه عنوة ويدخلوه إلى جوف عربة مصفحة، أتوا بها خصيصًا لهذا الغرض.

أنا وأهلي كنا في منزلنا بحي عبد العزيز، وكنا معزولين هناك لأكثر مـن ثلاثـة أسابيع منذ اندلاع الاضطرابات في مقديشو؛ لأن مليشيات المؤتمر استولت على الأحيـاء الشرقية من المدينة وعزلتها عن باقي مقديشو.

كان من المعتاد سماع طلقات الرصاص من البنادق الآلية تحمرّ في السماء الصافية طوال الليل. ولكن هذه الليلة سمعنا هذه الطلقات تتكثف على غير العادة، وتلبدت السـماء،

خاصة في الغرب، بلون أكثر حمرة وبريقًا. و من آن لآخر نسمع طلقات رصاص ثقيلة متواصلة، بالرغم من أن الرياح تدفع الأصوات إلى الغرب، لكون اتجاه الرياح من شمال- شرقي إلى جنوب-غربي. نراقب كل ذلك من سطح المنزل. استيقنت بحدوث شيء جديد ما نحو الرئاسة، يمكن أن يكون تجدد مواجهات ضروسة بين المليشيات ومدافعي الرئاسة. ثم تذكرت أن قياديًا بارزًا في المؤتمر لقيته منذ يومين كان يتوعد بأنهم سيهاجمون الرئاسة على طريقة الهنود الحمر، إذا رفض الرئيس أن يسلم نفسه أو رفض إخلاء فيلا صوماليا. التليفونات مقطوعة منذ ثلاثة أسابيع، ولا يمكن لي أن أتصل بأحد، والوصول سيرًا إلى بعض الأصدقاء المنعزلين في بيوتهم في هذا الظلام الدامس ضرب من المستحيل؛ لأن الكهرباء العامة كانت مقطوعة منذ أشهر قبل الحرب. حاولت أن أستمع إلى بعض الإذاعات الخارجية لالتقاط بعض الأخبار، كي أجمع جزيئاتها لعلي أخرج بمعلومة. ولكن لا فائدة منها، لا تذكر أي شيء حول هذا الأمر الغامض. أويت إلى فراشي وأنا أشعر بأن عزلتي أصبحت ضعفين.

ولما أصبحت جاء إلى منزلي بعض الأصدقاء وأخبروني أن "الفانتسيا" التي كنا نسمع البارحة دويها كانت تعبيرًا لبهجة المليشيات التي استولت على الرئاسة، وأرغمت الرئيس محمد سياد بري على الخروج من مقديشو، وأن المؤتمر يسيطر الآن على كافة أقسام المدينة. في ذلك الصباح نفسه أخذت عربة صغيرة يقودها سائق ويصحبني حارس من الجيش، كان قد أرسله إليَّ جنرال محمد حرسي "مورغن" قبل نزوحه إلى الجنوب.

بدأنا السير من طريق "لازاريتو" فمررنا بالميناء القديم، فوزارة الأشغال العامة. رأينا في هذا المقطع من الطريق جثث ما لا يقل عن عشرين قتيلاً، قُتلوا منذ أسابيع. بعضهم تقلصت أجسامهم وأصبحت ناشفة. يستنتج من ملابسهم، وأحذيتهم خاصة، أنهم كانوا أناسًا بسطاء من سكان الأحياء القريبة، ربما كانوا يبحثون عن لقمة عيش ولقوا حتفهم عوضًا عنها. أعتقد أن قناصين صوماليين من الجيش كانوا يتمركزون في داخل الميناء القديم هم المسئولون عن المجزرة.

تحركنا من هناك إلى نهاية شارع ليدو، فطريق البوستة القديمة، بمحاذاة البحر، فالسفارة البريطانية ثم الميناء الجديد، وإلى المطار القديم "أفيسيوني" فإلى الرئاسة القديمة في داخل المعسكر، فرأيتها خاوية على عروشها، وقد سطا عليها بعض اللصوص بعد كسرهم للباب الأمامي، وأخذت لها صورًا. في غضون الحرب كانت بعض الشائعات تقول: إن الرئيس انتقل إلى مقره القديم وأحاط به خندقًا مغطًى يدافع به عن نفسه. كنت

أريد أن أتحقق من هذه المزاعم، ولكن لا وجود لخندق ولا متاريس هناك. على طول طريق المدينة الجثث ملقاة لا يكترث أحد لدفنها. كان من الضروري أن يدفن أهل الأحياء القريبة هذه الجثث، الدين والإنسانية يفرضان ذلك، ولكن الأهالي يعيشون تحت وطأة الأهوال المخيفة، والجثث مبعثرة في كل الأحياء، تُوارى تحت جدران البيت أو السور، متى أمكن ذلك للمحظوظين.

مررنا بشارع ليبريا وعدت نحو الشرق بشارع مكة المكرمة. فندق مكة مهدم، هشمته الرجمات الثقيلة. فنزلت إلى شارع "على عليو" وعند التقاء هذا الشارع بطريق القلب، كما يسمونه الآن، رأينا مشهدًا آخر مروعًا: جثث ثمانية عساكر بوليس، بزيهم الأخضر، ينقرهم الدجاج وقد تقلصت جثثهم، كأنهم جذوع نخل محترق. يبدو أنهم قُتلوا في بداية الحرب، أي من نهاية شهر ديسمبر. وكانت بعض القصص تتحدث عن سوء حظهم، تقول: إنهم نُقلوا من مدينة كسمايو وأُخبروا أنهم سيتولون حراسة المدنيين ضد اللصوص المسلحين، ووقعوا في هذا الكمين المروع، وكان عددهم الأصلي عدة مئات.

نفس المناظر المقززة تتكرر في الشوارع الجانبية وطريق الثلاثين أيضًا. ثم رجعنا إلى الوراء إلى سوق سيناء الذي غيَّر الحريق كل معالمه، في حين يبدو من بعيد مسجد أصابت منارته قذيفة ثقيلة فأحدثت بها عدة فجوات. بعدها وصلت إلى فيلا صوماليا، عبر شارع الرئاسة، ودخلت من فجوة في القسم الشمالي. مررت على طرقاتها وهي خاوية على عروشها لا يوجد فيها أحد. عدد من الجثث متناثرة في الأرض وفي زاوية بناء، التفت إلى كوم من قذائف كاتيوشا المستهلكة.

ومن هنا قفلت راجعًا إلى بيتي والساعة تقترب من الثانية بعد الظهر. قُدِّم لي الطعام ولم أستطع الأكل وقد استولى عليَّ الغضب والاشمئزاز، متأثرًا بالمشاهد المقززة التي تؤكد مرة أخري بربرية الحرب وأن فيها تتقلَّص إنسانية الآدمي، الذي يصبح همجيًا ووحشًا كاسرًا.

هذه الوقائع مدونة ومصورة بعضها ضمن مائة يوم من الحرب الأهلية سجلتها من بدايتها، حتى خرجت من مقديشو ١٩٩١/٤/١٠.

الجمعة ٢٧ يناير:

زارني في البيت جماعة من الأقرباء بقيادة السيد أمين على محمد، ضابط سابق في الجيش، ليخبروني أنهم كونوا لجنة تراعي مصلحة الجماعة، ولتتوسط بين العشائر

المتنازعة في المحافظات الجنوبية الغربية. وهذه المحاولة تعكس الأوضاع الراهنة، حيث لا وجود لسلطة الدولة أو جهة مسئولة عن استتباب الأمن وإدارة العدالة في البلد. ولا يلوح في الأفق أي تغيير لهذه الأجواء في الأمد القريب أو المتوسط. تقهقر البلد إلى ما كان عليه في نهاية القرن التاسع عشر بالرغم من التقدم الملحوظ في قطاع المواصلات بكل أنواعها، واستخدام تكنولوجيا المعلومات المتطورة. الأجيال الجديدة لا تعرف عن الدولة والقانون شيئًا يذكر. إذا سمع فرد من المليشيات من بعض كبار السن الذين يحنون إلى الدولة كلامًا عن ضرورة إعادتها، ربما يتدخل في حديثه متحاملاً عليه: لماذا تطلب دولة (حكومة) هزمناها لئلا تعود؟

في تقديري أكبر كارثة تحل على شعب هي الحرب الأهلية، وزوال الدولة، فهي قيامة الأمم. وبالتالي، فلا يجب التفريط في استمرارية الدولة، لأنه لا حياة للشعوب ولا ملجأ يحميها إلا علَمها الخفّاق.

بدأ الانتفاضة ضد الانتقال إلى بيدوه جزء من البرلمانيين بقيادة عثمان على حسن عاتو ومحمد جامع فُرَح قائلين بصراحة: إننا لا نريد أن نتقاسم المسئولية مع حكومة لم تعمل أي شيء إزاء المعاناة التي يقاسيها شعبنا في العاصمة. يعتقد أن كلا النائبين، وهما قائدا مليشيات، لهم مصالح واسعة في العاصمة ويخشيان من تضائل هذه المصالح. أما النائب الأبرز بين أمراء الحرب المسلحين محمد قنيرى أفرح، والمنافس للرئيس ع/ي، فقد أهانته اليوم السلطات الكينية عن سبق إصرار بعد أن أنزلته من رحلة كانت تستعد للإقلاع من مطار ويلسون بنيروبي إلى مطاره الشخصي في ضاحية داينيلي بمقديشو، وذلك لكسر "ناموسه" وبهدلته. يعتقد أن الجهة المحرِّضة للسلطات الكينية هي الحكومة المؤقتة نفسها. وكان قنيري الوحيد بين زملائه المسلحين الذي دعا الرئيسان لاستشارته وهما في نيروبي. والقصد واضح وهو محاولة خلق انقسام وتشكيك بين الفصائل. ومن الناحية الأخرى يبدو واضحًا أن الرئيسين لم ينجحا في إقناع قنيري بتأييد الاتفاق بشروطهما، وبالتالي الانتقام.

السبت ٢٨ يناير:

تلقيت مكالمة تليفونية من الأستاذ حسين معلم إيمان في الصباح الباكر ولم أكن على علم أنه عاد من الأراضي المقدسة، حيث حج هذه السنة. أقول له مداعبًا: إنني قاصد إليه لأحصل على بركة الحج قبل أن تتلاشى في جو هذه المدينة المليئة بالموبقات. ولكن عندما وصلت إلى مكتبه القريب من مقر رئاسته السابقة للدكتور عبدي قاسم، أخبرني الحارس

أنه ذهب إلى ميعاد مع إدارة جامعة مقديشو القريبة من مكتبه.

النواب المقديشيون ينتظرون إعلان رئيس البرلمان اختيار مدينة بيدوه لتصبح المقر الجديد للبرلمان الموحد. وهذا طبعًا تحصيل حاصل، ولا يريد أحد أن يعلق أو ينتقد الخبر الذي يتوقع نشره يوم الإثنين ٣٠ يناير.

الإثنين ٣٠ يناير:

أعلن رئيس البرلمان اليوم أن مدينة بيدوه ستكون مقر البرلمان الموحد، وذلك في مناسبة أقيمت لهذا الغرض بفندق "جراند ريجنسى" بنيروبي، كما أعلن في هذه المناسبة أيضًا أن الجلسة الأولى للبرلمان الموحد ستعقد في يوم الأحد ٢٦فبراير ٢٠٠٦.

سافر اليوم السيد ع/م/غيدي من نيروبي قبل أن يعلن رئيس البرلمان عن قراره، وصرَّح للصحافة بأن تغيبه عن مناسبة إعلان بيدوه محل اجتماع البرلمان، لا يعبِّر عن عدم رضاه عن اختيار المدينة؛ لأن الحكومة سبقت رئيس البرلمان في اتخاذ قرار لتكون هذه المدينة مقر الحكومة والبرلمان، ولكنه تغيب عن المناسبة لأن شريف حسن لم يستشره في الأمر، كما لم يستشر النواب غير أصدقائه المنشقين . وأضاف أنه: "كان ينبغي أن نزور معًا جميع عواصم المحافظات لنتشاور مع جميع أعضاء المجلسين، (الوزراء والنواب) لنتفق معًا على المكان والتاريخ المناسبين لعقد جلسة البرلمان الموحد. ولكن رئيس البرلمان قرر هذا منفردًا لأسباب يعرفها وحده.

المتذمرون من النواب وأفراد من الشعب كثيرون، ولكن الرئيس ع/ي أبدى سعادته البالغة لهذا الخيار "المضني" وصرَّح أنه سيذهب إلى بيدوه لإلقاء خطبته الرسمية الافتتاحية للبرلمان الموحد.

الثلاثاء ٣١ يناير:

حوالي الساعة العاشرة جاءت إلى منزلي طالبة من جامعة مقديشو لتستشيرني في بحث تعده عن "شاعرات صوماليات"، طبعًا مبدعات باللغة الصومالية.

الطالبة زينب بنت صديقي محمد علي عبدي من كلية الآداب جامعة مقديشو التي تدرس فيها جميع المواد تقريبًا باللغة العربية، فمهمة الطالبة ليست بالهينة: **أولاً**: عليها أن تختار كيف تحدد الشاعرة بالمقارنة على الأقل بالعربيات. وفي المستوى التالي هل من الممكن أن نعتبر النوع المعروف بـ "برانبر" Buraanbur من الشعر؟ ينشد فيه

الرجال نادرًا والنساء خصوصًا، ويعتقد أحيانًا بأنّه حكر عليهن. بعض الدارسين للصومالية صنفوا هذا الأسلوب من النظيم، ولكن ميزوه عن طبقات الشعر المتعارفة بها مثل "geeraar-maanso-jiifto- gabay". ولكن هؤلاء الباحثين الذين كان إلمامهم بالنظيم الصومالي، ذي الخصوصية الإقليمية، أشاروا فقط إلى الأنواع التي وصلت إليها أبحاثهم ومعرفتهم.

بالرغم من قلتهم، هناك شاعرات بالأساليب الأساسية للشعر الصومالي. هذه الأشعار بعضها مدون وبعضها الآخر غير مدون. في اعتقادي فإن نوع" البرانبر" من صلب الشعر الصومالي المتكامل وبحر من بحوره، أقول هذا وأنا لا أدعي الاختصاص فيه.

أما المستوى الثالث فيتعلق بكيفية تحديد الأساليب التي تدخل في البحث والبحور التي تريد أن تركّز عليها الطالبة. في" البرانبر" مثلاً نجد سيدات عملاقات مثل حليمة محمد يوسف جدني Godane (كانت وطنية من حزب الرابطة الصومالية كافحت من أجل الاستقلال، وكانت أول امرأة صومالية تولت منصبًا عامًّا، حين أصبحت سنة ١٩٥٨ مستشارة في إدارة بلدية مقديشو).

المستوى الرابع: يتطلب ترجمة الأشعار إلى اللغة العربية ومقارنتها بالأساليب العربية وبحورها، ثم إيصال هذا البحث إلى المراكز والمؤسسات التي تستفيد من الدراسة، إذا حققت ما يلزم اعتباره مفيدًا وعلميًّا.

علمت أن زملائي وافقوا على اختيار مدينة بيدوه، وكانت النقطة الثانية في جدول أعمال جلسة عقدت اليوم بفندق الصحفي خصيصا للتصويت على اختيار بيدوه.

شجب النواب وأدانوا جريدة دنمركية، وجرائد أخرى نقلت منها؛ لإساءتها إلى النبي المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، أما الموضوع الأخير والآخر لشهر يناير فكان قرار توجيه دعوة إلى المجتمع الدولي لإرسال معونات، من أي نوع، إلى الأقاليم التي تضررت من الجفاف على وجه السرعة ما أمكن.

ولما انفضت الجلسة اقترب منّي نائب من بيدوه ليخبرني أن جل نواب بيدوه ومقاطعة بكول سيسافرون هذا العصر إلى المقر الجديد. إنه يبوح بسر معلوم وقرار اتخذه الرئيسان وهم بمدينة عدن اليمنية، والله المستعان على ما يصفون.

شهر فبراير ٢٠٠٦

الأربعاء ١ فبراير:

بثت قناة الجزيرة تغطية صحفية تتعلق بنزوح الصوماليين إلى اليمن عبر البحر، وكانت القناة قد أعلنت منذ أيام عرضها لهذه التغطية، ولأهمية هذا الموضوع انتظرت عرض البرنامج حتى السادسة صباحًا. كما هو معلوم للجميع الآن أن الرحلة البحرية بين الصومال واليمن محفوفة بأخطار داهمة، يموت فيها المئات من المغامرين كل سنة. وكل من يحلم بالوصول إلى الغرب بكل وسيلة ممكنة وغير ممكنة يموتون غرقًا بالمئات. وبالرغم من تفاقم هذه الظاهرة المؤلمة، لم تهتم بها وسائل الإعلام العالمية. والتفات قناة الجزيرة إلى الموضوع جعلني أتمنى أن تلقي الضوء على مشاهد ومعطيات تعطي للمشاهدين أفكارًا أوضح مما نسمعه من الراديوهات.

ولكن عدا بعض الجثث المتناثرة على البلاج اليمني، في إحدى محطات السفن المتهالكة التي تقل الحمولة البشرية البائسة، لم يكن في البرنامج ما يثير الشعور.

تحول تركيز البرنامج من معالجة ظاهرة مجازفة ركوب البحر، من أبناء قرن إفريقيا، إلى مشاكل إدارة السيل من النازحين وما تقوم به الدولة اليمنية الشقيقة من عناية لهؤلاء المغامرين.

النزوح عبر البحر والهجرة إلى خارج الصومال، وإلى جميع الجهات والقارات سببها الرئيس هي الحرب الأهلية. قلما ترى بلد في القارات الخمسة في الوقت الراهن لا يوجد فيه صومالي أوصومالية. وهذه الهجرة العشوائية يقوم بها في الغالب الشباب من الجنسين، وجزء من متوسطي الأعمار من الجنسين، وتعري البلد من القوة العاملة الضرورية، وربما المتعلمة والأرفع ذكاء أو الطبقة المبدعة؛ لهذا تتعدد أوجه الخسران لهذه الظاهرة ونتائجها بالنسبة للصومال.

الرئيس ع/ي وصل إلى جيبوتي بعد زيارته لأديس أبابا مدينته المفضلة والتقى بالرئيس إسماعيل عمر، تعتقد المصادر المطلعة أن جولة الرئيس تتعلق بإبلاغ رؤساء النظامين بالتطورات المستجدة في الساحة الصومالية، خاصة إزاحة الخلافات بين مؤسسات الدولة. من الناحية الأخرى الدول المهتمة بالشئون الصومالية التي تتعبأ باسم

المجتمع الدولي، تطلب من رئيس الوزراء تمرير موازنة حكومته للبرلمان. يبدو أن المانحين لا هم لهم إلا تمرير هذه الموازنة للحكومة التي ليس لها دخل غير الهبات المستمدة من المجتمع الدولي ليتمكنوا من التصرف في المخصصات المقررة للحكومة الصومالية في ميزانية مساعداتهم. ومن المعلوم أن الطرف المستفيد هو المانح نفسه الذى يعطي للممنوح جزءًا من المخصصات على أن يتصرف في الباقي حسب هواه.

الخميس ٣ فبراير:

صدى بيدوه في كل مكان. بعض نواب د/ م وفي مقدمتهم محمد إبراهيم حابسدى يستعدون للذهاب إلى بيدوه. سبقتهم جماعة عبد الله بلاك الموجودة حاليًا في مقر البرلمان الجديد، هذه الطلائع كلها تنفذ أوامر شريف حسن لتمهد الطريق للمجموعات الآتية من بعدهم من رجال الحكومة والبرلمان، ولكن ليس واضحًا كيف يمكن لهذه الشخصيات أن تقوم بالتمهيد اللازم لاستيعاب المئات من الناس، وضبط أمور الأمن في المدينة، والسيطرة على المليشيات المحلية التي تعمل بالفوضى، في مدة أقل من أسبوع.

من الناحية الأخرى المدينة ليست جاهزة لاستيعاب المجموعات الهائلة التي ستتدفق إليها في الأيام القليلة القادمة، لم يتم بعد أي نوع من المصالحة بين الفصائل المحلية التي كانت تتقاتل حتى أربعة أشهر مضت ليستأثر كل فصيل بالمدينة. رجال أعمال كثيرون من مقديشو يستعدون للانتقال إلى بيدوه والاستفادة من الزخم التجاري المرتقب؛ لقناعتهم أن أهل بيدوه الذين كسدت تجارتهم وبددت الحرب الأهلية أموالهم لا قبل لهم بالتمويلات الباهظة التي تحتاج إليها إعادة تأهيل المرافق والخدمات الضرورية.

ع/م/ غيدي وبصحبته محمد عمر حبيب، سافرا إلى أديس أبابا بدعوة من حكومة إثيوبيا، ربما لتسوية الخلاف بين حبيب وع/ ي. ولكن الشيء اللافت للنظر ويستفز الشعور لدى الصومالي العادي أن الحكومة الراهنة تنازلت عن سيادة البلد وألقت نفسها تحت وصاية إثيوبية مقابل دعم سياسي يثبتها على الكراسي إلى أطول أمد ممكن. ولكن الشعب سيتصدى لهذا الاتجار في مقدساته.

الجمعة ٣ فبراير:

يتكرر في مسامعنا محاولة تبرير الدو الإثيوبي فى الصومال من بعض الدول الإسلامية التي خذلت الصومال وظهر عجزها وتضجرها أمام معاناة بلدنا؛ لأنها تتوخى الحذر لئلا تعاقب من قبل الدول الغربية بقطع المعونات عنها إذا حادت عن تبعيتها المطلقة

لهؤلاء المانحين الكبار. في أغلب الأحيان فإن الدول المستفيدة من المساعدات تركن إلى هذه العلاقة لمدة طويلة، حيث تعتبر الدولة الهبات التي تحصل عليها سواء في تكملة الموازنة أو تمويل قطاع خاص مصدرًا لا ينضب، ولكن الحقيقة عكس هذا التوجه، إذا وضعنا في الحسبان أن العلاقات بين الدول ليست مستقرة أو ثابتة إلى الأبد، فهي تنمو أحيانًا وتركد أخرى كما أنها أيضًا قابلة للانكماش والزوال. يجب على الدول أن تحتاط للظروف المتقلبة وتتحرر تدريجيًا عن المعونات التي يرصدها المانحون لها الخاصة بالمصالح الإستراتيجية للدولة المعنية كالمعونات الغذائية، والدفاعية والخدمات الأساسية، وبالتالي المعونات الخارجية لا بد أن ننظر إليها كعنصر مؤقت يسد بعض الثغرات في الهيكل الاقتصادي على ألاّ نعتمد عليها في القطاعات الحيوية أو الأساسية للوطن، في إطار هذا السيناريو يتساوي البلد الممنوح مع البلد الغني الضعيف الذي لا يحتاج إلى دعم مالي ولكنه يتشبث بأطراف البلد الكبير لخوفه من زعزعة كيانه الهش من الدولة المهيمنة نفسها. قناعة منه أنه لا تقوم له قائمة إلا بالاحتماء تحت علمها، وعرض إخلاصه المتواصل لهيمنة الكبار، ودفع الإتاوات لهم بطريقة أو بأخرى.

تقريبًا كل الدول العربية لم تعلن أي شيء يذكر عن فوز حركة حماس الفلسطينية في الانتخابات التشريعية الأخيرة، ربما خوفًا من إغضاب الدول المهيمنة على المنطقة.

البحرية الأمريكية قبضت على عدد من القراصنة الصوماليين وهم متلبسون بجريمة خطف سفينة هندية ولكن عائلات القراصنة يدعون أنهم صيادو سمك عاديين. فيكف يفسر لهذه العائلات أن أبنائهم كانوا قد استولوا على سفينة في المياه الدولية بعد تعذيب طاقمها؟ هؤلاء كانوا قراصنة محترفين. ولحسن حظهم فإن البحرية الأمريكية سوف تسلمهم لسلطات "بنتلند" بعد أن تطلب العفو عنهم والرأفة بهم.

السبت ٤ فبراير:

في فندق الصحفي، تحديدًا الصالة العلوية منه، التقيت مع بعض النواب. حسب تقديري هؤلاء هم الأكثر وعيًا بين المجموعة. تجاذبنا النقاش حول عدة قضايا جديرة بالاهتمام في المرحلة القادمة للبرلمان الموحد، وكانت ضمن هذه القضايا النقاط التالية:

١) معاملاتنا مع العالم الخارجي، خاصة الدول المعنية بالشأن الصومالي لا سيما إثيوبيا ونواياها ودورها في الأزمة الراهنة.

٢) كيف يمكن لنا بصفتنا برلمانيين إقناع الحكومة بتنفيذ أدنى برنامج عملي، في

طريقة إعادة بناء مؤسسات الدولة الأساسية، من هنا إلى نهاية فترة البرلمان أغسطس ٢٠٠٩.

٣) كما ناقشنا حجم الحكومة الملائم لهذه الظروف، وضرورة خفض عدد الحقائب الوزارية؛ إذ ليس من المعقول تعيين ٨٠-٩٠ وزيرًا ونوابهم لأسباب ديماغوجية، في وقت ليس للحكومة مصدر دخل محلي، بل تعتمد على هبات المانحين في كل بند من مصاريفها، بما في ذلك رواتب الوزراء والنواب وتكاليف سفرياتهم. وأثير في هذا الإطار أيضًا إمكانية الاشتراط على رئيس الوزراء أن يختار في إطار التوازن العشائري المقنن ٤،٥ أشخاص أكفاء للقيام بالمسئوليات الملقاة على عاتقهم على أحسن وجه ممكن.

ع/م/ غيدي العائد من أديس أبابا، بعد إجرائه مشاورات مع المسئولين الإثيوبيين، لم يمر بـ كالكعيو، حيث كان في انتظاره الرئيس ع/ي، بل ذهب مباشرة إلى جوهر مقره المؤقت. وقد أدى تصرفه هذا إلى موجة من الاستفسارات والتساؤلات من السياسيين والجمهور العريض. والنقطة الجوهرية في هذا الزخم من التأويلات والتخمينات المعروفة لدينا بالمبالغة تتعلق بالسؤال الآتي: هل أثمرت وساطة الإثيوبيين في حل الخلافات التي كانت قائمة بين الرئيس ع/ ي من جهة و ع/م/ غيدي ومحمد عمر حبيب من جهة أخرى؟ ومعلوم أن السيد غيدي وحبيب الذين ينتميان إلى إقليم شبيلي الوسطى وعاصمته جوهر، ليسا راضيين عن نقل مقر الحكومة والبرلمان إلى المقر الجديد ببيدوه، كما تتكاتف أيضًا الكتلة القبلية وزعماء الحرب الآخرون الذين يؤيدونهم في موقفهما.

صرَّح اليوم وزير خارجية إثيوبيا سيوم مسفن بأن إثيوبيا جاهزة للاشتراك في القوات الإفريقية التي ستنتشر في الصومال لتعمل على استتاب الأمن فيه.

وهذا الموقف الإثيوبي بالنسبة لى تحصيل حاصل، وقد أظهرت أديس أبابا تصميمها على أن تتدخل عسكريًا في الصومال في عدة مراحل ومناسبات، وربما استعدت لهذا الدور منذ أكثر من عقد من الزمن.

الأحد ٥ فبراير:

الأعداد الهائلة من الطفيليين والفضوليين الذين كانوا يستظلون تحت أبنية فندق الصحفي تضاءلت، بعد نزوح العديد من النواب إلى بيدوه. وربما سافر إلى بيدوه جزء

كبير من هذه الشخصيات؛ لأن بضاعتهم تلقى الرواج هناك. حسب المصطلح المحلي الهجين: إن هؤلاء "مناشر الأفواه" يحترفون ترويج الإشاعات والأراجيف المضللة. يؤيدون الحكومات أو وزراء بعينهم ويعارضونهم إذا شاؤوا، وينتقدونهم على مرأى ومسمع من الناس الذين حولهم. إنهم يتصيَّدون موضوعات إشاعاتهم من صندوق النفايات السياسية. وما أفقر وأتفه نفاية في صندوق مهملات السياسة الصومالية، في هذا الزمن الرديء.

صدرت ردود فعل غاضبة عبر الإذاعات المحلية عن عدة مصادر حول التصريحات التي قدمها وزير خارجية إثيوبيا سيوم مسفن بالأمس، حيث أكد قرار إثيوبيا أنها ستتدخل عسكريًا في الصومال، وتزامنت هذه التصريحات الإثيوبية مع فوز حماس في الانتخابات الفلسطينية، وتصاعد التهديدات لبرنامج إيران النووي، فمن المحتمل أن تتخذ المراكز المناوئة للحركات الإسلامية تدابير عدوانية ضدها. ومن المنتظر أيضًا أن تكون هناك حملة وشيكة ضد الإسلاميين في الصومال والوقوف أمام مدهم التوسعي.

من حديث الناس الخلاف المفتعل بين السيدان ع/ي و ع/م/ غيدي وقد بقي أسبوعان فقط على افتتاح البرلمان المؤقت في مقره الجديد ببيدوه.

اشتركت في حفل زفاف أقيم بفندق أمباسدور لعقد قران الأخ عبد الرحمن شيخ محمود الزيلعي، والآنسة الفاضلة نجمة حاج داود، وهي بنت حاج داود صاحب الفندق. كان الحفل قد أُعِدَّ بصورة متناهية فى الدقة، تتناقض مع أوضاع الأمن. طلب منى النواب الموجودون في المناسبة أن ألقي كلمة مباركة للزوجين، ونفذت رغبتهم، وهذا أمر مستحدث.

الإثنين ٦ فبراير:

انتشرت هذه الأيام الإذاعات المحلية كالفطر وهي تعمل على موجة إف إم، وكلها تبث برامجها باللغة الصومالية. هناك شبان حديثو السن يحاولون تحليل تطورات السياسة الخارجية والداخلية بكل ثقة واكتفاء ذاتي. ولكن ليس لدى هؤلاء الشبان مؤهلات علمية أو تدريبات مهنية تجعلهم صحفيين محترفين. وتراهم يخوضون في أمور معقدة من العلاقات الدولية، ويدلون بلا تحفظ بأفكار مغلوطة حول هذه الأمور، ويقررون مآلها حسب نزواتهم. ولهذا الصنف من الإعلاميين الجدد مستمعوهم ومشجعوهم، وأغلبيتهم من البوادي والأرياف، لم يروا إلا هذا النوع من الإعلام الهابط، إنه الانحطاط ونتائجه. كان

الصومال يعد من البلدان الأكثر فقرًا في القارة السوداء قبل الحرب الأهلية، ولكن استمراريتها العبثية لعقدين من الزمن انحطت بجميع مستويات الأمة إلى الحضيض: قلَّت المدارس، وانخفض مستواها، خرج من الساحة الإعلام الرسمي ووكالات أنبائه، وحلَّ محلَّه إعلام ارتجله أناس غير مهنيين أو تجار حرب، لإثارة الفتن. أصبح سياسيًّا كل من هب ودب، وانهار الاقتصاد، وأصبحت التجارة مرادفة للغش والفوضى. المصالحة الوطنية أمست ثرثرة لا مغزى لها، يستخدمها الأعداء لإطالة الفوضى وتعميق وطأتها، أما الحكومات المؤقتة فتشكل وتُحل لا لتحقيق انتشال البلد من براثن الدمار والفوضى بل لأغراض آنية، ومنافع شخصية، أو إرضاء كبرياء الفصائل والعشائر.

ومن المخزي أن الصومال الغني بموارده الطبيعية والبشرية أصبح عالة على المجتمع الدولي، حيث يعيش الملايين في مخيمات اللاجئين أو في عشش البؤس خارج المدن الكبيرة، بعد أن هجروا بيوتهم في ذات المدن ضحية اقتتال عبثي من نفس أبناء عشائرهم الذين يجرون وراء سراب سلطة لا وجود لها، ولن يدركوها مهما طال الزمن.

الأربعاء ٨ فبراير:

طلبت مني إذاعة ب. ب.س، ق.ص، أن أشترك في تأبين الأستاذ محمد شري غاب عبر الأثير. ذكرتُ معرفتي بالمرحوم منذ أن كنا نتدارس تدوين اللغة الصومالية عام ١٩٧١، عندما عيَّن مجلس الثورة لجنة لترسيم اللغة، وكانت تتكون من ٢١ عضوًا من الدارسين والأدباء ومخترعي أبجديات مختلفة. كان محمد شري سكرتير اللجنة وكنت رئيسًا لها. تجده دائمًا بشوش الوجه متمتِّعًا بطاقة ونشاط لا ينضبان. كان محمد معلم الأجيال فيما كان يسمى بـ صوماليند المحمية البريطانية السابقة، ومن الرموز البارزة في النهضة العلمية لذلك الجزء من الصومال. وقلما تجد متعلما أو مسئولا في الدولة لم يتتلمذ على محمد شري، وكان في مرتبة الرواد مثل الأستاذين مربي الأجيال محمود علي أحمد ويوسف حاج أدن. كما أذكر أن محمد شري ويوسف أدن (انتقل كلاهما إلى جوار ربه، رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته) كانا شاعرين ينظمان باللغة العربية والصومالية.

شريف حسن رئيس البرلمان وصل اليوم إلى مدينة بيدوه، وقُوبل بترحيب جماهيري ورسمي حار جدًّا. قيل لنا: إن مطار بيدوه، وهو مرفق مترامي الأطراف، امتلأ بالمستقبلين عن بكرة أبيه.

التقيت عددًا من النواب في فندق الصحفي. يعتزم عدد من هؤلاء الزملاء الانتقال

المبكر إلى بيدوه قبل الخامس عشر، حسب موعد سابق حدده رئيس البرلمان، ولكن نصحتهم بأن ينتظروا لحين إتمام الاستعدادات الأمنية، وتأهيل المرافق الفندقية والخدمات الأخرى، من قبل القائمين على هذه الأعمال.

بينما دعا الرئيس عبد الله رئيس البرلمان ورئيس الوزراء للقائه بـ جالكعيو، حيث يقيم مؤقتًا، للتشاور معهما. ع/م/ غيدي وصل فعلاً عاصمة مُدُق ولكن شريف حسن لم يلتحق اليوم بالاجتماع الثلاثي، ربما ينضم إليهما غدًا. الشعب مستاء من تمثيليات تصالحية للاستهلاك المحلي لا نهاية لها؛ لأنه بعد التعانق وانقضاء جلسة المصالحة كل طرف يبدأ فصلاً جديدًا من التآمر، وطعن ظهر الطرف الآخر. والسبب لدى الشعب معروف؛ لأن رئيس النظام المؤقت ورئيس الحكومة يحتكمان إلى أصدقائهما التجراي، حكام إثيوبيا الحاضرين الذين يديرون تناقضهم ولا يريدون إزعاج أي طرف وإلا بطل السحر.

الخميس ٩ فبراير:

جو حار رطب كالذي سبقه على غير العادة؛ لأن قساوة الطقس الذي نعيشه هذه الأيام يصادف عادة شهر مارس الذي يمثل أعلى المقاييس الحرارية في السنة.

اليوم هو يوم عاشوراء، يصوم فيه أغلبية من المتدينين غير متضامنين مع الطقوس الدينية الشيعية. ذهبت مع الأخ محمد حسين معلم لزيارة الجامعة الإسلامية في حي هدن من مقديشو. ٩٠٪ من الكتب في المكتبة الصغيرة دينية، وفي شكل مزركش، وكلها باللغة العربية تقريبًا.

الجامعة الإسلامية محشورة في فيلا كان يسكنها وزير خارجية صومالى سابق؛ لأن عدد طلابها محدود، لا تحتاج إلى أبنية واسعة لمختلف الخدمات؛ إذ إنها أكثر الجامعات صيتًا وعراقة، مثل: جامعة الأزهر، جامعة بولونيا، كمبرج، وأكسفورد. كانت بدايتها متواضعة ومكونة من أستاذ أو أستاذين وقليل من الكتب. حتى الجامعة الوطنية الصومالية التي اتسعت إلى اثنتى عَشْرة كلية في أوجها، قبل الحرب الأهلية، في الثمانينيات من القرن الماضي، تطورت من معهد دشنتة الإدارة الوصية الإيطالية في سنة ١٩٥٤، وكان اسمه ISTITUTO SUPERIORE di STUDI GIURIDICI ECONOMICI e MORALI ولم يكن يتجاوز عدد طلابه العشرة. وبالتالي لا يوجد قصور في أن يبدأ أي مشروع، أو مبادرة علمية، من درجة منخفضة من السلم. ولكن أمامها تحديات لا مفر منها، وهي أن ترتقي في هذا السلم درجة درجة، ومن قمة

إلى قمة لا حدود لها.

في بداية السبعينيات من القرن الماضي، عندما كُونت الجامعة الوطنية الصومالية، وصدق المجلس الثوري على قانون تأسيسها، وكان معلقا لأكثر من سنة، انقسمت الطبقة المثقفة الصومالية إلى فريقين: فريق يتمسك بفكرة أن المعاهد الجامعية التي كانت موجودة في تلك الفترة لا يمكن أن تمنح طلابها شهادة جامعية كاملة حتى يتم إصلاح مكوناتها، من سلك تدريسها وبرامجها التعليمية، ومختبراتها ومكتباتها، وإلغاء نظام الانتساب، الذي كان قائمًا في تلك المرحلة، واعتراضات أخرى ليست جوهرية.

وكان الفريق الآخر: يرى أنه لا بد من إدخال إصلاحات ضرورية على هيكل المعهد الجامعى كما يطلب القانون التأسيسي، وإيقاف نظام الانتساب مؤقتًا، ومنح الشهادة الجامعية لكل طالب أتم سنوات دراسته وبرامجه التعليمية، على أن يجتاز امتحانًا شاملاً شفويًا وتحريريًا يطبق على جميع مواد الدراسة. ونفذت هذه الفكرة بمرسوم من وزارة التربية والتعليم، سمي هذا الامتحان اختبار ما قبل الشهادة الجامعية.

طبق هذا الاختبار على طلبة المعهد الجامعي بمقديشو للقانون والاقتصاد الذين أتموا السنوات الأربع ومقرراتها الدراسية. جلس للاختبار واحد وعشرون طالبًا من كلية الحقوق وستة من كلية الاقتصاد. نجح فى الامتحان ثلاثة من كلية القانون وواحد من كلية الاقتصاد فقط. وكان يسمح للطلاب الراسبين بإمكانية الاشتراك في هذا الاختبار، الذي كان يعقد مرة كل ستة أشهر، حتى ينجح أو ينسحب نهائيًا.

ولم يكن القرار الحكومي بلا ضحية؛ إذ استقال ثلاثة وزراء كانوا أعضاء في مجلس التعليم العالي من مناصبهم الحكومية. وقد اعتبروا هذا الإجراء محاولة لتبسيط التعليم الجامعي والنيل من هيبته وقدسيته.

من جانبى كنت مقتنعًا بعكس هذه الفكرة النخبوية ومن أنصار الفريق الثاني. لا شك أن الجامعة حرم نريد له كل العلوّ والتميز لإعداد الأجيال التي ستتولى زمام القيادة في كل الميادين، ونراهن عليهم في بناء مستقبل أوطاننا، ولكن الجامعة يجب ألاّ تكون برجًا عاجيًا يرتقي إليه صفوة من الناس تحمل رسالة فوق احتياجات وفهم المواطن العادي. على المجتمع المدني والدولة أن يَجْعَلا مستوى التعليم الجامعي راقيًا يتطلع إلى الأرقى وإلى الأهم قبل المهم بما يحقق مصلحة الجميع.

الجمعة ١٠ فبراير:

في الصباح زارني في بيتى جماعة من الأصدقاء القادمين من مدينة بيدوه، قائلين لي: إن الاستعدادات لاستقبال مؤسسات الدولة تجري على قدم وساق، وأن المدينة خرجت عن بكرة أبيها إلى المطار لترحّب بشريف حسن رئيس البرلمان.

أحد الأصدقاء الزائرين قال بلا تحفظ: إن سكان إقليم باي، وعاصمته بيدوه، ليس لديهم عُقَد ضد الإثيوبيين. ربما حسن نيته هذا يرجع إلى دور القوات الإثيوبية، التي ساعدت حركة جيش مقاومة الرحنوين لدحر مليشيات عيديد، والتي كانت تحتل أقاليم جوبا العليا، وذلك في منتصف ١٩٩٩م. ولكن إذا كان ما يقوله الأخ هنا مطابقًا للحقيقة فللّه أمر الصومال من قبل ومن بعد.

من الظواهر المحيرة في بلد مثل الصومال، قد غابت عنه سلطة الدولة لعقدين من الزمن تقريبًا، أن تجد المعاملات التجارية مزدهرة. عندما كانت سلطة الدولة ثابتة في أرجاء البلد، كان يُورِّق الحكومات والأفراد توفير العملة الصعبة. وكان يتأخر في البنوك تحويل المخصصات للسفارات والقنصليات، لقلة العملات الأجنبية. أما الآن وفي أوج الفوضى الاقتصادية والتجارية فالدولار الأمريكي واليورو، والجنيه الإسترليني متوافر في كل مكان، جنبًا إلى جنب مع الشلن الصومالي، العملة الأساسية للتبادل التجاري. لا يطبعه بنك مركزي كما أنه ليس هناك تحديد من البنك لسقف المبالغ التي تطرح في السوق. وكل شيء يجري على ترتيبات التجار الذين يطبعون الشلن بلا قيد وسقف معين. أما سرعة انخفاض قيمة الشلن فإنها الآن أحسن مما كانت عليه تحت سلطة الدولة. مثلاً كان صرف الشلن بالنسبة للدولار سنة ١٩٨٠، ٢٠ شلنا. لكن وتيرة انخفاض قيمة الشلن تسارعت حتى وصلت أواخر ١٩٩٠م إلى أربعة آلاف شلن مقابل دولار واحد (مائتى مرة في غضون عشر سنوات).

أما اليوم فصرف الشلن مقابل الدولار يساوي ١٣,٢٠٠(٢٠٠٦) بالمقارنة من نقطة صعود بدأت سنة ١٩٩٠م فكان الصرف كما أشرنا إليه، وهذا يعني أن انخفاض قيمة الشلن في ١٦ سنة تضاعف ثلاث مرات وثلث. ومن الجلي أن أداء الشلن أحسن بكثير مما كان عليه في ظل الحكومات. في وقت يطبع الشلن ويسوقه كل من له إلى ذلك سبيل. فهذه الظاهرة المبنية على الليبرالية الاقتصادية، الممدودة إلى الفوضى بالمعيارات الاقتصادية والعالمية، تدعو إلى الدراسة والتأمل.

السبت ١١ فبراير:

درجة الحرارة في ارتفاع مستمر بينما الرياح الموسمية Monsoon تتضاءل تدريجيًا، والرطوبة عالية، ومن آثار التصحر أن المناطق المعتدلة في الصومال أصبحت حارة بما لا شك فيه. فدرجة الحرارة في مقديشو تصل الآن إلى ٣٤ درجة مئوية وأعلى من ذلك أحيانًا. ولكن سنة ١٩٤٨م، أي منذ ثمان وخمسين سنة مضت، كان معدل الحرارة في شهر فبراير ٢٤,٥° للصغرى، ٣٠° للكبرى، وهذا الفرق كبير؛ لذا فإن الكلام على ارتفاع درجة حرارة كوكب الأرض ليس من باب المبالغة والتهويل.

كل من عاش بمقديشو في الستينيات وما قبلها يتذكر أن الناس كانوا يلبسون في الليل سترات أو قمصان من صوف لاتقاء البرد. والعساكر كانوا يرتدون في الليل فوق زيهم الرسمي قميصًا أو معطفًا ثقيلاً من الصوف؛ لأن معدل حرارة الليل كان ينخفض إلى ما دون العشرين درجة مئوية. أتذكر أن بيدوه كانت من أبرد المناطق في الجنوب، ولم يكن من المستطاع في بعض شهور السنة أن ينام المرء بدون بطانية صوف.

وفي ظل هذه الوتيرة الراهنة قد يصبح بلدنا حارًا جدًا، بحيث لا يمكن العيش والعمل إلا تحت المكيفات، كالبلدان الواقعة في المناطق القاحلة، وهذا الاحتمال وارد، ويجب ألاّ نسقطه من حساباتنا وأن نستعد لتغير المناخ المرتقب.

يشكو الأهالي في كل مكان من الغلاء غير المبرر للمواد الاستهلاكية كالأرز والسكر والدقيق وزيت الطعام. وكان من المتوقع انخفاض الأسعار تبعًا لانخفاض صرف الدولار الذى وصل إلى ٨٪ مقابل الشلن. والدولار أساس التسعيرة للمؤن الاستهلاكية، أما في بيدوه فسعر الذرة العويجة، أكبر محصول محلى، لا يتجاوز سعر الكنتال (مائة كيلو تقريبًا). ٩٠-١٠٠ ألف شلن، في حين أن سعر كيس الأرز (٥٠ كيلو) يربو على عشرين دولارًا، والسكر أغلى من هذا المبلغ. ربما هذا الغلاء الفاحش المتسارع نتيجة للمضاربة والتلاعب بالأسعار من قلة قليلة من التجار ذوي الذمم الضعيفة، الموجودين في سوق بكارها بمقديشو. تشتد كل يوم على الأهالي في الأرياف والبوادي لسعة القحط وبوار المزارع، لا يجدون ما ينفقون على أولادهم، ويؤثر عليهم هذا الغلاء المفتعل للمؤن الضرورية أكثر من أي مجموعة سكانية أخرى.

فندق الصحفى، هو محل إقامة النواب المقديشيين، الذين اختلفوا مع الرئيس عبد الله ورئيس الوزراء على م. غيدي حول اشتراك قوات منظمة إيغاد في حفظ السلام

بالصومال. يستضيف الفندق الآن عددًا قليلاً من أعضاء البرلمان، حيث العدد الأكبر منهم انتقل إلى مدينة بيدوه.

شريف حسن انضم إلى الرئيسين في جالكعيو. المبادرة من ع/ي الذي يرى ضرورة توحيد صف القيادة العليا قبل بدء أعمال المرحلة الجديدة لمؤسسات الدولة في بيدوه.

الأحد١٢فبراير:

أخبرني بعض الأصدقاء الذين استمعوا إلى الإذاعات المحلية، أن رئيس الوزراء وعدد من وزرائه يصرون على امتلاك جميع الشئون الإدارية لتحضير انتقال هذه المؤسسات إلى بيدوه. ولكن هذا التحضير المزمع تنفيذه من الحكومة تأخر كثيرًا عن موعده. وليس للحكومة ميزانية خاصة ولا عامة تغطي بها هذه المصاريف الطائلة التي ستنتج عن عملية الانتقال، وإجراء المصالحات لاستتباب الأمن، وإعداد مقرات ودواوين للحكومة.

اتصل بي ليلة البارحة الأخ محمد طاهر أفرح الكاتب الصومالي المشهور ليخبرني أنه سيعقد مؤتمر بمدينة جيبوتي عنوانه: "اليوم العالمي لذكرى اللغة الأم" وأن منظمي المؤتمر يرغبون أن تشاركهم فعاليات ذلك المؤتمر المزمع بدايته يوم الثلاثاء ٢١ من الشهر الحالي، وقبلت الدعوة شاكرًا. ينعقد المؤتمر تحت رعاية حكومة جيبوتي ومنظمة اليونسكو، وتدور فعالياته حول اللغة الصومالية الأم والعفرية، وإحياء التراث الشعبي. ومن فعاليات المؤتمر معرض للكتب المنشورة حديثًا في اللغتين الصومالية والعفرية، وندوة حول اللغات المحلية ومستقبلها.

يهدف المؤتمر إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- خلق وعي عام حول قيمة اللغة الأم والحاجة إلى الاحتفاظ بها وتطويرها.
- تعريف الشعب الجيبوتي بالمعلومات حول المجهود العالمي المتزايد لحفظ اللغات المحلية.
- خلق الإدراك بين أوساط الشعب الجيبوتي بالخطر الذي يهدد لغتهم الأم والنتائج السلبية المترتبة عليه.
- إلقاء الضوء على تعدد لغات المجتمع الجيبوتي، وأن هذا التعدد أمر إيجابي، مع

الفائدة الناتجة عن انتماء هذه اللغات إلى أصول لغوية أوسع.

- تعريف المجتمع العالمي الذي تمثله اليونسكو بأن جمهورية جيبوتي تنفذ التزاماتها كدولة عضو في هذه الهيئة للقرار الخاص بإقامة الاحتفال السنوي لليوم العالمي لذكرى اللغة الأم، الذي تحتفل به جيبوتي يوم الحادى والعشرين من فبراير.
- دعوة النشطاء العالميين ومجتمع المانحين لتقديم الدعم اللازم لجمهورية جيبوتي في المجهود الذي تبذله لحفظ وتطوير اللغات والثقافات الوطنية.

١٣-٢٠ فبراير:

هذه بداية فترة صراع بين المحاكم الإسلامية والائتلاف الذي سمى نفسه: "ضد الإرهاب وإعادة السلام" قبل بدء الاصطدام الحقيقي بأسبوعين تقريبًا قام الفريقان بحملة دعائية فجرها الائتلاف ضد المحاكم. ومن المعلوم أن المحاكم جاءت كضرورة عملية لكبح جماح المليشيات القبلية والتصدي لبلطجتها، فقد كانت تنهب الممتلكات، وتقتل الناس على هواها، وتخطفهم لدفع الفدية، واهتدى التجار وأعيان العشائر على إثر هذه الحالة لإنشاء محاكم إسلامية تقبض وتسجن الجاني ثم تحاكمه، وتحبسه لفترات تزيد عن السنة أحيانًا، يمضون فترة العقوبة في مراكز تأديبية تديرها العشيرة أو تستأجر مركزًا تحت إدارة عشيرة موازية لها، في نفس بطن القبيلة.

محكمة "هور سيد" (الرائدة) كانت أول محكمة أسست في مقديشو سنة ١٩٩١م بعد زوال الحكومة المركزية. وأنشئت بعد هور سيد محكمة "شيركولي" (النادي) لقربها من مقر نادي الضباط الأسبق، ثم محكمة "حريرايالي"، فمحكمة "أيفكا حلن"، وفرقان. وأسست آخر محكمة في المنطقة الشرقية بـ "سيسى" وأعطي لها اسم المنطقة سيسى، كانت الهيئة القضائية لهذه المحاكم تتكون من فقهاء في الشريعة الإسلامية، ولكن هؤلاء الشيوخ، بجانب أدائهم المهام الأمنية والردعية لمصلحة المجتمع العريض، كان لهم هدف سياسي أيضًا، بحيث توصلوا إلى قناعة عامة بأن تنظيم المحاكم يمكن استغلاله كأداة فعالة ومنصة للانطلاق إلى السلطة؛ إذ إن عدد كبير من الشيوخ كان ينتمي إلى الحركات الإسلامية في الصومال، التي كانت في عراك متقطع مع زعماء الحرب والمليشيات القبلية.

استفحلت الصدامات حول الميناء الاصطناعى "عيل معان" بين مليشيات حاج أبو بكر عمر عداني المؤيدة للمحاكم، وتلك التي كانت تحت إمرة السيد بشير راغي شيرار،

ركن مهم من أركان الائتلاف، وذلك في شرق المدينة، على بعد ٢٠ كيلو مترًا. ومن هنا اتّسع الاقتتال وانتشر في أحياء مقديشو، حيث توجه للمقارات التقليدية لزعماء الحرب. ويعتبر يوم ١٨ فبراير البداية الحقيقية لهذا الاقتتال، على الأقل، من جانب الائتلاف الذي كانت تديره أجهزة استخباراتية غربية، والتي كانت تملأ جيوبهم بالملايين من الدولارات، وتمدهم بالمشاورات الحربية، كما كانوا يتلقون العتاد الحربي اللازم(*).

ولولا هذا التنسيق الخارجي لما تكون هذا الائتلاف أصلاً؛ لأن تنظيم المليشيات القبلية في صلبها والتي يترأسها عادة زعيم حرب، في سجال مستمر مع المليشيات القبلية الأخرى. وبالرغم من التنسيق الخارجي لم يحدث، حسب معلوماتي، أن انصهرت مليشيات بأخرى ليواجهوا المحاكم في جبهة موحدة. كل زعيم حرب كان يحارب في منطقة نفوذه، بينما كانت قوات المحاكم أكثر تضامنًا ومرونة فوق الاعتبارات القبلية. وبالتالي كان يمكن لها الاستفادة من ضعف تنسيق أمراء الحرب، والذى كان من الأسباب التي أدت إلى فشل الائتلاف في نزاعه المسلح مع المحاكم.

وحتى المحاكم نفسها لم تسلم من ظاهرة التشرذم القبلي المتجذر، ولكن الحرب المعلنة للقضاء على وجودهم أرغمتهم على التقارب، وتنسيق خططهم الدفاعية واللوجستية.

أشك أن المحاكم كانوا يتطلعون إلى الوصول للسلطة بالسرعة التى وصلوا إليها بعد انتصارهم، لولا الضغط العدواني والاستفزاز الذي مُورس عليهم من الداخل والخارج.

فبراير ٢٠-٢٣:

سافرت من مقديشو إلى جيبوتي يوم عشرين فبراير. وعندما خرجت من بيتي، حوالي الساعة العاشرة صباحًا، من هذا اليوم، لأصل مطار الكيلومتر ٥٠، كانت الأحياء الشمالية من مقديشو منغمسة في الاقتتال. يُسمع دوي الانفجارات على طول الطريق، من الكيلو متر ٤ إلى نقطة التفتيش القديمة في الكيلو متر ٧. رأيت فى الطريق نزوحًا كثيفًا

(*) على إثر هزيمة الائتلاف ، تحدث الإعلام العالمي عن تكريم دبلوماسي أمريكي من وزارة الخارجية، هذا الدبلوماسي كان قد اختلف مع رؤسائه في خطة دخول حرب بالوكالة مع المحاكم الإسلامية، وتنبأ بهزيمة زعماء الحرب، وخروج المحاكم من هذه المعارك منتصرين أقوياء.

من مناطق القتال. أخذتنا رحلة الخطوط الجوية "داللو" إلى مدينة جيبوتي بعد توقف ساعة بمطار هرجيسا.

تم افتتاح المؤتمر من قبل فخامة الرئيس إسماعيل عمر جيللي يوم ٢١ فبراير. وخطب في المجتمعين مُركِّزًا على موضوع المناسبة، وهو صون اللغات المحلية من الاضمحلال. وعلى إثر خطبة الرئيس، ألقى بعض الحاضرين كلمات في نفس الموضوع، فانتهت حفلة الافتتاح حوالي الثانية عشرة ظهرًا. ذكر المتخصصون أنه سوف تنقرض في القرن الحادي والعشرين وحده آلاف من لغات شعوب قليلة التعداد في العالم، خاصة ما يسمى بالعالم النامي في إفريقيا وآسيا.

في جمهورية الصومال، وجيبوتي والأقاليم الصومالية المنضمة إلى إثيوبيا وكينيا، ربما اللغة الصومالية المعيارية المتحدثة من الجميع، لن تكون بين اللغات المرشحة للزوال في غضون القرن الجاري. ولكن لهجات عديدة صومالية ستستسلم للاندثار أو لتغيير جذري سلبي يطمس خصائصها اللغوية الأصلية(•).

مثلاً اندثرت في الصومال تقريبًا لغات المجتمعات الحرفية من صيادين ، ونساجين، وعمال جلود، وإسكافيين، وحدادين.

وفي تقرير نشرته الأمم المتحدة أشار إلى أنه في كينيا وحدها عدد من لغات السكان الأصليين مهدد بالاضمحلال. وقد أُعلن في أطلس لغات العالم المهددة بالانقراض أن ١٥٪ من لغات إفريقيا مهدد بالانقراض، وأن عددًا من لغات أهل كينيا قد اضمحل فعلاً، ومنها لغات سكان كينيا الأصليين الآتية:

Svab,Elmolo ،omotic ،segetu ،kore ،sogoo.Yaaku ، lorkoti ،oropom ،burji ،dahalo ،teriki ،bongoon kinare

بعض هذه اللغات تنتمي إلى مجموعة اللغات الكوشية، ومن بينها الصومالية والعفرية

(•) لهجة ماي الصومالية التي يتكلم بها أغلبية الجنوب مهددة بتغيرات سلبية تهز بنيتها الأساسية، إذ تختلط تدريجيًا بالصومالية المعيارية. كثيرًا ما نسمع من الإذاعات المحلية نشرات بهذه اللهجة يلتبس علينا فهمها ونحن من متكلمي هذه اللهجة، لذا فالأجيال الجديدة تتحدث بمزيج من اللهجات أساسها المعيارية ولكن ارتباطها بالماي الأصلية ضعيف.

خاصة تلك اللغات التي تتكلم بها مجتمعات تقطن على ضفاف بحيرة تركانا (رودلف سابقًا). واللافت للنظر أن انقراض اللغة كان نتيجة انقراض العنصر البشري الأصلي، ولا زال حتى الآن يتناقص عدد بعض السكان الأصليين إلى بضعة آلاف كـ Elmolo، Desenick في كينيا.

ومن الظواهر الاعتيادية في الجزء الشرقي من إفريقيا اختلاط القبائل وانصهار ثقافتها ولغتها، بثقافة ولغة قبيلة أخرى بحيث تزول عبر هذا التفاعل. نرى أن لغة قبائل صومالية في كينيا وإثيوبيا أصبحت أورومية واللغة الصومالية تحفظ للطقوس الدينية فقط.

شهر مارس ٢٠٠٦

الأربعاء ١ مارس:

السيد/ عبد الرحمن الزيلعى باحث صومالى، يعد رسالة ماجستير، لم يحضر في الميعاد المتفق عليه لنناقش موضوع: "التنشئة العربية للصومال". وبالتالي تأخرت عن المواعيد التي كانت تنتظرني مع بعض الإخوة فى فندق الصحفى.

أعددت للباحث وثيقة ذكرت فيها كيف أن العرب لم يروا انضمام الصومال إلى الجامعة العربية إلا للحصول على مساعدات مالية وأطماع نفعية أخرى. بينما كان الصومال، الذي لم يُجدِ يومًا ما طريقة استدراج العرب للحصول على أموالهم، يرغب في الدرجة الأولى في الانضمام إلى إخوة يؤيدونه للوصول إلى تحقيق الصومال الكبير، وتوحيد أجزائه التي ما زالت محتلة من المستعمرين وحلفائهم. ولكن خابت آمال الصومال في الهدفين: لم يحصل على مال يذكر ولا دعم سياسي لاستعادة أراضيه المسلوبة، وزجَّ بنفسه في المشاجرات والخصومات البينية العربية بلا مقابل.

كنت أظن أن الباحث الذي كان يبدو في البداية مصممًا على الدفاع عن عروبة الصومال وأهمية دوره، سيتعرض لأفكاري المحتوية على الوثيقة، التي خلاصتها أن عروبة الصومال لم تكن رابحة يومًا من الأيام، ولكنى وجدته عكس ذلك.

تفاقمت الأمور بعد اضمحلال الدولة، حتى يرى البعض أنها أصبحت معملاً لتفكيك الدول الضعيفة والفاشلة فى العالم، وبالتالي خطرًا على الدول العربية نفسها.

بدأ أمراء الحرب يعارضون ع/ي وتعلو أصواتهم تدريجيًا. وفي هذا الصدد يقول محمد عمر "حبيب": "إن مليشيات عبد الله قبلية". وفي نفس المسار صرح أمس محمد قنيري بأن الرئيس المؤقت ما زال يتبنى السياسات التي أدت إلى انقسام البرلمان فى الماضى(٢٠٠٥).

الخميس ٩ مارس:

بدأت رحلتي إلى بيدوه في السابعة وخمس وثلاثين دقيقة. السفر سلس في كل أجزاء الطريق التى تسيطر عليها مليشيات "بللي دوجلي" حتى منتصف الطريق بين مقديشو وبيدوه. يكفيك إذن مرور من حاكم "ونلي وين"، ونحن متجهون إلى بيدوه، المقر

المؤقت للدولة. وهى لا تحكم العاصمة ولا أي محافظة أو ناحية إلا مقرها المؤقت، عاصمة باي.

لما وصلنا موقع "ليغو" (Lego) وهو منتصف الطريق المعبد بين مقديشو وبيدوه، توقفنا هناك في مقهى صغير على حافة الطريق، انتظارًا لقافلة آتية من بيدوه. كان من المفروض أن تسبقنا إلى القرية، لتصحبنا ما بقي من المسافة إلى بيدوه؛ لأن المشاكل تبدأ من نصف الطريق لكثرة المتاريس التى فرضتها المليشيات القبلية المسيطرة على هذه المنطقة من الطريق، تزيد الحواجز فيه على العشرين. وكل حاجز ينتمي إلى جماعة تراقبه. يوقفون العربات والشاحنات لدفع إتاوات يفرضونها حسب مزاجهم. تُعرف المنطقة ب "تاركبود" (الوثوب من على النار) لشدة ما يسومون المارة من سوء العذاب.

جاءت القافلة بقيادة شريف مصطفى محمد متأخرة، ولكنها ساعدتنا على الوثوب فوق مخاطر نقط المليشيات، وقادتنا إلى بيدوه بسهولة لمعرفتهم بالأوضاع وبكيفية التعامل مع المليشيات؛ لاحتكاكهم اليومي مع هؤلاء "النمور" الشباب المسلح.

وصلنا بيدوه حوالي الساعة السادسة عشرة، حيث كان فى انتظارنا في محل إقامتي الرسمية جمع غفير من الأهالي، يقابلوننى بحفاوة بالغة وترحيب أخوي حار. بعد غداء متأخر اشترك فيها جميع المرحبين انْفَضَّ الحفل.

الجمعة ١٠ مارس:

بعد العاشرة خرجت بعربتي بصحبة مرافقي عبد الله أحمد "جوريو" وحاج على مري، والسائق عبدي خضر محمد روبلي، لأقف على التغيرات التي طرأت على المدينة منذ آخر زيارة لي لها في يوليو ٢٠٠٢. لم يتغير وضع المدينة كثيرًا فى التوسع العمراني، ولكن يبدو أن كثافة السكان قد ازدادت بصورة ملحوظة. ربما لا يقل تعداد سكان بيدوه الآن عن المليون. الطرق والساحات، والمقاهي والمتاجر مكتظة بصورة تدعو للاستغراب.

التقيت بعدد من النواب المقيمين بفندق العالمي، والموجودين بالمدينة من يوم افتتاح البرلمان في ٢٦ فبراير المنصرم. سمعتهم يعلقون على المناظرة الإذاعية عبر الـ بي.بي.سي/ ق.ص بين الشيخ حسن طاهر أويس، والسيد/ بشير راغي شيرار: ينتمي الأول إلى المحاكم الإسلامية، والثاني إلى التحالف ضد الإرهاب.

وسبق أن اصطدم الفريقان للسيطرة على العاصمة، وتجري بينهما حاليًا مناوشات متقطعة من ١٨ فبراير الماضي.

السبت ١١ مارس:

أطوف على أحياء مدينة بيدوه، أسواقها والطرق المعبدة وغيرها. يتعسر استخدام السيارات لضيق الطرق وازدحامها بالمارة المنهمرة عليها. ويتربع على الأرصفة البياعون المتجولون، وهم بعدد يصعب إحصائه. أتذكر كيف كانت نظافة المدينة تتلألأ في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي. كان التنسيق العمراني بين المرافق، التشجير المكثف والأبنية البيضاء كانت تجعل من المدينة أنموذجًا من الجمال، حيث اكتسبت لقب سويسرا الصومالية أو بيدوه "جنة عدن".

ولكن المنظر الراهن مغاير تمامًا لماضي المدينة الزاهر. انصب عليها الريف من كل ناحية للبحث عن كسب لقمة عيش، بعد أن زلزلت البوادي حروب أهلية لا نهاية لها، وسنوات قحط متتالية. كما يذكر الكثيرون، لنفس السبب ومن جراء الأوضاع الكارثية، مات ما لا يقل عن ثلاثمائة ألف من سكان إقليم باي فى سنة ١٩٩١- ١٩٩٢م، عندما سميت بيدوه "مدينة الموت".

ليس للمدينة إدارة منذ سقوط الحكومة المركزية، تعتني بالنظافة، وإصلاح المرافق، وتنظيم المرور، وتقنين البناء، لهذا ترى الفوضى العارمة في كل قطاع. قيادة جيش "مقاومة رحنوين"، التي استولت على المدينة سنة ٩٠، وطردت من أقاليم باي وبكول جبهة التحالف الوطنية، لم تحرك ساكنًا في الشئون الإدارية لبيدوه والأقاليم التابعة لها. قيادة جيش رحنوين اختصرت عملها في حفظ أمن المدينة ولم تبال بتنظيمها الإداري، وبسط التعليم والصحة، وإصلاح المرافق الأخرى في الأقاليم التي تسيطر عليها. هذه القيادة تجاهلت تمامًا القيام بأي عمل عام لمصلحة شعبها، وركنت إلى الدعة، وأخذ الإتاوات من المارين القاصدين إلى أقاليم أخرى أو إلى إثيوبيا، وتصرفت عكس إدارات الأقاليم الصومالية الأخرى التي استولت عليها جبهات محلية، أعلنت لتوها فتح المدارس، وإعادة الخدمات الصحية، وإصلاح المرافق الحيوية. عانت مدينة بيدوه والأقاليم التابعة لها من الإهمال واللامبالاة الكاملة، حتى شب الخلاف على السلطة بين قيادة جيش رحنوين وانشقت إلى فئتين متقاتلتين، أضعفت كل واحدة منهما الأخرى، حتى تفكك الجيش.

الأحد ١٣ مارس:

ذهبت إلى زيارة رئيس البرلمان السيد شريف حسن شيخ أدن في الصباح بمكتبه الجديد، فاتفقنا على أن نلتقي مرة أخرى غدًا في التاسعة صباحًا.

ثم وصلت إلى البرلمان للاشتراك في جلسة عادية، لم يثر فيها أي أمر ذي شأن، وبعد مدة قصيرة أعلن السكرتير إرجاء الجلسة القادمة إلى يوم الثامن عشر من الشهر الحالي.

الإثنين١٣ مارس:

حوالي التاسعة صباحًا وصلت إلى مكتب رئيس البرلمان، وهو يتناول إفطاره مع مساعديه. ثم لحق بي وكنت أنتظره في مكتبه. سألته عما إذا كان الرئيس ع/ي قد اتخذ موقفًا جديدًا تجاه رؤيته المعروفة لفرض السلام بالقوة العسكرية، على البلد. أكد لي الأخ شريف حسن أن الرئيس ما زال مصممًا على الحل العسكري للأزمة. ومن المعروف أن الكولونيل ع/ي قد أعد خطة حملة عسكرية منذ عدة سنوات، بؤرة انطلاقها بيدوه متجهة نحو العاصمة. تستند هذه الخطة على تعزيزات حليفته إثيوبيا القريبة الآن من بيدوه، تشترك فيها فصائل من إقليم "غيدو" وجوبا الوسطى والجنوبية. علاوة على مليشيات من بنتلند. وقد حشد الرئيس مليشيات بنتلند في معسكرات بالقرب من مدينة جوهر، مقر الحكومة السابق من منتصف ٢٠٠٥ م.

هذه المليشيات تنتقل هذه الليلة نفسها من جوهر إلى إقليم باي، ولا يعرف أين سيكون مركزها الجديد، وسط تنبوآت متضاربة.

من الواضح أن الاقتتال بين المحاكم والتحالف لمحاربة الإرهاب الجاري بمقديشو، والتحركات العسكرية الراهنة، تحت قيادة الرئيس منسقة من إثيوبيا ومن ورائها حلفاؤها الإستراتيجيون. والهدف هو دحر المحاكم الإسلامية، وإفساح المجال لقيام حكومة يرضى عنها الغرب والجوار الإفريقي. حسب المعلومات المتوفرة لدينا الآن فإنه من المؤكد أن أمراء الحرب، الذين هاجموا المحاكم تحت مظلة الائتلاف من أجل السلام ومحاربة الإرهاب، قد حصلوا على دعم من قبل المخابرات الغربية. وطمأنتهم هذه الجهات، أنهم سيحصلون على تأييد مباشر لتشكيل حكومتهم المنشودة بمقديشو، بشرط أن يُزيحوا المحاكم الإسلامية من المسرح السياسي. وقد بدؤوا الحرب وهم مطمئنون لهذه الوعود، وما كانت هذه إلا وعود عرقوب للضحك على عقولهم؛ لأنهم كانوا يُستخدمون لحملة

أوسع مرمًى، وهى تمهيد الأرض للاحتلال الإثيوبي، لئلا يلقى في طريقه أي مقاومة تذكر بعد الإطاحة بحكم المحاكم في العاصمة والجنوب.

الثلاثاء ١٤ مارس:

التقيت بجمع من النواب الأصدقاء المقيمين بفندق "شوبلي"، منهم جامع علي جامع وعبد الواحد علمي. الموضوع المهم الذي يتناوله الجميع ببيدوه هو تحرك مليشيات ع/ ي من جوهر إلى منطقة باي. الرئيس الذي التقى بعدد من نواب دغل ومرفلي ليخبرهم أن لواء من الجيش الصومالي قادم إلى إقليمهم طلب منهم أن يرحبوا بهذه القوات، ونبَّههم على حسن نية هذا الجيش، وأن غرضه الوحيد هو الدفاع عن الحكومة.

وعندما استفسر أحد النواب عن تاريخ الوصول المحتمل لهذه القوات إلى أقاليم دغل ومرفلي، أجاب الرئيس بأن ذلك سر عسكري لا يمكن له أن يبوح به.

كان تحرك هذا اللواء نحو أقاليم رحنوين قد أثار حفيظة شعب هذه الأقاليم، وظن كثير من المهتمين بالسياسة أن مغزى هذه القوات الاحتلال، كما سبق أن فعلت جيوش أخرى قبلية في التسعينيات؛ لذا تحاول أوساط محلية عرقلة تقدم هذه القوات. ولهذا اختارت مجموعة دغل ومرفلي في البرلمان، وهي التي استضافت بصدر رحب جميع أجهزة الدولة في أراضيها، وفدًا مكونًا من ٩ أشخاص للقاء الرئيس ع/ي والتباحث معه حول مشكلة الجيش المزمع وصوله إلى أقاليم باي وبكول، في غضون عدة أيام. استقبل الرئيس الوفد في الساعات الأولى من هذه الليلة وهو يعاملهم بقدر من الاستعلاء والغموض، ولم يعطهم أي إيضاحات عن أسئلتهم التي اعتبرها فضولية أكثر من اللازم.

وفي جلسة عقدت في بيت شريف حسن للبرلمانيين المذكورين، أفاد بعضهم أن هذا الجيش يمر في تلك اللحظة بـ "عيل على" وسيصل غدًا الأربعاء مدينة تجيكلو، من نواحي إقليم بكول. ناقش النواب الحاضرون الضرورة التى تحتم مجيء هذا الفيلق إلى أراضيهم، وأنه يتعيَّن عليهم على الأقل، أن يوصوا الرئيس بالمنطقة الملائمة التي يجب أن يعسكر فيها الجيش. اقترح بعضهم تنفيذًا لهذه الفكرة أن تكون "مورووغابي" قرب حدر، عاصمة بكول، المركز المختار للجيش. وهي نقطة تبعد عن بيدوه حوالي180 كيلومترًا. ولكن الرئيس مارس ضغوطه المتعددة حتى أصبح أمر مركز الجيش واستضافته شأنًا تسابقت فيه القبائل المحيطة ببيدوه. فاقترحت "حرين" أن يكون المركز بـ "لباتن جرو" (وكانت القرية سجن للسياسيين والمناوئين للحكم العسكري السابق، وهو مشهور بسوء

سمعته وأساليبه القمعية، وفظاظة سجانيه. أصبحت القرية الآن خاوية يستظل خرابها رعاة البدو في ظعونهم). وتقدمت عشيرة "جيلدلي" وعرضت منطقة "مناس" ليتمركز فيها الجيش، وانتهى الأمر.

الأربعاء ١٥ مارس:

جاءت جماعة من المجتمع المدني الصومالي من مقديشو حاملة رسالة سلام إلى الحكومة، ومن بينهم الأخ المحترم/ محمد عبد الله حسين.

في الساعة ١٩:٣٠ التقيت بالأخ محمد إبراهيم "حابسدي" في بيته، حيث كان يحيط به بيادر شيخ عبد الرحمن "بناني" وعدد من مساعديه. ناقشت معه أمر قوات الرئيس المزمع انتشارها في النواحي التابعة لبيدوه، وعلق على عملية تواجد هذا الجيش الرئاسي بحس سياسي واع. وقال بعد أن استمع إلى حديثي حوالي نصف ساعة: إنه من الغرابة بمكان أن يكون للرئيس جيش تحت إمرته المباشرة، ولمّا يوافق عليه البرلمان. وأضاف بأنه سيقترح على ع/ي أن تقدم الحكومة مشروع قانون إلى البرلمان للحصول على موافقته، لتكوين قوة خاصة بحفظ الأمن الداخلي، تكون هذه القوات التى تحوم حولها الشكوك، ضمن تلك القوة وفي إطار القانون.

يعاتب البعض الرئيس ع/ي على أنه قرر منفردًا إنشاء ناحية "سلغلى" بدون استشارة الحكومة، والجهات المعنية فيها. يقول منتقدو الرئيس: كان شعب المنطقة ينتظر منه، بعد أن دمرت النار قريتهم وخسروا ممتلكات عديدة، أن يمد إليهم يد التضامن الرسمي، وأن يُقدّم المساعدات المادية الفورية، وليست بترقية بلدتهم إلى ناحية وهم جياع وعطشى.

الخميس ١٦ مارس:

بالرغم من التنافس بين القبائل لاستضافة فيلق الرئيس، إلا أن الجدل ما زال يثار من شخصيات عديدة من نواب دغل ومرفلي (نختصر الاسم من الآن فصاعدًا بـ د/ م) الذين يعارضون دخول هذه القوات إلى أراضيهم. ولهذا الغرض تعقد جلسات مطولة لا تنتهي بقرارات حاسمة. في هذه الجلسات تغيب قبل كل شيْء الصراحة والأفكار الهادفة.

في بيت شريف حسن عقدت جلسة اشترك فيها ثلاثون نائبًا وتغيب "حابسدي" عنها؛ لأنه من أشد الرافضين لدخول الفيلق إلى أراضي الرحنوين، ولكنه لم يعلن عن موقفه عبر

وسائل الإعلام. يعتقد أنه اتفق سرًا مع أدن سَرَنسور، الذي صرح عبر وسائل الإعلام بأنه يعارض بقوة دخول قوات الرئيس إلى أرض الرحنوين.

الجمعة ١٧ مارس:

يوم عطلة أغتنم فيها الفرصة لمواصلة بحوثي الأدبية والفلكلورية، وأتحدث مع الشاعر الشعبي بوتا حسن حسين بلهجة ماي الصومالية، وهو من مواليد بيدوه ومقيم بها، فهو كعادته متوقد الذهن، سريع البديهة، متواصل العبارات كأنها مدفوعة آليًا. يحدثني بوتا عن صيغ شعرية محلية، ونظم خاص بالنصرة والحياة. وهي صيغ مدائحيّة للنبي صلى الله عليه وسلم. يعتقد أن الدعاة الأول للدين الإسلامي، في الصومال وما حوله، هذّبوا هذه الصيغ الشعرية الموغلة في القدم، ونقوها من الشوائب، وحولوها إلى أداة دعوية للإسلام. يصاحب هذه الأشعار دق الطبول والدفوف.

كانت حسرتي شديدة عندما علمت أن هذا الشاعر العظيم يعيش حياة معيشية صعبة؛ لأن أهل بلده لا يقدّرون مواهبه الفذة، وريادته المؤثرة في إبراز لهجة ماي عبر الإعلام. فكان، كما يذكره كثيرون في الستينيات من القرن الماضي، من موظفي راديو مقديشو، قسم لهجة ماي، وكان له جمهور واسع يتابع أسلوبه الشعري المشوق و قصصه الفلكلورية الأصيلة.

أثار معي بوتا الوضع المزري لمناطق الرحنوين، وأشار إلى اللامبالاة السائدة بين القيادات والقصور المخيب لآمال الشعب، حيث كل مسئول يعاتب الآخر على التملص من مسئوليته، ويعاتبني قائلاً:" أنت لا تحتاج أن تكون من جملة هؤلاء (النواب) وما شأنك وهولاء الغوغائيين؟" .

إنه لبق حاذق ويجب أن يعاد إليه اعتباره ومكانته في الأدب الصومالي.

السبت ١٨ مارس:

في الساعة التاسعة والنصف وصلنا إلى مستودعات هيئة التنمية الزراعية السابقة. اختير هذا المكان ليكون مركزًا للبرلمان بعد تعديلات بسيطة. النواب يصلون ببطء وتأخر، ولم تفتتح الجلسة حتى هذه اللحظة ونحن في الحادية عشرة.

تدور أنباء في السراديب بأن رئيس البرلمان مشغول في الوساطة بين نواب الرحنوين والرئيس ع/ي. فالخلاف يتعلق بانتشار جيش الرئيس والناحية التي يجب أن

تستضيفه. النواب مصممون على أن تكون معسكراته بمحافظة بكول. والرئيس غير راض عن هذه الفكرة، ويريد أن تتواجد قواته بالقرب من قاعدة الرئاسة لتحميه.

في ساعة متأخرة تبدأ أعمال البرلمان. وافق النواب على تكوين لجان وسكرتيريات، ولكن الوضع انفجر عندما دعا رئيس البرلمان النائب الجديد عبد الواحد علمي ليؤدي اليمين الدستوري، ليحل محل المرحوم اللواء محمد غاني. في وقفة رجل واحد قام جميع نواب "مريحان" لعرقلة مراسم القسم، ولكن رئيس البرلمان ينهي الإجراءات، غير مبال بالضجيج الذى أحدثوه في القاعة.

يوم ١٩ مارس:

تتكون لجان برلمانية عبر انتخابات داخلية. تختار اللجنة الخارجية التي تصدى لرئاستها المرشح جامع علي جامع، الذي انشغل بحملة واسعة للحصول على المنصب.

يوم ٣٠ مارس:

بدأ البرلمان بتصحيح بعض الأخطاء التي وردت في قوائم اللجان البرلمانية، ثم فُتح باب النقاش وطُلب من ٢٧ نائبًا التعليق على اللوائح. اقترح بعضهم تغيير النظام الذى يحدد عدد اللجان. ولكن النائب حسن زبير يتدخل (وهو محام) ويتشدد بفكرة تغيير اللائحة جذريًا واستخراج أخرى مختلفة، بحيث يقلل فيها أو يُزاد، حسب الحاجة، مكونات كل لجنة.هذه الفكرة المعقدة ترفضها الغالبية ¾، لتفادي فتح صندوق "باندورا" الذي لن يكون له قرار. وبالتالي توافق الأغلبية على إجراء المراجعة والتصويبات الممكنة. وكانت انتقادات "التحالف" وهم نواب الأقليات، لاذعة جدًا؛ إذ أشاروا إلى غياب العدالة في توزيع رؤساء اللجان ونوابهم. تدخلتُ فحاولت أن أهدئ الجو المكهرب. قلت لهم:" ليس المهم الفوز بمنصب رئيس لجنة أو نائبه، ولكن الأهم صون وحدة البرلمان واعتباراته، وإمكانية إنجاز عمله بالهدوء اللازم" . أيد فكرتي هذه عدد من النواب الذين اعتلوا المنصة بعدي.

الثلاثاء ٣١ مارس:

في الصباح أتأخر في بيتي الذي هو عبارة عن فيلا صغيرة، لكنها كافية لأغراضى السكنية، وفيها ملحقات واسعة لإيواء مساعدي الأربعة.

لاحظت أن الماء بأنواعه شحيح في المدينة، ونحن في موسم الجفاف الحار، بسبب اللامبالاة المنتشرة في كل المرافق العامة تقريبًا. والمعاناة لها وقع شديد خاصة على

الشعب دون تمييز.

قابلت زوّارًا كثيرين طوال الصباح، منهم من أعرفهم وآخرون جاؤوا ليتعرفوا عليَّ، لأنهم يرونني نائبًا يمثلهم في البرلمان. وعليك أن تتحمل عبئًا ماليًا من جراء ذلك، حيث يعتقد الناس هنا في الصومال أن دخل النائب ملكية للجميع، ويا ليتهم يعلمون أنه ليس لنا دخل ثابت. حوالي الثانية عشرة ظهرًا حاولت أن أتصل بأحد النواب لأستفسر منه: كيف انتهت عملية مراجعة تكوين اللجان. ولكن كان الاتصال التليفوني غاية في الصعوبة. وبعد جهد جهيد تمكنت من الاتصال بالأخ النائب عبدي حاشي عبد الله الذي أخبرنى بأنه تم إرجاء مناقشة موضوع اللجان حتى يعود رئيس البرلمان الغائب الآن في مهمة خارج البلاد، وأن الجلسة انتهت في الثانية عشرة.

رؤساء دول إيغاد، في دورة لهم بأديس أبابا، طلبوا من مجلس الأمن إلغاء قراره السابق الذي يحظر دخول الأسلحة إلى الصومال. ولكن أمراء الحرب والمحاكم الإسلامية بمقديشو أعلنوا أنهم سيقاومون أي تمييز لصالح الحكومة المؤقتة في هذا الموضوع، وأنهم سيواجهون بكل ما لديهم من قوة أي تدخل عسكري من خارج الصومال.

كان شيخ حسن طاهر أويس الذي تحدث باسم المحاكم، قد انتقد الفكرة عبر وسائل الإعلام، بصورة قوية ومباشرة.

الأربعاء ٣٢ مارس:

في مقهى فندق "العالمي" انضممت إلى عدد من النواب حول طاولة شاي، تركز حديثهم على عملية تكوين اللجان البرلمانية واختيار رؤسائها. النائب المحامي علي مؤمن يحكي لنا كيف خسر كرسي رئيس لجنة العدالة، ويزعم أن ذلك يرجع إلى أن لقبه بالمحامي استفز أغلبية أعضاء اللجنة، واعتبروه غريبًا عنهم؛ لأن عددًا لا بأس به من الأعضاء يتلقبون بلقب "الشيخ" وهم ليسوا فقهاء (وليس من الضروري أن يكون الشيخ في الصومال متبحرًا في الفقه الإسلامي).

يضيف علي مؤمن، وهو محام وضابط سابق فى النيابة العامة للقوات المسلحة:" ربما كنت سأفوز بالمنصب إذا تلقبت بـ"الشيخ" فإن جميع الألقاب المهنية الأخرى تخلق عداوة وريبة عند الأغلبية، التي تعادى العلم والمعرفة، واختارت للمناصب العليا أناس شبه أميين. وكان استيائي شديدًا عندما عرض عليَّ الأعضاء أن أُعيَّن في منصب سكرتير اللجنة، بعد أن بخلوا علي بأصواتهم للحصول على الرئاسة". فقلت لهم مُشفقًا على نفسي:

"لا تحاولوا أن تجروني على الأرض، فإن إهانتكم لي ليس لها تبرير".

وفي الحقيقة، هذا البرلمان الغريب مبني على التوازن القبلي وعلى مقياس ما يسمى أربعة ونصف، أي أربع مجموعات قبلية تحصل كل مجموعة على سهم كامل بالتساوي، أما النصف فهو سهم يشير إلى خمسين في المائة مما تحصل عليه المجموعات "الكاملة" على حدة. وذلك نصيب ما يعرف بالقبائل المتحالفة، غير المتجانسة. وهذه الكيمياء الغريبة في كل تراكيبه وتوازناته، لا ترتكز على المنطق ولا إلى الحكم السليم. كيف يمكن أن يكون التوازن القبلي المبني على العصبية وعداء الآخرين، والتنافس المستمر والرامي إلى ظلم الآخرين، والاستزادة على حسابهم، قاعدة لدولة حديثة؟ النظام القبلي لا يعترف بالعلم بل يعاديه، ويقاومه ويحتقر حامله. في القبلية الأشخاص أو الأعضاء متساوون، لا فرق بين شخص وآخر إلا بالتزامه بـ "القبولة"، ونعراتها، فعندئذ يرتقي الشخص على سلّمها، ويفوز على منافسيه غير الملتزمين.

المتعلم الذي يسعى ليتميز بعلمه يخل بالمساومات القبلية التي يتساوى فيها الأستاذ الجامعي أو الخبير المتمرس بآخر من متسولي القبيلة؛ لأن كلاهما ديته مائة جمل، حسب هذه الأعراف.

الارتداد إلى القبلية وطقوسها الاجتماعية البغيضة، ثبتتها الحروب الأهلية الجارية. وكانت أصلاً متجذرة في التقاليد الصومالية المذكورة والأشعار الشفوية، كما نرى في الأدب العربي الجاهلي بصورة مضطردة.

الرجوع إلى القبلية هو رفض للتقدم وتغيير أحوال الناس إلى الأحسن. وهذا الموضوع واسع ومهم لنجدة هذه الأمة، سنتناوله في مواضع أخرى. ولكن يجب أن نتساءل مرة أخرى: كيف رضي المتعلم الصومالي أو المثقف بالارتداد إلى القبلية، وهو يعلم أنها ضد الوطنية والقومية، وأنها تعرقل الوصول إلى حل سلمي للأزمة الراهنة؟ كيف يركن عقل صحيح إلى القبلية وهو يعلم أنها لا تدفع به إلى بر الأمان؟ القبلية هي المبيدة للصومال الموحد الحر، وهي التي نسفت آمال الأجيال الصاعدة الحاضرة والآتية، وهي الوقود للحروب المستمرة الخرقاء، لأكثر من عشرين سنة.

الخميس ٢٣ مارس:

زرت يوم الأربعاء المدرسة النموذجية الثانوية، على مشارف مدينة بيدوه، بمبادرة من الأخ المحترم محمد عبد الله حسين. تغطي مساحتها ما يربو على خمسة وعشرين

هكتارًا. ينبهر الزائر بجمال الموقع الخلّاب، وتناسق الأبنية، وأنواع الخدمات المتعددة، والغرف الدراسية الواسعة. وهذه المدرسة هي الثانوية الوحيدة في المدينة، حتى هذه اللحظة. يمكن أن نعتبر هذا الصرح إنجازًا عظيمًا بكل المقاييس، في مدينة لم تحظ من التعليم بما حظيت به بعض القرى من قرى جنوب ووسط الصومال، ناهيك عن مقاطعات الحكم الذاتي التي استطاعت تشييد جامعات.

تحدثت مع المدرسين لفترة من الزمن، أفادوني بكثير من المعلومات عن هذه المؤسسة وعن برامجهم التعليمية، وتشجير الموقع، والتوسعات المزمع تنفيذها مستقبلاً. يستخلص الزائر من جولته لهذه المؤسسة أن بيدوه ليست كلها شماعة يعلق عليها الإهمال الإداري، كما ذكرنا، بل هناك أيضًا ما ينشرح له الصدر ويوقد الأمل.

اندلعت المصادمات في مقديشو من جديد بين المحاكم الإسلامية والتحالف من أجل السلام ومحاربة الإرهاب، في قطاع "جلجلتو". يتصارع هنا بشير راغي شيرار والحاج أبو بكر عمر عدّاني، تؤيد المحاكم الأول، والتحالف الثاني.

يقدر القتلى من جراء الحرب بمائة والجرحى بخمسين، من بينهم طفلة عمرها ثلاث سنوات اسمها زهرة عبد القادر، أُصيبت في البطن واليد اليسرى.

يرجع سبب الاصطدام إلى محاولة الحاج منع وفد من المخابرات ضد الإرهاب المزمع وصوله إلى مطار "عسيلي" بشرقي مقديشو. وتقول الأنباء الواردة من موقع الاصطدام: إن الحاج استولى على "تقنيات" (وهي عربات مسلحة) كانت تابعة لبشير راغي.

شريف حسن رجع إلى بيدوه في الظهر، ولكنني لم أتمكن من استقباله في المطار، لعطل ميكانيكي في عربتي.

الجمعة ٢٤ مارس:

الاقتتال مستمر بالعاصمة. اصطدامات اليوم يعتبرها المراقبون الأشد ضراوة حتى هذه اللحظة. تبث الإذاعات المحلية صيحات وعويلاً متكررًا لامرأة وهي تقول باكية: [وريا إسلام آه]:" يا مسلمين! هل حقًا أنتم مسلمون؟ تمطرون على رؤوسنا جميع أنواع القذائف، لا نجد وقتًا لدفن موتانا أو إسعاف جرحانا، يمتلكنا الذعر ولا نعرف أين المفر! هل أنتم حقًا مسلمون؟ نظنكم غير مسلمين، غلاظ القلب لا ترحمون. أوقفوا هذه المجازر،

توقفوا عن سفك دماء المسلمين" . نسمع طوال اليوم هذه الصيحات المحزنة، ولكن ليس هناك آذان صاغية ولا ضمير نابض يتأثر.

من لا يتابع مرارة الحرب الأهلية الصومالية ربما يظن أن هذا النداء مجرد مبالغة إعلامية، ولكن معرفتي بويلات هذه الحروب منذ عقدين من الزمن تجعلني مقتنعًا بأنه انعكاس حقيقي من صميم ما يعانيه الشعب من حالة مأساوية مستمرة منذ سنين.

يقول متحدث منحاز للحاج أبو بكر: إن هذا الاقتتال محصور في بنادر على بشير راغي وحاج أبو بكر، ربما إشارة إلى أن الرجلين(وهما من عشيرة واحدة) لا يحصلان على مؤازرة خارجية. ولكن الكل يعرف أن الحاج عمر يحصل على تعزيزات حربية بمختلف أنواعها من المحاكم، وكذا بشير راغي يؤيده حلفه.

في الإعلام المحلي تصريحات المحاكم هي التي تتفوق في هذا المجال على حلف محاربة الإرهاب، الذي تقلص نشاطه الإعلامي في الأيام القليلة الماضية. حامل اللواء الإعلامي للمحاكم هو الشيخ حسن طاهر والذي يعوز خطابه إلى إيقاع مقنع أعمق.

والشيرار نفسه ليس أيضًا خطيبًا بليغًا. تصريحاته في السّلم كانت متزنة وفي صميم الموضوع في السابق. ولكن بعد انفجار الحرب بين المجموعتين، في ١٨ فبراير الماضي، يبدو أن التوتر أخذ من هدوئه وتوازنه السابقين. لهذا اندهش الناس عندما أعلن عبر الإذاعة البريطانية بي.بي.سي/ ق.ص، أن حلفه يعمل لمصلحة "الإنتربول" معترفًا بذلك طوعًا أنهم مدفوعون من جهات أجنبية، وكان غير مكترث لتبديده ثقة الناس به.

السبت ٢٥ مارس:

وافق البرلمان على التعديلات المقترحة من الأغلبية لتكوين لجان البرلمان، بالرغم من بعض الاحتجاجات.

الرئيس ع/ ي سيسافر اليوم إلى بروكسل. عقد مؤتمرًا صحفيًا قبل مغادرته مطار بيدوه، أدان فيه الطرفين المتقاتلين بمقديشو، مستخدمًا توصيات غريبة منها: "أنه كان من الأحسن أن تقتتلا الفئتان خارج المدينة، وليس بين الأحياء الشعبية المكتظة بالسكان؛ لئلا يزهقوا أرواح النساء والأطفال. قتلهم للأبرياء عمل إجرامي لا يغفر لهما. وينبغي أن ينتصر طرف على الآخر، والخاسر سينسحب مع الخزي والعار". ربما هذه هي وجهة نظر الرئيس للوصول إلى سلام وهدوء في العاصمة.

الأحد ٢٦ مارس:

يزورني في البيت عدد من الأعيان المحليين، منهم محمد نور رنجيلي وشريف مهد حيرو. وهم يرون أن التدفق الملحوظ إلى مدينة بيدوه، التي استوعبت عشرات الآلاف من الناس طمعًا في الحصول على عمل من الحكومة أو من الشركات التي تقوم بأعمال عامة، ربما يخلق مضاعفات أمنية لا تُحمد عقباها.

يجب أن أشير هنا إلى أن انتقال الحكومة إلى بيدوه دفع الناس للنزوح إليها من كل الأقاليم، وخاصة من العاصمة؛ جريًا وراء عقود تجارية محتملة مع الهيئات الحكومية. استفاد سكان المدينة، في الوهلة الأولى، من وجود الحكومة حيث بنوا فنادق جديدة ووسّعوا القديمة، أجّروا بيوتهم بمبالغ طائلة، وحصلوا على عملات صعبة، وانتعشت التجارة تبعًا لذلك. ولكن الحكومة التي لم يكن لديها دخل من موارد محلية، بل كانت تعتمد على منح مالية من المجتمع الدولي، لم تستطع توفير عمل للأهالي، في بلد عمّت البطالة فيه لعقدين من الزمان تقريبًا.

الإثنين ٢٧ مارس:

جلسة أخرى للبرلمان لم يحدد موعد انعقادها للنواب بصورة صريحة، وجو المجلس، كعادته، مائع وغير منضبط، وليس هناك أجندة واضحة. تتعالى الأصوات من هنا ومن هناك بمقترحات تذوب في الضجيج. قدم نائب فكرة نخبوية تقول: إنه ليس من الضروري أن يتعب النواب أنفسهم بأمور يمكن أن تبت فيها رئاسة البرلمان (إدارته ورؤساء اللجان). فهذه الفكرة ترمي إلى عزل البرلمان عن مهمته الرئيسية وتحويل مسئوليته إلى جماعة مصغرة تنوب عنه، على غرار "المكتب السياسي" للحزب الشيوعي. وإذا ما تم تمرير هذه الفكرة فلا يبقى للبرلمان إلا أن يصفق على ما يقرره له "الإخوة الكبار". والفكرة لا تتناسب مع الديمقراطية في شيء.

الثلاثاء ٢٨ مارس:

تجري في مقديشو محاولات لتهدئة ووقف الاقتتال من طرف بعض علماء الدين المحايدين، مثل السيد شريف شيخ محيي الدين "علي" الذي أعد مكانًا للتفاوض من أجل إحلال السلام. ولكن محمد عمر حبيب، أحد أمراء الحرب، أكد في مقابلة صحفية مع الراديو "هورن أفريك": "أن التوسط القبلي الجاري الآن لإحلال السلام لا جدوى منه؛ لأن الاقتتال لا يخص أطراف قبلية، وإنما بين تحالفين يتركز خلافهما على أسس عقائدية! ولا

يمكن لنا أيضًا حسم هذا الخلاف إلا على أسس عقائدية. ولا بد من إراقة دماء وتحمل معاناة كثيرة من أجل تحرير الوطن"!

هذا التصريح من أحد أمراء الحرب المتشددين خلق بلبلة قوية واستياء شديدًا في الأوساط الشعبية في العاصمة ، واقتنع الأهالي بأنهم أمام أمراء حرب غلاظ القلوب، لا يريدون إلا إشعال مزيد من الحرب وإراقة الدماء، وتعميق جراح الضعفاء بالقتل، والتشريد والتجويع.

لا يذكر أحد حتى الآن أن وجدت في يوم من الأيام جبهة تدعى أنها تعمل من أجل السلام، وتضرب عرض الحائط بهذا الاستعلاء والكبرياء. وبهذه الطريقة الفجة تتحدى كل الشعب وقيمه ومصلحته في حقن الدماء. والأغرب من ذلك أن هؤلاء المغالين في التشدد وسفك الدماء لا يحاربون للدفاع عن مبدأ يعتقدونه، بل هم مُحرَّضون من قوى أجنبية تستخدمهم بالوكالة، مقابل مغريات مالية.

تؤكد الأنباء الواردة من مقديشو أن سكان المدينة استنكروا التصريحات اللامسئولة لقيادات التحالف ضد الإرهاب ومن أجل السلام. ومن المنتظر أن يخرج الشعب إلى الشوارع للاحتجاج.

يدور مؤتمر القمة العربي المنعقد حاليًا بالخرطوم بين الفشل والنجاح، لغياب شخصيات مرموقة من بينها الملك عبد الله ملك المملكة العربية السعودية، والرئيس حسني مبارك، وملك الأردن عبد الله الثاني. اختُصرت مدة القمة من يومين إلى يوم واحد، وهذا التوجه ليس إيجابيًا للعلاقات بين العرب. ومن اللافت للنظر أن العرب خذلوا السودان بهذا التصرف، وسبق أن شمت به أصدقاؤه الإفريقيون في قمة الخرطوم في يناير ٢٠٠٦. وهذا إجحاف بحقوق السودان وكرامته، ولن يكون مقبولاً.

أسخن يوم في بيدوه حيث إن الحرارة زادت إلى ما لا يقل عن ٤٠ درجة مئوية، ولا تقل حتى بالليل.

الأربعاء ٢٩ مارس:

يوم شديد الحرارة ببيدوه، وهي متواصلة حتى ساعات متأخرة من الليل. سكون شبه كامل للهواء، تشعر فيه بالاختناق. الكهرباء المتعثرة لا تسمح لك بتشغيل المراوح، وتنقطع كليًا في الساعة الحادية عشرة ليلاً، بعد خمس ساعات من المد والجزر. وتكييف

الهواء يخرج من حسبانك ليدخل في الأماني بعيدة المنال. على الأقل هذا هو وضعنا في حي "هرسيد" ببيدوه.

حسب الإذاعات العالمية، انتهت الانتخابات الإسرائيلية. حزب كاديما الذي يترأسه إيهود أولمرت حصل على ٢٨ مقعدًا، وحزب العمل على ٢٠ مقعدًا، أما الليكود فحصل على ١١ مقعدًا فقط، وحزب المتقاعدين حصته ٨ مقاعد. يعتقد بعض المحللين أن هذا التشرذم – حيث لم يفز حزب بالأغلبية المطلوبة – ربما يخفف التعنت الإسرائيلي ويخلق جوًا يساعد على التفاوض مع الفلسطينيين، ويحقق بعض التقدم في المسارات المتعطلة حتى الآن.

ومن جهة أخرى، فالتشرذم نفسه عائق لتشكيل حكومة فعالة يمكن لها البقاء وعمل أي شيء ملموس. ولهذا يرى البعض أن أي تحالف يكونه إيهود أولمرت لا يمكن له الثبوت أكثر من سنتين.

في مقديشو تم اختيار محمود عدي غابو محافظًا للعاصمة وعمدة لها. ربما هذا الاختيار يكون خطوة إيجابية نحو تهدئة الأوضاع في العاصمة. بعثت برسائل تهنئة إلى العمدة محمود عدي والإدارة الجديدة، لكل مسئول على حدة.

في غزة رئيس الوزراء الفلسطيني الجديد قدم تشكيلة وزرائه لأداء اليمين الدستوري أمام الرئيس محمود عباس. وكان المشهد "الكوريوغرافي" جميلاً جدًا، نرجو أن يكون محتوى عمل هذه الوزارة جميلاً ومثمرًا أيضًا.

زارني في البيت شاعر شعبي محلي اسمه إبراهيم باشال، وهو بحر من الحكايات الأسطورية الشعبية لعشائر د/م. يجيد أيضًا الأشجار النسبية للقبائل القاطنة من أفجوي– ونلي وين – تجيكلو – حدر – بيدوه – لوق – بارديري بؤالى، حتى جوبا السفلى. ومن شبيلي السفلى ودوي على امتداد البحر ، حتى كسمايو وما حولها. طلبت من الأخ عبد الله إدريس، باحث في الفلكلور الشعبي الذي كان يصحبه، أن نلتقي بالقصاص باشال صباح يوم الجمعة من شهر مارس الجارى.

الخميس ٣٠ مارس:

يوم برلماني آخر. يتوافد النواب إلى مخازن هيئة التنمية الزراعية السابقة. علق المصورون المحليون فوق منصة الرئاسة لوحة لصورة رئيس الدولة، تتوسط صورة

رئيس البرلمان ورئيس الوزراء. وهذا ذوق غير سليم قبل أن يكون إيماء غير مقبول. لكن الشباب الذين وضعوا الصورة لا يلمون بدقائق الأمور الدستورية. ولا يمكن أن نلومهم؛ لأنهم يقلدون النظام العسكري الماضي، حيث إن صورًا ثلاثية ورباعية أو خماسية للرئيس وأعضاء المكتب السياسي كانت تعلق على جدران المؤسسات الحكومية يتوسطها الرئيس، وكانت مناظر مألوفة.

رأينا على غير العادة في الطريق إلى البرلمان حواجز عديدة لا نعرف مغزاها؛ لأن الحواجز"الرسمية" توضع فى هذه الأماكن عندما يزور رئيس الدولة البرلمان تبعًا للضوابط الدستورية. ولم يعلن عن زيارته إلى البرلمان مسبقًا.

وعندما اكتمل نصاب الجلسة وعبئت كشوف الحضور لمناقشة موضوع لجان المصالحة، وسجل عدد من النواب أسماءَهم للنقاش، انقطع التيار الكهربائي من الصالة. لا نعلم هل عن قصد أو لعلة فنية كما حدث مرارًا؛ لذا اضطرت الرئاسة لتأجيل الجلسة إلى يوم آخر.

قال لي بعض الأصدقاء: يوجد هيئة لمساعدة البرلمانات الإفريقية في المدينة التي يمولها الاتحاد الأوروبي. تنظم هذه الهيئة تدريبات للكوادر البرلمانية في مجالات عديدة، لرفع الكفاءة الإدارية والقانونية للجهاز الإداري التابع للبرلمانات الإفريقية، كما تنظم دورات تدريبية للبرلمانيين، وتهيئ الاشتراك لهم في المؤتمرات الدولية. هذه الهيئة التي تسمي "أويبا" عملت كثيرًا لمساعدة البرلمان الصومالي في مجالات فنية عديدة.

يبدو أن الأمطار الموسمية تهطل بغزارة في مناطق متفرقة من محافظة باي، ولكن نصيب المدينة من الأمطار كان محدودًا. رشت الأمطار الطرق وهدّأت من حدة الغبار الذي كان يعيق المارة ركبانًا ومرتجلين على حد سواء.

الجمعة ٣١ مارس:

حسب الموعد المتفق عليه جاء الشاعر الشعبي والقصصي الرحنويني (story-Teller) إبراهيم أدن على أدن المعروف بـ" باشال"، إلى بيتي ومعه عبد الله إدريس في التاسعة صباحًا. حدثنا أولاً كيف تم إعمار أرض رحنوين من قبائل نزحت من أرض هرر (نعلم أن مملكة هرر الإسلامية كانت تحكم الهضبة الحبشية الشمالية- الشرقية حتى البحر بما في ذلك زيلع وبامتداد البحر شمالاً على طول البحر الأحمر وجنوبًا إلى الأقاليم الصومالية. ومن هرر أغار الإمام الغازي أحمد إبراهيم على الحبشة واستولى عليها

وحكمها ما بين سنة ١٥٢٨ ـ ١٥٤٣[سنة استشهاده]. واصل الفتح الأول إمام الفتح الثاني الأمير نور بن مجاهد سنة ١٥٥٩). حسب رواية باشال، قبل نزوح قبائل رحنوين إلى الأرض الجديدة في الصومال أو المقاطعات التي تسكنها هذه القبائل، تم استكشاف هذه المناطق من رواد فقهاء بالعلوم الإسلامية، ولهم كرامات خارقة حتى انتهت رحلتهم الاستكشافية إلى منطقة تسمى "غسرس بانديرتلي" بالقرب من حاضرة جليدي الراهنة أفجوي.

في ثماني ساعات كان هذا القصصي يحدثنا عن الوقائع الأسطورية وسلسلة الأنساب، وترابط بعضها ببعض. ولكن التسلسل الزمني للأحداث لم يكن مقرونًا بتواريخ واضحة. ولا بد أن نحترز من جوانب عدة لهذه القصص، إذا أردنا أن نستخلص منها ما يتناسق مع التاريخ الصومالي المكتوب، وما يمكن أيضًا أن يقوي بعض النظريات الأنتروبولجية والتاريخية، خاصة ما نشره الأوروبيون عن جنوب الصومال.

وعلى ضوء الوقائع المذكورة من الشاعر الشعبي إبراهيم باشال نحاول أن نقسم أطروحاته، أو نجعلها فى إطار منهجى، إلى ثلاثة مستويات:

١) الوقائع الموثقة في التاريخ أو موازية للأولى ويمكن ضبطها تاريخيًّا.

٢) وقائع تاريخية شفوية تناقلها سكان المنطقة على المستوى الإقليمي.

٣) وقائع مختلف فيها.

النقطة الأولى:

(١) نزوح القبائل الصومالية من الشمال والشمال الشرقي إلى الجنوب والجنوب الغربي أمر يتفق عليه أغلب المؤرخين.

أقاليم عديدة من الصومال كانت جزءًا من مملكة هرر الإسلامية، وقبلها مملكة عدل، إذ فتوح الحبشة لعرب فقيه الجيزاني أكد دور الصوماليين البارز في حروب الإمام الغازي أحمد إبراهيم المنطلقة من الإمارات الإسلامية، وكانت عبارة عن دويلات مستقلة تارة وأخرى تحت الحطي الحبشي. كانت هذه الإمارات على اتصال بالمدن الصومالية الساحلية، خاصة مع إمارة بالي وهدية ودوارو، زيلع وهرر نفسها. ومن البديهي أن تكون هذه الدويلات مرتبطة بالمقاطعات الصومالية الداخلية المجاورة لها أيضًا. وكان بعض الرحالة القاصدين إلى هذه الإمارات الجنوبية والشرقية، بعد سفرهم البحري،

يمرون إليها عبر مدن بنادر أو زيلع وبربرا في الشمال.

عدد من الألقاب الرسمية للأعيان الصوماليين في هذه اللحظة مثل إمام، ملاق سلطان، أغاس، كبيروجراد مشتقة من ألقاب هررية.

(٢) حكم الأجوران لجنوب الصومال لما لا يقل عن ثلاثمائة سنة تشهد عليه الوثائق التاريخية المدونة. وفظاظة حكم الأجوران تأكدها المصادر التراثية المتعددة، سواء من الهوية وبيمال والرحنوين.

(٣) حكم الأجوران تزامن مع سلطنة المظفر التي ازدهرت بمقديشو في القرن السادس عشر، واضمحلت في القرن الثامن عشر عندما أغارت قبائل البدو على مقديشو ودمرتها، وهزموا هذه السلطنة[ما أشبه الليلة بالبارحة].

كان الأجوران حلفاء لسلطنة مظفر ولم يكونوا بدوًا أقحاحًا. كانت لهم تقاليد حضرية؛ إذ كان لهم قصور وقلاع في البنادر، وهم أول من تلقب باسم الإمام قبل أبغال، على الطريقة الهررية.

النقطة الثانية:

(١) يقول إبراهيم باشال: إن إمام الأجوران المسيطر على أرض الرحنوين كان اسمه الكامل أمين محمد حسن نائب [والنائب في تقاليد الأجوران والطارود، حتى الطرق الصوفية هو من ينوب عن السلطان في مقاطعة أو عن رئيس الطريقة الصوفية] ولقب النائب هنا يجعلنا نشك في أن أمين كان نائبًا وليس الإيمان (حسب النطق الصومالي للقب) نفسه. هذا الرجل قد آذى الناس بنهب أموالهم، واستباحة أعراضهم بتطبيق النظام المعروف باختطاف العروس واحتجازها في بيت الوالي لليلة أو أكثر [jus primae noctis]. فلما اعترض الشريف عمر أراغ [المدفون بسرمان] على هذه العادة الخبيثة عند الصفوة الأجورانية عامله الإيمان بقساوة وإذلال؛ ولهذا هجر الشريف عمر أرض الرحنوين والتجأ إلى إمارة بالي، من الإمارات الإسلامية الجنوبية. وهذه القصة الشعبية معروفة في أرض الرحنوين، ذكرتها في كتاب (Huddur the history of southern somalia). تعود الوقائع إلى ١٦ جيلاً، أو تقريبًا إلى بداية القرن السابع عشر الميلادي، والتاريخ قريب من مرحلة زوال حكم الأجوران.

(٢) ربما تفيد الإشارة هنا فرضيًا أن دكتاتورًا ماردًا اسمه "غيدي أبابو"، الذي كان يحكم منطقة بورهكبا وكان مقره الرسمي فوق جبل بور، كان يعامل الناس بنفس الأسلوب. كان فظًا جائرًا يغتصب البنات العرائس. يعتقد بعض الباحثين ومؤرخون شعبيون أنه كان من أساطين إمامة الأجوران، قتله غدرًا رجل غيور على شرف أخته. وهذه القصص في التخلص من حكم الأجوران نراها مثلاً في اغتيال الأمير "ماد جوبلي" ، على يد محمد أبروني، من قبيلة بيمال، تكرر نفس المشهد، وزمن الحادثة الأخيرة هو منتصف القرن الثامن عشر.

(٣) عند انهيار حكم الأجوران في جنوب الصومال اعتقد الناس أنهم هاجروا من الصومال ليستوطنوا الإقليم الشرقي- الشمالي لكينيا المعروف بـ "إنفدي" NFD[حسب التسمية الاستعمارية القديمة]. الهجرة واردة ولكن من المؤكد أيضًا أن الأجوران انصهر بالقبائل الرحنوينية، وهذه الحقيقة تثبتها تقاليد القبائل وأشجار أنسابها. وبالذات يشير إبراهيم باشال في سرد حديثه إلى أن أجزاء عديدة من قبائل الأجوران اندمجت بالقبائل الرحنوينية أيًا كان حجمها، ومنها: هداما، ليسان، حرين، الحلف المعروف بـ عيل قودى، جروالة. وأيضًا يوجد الأجوران في قبيلة ديسو، واق طوري، وجسار جدي، وأيمد.

هذه الظاهرة لم تعط أهمية تذكر من المؤرخين، في الدراسات الصومالية على الوجه الأعم، وتحتاج إلى بحوث أعمق للوقوف على حقيقة الأجوران المنصهر في القبائل الصومالية الأخرى في الشمال والوسط والجنوب.

٣) من رواية باشال فإن المنطقة التي كان يحكمها إمام أمين تقع بين مدينة بلدوين، عاصمة هيران المعاصرة، ومدينة دينسور من مقاطعات محافظة باي لكن لا نعرف عمقها.

(٤) يقول باشال: إن الاعتقاد الشعبي السائد في الصومال بأن قبائل سيد أو الثمانية التي تنتمي إلى بطون مريفلي، تشير إلى تحالف أو اتحاد بين ثمانية قبائل أبعد ما يكون عن الحقيقة. ولكنهم ثمانية أفخاذ يجمعهم جد واحد وهو مريفلي محمد – سفر- تولومجي (لاحظ كيف تتداخل أسماء البطون الصومالية، فهذا الاسم معروف بأنه يشير إلى قسم من قبائل أغادين)- تلمدار- شيخ محمد- دغل، وهو أب لبطون الرحنوين ودغل معًا.

ولا بد أن نشير في هذا الصدد إلى أنه ليست المجموعة الدغلية أو المرفلية تتحدد حسب الفخذ الذي تنتمي إليه كل مجموعة، بل التسمية أو الانتماء يحدده الموطن، فهناك قبائل تنتمي إلى بطن في محافظة وتتخذ اسم بطن آخر في مقاطعة مختلفة. ومن هذه القبائل ينتار yantaar ' وهبير Hubeer.

(٥) حسب أشجار نسبية ازدهرت في الآونة الأخيرة من جراء إحياء القبلية وخلق تحالفات عسكرية - سياسية، زرعت في هذه الأشجار أنساب مستحدثة لا تؤكدها التقاليد المتوارثة. مثلاً أدخلت إلى شجرة أعدتها حركة هوية قبائل دغلية أصيلة مثل جيدو، وهبير، وأيضًا قبائل غير حامية مثل البنتو الصوماليين.

النقطة الثالثة:

هناك عدة أسئلة يجب الإجابة عليها في إطار هذه القصص الشعبية، وهي: ماذا كان دور الشيخ حسين المشهور بـ"باليالى" في استيطان أرض الرحنوين؟ وما هي الأرض التي كان ينتمي إليها؟ هل كان من أصل صومالي قصد إلى أرض بالي الأورومية لنشر الدين الإسلامي، أو أن الشيخ من صميم القومية الأورومية نفسها؟

يعتقد المؤرخون الشعبيون من الرحنوين أن الشيخ نور حسين بن ملكاي الذي يتشابه اسمه مع شيخ نورحسين باليالي [مرقده ببالي ومزاره أيضًا]، كان من الرواد الأربعة الذين أُرسلوا لاستكشاف أراض جديدة للرحنوين، وقيل: إن مهمته كانت الذهاب إلى الإمارة الإسلامية بالي لنشر الإسلام، بعد استقرار الرحنوين في الأرض الجديدة.

هناك غموض يحيط بمسألة ما إذا كان الشيخ حسين باليالي الذي مزاره بـ بالي، وهو ذائع الصيت في إثيوبيا الإسلامية والصومال، هو نفس الشيخ حسين بن ملكاي، حسب التقاليد والفلكلور الشعبي الرحنويني، أم هما شخصيتان مختلفتان؟ إضافة لما سبق ينبغي أيضًا الاستبانة عما إذا كان الشيخ حسين باليالي يسمى أيضًا الشيخ نور حسين؟ هل كان يجمع الشيخ الباليالي كل هذه الأسماء، أم نحن بإزاء شخصيات متعددة؟

وفي هذا الصدد يذكر إنريكو تشيرولي [Enrico Cerulli]، وهو أكبر عالم بالدراسات الصومالية في القرن العشرين، الشيخ باسم حسين بعد درجته العلمية فحسب، ولا يضيف إلى هذه التسمية الصفة "بالي" ولا الباليالي، وذلك في كتابه "صوماليا، مقالات منشورة وغير منشورة".

[Somalia scritti vari editi e inediti]،

أي إم لويس [I.M.lewis] في كتابه الإسلام في إفريقيا الاستوائية [Islam in tropical Africa] وهو عبارة عن مقالات لعدد من الباحثين نشرها باسمه، دوّن فقط شيخ حسين وأضاف إلى الاسم "باليالي" (والنعت من اللغة الصومالية). ولكن الأستاذ الدكتور محمد حاج مختار في كتابه: القاموس التاريخي للصومال [Historical Dictionary of Somalia] بعد أن دون اسم شيخ حسين باليالي يضيف أن هذا الشيخ معروف أيضًا بشيخ نور حسين في الصومال؛ لأن هالة نور أضاءت مكان ولادته، حسب القصص المتوارثة.

وإدخال نور في اسم شيخ حسين البالي، يتلابس مع شيخ نور حسين ولي صومالي مرقده ومزاره بالقرب من مدينة جلب، على الضفة اليسرى لنهر جوبا، وهي الآن عاصمة لمحافظة جوبا الوسطى. وقد تخلق هذه الازدواجية نوعًا من الشك والارتباك في تحديد اسم الشيخ حسين باليالي.

جنسية الشيخ:

يعتقد الأوروميون الآن أن الشيخ حسين من صميم قوميتهم، وهم في الوقت الراهن أكبر مجموعة إثنية في إثيوبيا، ويدافعون عن أوروميته بكل قوة. وبالتالي يقول محمد حسين، وهو أستاذ جامعي متعمق في الدراسات الأورومية في كتابه: الأورومو في إثيوبيا [The Oromo of Ethiopia]: إن الشيخ حسين البالي لا صلة له بالصومال، بالرغم من محاولات التشكيك في أوروميته.

ولكن تشيرولي يقول بلا تحفظ: إنه كان من أصل أجنبي، بمعنى أنه من أصل من خارج بالي. الدكتور مختار في كتابه المذكور لا يبالي بتحديد جنسيته، بل يتعمق في المعتقدات الشعبية الخاصة بمناقبه وطقوس زيارته.

من الحكايات القديمة المتداولة في الصومال أن شيخ حسين البالي كان سيد من أهل مدينة مركة الصومالية من مدن بنادر. سافر إلى منطقة بالي لنشر الدعوة الإسلامية بين شعوب تلك المنطقة الوثنية. ويعتقد أن هو الذي استنبط هناك، حسب هذه الروايات، تقليد دق الطبول في حلقات الذكر لاستدراج الناس إلى دخول الإسلام وقبولهم له، وبهذا الأسلوب تم إسلام الأوروميين في المنطقة كلها.

زمن حياته:

تذكر بعض البحوث أن شيخ حسين عاش قبل القرن السادس عشر الميلادي، أي قبل غارة الأوروميين على هضبة الحبشة واحتلالها في القرن السادس عشر الميلادي، وأن تقديس الأوروميين لهذا المزار ما هو إلا تكريس لطقوسهم الوثنية القديمة في زيارة "أبامدا" المبنية على التقاليد السائدة قبل إسلامهم، يزاولونها حتى الآن.

يقول تشيرولي: إن الصلة الروحية قوية بين أمراء هرر ومزار شيخ حسين، حسب التقاليد المحلية، حيث يقال: إن الأمير الهرري عبد الشكور ابن الأمير يوسف عفيفي هو الذي بنى مسجد الشيخ عبد القادر الجيلاني بقبته المميزة في المزار. ولكن هذه الصلة المشهود لها من عدة مصادر، لا تحدد تاريخ مجيء الولي إلى بالي، ومدة عمله وعيشه هناك. الأمير عبد الشكور حكم هرر من ١٧٨٤م إلى ١٧٩٦، حوالي ٩١ عامًا قبل الاحتلال الحبشي للمدينة، وأزاح حكم الإمارة القديمة من الأمهرة.

فإذا كان زمن شيخ حسين متقدمًا لهجمة الأوروميين للحبشة، عندما حطموا الإمارات الإسلامية، بما في ذلك إمارة بالي في المنحدرات الجنوبية، في زحفهم الطاغي نحو الهضبة الحبشية، فصلة المزار بهرر، في نهاية القرن السابع عشر، يبدو أن الأمر لا يعدو كونه علاقات عامة لأمراء هرر بالمسلمين في هذه المنطقة.

وهنا يجب علينا البحث عن مزيد من المعلومات التي تعيننا على تثبيت الزمن الذي عاش فيه الولي وعلاقته بالإمارات الإسلامية في منحدرات هضبة الحبشة، وأيضًا علاقته أو عدمها مع أباطرة هذا البلد. يجب أن نتمكن من الإجابة عن تعدد أسماء الشيخ، أصله، وجنسيته، ونحن نعلم أنه في الإمارات الإسلامية في ذلك الوقت كان يكفي أن يكون الشخص مسلمًا لتتحدد جنسيته.

شهر إبريل ٢٠٠٦

قضيت كل الشهر ببيدوه.

السبت ١ إبريل:

هذا هو اليوم الرابع والعشرون منذ أن جئت إلى بيدوه يوم ٩ مارس المنصرم. عقدت اللجنة البرلمانية المختصة بالشئون الخارجية جلسة لتقدم إلى رئاسة البرلمان وثيقة تحتوي على إجراءات سير أعمالها الداخلية. حضر الجلسة سبعة أعضاء من الأربعة عشر الموجودين ببيدوه.

عاد الرئيس ع/ ي إلى بيدوه قادمًا من الخرطوم، حيث كان في زيارة قصيرة إلى السودان، وصرَّح أمام عدد من المسئولين الذين احتفى بهم في منزله بأنه عاد مسرعًا إلى مقره لمعالجة المشاكل الكثيرة التي تنتظره. وأضاف أن السيد ع/م/ غيدي، رئيس الوزراء، والذي كان في صُحبته دعي إلى أديس أبابا. أدهش هذا التصريح الغريب كثيرًا ممن اشتركوا في المناسبة. رددت الإذاعات المحلية هذا التصريح، ربما عن قصد الإثارة. يستشف من هذا التعاطي مع تصرفات أديس أبابا، أن الرئيس لا يجد أي حرج في أن يكون النظام المؤقت تحت هيمنة حكام تلك الدولة، على غرار وصاية غير معلنة على الحكومة الفيدرالية الانتقالية.

فإذا كانت المؤسسات الفيدرالية الانتقالية سلّمت نفسها لوصاية أديس أبابا، فإن الشعب الصومالي لا يؤيد الحكومة في استسلامها هذا، ولن يرضى عن التدخل الإثيوبي والمساس بحريته واستقلاله، وسيدافع عن كرامته.

الأحد ٣ إبريل:

جلسة برلمانية أخرى. قدمت سبع لجان إجراءات سير أعمالها إلى رئاسة البرلمان، ولكن الوثائق المقدمة التي أوجزت إلى حد غير مقبول، تعوز إلى مزيد من الجهد لتصل إلى المستوى المطلوب من التفاصيل والدقة. ولما انتهت معاينة الوثائق السبع من

سكرتارية المجلس قررت الرئاسة إعادة كتابة الوثائق، وإعدادها بصورة تتفق مع تخصصات كل لجنة على الوجه الأشمل الممكن.

عيَّن السيد محمد عمر طلحة، رئيس البرلمان بالنيابة، تسعة أعضاء برلمانيين للقيام بمهمة صياغة الوثائق من جديد. اختير الأعضاء لخبراتهم الإدارية والقانونية، ثم اختارتني المجموعة لأكون رئيسًا لها.

الإثنين ٣ إبريل:

انعقدت الجلسة الأولى للجنة صياغة اختصاصات لجان البرلمان في منزلي. حضرها جميع الأعضاء ما عدا محمد محمود حيد. وزعت على الإخوة كل الأوراق التي يجب إعادة صياغتها. ناقشت لجنة الصياغة الأجندة التي أعدت لها، وهي ضبط اختصاصات كل لجنة على حدة، وتقديم تقرير عن العمل المنجز والتوصيات التي تراها اللجنة مناسبة لتفادي تداخل الاختصاصات، أو تصادم صلاحيات شعبة بأخرى. واصلت اللجنة أعمالها حتى الواحدة تقريبًا.

ثم عاودت العمل من الرابعة مساءً إلى المغيب، وقد أنجزت قدرًا ملحوظًا من العمل.

هواجس الأمن تقلق أعضاء البرلمان وسكان المدينة سواء بسواء. ليس في مقدرة أمراء الحرب المحليين تحسين الوضع الأمني المتردي. تُسمع طوال الليل طلقات الرصاص بصورة متواصلة.

انفلت النظام أيضًا في معسكر "دوي نوناي". المجندون ينصّبون على بيدوه وهم يحملون سلاحهم، ويشتكون من سوء التغذية والمعاملة. كان قد تم اختيارهم تحت حصحصة عشائرية. دفع المجتمع الدولي مبالغ طائلة من الأموال والأجهزة للإنفاق على المجندين ورفع مستواهم الحرفي، ولكن لا يصل إلى المعسكرات إلا النزر اليسير من الحبوب "الجافة" الرديئة، ولا يرون لحمًا ولا لبنًا. حصصهم التموينية تباع من قبل مقدميهم القبليين في الأسواق جهارًا نهارًا.

هناك أيضًا سجال شديد بين نواب د/ م المحليين لاقتسام العساكر الذين يرسلون

للتدريب إلى الخارج (كينيا وإثيوبيا). شد وجذب للحصول على أكبر عدد ممكن من المبعوثين.

عين الرئيس ع/ي لجنة مكونة من نواب د/ م لحل أزمة نشبت في مدينة واجد، بعد أن قتل عمدًا جندي من عساكره رجلاً من أهالي البلدة. طلب النواب من الرئيس أن لا يتكرر مثل هذا الحادث الإجرامي، واتخاذ إجراء عاجل لإخراج عساكره من مدينة واجد وتحويلهم إلى مكان آخر.

الثلاث ٤ إبريل:

اجتمعت في منزلي اللجنة المكلفة بإعادة صياغة اختصاصات اللجان البرلمانية الأربع عشرة لليوم الثاني. اشترك في الاجتماع كل الأعضاء ما عدا واحدًا. أخبرت الأصدقاء بتعيين وحدات خمس لإعداد وثيقة اختصاصات القطاعات المتقاربة كوحدة الدفاع والأمن والتعبئة المدنية، أو الاقتصاد والمال والتموين.

بعد انتهاء الجلسة ذهبت إلى مسكن السيد/ محمد عمر طلحة ، رئيس البرلمان بالنيابة لأطلعه على ما تم إنجازه من اللجنة حتى الآن. ولكن السيد طلحة يسكن داخل مجمع الرئاسة بالقرب من منزل الرئيس عبد الله ومحاط بحُرّاس الرئيس المدججين بالسلاح، ويتعسر الوصول إليه؛ لهذا استعنت بالمرحوم عبد الله ديرو لدخول مبنى الرئاسة، واستخدمت عربته التي يعرفها الحُرّاس. مجمع الرئاسة الراهن كان في السابق نادي الضباط، أدخلت فيه بعض التغييرات ليلائم مكتب ومسكن الرئيس المؤقت. لا تبدو على الحرّاس حركات عصبية بل أجدهم هادئين واثقين من أنفسهم بزيهم المحاكي للأدغال، يتابعون المرور الوافد بتمعن وتركيز ولا يضايقونه.

شقة طلحة عبارة عن بناء منفصل متواضع يكاد يخلو من الأثاث. طلبت منه مدَّ الوقت إلى أربعة أيام بدل اليومين المحددين منه لإنهاء الصياغة، واتفقنا على ذلك.

نزلت هذه الليلة أمطار غزيرة لفترة طويلة لم تتخللها الرياح والبرق المؤشرين على سرعة حركة السحب وقصر مدة نزول الغيث.

الأربعاء ٥ إبريل:

اللجان المكلفة بصياغة اختصاصات الشعب البرلمانية تواصل أعمالها. الفوضى عارمة في المدينة، تُسمع في كل لحظة ليلاً ونهارًا طلقات نارية من هنا وهناك. يقول لي أحد الأصدقاء متهكمًا: البنادق التي ترونها على الأكتاف ليست عن غير قصد. يريد أن يُلوِّح لي أن هناك أشخاصًا لا يريدون الهدوء لمدينة بيدوه.

يعتقد كثير من النواب أن محمد إبراهيم "حابسدي" ومليشياته هي بؤرة القلاقل وعدم الاستقرار لابتزاز الحكومة.

بالرغم من علاقة حابسدي الوطيدة مع يوسف محمد سياد "انطعدي" وبري أدن شيري هيرالي، حاكمي مقاطعة شبيلي السفلى وجوبا السفلى تباعًا، أميري حرب ومن القابعين على مراكز القوى وفي تنافس مع بيدوه ، إلا أن هناك أيضًا من يسعى لتبرير سيطرته على الأمور الأمنية بجيشه الخاص، بعد فشل المليشيات المحلية في فرض الهدوء والاستقرار. وهنا سيحصل جيش الرئيس على مزيد من الإقبال والترحيب من جانب سكان المدينة، وتخف معارضة النواب المتشككين في وجوده ونشره في أقاليم الرحنوين.

في نيروبي بدأ وزير خارجية أديس أبابا الوساطة لتحقيق المصالحة بين الرئيس ع/ي ومحمد عمر "حبيب". من المعلوم أن محمد عمر، حاكم محافظة شبيلي الوسطى، الذي احتضن الرئاسة وجُل مؤسسات الدولة بجوهر لثمانية أشهر، لم يكن راضيًا عن انتقال هذه المؤسسات إلى بيدوه. وسبق أن صرَّح حبيب عبر الإعلام الداخلي والخارجي بأن الحكومة أخلت مدينة جوهر ولم تدفع الديون التي تراكمت عليها من الأهالي وحكومته المحلية. ووجه عدة مرات إلى شخصية الرئيس ألفاظًا غير لائقة كإعلانه: أن الرئيس عبد الله بمثابة رئيس عشيرة.

تتحدث بعض المصادر أن الإثيوبيين يسعون، بجانب إرضاء زبونهم القديم "حبيب" ودمجه في المؤسسات المؤقتة، التي تحت هيمنتها، إلى أن تبقى بعض قطاعات الحكومة في مدينة جوهر وتحت سيطرته.

من الناحية الأخرى فإن مقاطعة شبيلي الوسطى مهمة للأغراض الإستراتيجية

ضمن الخطط لاحتلال مقديشو؛ لأنها تقع على الطريق المعبد الذي يربط العاصمة بالشمال والحدود.

الخميس ٦ إبريل:

قرأت على أعضاء اللجنة جميع أوراق صلاحيات واختصاصات اللجان البرلمانية الأربع عشرة، وتم التفاهم بيننا على أن نقدم هذه الصياغة النهائية إلى رئيس البرلمان صبيحة السبت الموافق ٨ إبريل. طلبت من اللجان الفرعية تصحيح أوراقها وطباعتها مباشرة عبر السكرتارية المعدة لذلك عند منزل رئيس البرلمان. تطلّب إعداد هذه الأوراق مجهودًا ملحوظًا في بيئة لا يوجد فيها طاقة كهربائية منتظمة التيار.

تابعت في التليفزيون حديث محمد حسنين هيكل الأسبوعي" تجربة حياة" وكان يتعلق بثورة الضباط الأحرار وإخراج الملك فاروق من مصر. ولكن كان البث متقطعًا وهذا يجعلك لا تسمع إلا أجزاء متقطعة من كلامه. ولا أعرف إذا كانت هذه الظاهرة عامة أو خاصة بنا في بيدوه حيث إن المدينة تعاني من مشاكل المد الكهربائي، والساعات الخمس الممنوحة لنا في الليل لا تكفي. الشركات التي تدير شبكات الكهرباء لا تستطيع تحمل تكلفة الوقود، ولا يمكن لها بالتالي تمديد فترة الإضاءة، ناهيك عن توسع الشبكة وإطالة فترة الإضاءة، ومن هنا فالحلقة مفرغة. ربما الضائقة المالية المتفشية تجعل التنعم بالكهرباء المتواصل، على الأقل للإضاءة الليلية، من الترف والكماليات.

تفيد الأنباء الواردة من نيروبي: أن موظفي السفارة الأمريكية استدعوا إلى مقرهم في العاصمة الكينية أعيان قبيلة متنفذة في العاصمة الصومالية، وعقدت معهم عدة جلسات. تؤكد بعض المصادر القريبة من المحادثات أن الأمريكان لوَّحوا بتهديدات وعقوبات ضد هذه العشائر إذا لم تتعاون معها في اقتلاع الإرهاب من مقديشو، وإذا لم تكف عن إيواء المطلوبين من العدالة الأمريكية. رد الأعيان: "إذا كنتم تعرفون مكان اختباء الإرهابيين فعليكم أن تدلونا عليه وعندئذ سوف نقبض عليهم ونسلمهم لكم، وإلا فلا تسألونا عن وجودهم وغير وجودهم".

والغريب في هذا الصدد كيف تعاقب دولة عظمى أفراد عشيرة بالذات؟ هل تمنع

عنهم استيراد الأسلحة أو تسحب جواز سفر المتجنسين بالجنسية الأمريكية؟ أو تقتنصهم كما تفعل بالمتهمين بالإرهاب الذين يُخطفون سرًا وتحشرهم على متن طائرات خاصة من الأراضي الصومالية إلى معاقل سرية في عدد من البلدان؟

الجمعة ٧ إبريل:

انشغلت كثيرًا في تنسيق الأوراق مع كتبة الحاسب الآلى. عبدي معلم وزميله محمود أجهدهما العمل المتواصل طوال اليوم مع التعثر الكهربائي المستمر. كل الأوراق جاهزة لتقديمها إلى رئاسة البرلمان.

قبل الغروب بدقائق جاء إلى منزلي جماعة من الأعيان ومن بينهم مارق متطفل سليط اللسان. استفزوني واتهموني بأني لم أقم بواجبي في الدفاع عن مصلحة العشيرة. وهذه تهمة باطلة يراد منها تحميلي مسئولية لا تستند إلى أي قسط من الصدق. لا دخل للعشيرة في سعيهم الطفيلي المريب وهى لا تتهم الناس جزافًا، بل هي بريئة منهم.

يبدو أن السعي الإثيوبي لجعل جوهر مركزًا لبعض قطاعات الحكومة المؤقتة لم ينجح.

السبت ٨ إبريل:

أعددنا العدة اليوم لتسليم أوراق تخصصات لجان البرلمان التي تمت صياغتها من اللجنة التي قمت بتنسيقها، ولكن أجلت جلسة البرلمان لأسباب شكلية بروتوكولية، حيث أصبح من المعتاد ومن المعمول به أن يستقبل جميع أعضاء البرلمان رئيسَه الذي سيعود على متن رحلة جوية تهبط في الساعة الثانية عشرة ظهرًا.

هذه العادة غير المشرفة تجعل من البرلمان هيئة لا تستطيع الحفاظ على الوزن والوقار اللذين يجب أن تتحلى بهما المؤسسة. ما الحاجة إلى استقبال كل النواب لشخص يسافر في الشهر أربع مرات ويعود إلى مركزه أربع؟ يكفي عند الحاجة أن يستقبله نفر من السكرتارية وأحد نوابه.

امتلأ مطار بيدوه عن بكرة أبيه من المستقبلين والفضوليين؛ لأنه فناء مفتوح للجميع

ليس له حراسة منظمة، والشمس الحارقة تقرع الرؤوس وتموج المجموعات بعضها في بعض. حاول البعض أن ينظم صفوفًا ولكن الفوضى المستشرية تمنعهم من تنفيذ الفكرة وينصرفون. المدرجات هي الأخرى كانت مكتظة والحراس المسلحون يحيطون بأمرائهم الموجودين في الزحام، في انتظار رئيس البرلمان.

هذا المطار كان تابعًا للقوات الجوية الصومالية المنحلة. بناه السوفيت على طراز مطار "بللي دوجلي" الذي يقع على بعد مائة وعشر كيلو مترات شمال غربي مقديشو، ولكن الأول أقل منه حجمًا.

الأحد ٩ إبريل:

أفادت الأنباء التي وردت لنا اليوم أن أكثر من مائة شاحنة محملة بالمواد التموينية المرسلة من هيئة الغذاء العالمية، إلى محافظة باي، متوقفة في منطقة ليغو، (منتصف الطريق المؤدي إلى بيدوه). احتجزت القافلة مليشيات قبلية تسيطر على تلك الرقعة من الطريق المعبد.

يريد رئيس البرلمان أن يتدخل لحل هذه المشكلة التي لها مردود علاقات عامة ملحوظة، في حالة نجاحه في التوسط بين طرفي النقيض.

ولكن هذا الخلاف الذي هو ذو طابع إداري يستوجب أن تتخذ الحكومة إجراءات لحل المشكلة عبر الوسائل الكثيرة المتاحة لها، وليس للبرلمان اختصاص مباشر فيها.

بسبب انشغال رئيس البرلمان في شأن الطابور المحتجز، ألغيت جلسة البرلمان المزمع انعقادها اليوم، بعد أن نأى السيد محمد عمر طلحة، نائب رئيس البرلمان، بنفسه أن يترأس الجلسة. من المؤسف أن يضيع من البرلمان يوم آخر من دورته المحدودة ولما ينجز فيها أي استحقاق يذكر.

في الصباح قطعت مليشيات محلية، ليست تابعة لأحد، الطريق المؤدي إلى مقديشو، وتوقف المرور من جراء ذلك لما بعد العاشرة. تطلب المليشيات أن تحصل على قسط من المؤن الغذائية التي يتم توزيعها على أهل المنطقة، ووضعت حواجز في مكان بمحاذاة الطريق قرب الفندق العالمي.

يبدو أن مليشيات بيدوه متفاهمة مع تلك التي تحتجز القافلة في نصف الطريق.

ومن دواعي الاستغراب أن المانحين للمواد الغذائية، وجلها من الحبوب، يغرقون هذه المؤن في البوادي والقرى في وقت بذر الزرع وفي زمن جني المحاصيل بحيث يفقد المزارع الحافز لزراعة أرضه في بداية الأمطار؛ لأنه لا يحتاج إلى الذرة فقد حصل عليها دون تكلفة. وفي وقت جنيه للمحاصيل تكون الأسواق متخمة بالذرة الممنوحة بغير مقابل، مما يجعله يبيع محاصيله بثمن بخس إذا حاول تسويقها لتغطية مصاريفه الضرورية فيعزف عن الزراعة. المؤن الغذائية المستوردة مهمة للقروي في أوقات القحط والجفاف الطويل، ولكن هذه المساعدات ليس هدفها إنسانيًا محضًا، بل هو تكريس للفقر في البلدان المتخلفة، وجعلها تعتمد على الدول المانحة، بحيث يصبح الفلاح المنتج والمكتفي ذاتيًا عالة ينتظر المساعدة الخارجية، لتبور الأراضي الزراعية. على الحكومات الوطنية أن تبت في هذه المشكلة الخطيرة والمفصلية لمكافحة الفقر. بالرغم من وجود عقلية إطعام الفقراء في العالم الثالث إلا أن البلدان الغنية لا تستطيع سد حاجات الشعوب الجائعة بفوائضها الزراعية، وتُعرِّض الجياع إلى كارثة تبيد الملايين. تأكدت لنا هذه الحقيقة عبر السنين.

الإثنين ١٠ إبريل:

قال صحفي يدعى عبد الهادي بوطالب في مقال نشرته له جريدة الخليج الإماراتية (ليوم الإثنين ٥ ربيع الأول الموافق ٣ إبريل في الصفحة ١٢): "سقوط مخطط الاستيلاء على الشرق الأوسط من قبل الأمريكان، وكانت الولايات المتحدة – حسب رؤيته – تسعى للهيمنة على الشرق الأوسط ولكنها فشلت في مرماها العدواني. ويقول في ختام مقاله: (يحتمل ترجمة المقال من لغات غير عربية): "إن على من لا يملك وسائل سياسته أن يقتصر على سياسة وسائله".

ولكن لم يوضح الصحفي من الذي يجب أن يمد رجليه على قدر لحافه؛ لأننا نرى أن القوة الكبرى المهيمنة على الشرق الأوسط لا تحدها حدود جغرافية، وهي منهمكة في التوسع والامتداد إلى أقطار جديدة. أما ضحايا هذه الهيمنة والاعتداءات فهم مكشوفون بدون لحاف ردع يقيهم من شر الطامعين.

في أكثر الأحيان فإن الاعتماد على القوة المطلقة بلادة لا تغفر، إذ إن التلويح بالقوة وشدة مراسها أفعل من خوض غمار حرب لا ينتصر فيها القوي المزعوم دائمًا، كما حدث في فيتنام وأفغانستان بالنسبة للأمريكان والروس تباعًا.

قد تكون الصين مثالاً يحتذى به في هذا المجال، فإنها كانت تلوّح بقوتها وعظمتها للدول الصغيرة المجاورة لها في تاريخها القديم، ولم تسع للبطش بهم بقوة السلاح.

يظهرأن الأفارقة متعطشون للسلطة في البلدان المختلفة، وليس هدفهم تنفيذ برامج من شأنها أن تتقدم ببلدانهم، أو إحداث تغييرات مثالية ترمى إلى الإصلاح والرفاهية، ودائمًا ما يكون هدفهم الوصول إلى مصادر الثروة عن طريق السلطة والحكم.

وفي هذا الصدد يقول صبي موزمبيقي:أريد أن أكون رئيس الجمهورية لأصبح غنيًا وشخصية مرموقة. قال ذلك أثناء إجابته عن سؤال وجّه إليه صحفي تابع للـ بي.بي.سي شبكة إفريقيا network Africa. هذه الرؤية المغلوطة هي التي تبرر سرقة الأموال العامة من الرؤساء والمسئولين في الدول الإفريقية. وهذا دليل على أن المشوار طويل في إفريقيا والأصقاع التي على شاكلتها، نحو مفهوم الدولة الفاعلة والنزيهة.

تقدمت لجنة صياغة اختصاصات اللجان البرلمانية الأربع عشرة التي قمت بتنسيق أوراقها إلى البرلمان، وقرأت كل مجموعة من لجنة الصياغة الأوراق التي أعدتها. وطلبت منهم قراءتها أمام البرلمان بعد أن ذكرت للحضور ملخصًا وجيزًا عن العمل الذي قمنا به. ثم قدم عبد الله أحمد أفرح أوراق اللجان التي أعدتها لجنته الفرعية، ثم تلاه على مؤمن وعبد الكريم أحمد وأخيرًا حسين عيلابي فاهي. ولقد هلل النواب لما تم إعداده من لجنة الصياغة، وأكثروا ثناءَهم عليها للجهد المبذول، فتلاحق المتكلمون بالتقدير الواحد تلو الآخر.

وقعت حادثة مؤلمة في الساعات الأولى من هذا الصباح على تخوم بيدوه، عندما فتحت جماعة من المسلحين النار على قافلة كانت تحمل مؤنًا غذائية أرسلت من مقديشو، في إطار أنشطة برنامج الغذاء العالمي. قُتل في الحادثة اثنان من المهاجمين وأصيب فيها النائب إبراهيم جربي (ضابط سابق في الجيش) إصابة خطيرة.

وقع الحادث عند نقطة تفتيش أقامتها مليشيات على مشارف المدينة لفرض الإتاوات، بعد أن أصرت على أن تأخذ نقودًا من القافلة المتجهة إلى المدينة ونواحيها الداخلية.

وقد هزت الحادثة المدينة كلها، ودفعت عددًا من النواب إلى ترك بيدوه والانتقال إلى مقديشو خشية تدهور الأمن وتصاعد الاضطرابات؛ إذ أصبحت هذه النقطة بؤرة مليئة بالمخاطر، حيث إن المليشيات المتنازعة تستعد وتتوعد بدخول صدام جديد بينها، وهي في مواجهات مستمرة منذ ١٨ فبراير المنصرم.

الثلاثاء ١١ إبريل:

احتفل أهل بيدوه أمس الإثنين بمناسبة المولد النبوي الشريف أسوة ببلدان إسلامية كثيرة.

اتصل بي تليفونيًا من أمريكا ولدي أحمد محمد مولود. وهو يقول: إن الناس هناك مستغربون من حجم الفوضى المتزايدة في مدينة بيدوه.

جرت اليوم اصطدامات أخرى بعد أن أطلق حراس الرئيس ع/ ي النار على مسلحين في نقطة تفتيش لهم على الطريق المؤدي إلى واجد وحدر، وجرح فيه اثنان من رجال الحاجز. فتحت المليشيات النار للثأر من عساكر الرئاسة وقتلوا اثنين كان واحد منهم من المارة.

ومرة أخرى في عصر هذا اليوم أطلقت مليشيات من عشيرة "جلبلى" النار على عربة ظنوا أنها تابعة للرئاسة وأن على متنها أقارب الرئيس، ولكن الرصاص أصاب رجلاً من "بقل هوري" مات في الحال وجرح رجل من "هدمه" وآخر قيل: إنه من المهاجمين. والجرحى في حالة خطيرة.

إثر هذه الأحداث الفوضوية الدامية توعَّد الرئيس عبد الله بأنه سيتدخل مباشرة في الشئون الأمنية لمدينة بيدوه لضبطها. بعد هذا الوعيد أمر الرئيس أعضاء الرحنوين في البرلمان بأن يأتوا إليه مباشرة بخططهم التفصيلية لاستتباب أمن المدينة. ولتنفيذ هذه الأوامر عقد عشرون نائبًا جلسة في منزل شريف حسن، وذلك في ساعة متأخرة من

المساء. تغيَّب عن الجلسة، ربما عن قصد، عنصران محوريان حول الإشكالية التي على بساط البحث، وهما حسن محمد نور، ومحمد إبراهيم حابسدي. قيل كلام إنشائي كثير في هذه الجلسة لا يمكن تحويله إلى أفعال ملموسة. ومن الأمور التي أثيرت في الاجتماع ما يلي:

١) تنفيذ الاتفاقية التي كانت تنص على إعادة العربات المسلحة التي في حوزة بعض القبائل بعد استيلائهم عليها عنوة إلى القبائل المسلوبة. وقد تكرر هذا القرار في عدة اتفاقيات بينية ولم ينفذ ولو جزئيًا.

٢- تنفيذ القصاص في القتلة، وسحب المسلحين من المدينة إلى معسكرات خاصة بهم خارجها.

كنت أتابع هذه المداولات عن كثب ولم أقل كلمة واحدة في الموضوع. كنت طول الوقت مندهشًا: كيف أن الهراء والسفسطة قادران على أن يحلا محل الكلام الجدي. ولكن في المحصلة الأخيرة هذا الكلام تذروه الرياح ويتلاشى في الهواء. هذه المجموعة التي تطمع في الترقي إلى درجة أمراء حرب تردد هذا الكلام منذ شهرين ولا ينزعجون لتكراره الممل. لم أكن أصلاً مدعوًا إلى الجلسة، بل جئت صدفة لمكان انعقادها وتأسفت لمتابعتها.

الأربعاء ١٢ إبريل:

أجَّل رئيس البرلمان مناقشة اختصاصات اللجان البرلمانية التي أعدتها لجنتي لليوم الثالث. وفي محلها عقدت في البهو جلسة للأعيان من رؤساء العشائر وعلماء الدين والمثقفين والضباط (السابقين)، اشتركنا فيها واستمرت حتى الساعة الثانية بعد الظهر. جاءت مبادرة الاجتماع من الرئيس ع/ي والغرض منه إشراك القيادات الشعبية في شئون تثبيت الأمن.

يرمي الرئيس ع/ ي، في المحصلة الأخيرة، إلى أن يستصدر مجلس الأعيان هذا صلاحية من خلالها يكلف الرئيس بأن يتولى بنفسه فرض الأمن على بيدوه والنواحي التابعة لها. وسينجح في ذلك كما حدث، ولكن السؤال القائم هو: ماذا كان دور الرئاسة في

تهيئة الأرض للوصول إلى هذا التكليف؟

لا بد أن نشير هنا إلى أن الرئيس تصرف بصورة ذكية وتوصل إلى مغزاه بتدرج وحذر دون إثارة نعرات حزبية أو حساسيات قبلية. انتظر صبورًا حتى انفلت النظام وأصبحت الفوضى لا تطاق. ومن الناحية الأخرى نجح في تسليط الضوء على فشل أمراء الحرب المحليين مقنعًا الشعب بأنهم لا قبل لهم بفرض الانضباط على المليشيات التي يدّعون أنها تحت إمرتهم.

تقول الدردشة في المدينة: إن حكومة السودان التي زارها الرئيس منذ أسبوعين منحته مليون دولار، وعندما حاول بعض رؤساء المؤسسات أن يشاطروه المبلغ نهرهم قائلاً: إن المبلغ سوف يخصص للقوات الحكومية، ويعني جيشه الشخصي، الذي ينعم بمستوى معيشي رفيع، بينما المليشيات المحلية تتضور جوعًا في معسكراتها الخاوية.

الخميس ١٣ إبريل:

في الصباح الباكر دعاني شريف حسن إلى منزله وقال لي في كلام لولبي: إنه يريد أن أكون عضوًا في وفد يزور الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وقال: إن الدعوة وُجِّهت إليه ولكنه، حسب قوله، لا يستطيع السفر إلى إيران في هذه الفترة الحرجة، التي تزداد فيها الصعوبات الأمنية والاجتماعية. وافقت على الاقتراح ولكن يبدو أنه حدث سوء فهم حول التوقيت أو عطّل المغرضون إيصال الدعوة إلى رئيس البرلمان، حتى فات أوانها، فلا جدوى من الكلام عنها بعد.

في البارحة دخلت إلى بيدوه قوات تابعة لرئيس ع/ي انتقلت من مدينة واجد، حيث كانت ترابط بالرغم من تأكيدات سابقة للرئيس أنها لن تبرح معسكراتها بواجد، تفاديًا للحساسيات المحلية.

يقول بعض الضباط: إن القوات الجديدة ستنتشر في المدينة لتعزيز الأمن، وهي الآن مستقرة بين المطار والرئاسة، على مسافة كيلو متر واحد. ويتوقع أن تستولي على المطار لإحكام أمنه وتقوية حراسة الرئاسة. ولكن هذا الزحف المفاجئ لهذه القوات على بيدوه خلق بلبلة واستغرابًا في أوساط عديدة، خاصة تلك التي كانت دائمًا تتوجس خيفة من

انتقال هذه القوات إلى أقاليم رحنوين. خمَّن بعضهم أن يكون هدف هذه القوات مدينة مقديشو كمدد لأمراء الحرب الذين يخوضون في هذه الفترة حربًا ضروسًا مع المحاكم الإسلامية. كما يرى المحللون المحليون أن هذه القوات التي لا يزيد عددها على أربعمائة جندي ما هي إلا رأس حربة لما يزمع الرئيس استقدامه من وحدات قتالية في حجم لواء تحت التدريب الإثيوبي التي سرعان ما ستزحف على بيدوه ثم مقديشو.

ومما يدعو إلى التأمل أن الأهالي لا يرون أي خطورة للجيوش الزاحفة على إقليمهم ومدينتهم بيدوه، التي عانت كثيرًا من تعسف الجيوش القبلية والتي أودت بحياة مئات الآلاف من شعبهم، حتى خلت بعض القرى تمامًا من سكانها الذين راحوا ضحية لاعتداءات المليشيات القبلية على اختلاف أنواعها وولائها، حدث ذلك في العقد الماضي.

ذهبت إلى المقر المؤقت للبرلمان وفوجئت بالحراسة المشددة، ثم علمت أن جلسة البرلمان لهذا اليوم قد ألغيت، وأن الرؤساء عبد الله وشريف حسن ورئيس الحكومة ع/م/ غيدي يلتقون مع أعيان مدينة بيدوه. جلست لأتابع المداولات. صفق الحضور بصورة صاخبة عندما قال الرئيس ع/ي: إذا فشلتم في استتباب الأمن فسوف أتدخل بدلاً منكم. ربما لم يفهم البعض أن الانتقاص موجه لجميع عشائرهم، وليس لأمراء الحرب فقط.

يبدو أن بعض علماء الدين لا يفهمون أي شيء عن مبادئ الدولة الإسلامية الحديثة، ولا عيب أن لم يقرؤوا "الجماعة الإسلامية" لجمال الدين الأفغاني، ولكنهم يرددون الآن شعارات ببغاوية أمليت عليهم من بعض المضللين الذين يرون أن الإسلام ضد الحداثة والتمدن، وهم مع الأسف كثرة في هذا البلد.

الجمعة ١٤ إبريل:

جاء عصر الأمس لزيارتي في المنزل الحاج محمود محمد بربار، وهو رئيس عشيرة مرموق كما كان أبوه حاج محمد بربار أمر من قبله. وأخبرني بأنه لا بد له من الرضوخ إلى ضغط الأعيان ليصبح حاكم محافظة بيدوه، وأنه يريد تأييدي. قلت له بصراحة: ليس لدى القدرة التي تضمن له تحقيق هذه الأمنية، ولكني سأكون من مناصريه.

يقول المطلعون على وقائع الأمور ببيدوه: إن ستة وعشرين شخصًا قد قتلوا في الاصطدام الذي نتج عن نهب المواد الغذائية التي أرسلتها منظمة الغذاء العالمية إلى محافظة بيدوه، وكانت مكونة من اثنين وسبعين شاحنة تحمل ما لا يقل عن ألفين وخمسمائة طن من المؤن. جل هذه الأغذية نهبتها المليشيات المسلحة وقياداتها، ومنهم أعضاء في البرلمان، ولم يصل إلى القرى المسجلة لاستلامها إلا النزر اليسير منها.

رجعت بعض الشاحنات إلى مقديشو تحمل نفس الكمية من المؤن بعد أن استولت المليشيات عليها وباعتها علنًا في السوق، والظاهرة روتينية. يؤكد التجار الملمين بأسعار السوق والتبادل أن الشاحنات تحمل عادة ما بين20و30 طنًا، وتدفع للمليشيات ما يقدر بـ 14 و18 ألف دولار للشاحنة.

تتكون الشحنة عادة من ذرة ودقيق وزيت، توزع على المحافظات الزراعية في وقت زراعة الذرة العويجة وعند حصادها كما ذكرنا. هدف هذا التوقيت هو إلغاء حافز زراعة الحقول أولاً ثم خلق كساد في الأسواق ليخسر الفلاح ويهجر أرضه، ليصبح فقيرًا متسوّلاً في المدن الكبيرة أو إجباره على الانضمام إلى معسكرات اللاجئين في البلدان المجاورة، وليجازف لاحقًا بحياته في ركوب البحر إلى اليمن أو إلى أوروبا. هذه سياسة شريرة تُكرّس الفقر والعوز في البلدان الفقيرة، وتتناقض مع السياسات المعلنة من الأمم المتحدة لمكافحة الفقر.

كثير من المتعلمين الرحنوين يشعرون بالامتعاض إثر التهديدات التي وجهها الرئيس ع/ي إلى أهل بيدوه الذين استخف بهم ونال من كرامتهم، كأنهم لا اعتبار لهم ولا ذمة. أما الأفراد الذين اشتركوا في الاجتماع الذي عُقد في مبنى البرلمان المؤقت فكان أغلبهم من الغوغائيين الذين ينعمون بإذلال الرئيس لهم، كأهل فرعون المذكورين في القرآن.

زارني الملاق المعلم "عرب" عند الغروب فصلينا معًا صلاة المغرب. المعلم متكلم فذ يحفظ القرآن ودرّسه لعدة أجيال في الكُتّاب. تعلم أمور الدين بطريقة اللقبة: المنهج الصومالي القديم لتعليم الفقه واللغة العربية، يجيد قصصًا فلكلورية كثيرة، لا يمل الشخص من صحبته.

السبت ١٥ إبريل:

حدثني صديق عن الأسلحة الكثيرة التي في حوزة قبائل أقاليم جوبا العليا القديمة، التي تسكنها قبائل الرحنوين. يقول الصديق: إن عشيرة إيلاي في منطقة بورهكبا تمتلك ١٦ عربة مسلحة من نوع "تكنيكا" وكل عربة لها اسم تبعًا للتقاليد الرعوية الصومالية، حيث إن الأنعام ودواب الحمل لها أسمائها المميزة لها، وتجيب بالصوت عندما تدعى باسمها.

مثلاً كانت مليشيات إيلاي بورهكبا مرتبطة بعروة التعاون مع مليشيات "عير" المحتلة لمنطقة بللي دوجلي(المنخفضات الخضراء) حيث يوجد المطار الحربي السابق. اقتسمت المليشيات الطريق وتفرض إتاوات على المارة والمرور بكل أنواعه. ليس من النادر أن تسمع من المليشيات التي تتحكم في الطرق المعبدة وغيرها تنعيت غريب للطرق التي مرورها كثيف فيقولون: هذا طريق "لبون" تمر فيه العربات والشاحنات ، وليس بلبون، أي: طريق لا يستخدم أو هو قليل المرور. وما الصلة بين الطريق واللبن؟ لأنه يدر لهم الخير والنعمة حيث لا يغيب عنهم اللبن لكثرة ما يجلبون من الإتاوات.

مليشيات إيلاي التي يَدُرّ لها الطريق الرفاهية والبسطة لا تريد أن تنضم إلى الجماعات المسلحة الأخرى المحصورة في المعسكرات المرتجلة وليس بها عناية تذكر للمجندين.

يقول هذا الصديق: إن عشيرة إيلاي اختارت مرشحها لتولي منصب محافظ بيدوه، وهو رجل متعلم كفؤ لشغل هذا المنصب. ومن المعلوم أن هذه العشيرة التي آوت في أرضها السوداء الخصب (adable) جميع العشائر الرحنوينية الأخرى، القاطنة بالمقاطعة، ممتعضة جدًا لكونها قد "تساوت" مع زبائنها السابقين ورُفع عنها الامتيازات التي كانت تتمتع بها حيال العشائر المستضعفة في أرضها سابقًا. بل لقد استولى الزبائن عنوة على أراض زراعية واسعة دون الحصول على "المثابت" وكان ترخيصًا مبنيًا على العقود العرفية، كان يسمح للزبون أن يستغل الأرض زراعة على ألاّ يبيعها أو يحولها إلى طرف ثالث. ترى إيلاي أن زبائنها السابقين مصرون على ظلمها وإلغاء أولويتها وامتيازاتها. ينافسونها في كل شيء حتى في المناصب الإدارية على مستوى النواحي

والمحافظات. وذلك انقلاب آخر الزمان! حسب نظرهم.

العشائر المستضعفة سابقًا تريد وتصر على إبراز خصوصيتها الذاتية واستقلالها عن هيمنة صاحب الأرض. ولكن إيلاي ترفض هذا التعبير الذاتي وتراه بدعة، ولا تسمح لأي عشيرة زبونة إلا بأن تحمل اسم صاحب الأرض المضيف، وتترشح باسمه إلى المناصب العامة لا باسمها، تطبيقًا للأعراف السابقة وشروط الإيواء. لا تطبق إيلاي أي تمييز قبلي على من انصاع إلى النظام التقليدي السلمي.

الأحد ١٦ إبريل:

ينتظر في البرلمان مجيء الرئيس ع/ ي. سجل عدد من النواب يربو على المائة والسبعين أسماءهم فى المناسبة لمتابعة خطبة الرئيس. يجيز العهد الوطني أو الدستور المؤقت أن يحضر رئيس الجمهورية إلى البرلمان ليوجّه إلى النواب ما يرى تقديمه مناسبًا من الموضوعات العامة المختلفة، ولكن عرض أي شاردة أو واردة في ذهنه على البرلمان يعد خروجًا على الأعراف الدستورية العادية.

ركز الرئيس هذا الصباح على موضوعين:

الأول: نشر قوات منظمة إيغاد في الصومال، وتنطوي الفكرة على إفساح المجال للاحتلال الإثيوبي. وهذا الأمر يقلق الرئيس منذ زمن بعيد، وهو مشروع ينبني عليه نضاله السياسي من فترة سقوط الحكومة المركزية، وتتسق مع الجدلية: "لا بد من الوصول إلى كرسي رئاسة الصومال، ولكن أنت لن تنجح في إخضاع الأقاليم بقوات قبلية وفرض السلطة لا بد منه، ولكن لن تجد من يثبتك في الحكم إلا إثيوبيا المؤيدة لك. ولا مناص عن الارتماء في أحضانها، فإنها خير حليف".

يرمي الرئيس إلى جس نبض الشارع عن طريق خطبه البرلمانية ليدرس ردود أفعال الشعب حول الموضوع. وقد سبق أن انقسم البرلمان حول موضوع تدخل إيغاد، ورفضت الأغلبية أن تكون البلدان المجاورة مشتركة في قوات حفظ السلام.

ولكن الرئيس بعد أيام من الجلسة التي هزم البرلمان فيها مقترحه باشتراك قوات البلدان المجاورة لحفظ الأمن في الصومال، أمر بعقد جلسة أخرى مكونة من مجموعة من

النواب المؤيدين لأفكاره، ومرر مقترحه. وذلك في نيروبي في شهر مارس ٢٠٠٥، ولكن لما كان البرلمان منقسمًا حول دخول قوات من الجوار إلى الوطن، والقرارات التي اتخذتها المجموعة المؤيدة للرئيس تعتبر ملغاة، فإن الرئيس يريد الآن إعادة التصويت على مقترحه في وقت توحد فيه البرلمان في مقره الجديد.

الثاني: عرض الرئيس (وهو عقيد سابق في الجيش الوطني الصومالي) فكرة الحصول على أسلحة وخاصة الثقيلة منها : طائرات، مروحيات، دبابات، ومدفعية ثقيلة؛ لأنه يرى الحل الوحيد للخروج من الأزمة واستتباب الأمن هو الحل العسكري وفرض السلام بالقوة. وأنه لا بد من أن يهزم أعدائه في العاصمة، مع المكون الإسلامي، وهذا هاجس يراوده أيضًا منذ زمن بعيد. ولكن كثير من البسطاء الذين لا يفهمون الطموحات الطويلة النفس للرئيس يستغربون؛ إذ يقولون: هل الصومال بحاجة إلى مزيد من الأسلحة؟

الإثنين ١٧ إبريل:

يوم شديد الحرارة والرطوبة. اشتدت الرياح بعد الزوال وهزت الكائنات وأبعدت السحب على غير العادة؛ لأننا في موسم من مواسم الأمطار المعروفة محليًا بـ "برواقة" لكثرة البركة والمطر [والكلمة عربية الأصل من بروق: ما يكسو الأرض من خضرة- من كتابي المعجم الكشاف صـ ١٠٧].

في الصباح التقيت شريف حسن في بيته وناقشت معه بعض القضايا المتعلقة بأنشطة البرلمان، ومنها تقديم مشروع قانون الأمن الوطني المزمع مناقشته قريبًا.

هناك أيضًا موجة من الاتصالات الخفية حول موضوع: "الحكومة والمخصصات المالية التي حصلت عليها من المانحين وسبل استخدامها". ومن النواب من يصر على ربط الإنفاق الحكومي بثقة البرلمان فيه.

زعماء حرب مقاومة رحنوين السابقون يحاولون لملمة المليشيات العشائرية وحشدها في معسكر "دوي نوناي" (كان المعسكر تابعًا للجيش الصومالي لتدريب المجندين) لسحبهم من التسكع في المدينة، وتحسين فرص الأمن فيها. وهذه محاولة لا يستطيع أحد أن يراهن على نجاحها، وسوف تظهر نتيجتها في غضون أيام.

يبذل زعماء المليشيات، وأكثرهم أعضاء برلمانيون، هذا الجهد قبل أن يستحوذ الرئيس عبد الله على مقاليد الأمن في المدينة والنواحي التابعة لها.

في المساء جاء إلى منزلي الشاعر الشعبي محمد شريف علي، وهو من مواليد بيدوه سنة ١٩٧٥. وقال لي: إنه بدأ يقرض الشعر باللهجة المحلية وهو ابن ١٥ سنة، وله مقطوعات شعرية وملحمية تدور جل موضوعاتها حول الحرب الأهلية وانعكاساتها المأساوية على مقاطعات الرحنوين. وهذا نوع جديد من الأشعار الدرامية يلاقي ترحيبًا حارًا عند الجمهور، كصنف مغاير للشعر الكلاسيكي عند الرحنوين المركز على مدح الأشخاص، ولم تكن له أي قيمة أدبية تذكر. ومن اللافت للتأمل في شعر الرحنوين المعاصر أنه قد اختفى منه تقريبًا النوع الملحمي المعروف ب "جيرار" Geeraar الذي طمسه السلام الطويل والحضارة الوافدة. وكان يحكي عن انتصارات المحارب ووقائعه، وكان له إيقاع جميل عند ترتيله وقافية جهيرة مطولة.

الثلاثاء ١٨ إبريل:

الجو ربيعي صاف في الصباح وأمطار متقطعة في المساء وليس هناك تغير في درجات الحرارة. وصلتنا أنباء من مقديشو مفادها: أن المحاكم الإسلامية والائتلاف ضد الإرهاب، طرفي النزاع في العاصمة، يستعدان لخوض معارك جديدة بعد هدوء نسبي دام لعدة أيام. يحشد كل حزب المليشيات التابعة له في مناطق يعتبرها إستراتيجية، داخل العاصمة. يرى سكان المدينة أن الاقتتال في الحارات المكتظة بالمدنيين العزل سوف يؤدي إلى إبادة جماعية وخراب جديد. وسيدفع الناجين إلى النزوح والهجرة إلى أماكن لا يمكن التنبؤ بها اليوم.

بدأت في البرلمان مناقشة أوراق تخصصات اللجان البرلمانية، وذلك بعد عشرة أيام من تقديمى هذه الأوراق إلى رئاسة البرلمان. استغلت جماعة من النواب الحاقدين المغرضين هذه الفترة الطويلة لتنتقد الأوراق التي قدمناها. تنتمي هذه المجموعة إلى حزب الرئاسة وأغلبها من بنتلند. وكان هدفها الطعن الشخصي في وفي شخص آخر من لجنتي. أرادوا استفزازنا عن سبق إصرار واتفقوا على ذلك. كان واضحًا أن أكثرهم لم يقرؤوا الأوراق، ولم تكن مداخلاتهم ترمي إلى تقديم أفكار بناءة لتقوية الصياغة أو إضافة أمر

مهم لم نذكره، بل مواجهتنا بصورة وقحة سوقية؛ إذ إن أغلبية اللجنة كانت مكونة من المناوئين للتدخل الإثيوبي. تم تعييننا عفويًا ولم ينظر إليه من زاوية الأحزاب البرلمانية ولا من باب ضبط التوازن بينهم، بل اختيرت اللجنة على أساس الكفاءة والخبرة، وهي تمثل النخبة البرلمانية. هذه الجماعة تُكرّس روح الفرقة والتصادم بين النواب الذين تألفت الآن فصائلهم المختلفة بعد قطيعة دامت قرابة سنة.

وأخيرًا عيَّن رئيس البرلمان لجنة تنسيق برئاسة نائبه السيد طلحة لإدخال التعديلات المقترحة على الصيغة النهائية للأوراق.

الأربعاء ١٩ إبريل:

جو حار خانق وأمطار متقطعة يطغى فيه الهبوب. حصلت بعض المناطق المتاخمة لبيدوه على قسط لا بأس به من الغيث. ولا شك أنها سنة عظيمة حسب التصنيف المحلي.

عقدت لجنة التنسيق جلستها الثانية في مكتب رئيس البرلمان برئاسة النائب الأول لرئيس البرلمان. بعد مناقشة استمرت ساعتين وافقت اللجنة على صياغتنا القديمة ما عدا شعبتي المراقبة والنظام، المرأة والعائلة، حيث احتدم الجدال حول اللجنة التي تتولى شئون حقوق الإنسان. اتفق الجميع على أن يكون بند حقوق الإنسان من ضمن اختصاصات لجنة المراقبة، وأن ترفع هذه الرؤية إلى رئيس البرلمان، بعد أن استمعت لجنة التنسيق إلى أشرطة مقدمة من أمانة البرلمان ومن النائبة قمر أدن رئيسة لجنة المرأة والعائلة، التي أصرت على أن موضوع حقوق الإنسان لا يمكن فصله عن اختصاصات لجنتها، وهي المرأة والعائلة.

للوصول إلى قرار نهائي، استمعت اللجنة أيضًا إلى محاضر جلسات البرلمان ليوم ٨ مارس و١٥-١٦ من نفس الشهر، حيث ناقش البرلمان موضوع حقوق الإنسان في هذه الأيام.

الخميس ٢٠ إبريل:

يوم مطير. الغيوم تتراكم في الأفق من بعد الظهر ويشتد تساقطه من السابعة ليلاً حتي منتصفها، ويتلطف الهواء تدريجيًا. امتلأت الأسواق بلبن الجمال، وأسعارها في

متناول عدد كبير من المواطنين، والسبب هو أن قطعان الجمال اللبونة اقتربت من تخوم المدينة وتدر كمية وافرة من اللبن يتم تسويقها بسهولة. من المفارقة أن بلدنا كان من أنتج البلدان في شرق إفريقيا للسمن والألبان واللحوم لكثرة الأنعام، ولكن من السبعينيات من القرن الماضي بدأ التجار وهيئات خيرية وافدة يغرقون الأسواق باللبن المجفف المعلب في جميع النواحي. أدت هذه الظاهرة إلى الحث على الكسل والاعتماد على الألبان المستوردة التي تأخذ حاليًا الحيز الأكبر من الإعلانات التجارية للإذاعات المحلية. وفي نفس الوقت أثر اللبن الجاهز سلبًا على الاعتناء بتربية المواشي، مع اعتياد الرعاة الشبان مضغ القات. ومن مضاعفات الظاهرة ضياع القطعان وتضائل عددها. هذا الغزو التخريبي المكمل لمحاولات الإفشال الزراعي سيؤدي بالبلد إلى مزيد من التناحر الاجتماعي وتفكك البنية الاقتصادية.

جلسة أخرى للبرلمان تقدم فيها الصياغة النهائية لاختصاصات اللجان البرلمانية. مقرر اللجنة ع/ مؤمن لم يتبع قرار اللجنة التي أبقت على النص القديم لمحتوى صياغتنا المقدمة يوم ١٨ الجاري. ولما اشتدت عليه الملاحظة اعترف بأنه ظن إبقاء ما اتفق عليه عصر يوم الثلاثاء (مقترح أو اثنان وليس القرار الجماعي الأخير). تلاعب مكشوف لتزوير إرادة اللجنة المحتوية على القرار المتخذ يوم الأربعاء ١٨ الجارى.

ثارت ثورة النائبة قمر أدن (رحمها الله) ضد مقترح ضم شئون حقوق الإنسان إلى لجنة المراقبة، وأصرت على أن الموضوع من اختصاص لجنتها، وحصلت على تأييد عريض من النواب الذين طلبوا من الرئيس أن يجري التصويت على الموضوع. وفعلاً تم التصويت، وفازت قمر بأغلبية ساحقة.

الجمعة ٢١ إبريل:

قال لي صحفي محلي: إن رئيس الوزراء سوف يعقد غدًا تجمعًا عشائريًا في بيدوه للحصول على تأييد المجتمعين. هذه العملية الاستعراضية يقصد من ورائها التلويح بأنه رجل قوي موثق بمؤازرة العشيرة، وإيحاء للبرلمان بأنه ليس في الساحة من ينافسه في منصبه. زعماء السياسة يختلطون بزعماء العشائر، ولا يمكن "للسياسي" والحالة هذه، أن يخلو لممارسة شئون الدولة الحقيقية. وهذا النزول إلى درك القبيلة، حيث تتلاطم فيه

التناقضات ويزيد التيه، تبتلعه دوامة لا يستطيع الخروج منها. وهذا هو وتر أكيلس في النظرة السائدة للدولة حاليًا في الصومال.

الرئيس ع/ي في لندن للعلاج الروتيني، وبدأ يتصل بالجهات الرسمية البريطانية فور وصوله. كان من المستحسن، على الأقل، أن يتصل بهؤلاء الرسميين عندما ينتهي من الفحوصات الطبية والعلاج. وعندما اقترح على الجهات الرسمية البريطانية أن يمدوا يد العون إلى الحكومة المؤقتة أجابت بلا التباس: إنهم سيساعدون نظامًا راسخًا، حقق سيطرته على البلد.

السبت ٢٢ إبريل:

بدأت السماء تمطر من الساعة الخامسة مساءً حتى الساعة التاسعة صباحًا وإن بدا المطر خفيفًا في الساعات الصباحية. الجو لطيف، تبدد غبار الشوارع وبدلاً منه تتوسع البرك المائية والمطبات في الشوارع شبه المعبدة.

يوم عمل برلماني. أمر رئيس المجلس لجنة المشروع الفيدرالي أن تعرض تقاريرها على النواب، ولكن رئيس هذه اللجنة، بالتفاهم مع الشعبة الموازية له في البرلمان، طلب أسبوعًا آخر لإتمام عمله، ثم تقدمت مجموعة من النواب بمشروع قانون يطلبون فيه إقرار البرلمان بأن تكون مدينة بيدوه مقرًا مؤقتًا للدولة، إلى أن تتحسن الأوضاع الأمنية في العاصمة مقديشو. أيد المشروع النصاب القانوني وتم التصويت عليه وحاز على ١٨٢ صوتًا، وهو مجموع الحاضرين تقريبًا. القانون الذي تم التصديق عليه أقره في السابق شطرا البرلمان في مقديشو وجوهر كل على حدة.

الأحد ٢٣ إبريل:

جلسة خاصة بنواب د/م الذين استضافوا المؤسسات الدستورية في مقاطعتهم. أخذ الجميع على عاتقهم قضية استتباب الأمن في بيدوه وما يليها من بلدات، ثم ناقش النواب الموضوعين التاليين:

١) سبل استتباب الأمن.

٢) انتخاب مجالس المحافظات والنواحي.

رأى النواب عدم إمكانية تحقيق الأمن ما لم يكن هناك جهاز إداري رسمي وفعال قادر على أداء مهامه على الوجه الأكمل. واتضح من المداولات فشل الخطة الأمنية التي قطع زعماء المليشيات العهد على أنهم سينفذونها.

بالرغم من حشد المليشيات في معسكرات التدريب في "دوي نوناي" ومناس، إلا أن الزعماء لم ينجحوا في إبقاء المجندين في المعسكرات. أسباب الفشل كثيرة، منها:

أولاً: أن المنتمي إلى المليشيات رجل عاش على السطو والعنف لوقت من الزمن. واعتاد بواسطة الحواجز (إسبارو) أن يملأ جيوبه بنقود الابتزاز بلا رقيب ولا وازع. هذا المليشي لا يحتمل صرامة الانضباط المفروض على المجند أو العسكري، ولا يصلح أن يكون عسكريًا، ناهيك عن أن يكون مسئولاً عن الأمن واستتبابه.

أما السبب الثاني: فإنه ناتج عن أساليب إدارة المعسكرات المرتجلة، والتي تفتقر إلى التجهيزات الضرورية لاستيعاب المليشيات ولا تصل إليها المؤن المقررة لإطعام المجندين وإيوائهم. الهيئات المانحة تقدم كل شيء من نقد وتجهيزات، ولكن الوسطاء يبيعون المؤن والأجهزة في الأسواق.

ولن يتوقع من الإدارات المحلية، حتى عندما تنتخب أن تكون أحسن حظًّا من رؤساء الفصائل، وسينتهي الأمر إلى إفساح المجال لجيش الرئيس الذي توعد بأنه سوف يفرض الأمن بيد من حديد، إذا فشل أهل بيدوه في مهمتهم. وهذا ما يتطلع إليه كثيرون ممن لهم علاقة حميمة بالرئيس، وسوف تثبت الأيام القادمة ماهية ذلك التخطيط وفصل خطاب الرئيس.

الإثنين ٢٤ إبريل:

اجتمعت لجنة البرلمان للشئون الخارجية بمنزلي في الصباح لدراسة بعض الوثائق التي أرسلها مكتب الأمم المتحدة المسئول عن العلاقة مع النظام المؤقت في نيروبي. وتم التفاهم ألاّ تعطى لهذه الأوراق أي صفة رسمية، عندما لا تحمل ما يعني البرلمان مباشرة، أو أنها أرسلت للإحاطة فقط. ثم تحوّل النقاش إلى الطريقة المثلى لعقد الدورات المعرفية

لأعضاء البرلمان والميادين ذات الأولوية في الوقت الراهن. اتفقت اللجنة على انتقاء الميادين أولاً: كالقانون الدستوري مثلاً، ثم توجيه الدعوة إلى متخصصين صوماليين في المجال المختار للدورة والدراسات الأخرى، على أن تكون اللغة الصومالية هي أداة التدريس في هذه الدورات. ثم تحول موضوع النقاش إلى السجناء الصوماليين الذين ذكرت أسماؤهم في كشوف المعتقلين في سجون خليج غوانتانمو بكوبا. وأرجأت اللجنة مناقشة هذه المسألة لحين حصولها على معلومات كافية عن هؤلاء السجناء.

نُوقشت أخيرًا علاقة البرلمان بهيئة AWEPA (هيئة مختصة بالتعاون مع برلمانات إفريقيا يموّلها الاتحاد الأوروبي) وفي هذا الشأن تقرر دراسة هذا التعاون وتحديد تطبيقه.

الثلاثاء ٢٥ إبريل:

يوم شديد الحرارة والرطوبة والسماء صافية، لم تمطر بمدينة بيدوه منذ عدة أيام. ولكن الأخبار تؤكد أن الغيث قد عمّ محافظات ونواحي عديدة في الجنوب خاصة. لم أبرح البيت طوال اليوم لوعكة أصابتني. أخبرني الأخ جامع علي جامع الذي اتصلت به تليفونيًا بأنه قدّم تقريرًا إلى البرلمان لإطلاعه على فحوى الموضوعات التي بتّت اللجنة فيها بالأمس.

قال لي زميل: إن الرئيس ورئيس الوزراء يسعيان لتمرير خطة الأمن عن طريق منظمة إيغاد والاتحاد الإفريقي، دون مناقشتها في البرلمان والموافقة عليه. فإذا كانت هذه هي النوايا الحقيقية للرئيس، فإنه يجوز أن نصف هذه العملية بأنها بمثابة احتيال واستخفاف بالبرلمان، وإهانة للطرق الدستورية السليمة، ومن المعتاد ازدراء الرئيسين لمن يعارضهم ويتمسك بالثوابت الشرعية. عاد أحمد عبدي ديني، مدير شركة نيشن لنك، اليوم إلى مقديشو بعد أن قضى يومين ببيدوه، وتفقد فروع الشركة في المحافظة. جميع شركات الاتصالات التليفونية تتعايش مع الوضع الأمني المخيف والمتردي: يستأصل اللصوص، تقريبًا كل ليلة، الكابلات المدفونة في الأرض لاستخلاص النحاس منها. ولنفس الغرض يقطعون الحبال التليفونية الممدودة على الأعمدة. والشركات تقوم بإصلاح الشبكة بعد التخريب. والعملية تتكرر في حلقة تتابع لا نهاية لها. التجارة الحقيقية في هذه الأيام

مغامرة، وفي بلد تنعدم فيه سلطة الدولة والقانون تصبح ممارسة التجارة أكثر خطورة ومجازفة.

الأربعاء ٣٦ إبريل:

جو شديد الحرارة نهارًا. بدأ يمطر من الساعة العاشرة ليلاً إلى ما بعد الساعة الواحدة صباحًا. بالرغم من البرق والرعد الشديدين إلا أن هطوله كان منتظمًا وغزيرًا.

يوم برلماني جديد. لجنة صياغة الدستور الجديد وزَّعت على النواب نسخًا من المسودة التي أعدتها. ثم أعلن بعدها رئيس البرلمان تأجيل الجلسة إلى يوم الأحد المقبل، ربما تفاديًا لإثارة بعض النواب لموضوعات مهمة يطلبون البت فيها. لا يمكن أن يؤدي البرلمان أعماله على طريقة الفواق (أو الزغطة) ولا فائدة من السعي لجعله اسمًا بلا مسمى؛ وذلك خشية أن يتطرق إلى أمور لا تشتهي الثلاثية، رؤساء المؤسسات، أن يتكلم عنها البرلمان إصرارًا منهم على أن يظهروا للمانحين تماسك القيادة في مركزها الجديد، والحصول على ما وُعدوا به كاملاً غير منقوص. كم يطول هذا التكميم للأفواه؟

تتهم بعض الجهات الحكومة بطباعة مليارات من الشلن الصومالي تحتفظ بها الآن في أديس أبابا بعد أن تم طبعها بإندونيسيا.

بثت الإذاعات المحلية من مقديشو نبأ يفيد أن ١٩ عسكريًّا من عناصر البوليس الذين تم إرسالهم إلى كينيا للتدريب أعيدوا إلى بيدوه لوجود عيوب جسمانية فيهم، والسبب هو أنهم أرسلوا على أساس مخصصة عشائرية ودون فحصهم الطبي للتأكد من صلاحيتهم للتدريب.

اصطدام بين مليشيات تابعة لموسى سودي يلحو وأخرى مناهضة له في الشطر الشرقي من العاصمة. يتكرر هذا الاصطدام يوميًّا لأتفه الأسباب؛ لأن المليشيات تستخدم الرصاص بدل الكلام المنطوق.

الخميس ٣٧ إبريل:

بيدوه مكتظة بالناس والعربات وكثير من القادمين من مقديشو، الذين يطمعون في

الاستفادة من الإمكانيات المنتظر أن تنعم بها المدينة وتتوزع على قطاعات عديدة من الشبكة التجارية. التفاءل يجعلك تتمنى أحيانًا المستحيل، ولكن كيف يعيش المرء مجردًا من التفاؤل والأمل في تحقيق أحلامه؟

هناك أيضًا عقلية متجذرة في التجار الجدد، وهي أن الحكومة تحمل ثروات وفرص ربح لا نهاية لها. هؤلاء التجار لا علم لهم بالإجراءات القانونية والإدارية للدولة ولم يحتاجوا إليها قط. لم تتدخل أبدًا في ممارساتهم؛ لأنهم كوّنوا ثرواتهم عن طريق المغامرة والنهب، ولا يحسبون للقيود القانونية أي دور في تجارتهم الحرة والمطلقة.

الرشوة، والارتشاء، وسرقة ممتلكات العامة، بالنسبة لهؤلاء التجار مباحة ومسموحة، وهي ضمن تعاملهم اليومي ولا "عيب" فيها.

يندهشون إذا قيل لهم: التجارة في الفحم (النباتي) بقطع الأشجار عمل مشين، وبيع الحيوانات البرية وتصديرها إلى الخارج إجرام في حق البيئة والبلد. لا يأبهون لمثل هذا التوبيخ أو تشريع قيود من حكومة لا تستطيع إدارة مؤسساتها، ناهيك عن فرض عقوبات على الجناة. يرون التوعد عبر وسائل الإعلام محض هراء؛ إذ يعلمون أن يد الحكومة قصيرة وهم تجار بلا حدود.

والرسميون الذين يصرخون بالويل والوعيد من وراء الميكروفونات الإذاعية يدفعهم الطمع في الحصول على نفع مؤقت من الثروات المنهوبة، وليس هدفهم أداء واجب وطني للدفاع عن المصلحة العليا للبلد. فإذا لم يكن هذا ضجيجًا بحتًا فلماذا يصرخون عقودًا ولم يغير صراخهم أي شيء؟ لماذا لا يستحيون من أنفسهم لهذه الأوضاع البيئية المأساوية ويتركوا مكاتبهم ويخفوا رؤوسهم في أماكن أخرى؟ فإذا لم يفعلوا ذلك ولن يفعلوا، فإنهم مشتركون في الجريمة مع التجار الجناة، وسوف تحاسبهم الأجيال القادمة بعد النكسة إن شاء الله.

الجمعة ٣٨ إبريل:

لم تمطر السماء اليوم ببيدوه، والحر شديد في منتصف النهار. قالت لي سعدية أحمد، بنت أختي من حدر: إن الأمطار عمّت أجزاء كثيرة من محافظة بكول، وهي أفقر

زراعة من بيدوه حيث الأرض السوداء الخصبة. ولكن بكول تتميز بالمراعي الوافرة للإنتاج الحيواني.

انشغلت في الصباح في تسجيل للقصصين الفلكلوريين إبراهيم أدن عليو باشال، وإبراهيم شيخ علي، كلاهما يحفظ قصصًا ملحمية وشعبية لأمة الرحنوين، وهي متوارثة ومتداولة لعدة قرون بصورة شفوية، وقد يعتريها خلل وتصحيف وسقوط ألفاظ وزيادتها في رحلة هذه القصص عبر الزمن بسبب تلقيها بالمشافهة.

زارني في الصباح في بيتي السيد/ عبد الله شيخ عثمان "جري" وهو صديق قديم لي؛ إذ كنا في الدكسي (الكتاب) معًا ونحن صغار، وهو الآن رئيس عشيرة ومن الأعيان المرموقين. كان السيد عبد الله ممتعضًا ينتقد بشدة إحالة مسئولية اختيار أعضاء مجالس البلدية إلى رؤساء العشائر، مؤكدًا أن الزعماء التقليديين لا يصلحون لمثل هذه المهام، إذا لم يعطوا تعليمات واضحة ومساعدة من طرف رجال الحكم. يبدو أن السلطان (رئيس العشيرة) ليس مقتنعًا بالأساليب الديمقراطية التي تسمح للقيادات التقليدية بأداء دور بارز في تشكيل المجالس المحلية. ويضيف: "إنهم لا يعرفون التعقيدات السياسية والإدارية، ولا يستطيعون البت في دقائق الأمور التي يجب تنفيذها كاملة. سوف يختلفون في الخيارات ويتخبطون حتى الفشل". السلطان بالرغم من كونه من مواليد مدينة حدر إلا أن عشيرته تقطن مقاطعة شبيلي الوسطى القريبة من مقديشو، وهو مصيب في جانب من ملاحظاته؛ لأن الحكام يستعدون للتدخل في اختيار مجالس البلديات، ويتخذون من رؤساء العشائر ذريعة للوصول إلى أهدافهم. حيلة لا تغيب فحواها عن أذهان العارفين للتعقيدات المحلية. الحكومة تخطط لتشكيل إدارات محلية طيعة لأوامرها، وإجبار زعماء المليشيات المسلحة على الابتعاد عن السجال في البلديات.

أخبرني صديق بأن عشيرة إيلاي دعت ممثل عشائر بيدوه إلى مأدبة وطلبت منهم رسميًا إعطائهم منصب محافظ مقاطعة باي بالتزكية (المحافظ يتولى أيضًا منصب عمدة المدينة). أيد الحاضرون هذا الطلب، ولكن الموضوع ما زال في دائرة المحاورة.

السبت ٢٩ إبريل:

افتتحت اليوم ندوة حول تنظيم واختيار المجالس المحلية، اشتركت فيها خمس لجان، وهي عدد النواحي التي تتكون منها محافظة باي وعاصمتها بيدوه. سوف ترسل اللجان الخمس إلى النواحي لتشكيل المجالس المحلية، وليست العملية ديمقراطية كما هو واضح. تختار اللجنة أو تساعد السكان على اختيار ممثليها في أحسن الأحوال. تختار اللجنة الوافدة لجان النواحي المحلية المكونة من ٢١ عضوًا لكل ناحية (طبقًا لقانون البلديات القديم الذي أجري على أساسه انتخاب مجلس البلديات الأول سنة ١٩٥٤، قبل استقلال البلد). ترسل اللجان المنتخبة إلى العاصمة بيدوه ليختاروا رئيس المحافظة- العمدة، ورئيس البوليس. وهذه عملية دقيقة ومحفوفة بالمخاطر لهشاشة الأوضاع المحلية والتنافر بين القبائل.

نظمت الهيئة غير الحكومية CRD ندوة علمية لتوعية رؤساء العشائر وتنويرهم بضرورة المجالس المحلية وحسن إدارتها. أدار الندوة السيد/ يوسف معلم أمين "باديور" ممثل الهيئة.

الأحد ٣٠ إبريل:

مطر قليل ورذاذ لبضع دقائق في المدينة.

استشارة طبية عبر التليفون مع الدكتور عثمان محمود "دفلي" الموجود الآن بمقديشو. يرى الطبيب أن أذهب إلى نيروبي لإجراء فحوصات طبية مختلفة بها. خرجت من معسكر "دوي نوناي" مجموعة مكونة من ثلاثمائة عنصر من قدامى المحاربين، يشكون من قصور إداري ونقض للعهد من جانب رؤساء المليشيات والحكومة.

زارني في بيتي الأخ محمد علي عتوش (عقيد أكاديمي في الجيش الصومالي السابق) تجاذبنا الحديث حول شئون الساعة، وهو يستغرب من أن كثيرًا من الأهالي لا يتقيدون بوعودهم وليس لهم هدف معين.

هذا البلد في حرب دامية مع نفسه لأكثر من عشرين سنة، واختلطت الأمور والموازين الأخلاقية والقيم الإنسانية في قطاعات واسعة من الشعب، وهي تعيش بين العنف والموت، وإهدار كرامة الآدمي بصورة مستمرة. من جراء هذه الحرب العبثية

غلظت قلوب الناس ويئسوا من العودة إلى الحياة الطبيعية. خاصة الأجيال التي ولدت وترعرعت في هذا الجو، ستحتاج إلى تأهيل اجتماعي شامل متى سنحت الظروف بالوصول إلى السلام ونهاية المعاناة، بإذن الله.

شهر مايو ٢٠٠٦

قضيت الشهر كله ببيدوه.

الإثنين ١ مايو

كانت أكثر ساعات الليل مطيرة، ويؤكد لي شيخ أحمد أدن، الآتي من بكول، أن الأمطار عمت أكثر المناطق في تلك المحافظة. بثت الإذاعات المحلية إعلانًا يدعو النواب إلى جلسة في البرلمان في الصباح الباكر للوقوف على أمور مهمة تخصهم.

وجهت مجموعة من البرلمانيين طلبًا إلى رئيس المجلس لدعوة رئيس الوزراء للاستجواب حول تعيين إثيوبيا سفيرًا لها في هرجيسا بالصوماليلند. وخطوة مثل هذه، إذا كان الخبر حقيقة، تكون بمثابة ترقية مكتبها التجاري إلى سفارة.

وبالتالي استدعى شريف حسن السيد/ ع/ م/ غيدي إلى البرلمان ليجيب عما إذا كانت إثيوبيا قد رفعت تمثيلها من مكتب تجاري إلى سفارة حسب العرف الدبلوماسي المقنن، ولكن رئيس الوزراء ع/ م/ غيدي، الذي استعد للإجابة بصورة مقنعة، ملوحًا بوثيقة رسمية من وزارة الخارجية الإثيوبية تنفي فيها حدوث أي تغيير في مكتبها التجاري بهرجيسا، استهزأ بمقدمي الاستجواب وأجاب عن كل التسؤالات ببرودة وهدوء. وطلب بدوره من المتشككين في تصريحاته أن يقدموا الوثائق التي لديهم لتأكيد ترقية المكتب التجاري إلى سفارة.

ولكن النائبين محمد عبدي يوسف وعبد الله حاج علي، مقترحي الاستجواب لم يكن لديهما أي إثبات لما زعما أنه قد حدث فعلاً. ويبدو أن النائبين وقعا فريسة لدعايات أجهزة إعلام صوماليلند المتعطشة إلى الاعتراف الدولي، التي بالغت في الأمر أشد المبالغة للاستهلاك المحلي، لإيهام شعبها أن ترقية المسئول عن المكتب التجاري إلى درجة سفير يقصد منه أيضًا ترقية العلاقات إلى سفارة.

كما هو معلوم في العرف الدبلوماسي، قبل التعامل مع دولة أو هيئة عالمية، يجب أن يعترف الطرفان كل منهما بالآخر. وفي هذا الصدد فإن إثيوبيا لم تعترف باستقلال صوماليلند ككيان مستقل ومنفصل عن الصومال. ولم ترق التمثيل التجاري إلى سفارة. أما كون المسئول عنه سفيرًا، مستشارًا، أو قنصلاً فذلك من اختصاص الدولة المسئولة عن المكتب.

وأضاف السيد / غيدي، لمزيد من الإيضاح: " لا شيء تغير في الموقف الإثيوبي تجاه الحكومة الصومالية المؤقتة، ومكتبها التجاري بهرجيسا لم تتغير صفته القانونية،

ويبقى في الإطار المتفق عليه بيننا من سنة ٢٠٠٢ عندما أنشئ هذا المكتب.

الثلاثاء ٢ مايو:

يوم آخر في المخازن. توزع في الجلسة وثيقة حول الإجراءات الخاصة لإعداد دستور جديد، وهي جدول عمل اليوم، قدمتها معًا وزارة الدستور والشئون الفيدرالية مع اللجنة البرلمانية الموازية لها، وهذا خرق للدستور واستخفاف بالقواعد البرلمانية الصحيحة؛ لأن على اللجنة البرلمانية أن تقدم مشروع القانون إلى رئاسة البرلمان، لتعرض بدورها على الجلسة العامة للمجلس.

بدأت المناقشة في المشروع حوالي الحادية عشرة والنصف، وطلب الكلمة حوالي ثلاثين نائبًا، قدموا في غضون ساعتين مقترحات إضافية وتعديلات عديدة. لاحظ أغلب المتكلمين أن الطريقة التي قدمت الهيئتان بها مشروع القانون ليست مستقيمة. حسب الأعراف الدستورية، من مهام اللجنة التشريعية البرلمانية مناقشة أي مشروع قانون يقدم لها، أن يكمّل وينسّق مع جملة القوانين الموجودة في البلد.

نحن ورثنا هجينًا من الممارسات البرلمانية والنظم التشريعية من الإيطاليين والإنجليز. وتم تنسيقها وانصهارها عبر برلمانات الستينيات من القرن الماضي، عندما تحققت وحدة البلاد بين صوماليلند والصومال الذي كان تحت وصاية الأمم المتحدة.

ومن الجدير بالذكر أن البرلمان الموحّد أخذ مجمل نظمه وإجراءاته التشريعية من البرلمانات الجنوبية، التي بدأت تعمل منذ ١٩٥٦ حتى الثلاثين من يونيو عام ١٩٦٠، وكان البرلمان الجنوبي قد أنجز دورتين تشريعيتين حتى تاريخ وحدة الإقليمين. ولكن التقاليد البرلمانية المستوحاة من النظم الأوروبية بدأت تتفسخ عبر الممارسات البرلمانية على غرار "الديمقراطية المركزية"، عندما قيل: إن الصومال أصبح بلدًا اشتراكيًا.

فإذا بدأ النظام البرلماني الثوري يقلل من هيبة وفعالية المؤسسة التشريعية، التي كانت أصلاً معطلة لعشر سنين، وسماها الشعب بفطرته بـ "مجلس التصفيق" عندما أعيد البرلمان الشكلي، فماذا تكون طبيعة البرلمان "التصالحي" الناتج من فوضى الحرب الأهلية، وتشوبه التدخلات والهيمنة الأجنبية؟

لا يمكن أن ينتظر منه الانضباط والتمسك بالإجراءات الدستورية، واحترام ضوابط الهيئة الدستورية العليا. وهذا هو سبب الاستخفاف بالإجراءات البرلمانية. انتقد

نواب كثيرون وزير الدستور وشئون الفيدرالية لخرقه الإجراءات البرلمانية الصحيحة.

الأربعاء ٣ مايو:

بعد الأمطار يبدو الجو أكثر صفاء، اخضرت البقع الخالية والمشجرة. تحمس الناس للمشي بين المدينة ومدخلها الجنوبي إلى تل "ما تجنافولكا" حيث إن الأشجار الخضر على الأرض الحمراء تعطيك منظرًا خلابًا، وتعوضك عن مناظر الجفاف الرمادية، التي كانت تغطي الغابات بسحب دخانية حارة.

تناول الغداء معي الأخ محمد على عتوش، عقيد سابق في الجيش وهو ينتمي إلى الأقلية المتعلمة المتبقية منه، وهو من خريجي الكلية العسكرية الإيطالية مودينا **Modena** وبيدوه مسقط رأسه. تحدثنا عن المستجدات طوال ثلاث ساعات، ونحن جالسون على طربيزة الغداء. وهو يشاطرني الحيرة لما آلت إليه الأمور في البلد الحبيب، ويرى أن الناس في الوقت الراهن لا تهمهم إلا المادة، وأن القيم الأخلاقية في احترام الناس بعضهم لبعض، وحب الوطن، والسعي لتحسين أوضاع الناس، واستهداف السلام كعامل أساسي لانتشال البلد من الوضع المزري الراهن – أمور لا يكترث بها أحد.

يقول وهو مندهش لحالة أهل بلده: "والظاهرة عامة في جميع الأقاليم" الناس هنا تبهرها النقود فقط. لا فكرة في إصلاح وتقدم وحتى الغيرة في التباري مع الأقاليم الصومالية الأخرى. يقول:" كيف يمكن للمرء أن يعيش في مجتمع لا مثاليات له؟". ويتفلسف إذ يقول: " أمن لا يريد أن يتقدم ويعلو كمن يريد أن يعيش في الكهوف حياة البدائيين الذين كان يصفهم الإغريقي البطلموسي في كتابه "التجوال في البحر الأحمر" بساكني بطون الكهوف" وقد خمن بعضهم أن القرن الإفريقي موطنهم.

زارني في البيت مجموعة من الشيوخ بينهم شيخ توفيق وشريف عبد الله شيخ إسماعيل وملاق عبد الرحمن شيخ أدن محمد المشهور بـ"معلم عرب"(الشيخ عندنا من تعلم الفقه في مستوياته المختلفة، والمعلم من حفظ القرآن وأصبح معلمًا في كُتّاب، شرط أن يتم الختمة لطلابه ليصبحوا معلمين في دورهم، وكلمة كُتّاب في الصومالية تشير إلى طالب الخلوة (تسمية المدرسة القرآنية في السودان) واللفظة عربية صحيحة.

هؤلاء المشايخ متخصصون في الحكايات الفلكلورية المحلية، وخاصة معلم عرب وهو متكلم لبق فصيح. يحفظ كثيرًا من الميثولوجيات والقصص الشعبية. سجلت عن المعلم عدة قصص بوُرتها محافظة بكول، حيث كان ملاق رئيس عشيرته لمدة طويلة.

الخميس ٤ مايو ٢٠٠٦:

انتهيت من قراءة قصة الروائي النيجيري أليكي أمادي [Elechi Amadi] والقصة هي الخليلة [Concubine].

القصة المشتقة من الأساطير الإفريقية النيجيرية تدور حول بطلة القصة "إيهوما" تجسيد لإلهة بحرية على صورة إنسان. قرأتها منذ أكثر من عشر سنين مضت وشعرت أني أريد أن أقرأها مرة ثانية، وربما سأقرؤها في المستقبل مرة أخرى إذا أمكن ذلك؛ لأنها قصة خرافية أصيلة، تشهد على عبقرية القصصيين الأفارقة، لأكمل قراءة هذه القصة الجذابة كنت أعبئ المشعل ببطاريات جديدة في الليل، عندما تنتهي مدة الإضاءة الكهربائية في الساعة الحادية عشرة، إيهوما جنية خليلة جني حاكم البحار يغير على إيهوما. ينجذب الناس العاديون وراء جمال هذه السيدة الجنية، ولكن كل من يحاول أن يتزوجها أو يقترب منها عاطفيًا يموت بطريقة أو بأخرى. أول الضحايا زوجها إمنيكي [Emenike]، يلحقه مادوم [Madume]، المشتبه في قتل الأول، وكان يريد أن يتخذ من الجميلة خليلة لنفسه. أولا يصبح أعمى بعد أن تبصق في عينيه حية الكوبرا ثم يجن ويقتل نفسه. ويجيء من بعده لطلب الجميلة صياد شابّ مطرب ومؤلف للأغاني واسمه إكويمي [Ekume]، يصيبه نبل عشوائي وهو يعد حفلة الزواج، وفي مرحلة طقس التطهر، حسب الأعراف المحلية. هذه قصة مصقولة رفيعة المستوى اللغوي الإنجليزي، قوية التعبير، تجعلك مشدودًا إلى إيقاعها الدرامي الأصيل. لا يوجد فيها كلمات أو عبارات دنيئة ومبتذلة. وربما لا ينتظر كثير من قراء الإنجليزية إنجاز كاتب إفريقي بهذا المستوى الرفيع.

هذا الكاتب الرقيق والدقيق يمكن أن نضمه إلى القصصيين والروائيين النيجيريين الكبار مثل شينوا أكيبي، وول شوينكا الحائز على جائزة نوبل في الأدب، وهو أول إفريقي وصل إلى هذه القمة.

الجمعة ٥ مايو:

في المخازن تفتتح دورة تدريبية للبرلمانيين الصوماليين. تنظم الدورة هيئة صومالية غير حكومية. وليس الهدف تثقيف النواب بل الحصول على قطعة من الكعك الذي أعد لهذه البرامج الضبابية من قبل المانحين. هذه الدورات مشتبه فيها ولا يمكن قبولها بهذه الطريقة العشوائية. من العادات الغريبة في بلدنا، في المرحلة الراهنة، هذه

التدريبات المرتجلة التي تدعو إلى الخجل.

كعادتنا في المبالغة في الأشياء، أعطينا اسمًا جديدًا مفخّمًا "للتدريبات" ويتحدث الناس عن تبادل المعرفة، حيث إنه من الممكن ألاّ تكون هناك أي معرفة تذكر للطرفين، حتى يتبادلاها. ومن الغريب أن تجد شخصًا يريد أن يلقي درسًا حول المصالحة، وحسم الخلافات، وهو لا يعرف عن الموضوع شيئًا ولم يستعد له. وبالتالي تجد التجار ينظرون إلى البرلمان كمصدر قابل للاستغلال حيث يقدمون عدد من الخدمات للمتدربين.

بث إذاعة محلية بمقديشو البارحة لقاءً صحفيًا أُجري مع محمد أفرح قنيري، الذي كان يهاجم ع/ي. كان يشاركه في اللقاء أربعة من قيادات المحاكم الإسلامية. ومن بين تصريحات قنيرى: أن الولايات المتحدة تقف أمام الأطماع الإثيوبية في الصومال، بينما الإذاعة الفرنسية العالمية بثت اليوم في الساعة التاسعة صباحًا نبأ يقول: إن الرئيس الصومالي المؤقت صرح أن الولايات المتحدة أشعلت الحرب الأهلية من جديد، ولا نعلم إذا كان هذان التصريحان لهما علاقة ببعضهما أو أنهما يشيران إلى موضوعين لا صلة بينهما.

السبت ٦ مايو:

وصلت إلى المخازن البرلمانية في العاشرة صباحًا وقد بدأ الأستاذ النيجيري د. ا. إيجالاي [D.A.Ijalaye]، درسه للبرلمانيين منذ دقائق. يساعده في المحاضرة، المترجمة من الإنجليزية إلى الصومالية، محام كيني- صومالي اسمه أحمد إسحاق حسن. البروفسور والمحامي هما بمثابة ما يعرف بـ"شخصيتي المصدر" عبارة جديدة بين الفقراء من بلدان العالم. وفي معية الاثنين مترجم محترف كيني- صومالي اسمه على كُروغ، يجيد السواحلية بجانب الصومالية والإنجليزية. هذا هو اليوم الثالث للدورة التدريبية وستنتهي غدًا. سمعت أن الأستاذ النيجيري أو البروفسور، خبير في الشئون الدستورية.

ولكن هنا في الصومال مجموعات ترى أن الدستور يقصد منه تغيير الدين، وهذه العقلية تقف وراء قتل وزير الدستور السيد عبد الله ديرو وجرح المحامي أحمد إبراهيم، رئيس اللجنة الدستورية البرلمانية، والذي أُطلق عليه عدة رصاصات حتى ظن مهاجموه أنه مات فعلاً. والفكرة مغالطة عظيمة للبسطاء من الناس، الذين ضُلّلوا من قبل ناشطين يعلمون أن القرآن والدين الحنيف يعلو علوًا كبيرًا عن دستور وضعي ينظم شئون الدولة واختصاصات العاملين فيها. ومن الإجحاف أيضًا أن يقول أحد بقصد تضليل الآخرين: المُشرِّع هو الله، ولا ينبغي للبرلمان أن يكون هيئة تشريعية، أو يأخذ لنفسه هذه التسمية. تعود هذه المغالطة وما ينجم عنها من ذنب إلى الذين يذرون التراب على المقدسات الدينية، ويحاولون إنزالها إلى حضيض القوانين الوضعية.

التي جعلها الناس لاحتياجاتهم الدنيوية.

للمشكلة الدستورية عندنا بعد آخر يجب الإشارة إليه، وهي أن أغلبية الناس، بما فيهم الأكثرية البرلمانية، لا ترى أهمية للدستور ولا للقوانين وما يسطرون. والدليل على ذلك أنَّ الرئيس المؤقت للجمهورية أصبح تنفيذيًا، متناقضًا مع الميثاق الوطني Charter (اتفاقية مباغاتي)، بعد أن عطَّله مُتذرِّعًا بحالة الطوارئ الأمنية. وهذا الميثاق هو نتاج ثلاث سنوات من المفاوضات بين ممثلي القبائل وأمراء الحرب، والمجتمع المدني لتحديد سلطة الدولة وتطبيقها على الواقع، لإحلال السلام وإعمار البلاد. أوقف الميثاق بين ليلة وضحاها بمباركة من دول إيغاد. ولم يكترث أحد لهذا الحادث المؤثر، لا القبائل التي صيغ الدستور باسمها تحركت، أو عارضت، ولا الشخصيات السياسية والبرلمانية قدمت احتجاجًا، ولو كان بصوت خافتٍ لتثني الرئيس عن عزمه. بل إن أغلبية البرلمان شجعت الرئيس على تعطيل الدستور، وشل البرلمان ليصبح هو الآمر والناهي الأوحد، ليستفيدوا من سلطته المطلقة على حساب الديمقراطية والعدالة الاجتماعية؛ لذلك لا فائدة من توزيع معلومات دستورية ومحاولة بذر "الديمقراطية" في أرضية جرداء ليست قابلة لاستيعاب هذه الدروس النظرية.

الأحد ٧ مايو:

منذ الصباح وحتى ساعة متأخرة من النهار بقيت في المنزل لأرتب أوراقي.

تفيد الأنباء التي تصلنا من مقديشو أن الاشتباكات الضارية جارية في منطقة سي – سي، من حي ياق شيدلي بين المحاكم وأمراء الحرب.

وفي بيدوه يتركز اهتمام الجميع مرة أخرى، على انتقال جيش الرئيس من مدينة واجد إلى بيدوه ومخيمات مناس، غرب هذه المدينة. تشير إحصائيات، لا نعرف مدى دقتها إلى أن جيش الرئيس قوامه ألف وخمسمائة عسكري، تدرّب على أيدي الإثيوبيين. في مقابلة صحفية لـ بي.بي.سي/ ق.ص، يعلق محمد إبراهيم حابسدي، على تحرك جيش الرئيس مؤكدًا أن العملية متفق عليها، ويعتبرها خطوة عادية. والغريب أن هذه الشخصية كانت من أشد المعارضين لانتقال هذا الجيش إلى أرض الرحنوين؛ إذ سبق أن اقترح أن يوافق البرلمان على جعل هذا الجيش نواة للقوات المسلحة الوطنية، وكانت فكرة معقولة فما الذي أثناه إذن عن موقفه ورؤيته السابقة، وتحت أي ظروف تم التفاهم بين الأطراف المتعارضة؟ وكيف أصبحت الأحوال عادية؟

الإثنين ٨ مايو:

جلسة أخرى للبرلمان اليوم. تنتهي الدورة الدستورية. السيدة/ مريم عريف قاسم، كانت رئيسة لشعبة من شعب المناقشات طوال فترة الدورة، تقول في تواضع متناه، بمناسبة حفل الختام: "نحن لا ندري أكثر مما لا تعلمون من أمور الدستور، ولا نريد شيئًا أنتم لاتريدونه"، وهي تخاطب

النواب. هل التصريح على الطريقة السقراطية:" يعرف من يعرف أنه لا يعرف" أم تسعى لتبرئة ذمتها ممن يرى الدستور عائقًا لطموحاته السلطوية؟

حفل ختام الدورة الدستورية كان باهتًا وقصيرًا. ألقى الأستاذ النيجيري كلمات قليلة، وبذكاء تجنب أن يقول شيئًا مهمًا، في حين أن نائب رئيس البرلمان السيد/ محمد عمر طلحة يتكلم ولا يقول شيئًا. والكل يعلم أن هذه الدورة مشروع هيئة غير حكومية كينية، تطمح إلى الاستفادة من ميزانية الأمم المتحدة (برنامج التنمية) وهو مخصص للتدريبات والمؤتمرات العلمية.

يبدو أن أولويات برنامج التنمية للأمم المتحدة جُعل عاليها سافلها، لأنها تصرف بسخاء على مشاريع تعليمية جانبية، ولا تعطي الاهتمام اللازم للأمور الملحة العديدة، مثل مساعدة الحكومة لتكوين الإدارات المهمة في رقابة المساعدات المالية، وإحياء البنك المركزي والخزانة المركزية، للقضاء على الفوضى الإدارية والاختلاسات المستعصية الراهنة.

من المعلوم أن الحكومة نفسها لا تتحمس إلى إنشاء هذه الإدارات الحيوية؛ لأن أعضائها لا يريدون رقيبًا ولا حسيبًا فضوليًا. وهي تخصص أموالاً للوزارات يسحبونها مباشرة من البنوك، أو تُعطى لهم نقدًا ليتصرفوا فيها حسب رغبتهم، وهذا تكريس للفوضى وتشجيع للاختلاسات والفساد المالي والإداري.

الاقتتال مستمر بمقديشو بنفس الطريقة، بين اتحاد المحاكم الإسلامية والتحالف من أجل السلام ومحاربة الإرهاب. هذه المواجهات الدامية تتركز هذه الأيام على محور كاران ياق شيدلي في شرق العاصمة. نسبة القتلى والجرحى من المدنيين عالية، النهب والسلب والنزوح يجري على قدم وساق، الاستغاثات من جميع الجهات لإنقاذ السكان لم تلق آذانًا صاغية، حكايات اليأس والمعاناة بين السكان تؤدي إلى صدمة نفسية.

ليس هناك رد فعل ممن يقال: إنهم يدافعون عن حقوق الإنسان كأن الصومالي ليس آدميًا.

الخميس ١١مايو:

هذا هو اليوم السابع منذ أن تجدد الاقتتال في مقديشو.

اقترحتُ على النواب في جلسة عامة للجان أن يأخذ البرلمان موقفًا صريحًا تجاه الاقتتال في العاصمة. قلت: إننا لا يمكن أن نقف موقف المتفرجين لما يحدث للشعب الأعزل في مقديشو، من إبادة وتشريد وتجويع ترتكبه جماعات تتصارع على السلطة، مع العلم أن دولاً أجنبية تموّل الحرب ضد المحاكم، وتحث نوابًا من هذا البرلمان على تأجيج القتال. وقد سبق للفصائل أن تعهدت بموجب اتفاقية نيروبي بأنهم سيتوقفون عن القيام بأي

عمل عدائي ضد أي جهة كانت. ناقش البرلمان هذا الاقتراح لساعة من الزمن، ثم اتفق على إرجاء مناقشة الموضوع إلى يوم السبت القادم.

السبت ١٣ مايو:

جلسة عاصفة في البرلمان. الأجندة تحتوي على موضوع واحد فقط: "مناقشة القتال الدائر بمقديشو، والوصول إلى قرار لوقفه". طلب الكلمة حوالي ثلاثين نائبًا، أظن أن دوري سيكون الثاني عشر. جماعة من النواب تحاول تسويف الموضوع وعرقلته. وتتحجج بعمليات إجرائية، يقولون: إن الطريقة السليمة تتطلب تقديم الموضوع من الحكومة؛ ليتمكن البرلمان بالتالي من مناقشة الحرب المستعرة في مقديشو. ولكن الاقتراح يرفض بأغلبية؛ إذ يظهر فيه أنه ليس للبرلمان أي اختصاص لتعاطي أمر من الأمور السياسية- الاقتصادية والأمنية إلاّ إذا قدمته له الحكومة، وهذا التقييد للبرلمان غير دستوري، ويتناقض مع المادة ٣٣ [اختصاصات البرلمان فقرة هـ] ونصها: "من اختصاصات البرلمان مناقشة أي موضوع يتعلق بالمصلحة العامة".

وبعد مناقشة ساخنة تقرر أن يحال الموضوع إلى لجنة تبحثه من جميع جوانبه، وتقرر ما ترتب على هذه الحرب من مضاعفات، وخاصة معاناة المدنيين من تشريد وتقتيل وتجويع. وكخطوة أولى طلب البرلمان من الطرفين المتقاتلين وقف أعمالهم العدوانية وتعدياتهم على المدنيين. ولكن هذا الأسلوب الباهت الروتيني المتباطئ يصب في صالح التسويفيين، الذين ينحازون إلى جانب أمراء الحرب؛ إذ يعولون عليهم في إحراز نصر على المحاكم الإسلامية. كما أن هناك تيارًا آخر يريد أن يستمر التطاحن بين الجماعتين حتى يضعفا معًا، تأكيدًا للمثل الإيطالي: tra i due litiganti (il terzo gode)= بين المتنازعين الثالث ينعم.

الأحد ١٤ مايو:

عاد موضوع الاقتتال في مقديشو من اللجنة المكلفة بشأنه إلى البرلمان. النائبان محمد عبدي يوسف وعبد الله حاج علي ينتقدان بشدة أمراء الحرب ومموليهم الأجنبيين، وهؤلاء الآخرين معروفون؛ إذ أشار أمراء الحرب مرارًا إلى أنهم يتلقون دعمًا ماليًا ومعنويًا من الولايات المتحدة. ويتجاذب الناس الحديث في الأسواق في أن هؤلاء الأمراء تصل إليهم الدولارات الخضر في صناديق حديدية، ترسل على متن طائرات خاصة، تهبط في المطارات التي يسيطرون عليها. كما بدأ الناس ينكتون حول هذه الدولارات المدفوعة

بسخاء لم يُر مثيله؛ إذ قال أحد الأمراء وهو يفتح صندوق مملوء بالنوط الأخضر: "إذا كانت هذه الدولارات غير مزورة فأنا أترك إيذاء خلق الله!".

في تقديري، إن عملية تمويل أمراء الحرب الصوماليين، كانت من أخرق العمليات التي خططت لها وكالة الاستخبارات الأمريكية الذكية.

انتقد هذه العملية عدد من الدبلوماسيين الأمريكيين قبل فشلها بشهور.

كرر البرلمان الدعوة إلى وقف الاقتتال واحترام سلامة وحقوق المدنيين العزل. في مناقشة البرلمان سمعنا أيضًا أصوات المعتدلين ممن حاول أن يمسك العصا من النصف، وهم يحاولون إخفاء انحيازهم إلى الأمراء.

أبلغتني نائبة محترمة أن م / ق في مقابلة صحفية اليوم ١٣ مايو الجاري بالـ بي بي، سي، صرَّح أن مسئولية حلفه هي القبض على الإرهابيين الذين نسفوا مترو أنفاق لندن ومدريد، وقاموا بالعملية الإرهابية الكبرى في١١ سبتمبر ٢٠٠١م بنيويورك في الولايات المتحدة.

الإثنين ١٥ مايو:

يوم عظيم في تاريخ بلدنا وهو ١٥ مايو؛ لأنه يوم تأسيس نادي الشباب الصومالي سنة ١٩٤٣م والحرب العالمية الثانية على أوجها. أصبح النادي حزبًا في سنة ١٩٤٧م، فغُيِّر اسمه إلى "رابطة الشباب الصومالي"، واليوم يتزامن مع الذكرى الثالثة والستين من إنشائه. كان برنامجه (وهي أول وثيقة صومالية) ينص على المساواة بين الصوماليين، فوق القبيلة والطريقة والإقليم. في المادة الثانية من دستور الرابطة نص على: "إحلال الأخوة بين الصوماليين، وحثهم على الوطنية والإخلاص للوطن (فقرة – أ: "يجب العمل من أجل تحرير البلد واستقلاله، وتوحيد جميع الأقطار الصومالية الرازحة تحت الاحتلال الأجنبي لإعادة وحدتها".

ومن أناشيد الحزب، التي كانت أكثريتها باللغة العربية، وتُحرِّض الأعضاء على العمل الوطني ما يلي: يا أيها الصومالي قم ، خذ المسدس[بعضهم أخذوا المسدس ولم يلقوه]، ولا تنم = إنا نحييك بالسلام يا ملجأ أهل الوطن. تقول أنشودة أخرى: "أسير أنت يا صومالي فمالك حق في الوجود – فقم واجهد حياتك بعلوم العصر والجهاد". الرابطة التي أصبحت فيما بعد: "حزب الشباب الصومالي"، هي الحزب الذي قاد البلد إلى

الاستقلال بعد أن كافح وعانى، ولم يبرز في الساحة السياسية الصومالية حزب يحسب له ذلك الفضل، إذا استثنيا حزب "شباب بنادر" الذي لعب دورًا مؤيّدًا للرابطة، في توزيع الأدوار، أمام الأحزاب الكثيرة التي أنشأها الإيطاليون وجمعوها تحت مظلة "مؤتمر la conferenza".

أكاد أقول بلا مبالغة: إننا نحن الشباب الذين ترعرعنا في زمن عنفوان رابطة الشباب الصومالي، والكفاح من أجل تحرير البلد، انطبعت في شعورنا ووجداننا مفاهيم الوطنية وخصوصية ذاتنا الصومالية. ولكن بمجرد أن نال الصومال قسطًا من الحكم الذاتي في سنة ١٩٥٦م، اندست في الرابطة قوات رجعية وعميلة جرّت البلد القهقرى وأظهرت القبلية، وزرعت من حينها روح التفرقة وبذور الفتن والخيانة، ونحن ما زلنا الآن نحصد نتائجها.

وقد لا يذكر غالبية النواب المجتمعين هنا في مدينة بيدوه الآن ماذا يعني يوم ١٥ مايو وأهميته لتاريخ هذا البلد. إنهم نواب جاؤوا حاملين قسمة القبائل في البرلمان على مقياس أربع ونصف، وما هي إلا قسمة ضيزى. وليس عليهم حرج إذا غاب هذا اليوم العظيم عن مخيلتهم.

أنا والسيد جامع علي جامع، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان، التقينا في فندق شوبلي بعدد من قيادات اتحاد كرة القدم الصومالي، وتحدثنا عن الأوضاع المزرية لهذه الهيئة الرياضية، كرة القدم الصومالية، وهي حالة احتضار لانعدامها جميع العوامل الحيوية، لممارسة الرياضة المحترمة في البلد تقريبًا. أستغرب دائمًا عندما أسمع أن فريق كرة القدم الصومالي سافر إلى بلد إفريقي ما حيث تعقد دورة من الدورات الكروية للقارة. كما أحزن كثيرًا عندما أسمع أن النادي الكروي الصومالي هُزم شر هزيمة من نواد إفريقية مغمورة أو متوسطة المستوى، وأتساءل بمرارة: أيهما أفضل: اشتراك مهين أم اختفاء كامل للكرة الصومالية في غياهب النسيان حتى تتغير الأمور؟

الثلاثاء ١٦ مايو:

ذهبت بالسيارة إلى منطقة سوق المواشي وما ورائها، حيث الأرض المستوية التي تقع عليها تنتهي إلى منحدر جرف تمتد من تحته سهول منبسطة خضراء، وغابات سوداء. تظهر من بعيد غابات "شيخ عشرو". نحن في منتصف شهر مايو، قمة موسم الأمطار القوية، حسب التقويم المحلي. في تقديري السنة "كبيرة" مطيرة ويمكن لنا نحن النواب أن

ندعي أننا أصدقاء الأمطار Robleyaal أو ضيوف الخضرة. وبالتالي سلمنا من انتقادات المتشائمين الذين كانوا يلصقون بالنواب بعض أسباب شحة الأمطار، وتطاول الجفاف على الناس، إذا أصبح الوضع عكس ما هو عليه الآن.

سلمني الأستاذ جامع علي جامع وثيقة من السفارة البريطانية تحتوي على ملاحظاته حول خطة حكومة السيد ع/م/ غيدي لإحلال الأمن والاستقرار في البلد حرفيًا: "united kingdom comments on national security and stablization plan" ملاحظات على المواد الثلاث عشرة التي تتكون منها الخطة. الوثيقة دقيقة وفي صميم الموضوع. في نفس الوقت تبرز إلى السطح كل الأمور التي كانت الحكومة تحاول أن تخفيها عن البرلمان. يشير الإنجليز أيضًا إلى ركاكة صياغة الوثيقة وعدم تماسكها.

والغريب أن رئيس الوزراء الذي وزّع هذه الخطة على جميع السفارات المعنية بالشئون الصومالية في نيروبي، أصر على كتمان موضوع بهذه الأهمية عن البرلمان، وحاول إحالته إلى مجلس الأمن مباشرة، ليكون مشتملاً على المكونات التي تتبنى عليها قراراته الخاصة بالوضع الصومالي. طُلب من السيد/ ع/م/ غيدي تقديم هذه الخطة إلى البرلمان لمناقشتها ولكنه تهرّب من الضغوط حتى الآن.

خطة الأمن والاستقرار هذه - التي هي أصلاً من وحي الدول الكبرى - يراد بها إفساح المجال للاحتلال الإثيوبي، بصورة قانونية، ولذر الرماد في عيون المجتمع الدولي "الآخر" الذي لا يعلم كثيرًا عن الأزمة الصومالية. ناقشنا الخطة وملاحظات بريطانيا عليها وقدمنا أفكارنا إلى رئاسة البرلمان.

في ساعة مبكرة ذهبت إلى مقر رئيس البرلمان، لأنبهه ألاّ يأخذ مسلكًا ضد توجه الأغلبية البرلمانية التي تريد إدانة أمراء الحرب الذين فجّروا الاقتتال بالعاصمة، وذلك أن أغلبية البرلمان تعتقد أن رئيس البرلمان منحاز إلى جانب بعض أصدقائه من أمراء الحرب. ولم يزل متحيرًا بين الأغلبية البرلمانية الضاغطة لاتخاذ قرار قوي وفعال ضد أمراء الحرب أصدقائه، وبين الخوف من توبيخ هؤلاء لفشله في الدفاع عنهم. ولهذا لم يتمكن البرلمان من حسم هذا الموضوع لأكثر من أسبوعين.

وفي هذا الصدد علمنا أن النائبين دكتور علي باشي رورايي والمحامي حسن طنبل ورسمي، مبعوثي البرلمان للتوسط بين طرفي الصراع بمقديشو، التقيا برئيس البرلمان عند

عودتهما من مقديشو وحذّراه من اتخاذ قرار ليس "سمكًا" ولا "لحمًا" على حساب سمعة البرلمان ونزاهة رئيسه، بل لابد من إيجاد قرار حاسم بالإدانة.

وحول هذا الموضوع سمعنا أن حذف السيد/ إسماعيل هُرى بوبا لعبارة: "مواجهات دموية في العاصمة" من أجندة مجلس الوزراء كان الموضوع المعد للنقاش من المجلس، وأُحلَّ محله موضوع آخر.

الأربعاء ١٧ مايو:

يوم برلماني آخر تعقد فيه جلسة عامة. هذه المرة يشترك في الجلسة عدد من أعضاء الحكومة. كثير من الوزراء يهاجمون الولايات المتحدة بدون أي مواربة، لكونها المحرضة لارتكاب المجازر في مقديشو ضد السكان العزل الأبرياء. عبدي محمد ترّح يهاجم بشدة المحرضين الأجانب الذين يقفون وراء الحرب الإجرامية لأمراء الحرب. لم أكن أتوقع من ترّح لهجة قوية على هذا المنوال فهو شخص هادئ متزن. كان أسلوبه الخطابي لا تشوبه التشنجات المألوفة في هذه البيئة.

الجو في داخل القاعة مكهرب صاخب. أحمد حاف ومحمد وابيل ينتقدان الحكومة بشدة، ويتهمانها بالتقاعس عن مسئوليتها، وأن عليها أن تستقيل وتتصرف. يتهكم بعض النواب على النائبين قائلين: إن المحترمين يطمعون في حقائب وزارية، أخفقوا في الحصول عليها سابقًا، على غرار المثل الصومالي القائل:[البكاء أطول مغزًى من موت العجل] إذ يقال: إن عروسًا حديثة قُتل زوجها وكانت تكتم أحزانها، ولكن انفجرت بالبكاء والجهش عندما مات عجل من القطيع، فعرف الناس أنها تبكي على زوجها المتوفى.

بعض النواب يوجِّهون اللوم إلى رئيس البرلمان، ويصرحون بأنه منحاز إلى أصدقائه أمراء الحرب. خلاصة توصيات اللجان التي اختيرت لدراسة موضوع الاقتتال بالعاصمة وتقديم توصياتها، لاتخاذ البرلمان قرارًا حولها، تقرؤها السيدة النائبة قمر أدن مقررة اللجان. ويظهر جليًا أن محتوى القرار ضحل وتزييف للإرادة البرلمانية ممثلة في الأغلبية. من غير المقبول أن يخرج البرلمان بهذا القرار الهزيل بعد أسبوعين من التداول. وبالتالي طُلب من الرئاسة صياغة قرار مسئول يدين أمراء الحرب بصورة مباشرة. ومن اللافت للتسائل أن السيدة المقررة كانت تصفق لكل متكلم ينتقد مشروع القرار، ربما للتلويح بأنها لم تكن راضية عن صياغة المشروع المقدم من اللجنة، وأن ضغوطًا فوق طاقتهم قد مُورست عليهم لتمرير القرار.

الخميس ١٨ مايو:

جلسة برلمانية أخرى. ينتظر النواب مجيء رئيس الوزراء ع/م/ غيدي ليجيب عن أسئلة حول الاقتتال الجاري في العاصمة. يذهب إلى المنصة وهو هائج غضبان، وفي وجهه الصرامة وعلامات التحدي؛ لشعوره بأن النواب يريدون استفزازه عن سبق إصرار.

النواب: عائشة أحمد عبد الله، محمد وابيل، أحمد حاف، محمد عبدي يوسف، وعلي باشي حاج محمود وجَّهوا إلى رئيس الوزراء عدة أسئلة حول الاقتتال أغلبها في صميم الموضوع، ولكن بعضها في المحتوى مستفز. حسب المتوقع أجاب غيدي عن الأسئلة بصورة مقتضبة ولاذعة، متهكمًا على أسئلة بعض النواب. وفي نهاية الاستجواب شعر النواب بأن رئيس الوزراء تهرّب من إعطاء أجوبة شافية عن قصد، وهذا التصرف كان بمثابة إهانة للبرلمان.

علاقة رئيس الوزراء بالبرلمان سيئة منذ أن رفض ثقته للحكومة التي شكلها السيد ع/م/ غيدي في منتصف نوفمبر ٢٠٠٤، لذلك يرى أن في البرلمان جماعة تعاديه وتقف له بالمرصاد لتوريطه في أي فرصة يرونها سانحة لذلك. وفعلاً هناك نواب يسعون لإسقاط حكومة ع/م/ غيدي للحصول على مناصب في الحكومة التي تتولى من بعده. وهذا الخلاف يؤدي إلى رضوخ رئيس الوزراء شيئًا فشيئًا إلى إملاءات المهيمنين الأجنبيين على مصير البلد على حساب مساحة من الوفاق الوطني في المسائل الجوهرية وإن ضاقت.

ومن المؤكد عدم وجود تيارات وطنية قوية في البرلمان، تتعاطى الأمور عبر منظور المصلحة العامة.

وجود هذه التيارات المدافعة عن المصالح العامة في البرلمان يساعد على تقليل المواجهات غير اللائقة المستمرة بين البرلمان والحكومة، والتوتر الدائم من نهاية ٢٠٠٤. وكان قد قلَّل من اتِّكال رئيس الوزراء على الأجنبي الذي يستعد لبسط سيطرته على البلد.

وبالتالي لا فائدة في استجواب رئيس الوزراء؛ إذ هو لا يريد أن يجيب، لرفضه التعاون مع هذا البرلمان الذي يظهر له العداء بهذا الأسلوب الصارخ. الضحية الوحيدة هنا هي المصلحة العامة.

الجمعة ١٩ مايو:

يوم عطلة. صليت صلاة الجمعة في المسجد القريب من منزلي. ألاحظ أن أغلبية المصلين من سكان البلد عليهم علامات الفقر، وحالة البؤس والفاقة متفشية في هذه الأقاليم، التي عانت كثيرًا من ويلات الحروب الأهلية. لم تظهر بعد نتائج الملايين من الدولارات التي تصرفها الحكومة على موظفيها بعد انتقالها إلى بيدوه.

استفادت بعض الأقاليم، إن صح التعبير، من الحرب الأهلية؛ إذ استولى "فاتحو" المدن على الممتلكات العامة وباعوها في الأسواق الداخلية والخارجية. ومن هذه الممتلكات العامة المصانع العديدة، المعدات الزراعية، وهياكل البنى التحتية، حتى طائرات الخطوط الجوية الصومالية. كثير من التجار الجدد احتجزوا الموانئ واحتكروا التجارة، على حساب الأقاليم التي ليس لها منافذ بحرية.

بالرغم من المعاناة العامة للشعب والبؤس المتفشي هناك آلاف من الأغنياء والمليونيرات من محدثي النعمة، استفادوا من الفوضى وانعدام الحكومة. لا يدفعون أي نوع من الضرائب، يستخدمون مليشياتهم للنهب والسلب ولحراسة ممتلكاتهم. هذا الوضع المريح لأصحاب الموانئ انقلب نقمة على الأقاليم الداخلية المغلقة والبعيدة عن البحر، حيث تدهورت أوضاع الناس على جميع المستويات، فالأغنياء النسبيون لهذه المناطق أصبحوا فقراء؛ لأن تجارتهم انهارت وأصبحوا في مرتبة زبائنهم المعدومين.

قبل الحرب الأهلية كان في استطاعة أي تاجر (أي مصدر - مستورد) أن يكون لديه إذن استيراد وتصدير، والمصدرون والمستوردون كانوا على قدم المساواة بالنسبة للسلطة، ولكن الآن التاجر المغلق بالداخل لا يمكن أن يزاول عمله ويصبح تابعًا تحت حماية صاحب الموانئ؛ لأن الأخير يستعين بقبيلته وبمسلحين يقومون على حراسة بضائعه ومصالحه.

والعامل الثاني الذي زاد من فقر سكان الأقاليم المغلقة هو تعسف المليشيات المسيطرة على الطرق التي تؤدي إلى الداخل، حيث تضع الحواجز في كل بضعة كيلومترات. وتفرض على البضائع إتاوات باهظة مما يجعل تكلفة البضاعة ضعف سعرها من مقديشو إلى بيدوه. وهذا الوضع غير معقول للغاية ويجعل البائسين أكثر بؤسًا.

في الصباح قابلت في المنزل وفد من "بولو فلاي"، وهي قرية صغيرة في الطريق البرّي غير المعبد بين دينسور وقريولي. وهم يريدون ترقية قريتهم إلى ناحية ليستقلوا من

إدارة بورهكبا ودينسور، وهم حاليًا تحت سلطة الناحيتين. كل قرية تريد أن تستقل بنفسها، والناس بعضهم ببعضٍ؛ نتيجة لغياب الدولة.

الأربعاء ٢٤ مايو:

يوم برلماني جديد، ونحن في نهاية المناقشات لتكوين لجنة الدستور المستقلة والقانون الفيدرالي. وزير الدستور عبد الله ديرو قرأ على المجلس أسماء أعضاء اللجنة الخمسة عشر المرشحين للمناصب وسيرهم الذاتية، بتكرار ممل، واحدًا بعد الآخر. ولا شك أن الشهادات العليا والخبرات القانونية العديدة التي يدعي بعض الأعضاء حملها، وخوضهم سابقًا لميادين القانون المختلفة يجب تصديقها بقدر من التحفظ [cum grano salis] لأنه في هذا الزمن، الذي تطغى فيه الفوضى حتى على المقدسات والثوابت الوطنية، لا يمكن التأكد من الادعاءات؛ إذ يعلم الجميع أن في الأسواق الصومالية قسم لتزوير وإنتاج الوثائق اسمه "عبد الله شيديي" أكثر كفاءة من مكاتب الحكومة السابقة، الشبه نائمة.

وفي النهاية صوّت الأعضاء على مشروع القانون وأعطى الموافقة ١٥٦ نائبًا، بينما رفض ستة، وامتنع واحد عن التصويت.

رجل ينتمي إلى عشيرة "بقل هوري"، ويدعي أنه رئيس عشيرته، هاجم شريف حسن عبر إذاعة شبيللي، وهي محطة قوية النفوذ مركزها مقديشو، ولها فرع ببيدوه. يشتكي هذا الملاق من أن رئيس البرلمان، الذي كان حاكمًا في تنظيم الإدارة المحلية لإقليم باي، انحاز ضد عشيرته، وكان الادعاء باطلاً.

كرد فعل لهذا الاتهام اقتحمت مليشيات شريف حسن مبنى إذاعة شبيللي ببيدوه، وأرغموا الموظفين على إغلاقها. كان يكفي الرد المقنع للاتهام وليس تخويف الأبرياء وإرباك عملهم، بسبب بث إذاعي من مقديشو.

الخميس ٢٥ مايو:

البنك الدولي والاتحاد الأوروبي، وبمشاركة من برامج التنمية للأمم المتحدة، اختاروا هيئة غير حكومية لدراسة الاحتياجات المختلفة لإعادة إعمار الصومال، joint needs assemsment of Somalia وجاء مخرجو هذا البرنامج إلى بيدوه ليفسّروا لأعضاء البرلمان ماهية هذا المشروع، وكيف يُعتزم تنفيذه على أرض الواقع.

ومن الواضح أن البرنامج لا يتعدى كونه دراسة جدوى متعددة الأشكال والميادين. يترأس فريق تقييم الاحتياجات الموحدة للصومال السيد/ عبد الرازق عثمان حسن "جوريللي"، وزير التخطيط، فقدم الفريق ثم أخذ الكلمة ممثل البنك العالمي يليه رجل اسمه ديفيد بسيوني، مدير هذا المشروع الذي يقول: إنه دراسة لتمويل ضخم. أفادنا البعض أن السيد بسيوني سوداني مسيحي، سبق أن كان رئيس مكتب هيئة الطفولة يونسيف بمقديشو قبل الحرب الأهلية وبعدها بفترة. يبدو أن هذه الشخصية خفيفة الظل؛ إذ إنه بدلاً من سرد الأرقام الإحصائية والنوايا الحسنة في إعمار الصومال، واستعدادات المانحين الكرماء، حوّل انتباه البرلمان بنكته إلى جو من المرح، إذ قال:" انقسم الرجال إلى صفين: صف اليمين خُصص للذين يأخذون أوامر زوجاتهم، والصف الشمالي للذين لا ينقادون إلى ذلك، فانضم الجميع إلى الصف اليميني إلا رجلاً واحدًا. واستغرب الجميع فسأله المحقق: ما بالك لم تنضم إلى اليمين؟ فأجاب الوحيد: لأن زوجته أمرته أن ينضم دائمًا إلى الصف اليساري. تصفيق وضحك مدويين. لا أعرف بالدقة ماذا كان يقصد السيد بسيوني، ولكني أظن انه كان يشير إلى أن الفقراء في البلدان المتخلفة لا يمكن لهم الحياة إلا إذا انضموا إلى أصحاب اليمين من الأمم المتطورة، وقدموا ولاءَهم لهؤلاء المحظوظين، يمثّلهم في الحضور البنك الدولي.

دعاني شريف حسن إلى بيته وقال: إنه يرغب في إبلاغي بأمر مهمٍّ. وصلت إلى بيته حوالي ٩,٣٠ بعد المغرب. طلب مني اصطحابه إلى "غارووي" عاصمة بنتلاند، ضمن وفد برلماني يقوم بالوساطة والمصالحة بين رئيس الوزراء ورئيس الدولة الإقليمية بنتلاند، في الشمال الشرقي. ينتظر أن يسافر هذا الوفد للقيام بهذه المهمة يوم ٢٨ الجاري، أي بعد يومين من الآن. أخبرت رئيس البرلمان بأني على استعداد للانضمام إلى هذا الوفد.

٢٦ مايو:

تفيد الأنباء الواردة من مقديشو بأن القتال قد تجدد بين المحاكم والتحالف ضد الإرهاب على نطاق واسع، وأن التحالف احتل ليلة أمس حى "تليح" حتى منطقة زوبي، على الطريق المؤدي إلى أفجوي. وتقول نفس المصادر: إن محكمة فرقان في هذا المحور من المناطق التي اقتحمها التحالف، وعدد بؤر الاقتتال لا يقل عن أربع. ومع ذلك لم تدم سيطرة التحالف على هذه المناطق الثلاث إلا ساعات، وذهبت مكاسبه أدراج الرياح، وخسر معاقله المهمة للمحاكم، من بينها فندق الصحفي وبنايات مكتب التحقيق الجنائي.

يعتقد أن القتلى في المواجهات الأخيرة ٣٧، والجرحى ١٧٠، والنزوح عن المناطق المتأثرة بالاقتتال كثيف، خاصة من منطقة سي ـــ سي، وجلجتو. معاناة المدنيين شديدة؛ لأن رقعة الاقتتال في توسع مستمر، كبقعة الزيت، هناك تلاحق للمدنيين في حركة دائبة إلى خارج المدينة.

الرئيس ع/ي ينتقد ع/م/ غيدي ويتهمه بالفساد وعدم الكفاءة. والثاني يحاول أن يتصدى لهذه الاتهامات التي يعتبرها بمثابة خطوات تمهيدية لعزله، ويتحدى مواقف العجوز والبرلمان؛ ولهذا السبب أحاط بنفسه مجموعة من محسوبيه، وفي نفس الوقت يريد أن يتقوى بأصدقائه البيض والسود معًا.

السبت ٢٧:

بالرغم من وعكة صحية تضايقني، اشتركت في جلسة بمنزل شريف حسن. النواب الموجودون، منهم المحامي حسن طنبل ورسمي، إسماعيل تمر، وسليمان علاد روبلي، والسيدة مريم عريف قاسم. قرأ علينا أحد مساعدي رئيس البرلمان ثلاث وثائق، وناقشناها:

الأولى: خاصة بمعاهدة بين الحكومة المركزية وبنتلند.

والثانية: عبارة عن رسالة شديدة اللهجة بعث بها رئيس الوزراء إلى رئيس بنتلند.

والثالثة: جواب من الأخير للوزير الأول، وهي أيضًا عديمة اللباقة كسابقتها. أكَّد مكتب الرئيس أن السفر سيكون في موعده المحدد، غدًا إن شاء الله.

رئيس البرلمان يسافر دائمًا يوم الأحد، ولا يمكن لنا البت فيما إذا كان اختياره الأحد لسفرياته محض تزامن أو شعوذة. على كل حال، إذا كان اختيار الأحد فألاً حسنًا لرئيس البرلمان، فسيكون هذا اليوم لنا أيضًا حسن الطالع، وننجح في مهمتنا التوسطية ونعود سالمين إلى بيوتنا.

الأحد ٢٨ مايو:

اتصلت بالدكتور محمد طاهر أفرح روائي صومالي، معروف في بلدنا، جاء إلى بيدوه عن طريق نيروبي ونزل بفندق بيدوه القريب من منزلي. ذهبت لأزوره بالفندق. أخبرني أنه اتفق مع الهيئة المسئولة عن دراسة الاحتياجات الموحدة، التي تحدثت عنها في ملاحظاتي ليوم ٢٥ الجاري، على أن يجري دراسة احتياجات قطاع الثقافة والفنون، وأنه بصدد تقديم دراسة جدوى تمهيدًا للحصول على التمويل اللازم. ناقشنا موضوع

الثقافة في الوضع الراهن من جوانب متعددة، وفاجأنا إقلاع رحلة عودته إلى نيروبي، وما زلنا منغمسين في الموضوع.

كنا نعمل أنا وأفرح معًا في أمانة البحوث العلمية والتكنولوجيا للحزب الاشتراكي الثوري الصومالي إبان تأسيسه في منتصف السبعينيات. ولكن محمد طاهر سافر إلى الخارج في بداية الثمانينيات لمواصلة الدراسة حتى حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة لندن (قسم الدراسات الشرقية والإفريقية)، وكتب عدة أعمال أدبية باللغة الصومالية بعد تخرجه، وأنشأ مجلة سماها Hal Abuur [الإبداع] وكانت على مستوى رفيع.

ولكن مما يدعو للأسف أن القطاع الثقافي معطل مثله مثل قطاعات الدولة الأخرى كالاقتصادي والتعليمي والصحي .. إلخ؛ لأن الظروف الراهنة، خاصة في الجنوب، الذي لا يستقر فيه أي عمل منتج، تحول دون ذلك، ولهذا تنعدم في البلد أي إمكانية لاستفادة الناس من مبدعيهم ومثقفيهم، ربما لا يجد الصديق محمد طاهر مفرًا من جمع إحصائيات مؤلمة، وتعداد للهزائم التي لحقت بهذا القطاع بعد فشل الدولة أو إفشالها.

الإثنين ٢٩ مايو:

ربما لأسباب الكثافة السكانية الخانقة لمدينة بيدوه، وقلة النظافة، وازدياد المرور الطفيلي، الذي انصب عليها من مقديشو، للبحث عن فرص عمل أو للحصول على عقود من الحكومة، هذه الأشياء كلها معًا جعلت الجو مسمومًا.

أجرت إذاعة شبيللى المحلية حديثًا مع رجل اسمه شيخ مختار روبو، أعلن فيه الشيخ آخر تطورات الاقتتال في مقديشو بين المحاكم الإسلامية والائتلاف ضد الإرهاب، يقول: إن الائتلاف هاجم الإسلاميين من ست جبهات: ثلاث في شمال المدينة إضافة إلى منطقة داي نيلي، شرق المدينة ومن ناحية بلعد، ولكن على غرار ما حدث يوم حنين، حيث انتصر المسلمون على الكفار بأن أرسل الله لنصرتهم جيوشًا لم يروها وانهزم عدو الله كذلك اندحرت قوات أعداء الشهادة المتحالفين.

يضيف الشيخ: إن المحاكم استولت أيضًا على أسلحة المتحالفين وذخائرهم التي هي الآن في أيدي المجاهدين.

الإعلام المحلي والعالمي يتحدث عن تطور مجرى الاقتتال في مقديشو والدور الأمريكي في الصراع الدائر بين المحاكم والتحالف، وتأييد واشنطن لأمراء الحرب.

أفادني الأخ محمد عوالي سكرتير عام البرلمان بأنه تقرر إرسال وفد برلماني إلى النمسا للاشتراك في مؤتمر يضم الاتحاد الأوروبي ودول ما يسمى بمجموعة (ر.س.ب)، الإفريقية، الكاريبية، الباسيفيكية، الوفد مكون من خمسة أعضاء وأنا منهم، افتتاح المؤتمر سيكون يومَ الثامن عشر من يونيو المقبل.

احتفيت هذه الليلة بالأخ محمد طاهر أفرح في منزلي في عشاء بسيط، اشترك فيه عدد من الأصدقاء، وكانت مناسبة مرحة، تعرّف فيها الأصدقاء على الضيف ممن لم يكن يعرفه سابقًا.

الثلاثاء ٣٠ مايو:

رذاذ ثم موجات رش فوابل من المطر لا ينقطع طوال اليوم، وأتخوف أن يفسد علينا الحفلة التي أعددتها في الأمسية بدءًا من الساعة الرابعة مساءً، محل إقامة الحفلة هو مركز حقوق الإنسان التابع لـ إنحا، فرع بيدوه عبارة عن بناء صغير لكن له باحة واسعة تم تجميلها للمناسبة. تولى منصب منسق الحفلة الأستاذ علي مرسل، عضو برلماني سابق من سكان بيدوه. وجهت كلمة الافتتاح لهذه المناسبة باللهجة الرحنوينية؛ لأن الحضور كلهم محليون ما عدا الضيف. تبعني محمد أفرح بخطبة قصيرة عن برنامج سفره، ورؤيته حول الثقافة وإحياء التراث الصومالي، تسلسل بعده البرنامج الثقافي بمقطوعات شعرية من الملحمين محمد حسن عثمان ونور أدن أبغالو، وهما شخصيتان معروفتان بمواهبهما الإبداعية بلغة ماي الرحنوينية وألفا كثيرًا عن الأوضاع المزرية للبلد، والأزمة السياسية والحرب الأهلية، وآثارها على الشعب، وكل منهما له ديوان عريض ومركز.

ثم جاءت إلى المنصة نورتا عبدي نور معلم نورتا أرلادي فأعجب الحضور بمضاء شعرها الجميل المنحاز لقضية المرأة وما عانته من إذلال ومشقات في هذا الزمن الرديء. صفق لها الحضور بحماس وبلا انقطاع، عرقلت الأمطار إتمام الحفل حسب البرنامج المعد له بعد أن تحديناه لعدة مرات ونحن في العراء، وبالتالي اضطررنا إلى اختتامه في الخامسة وأربعين دقيقة قبل الغروب، وكانت المناسبة ناجحة بما فاق توقعاتي.

آخر يوم من الشهر الأمطار الموسمية تتساقط طول النهار والليل، والسماء ملبدة بالماء، ندعو الله أن تكون السنة عظيمة والزرع موفورًا خصبًا إنه على ما يشاء قدير.

زارني في منزلي الأخ جامع علي جامع بعد أن سمع تدهور صحتي بصورة طارئة، وكان عائدًا من نيروبي بعد مشاركته في مؤتمر للبرلمانات الإفريقية. الرئيس

ع/ي سافر إلى ليبيا وفي صحبته السيدان محمد إبراهيم حابسدي وأدن سرنسور، كان الرجلان من أشد معارضي الرئيس في إدخال جيش له إلى أرض الرحنوين، وحسب الإشاعات فإن الرئيس قرر سحب الشخصين من بيدوه للتخلص من عرقلتهما لخطته الرامية إلى تثبيت جيشه ببيدوه، وبالتالي لوَّح لهما بأنهما سيحققان خيرًا من زيارة الزعيم الليبي صديقه القديم، ويرى البعض أنهما قد اختُطفا وهناك تنبوآت أخرى، ولكن من المؤكد أن الرجلين بقيا في الجمهورية الليبية العظمى أكثر من ٣ أشهر بعد عودة الرئيس منها لحاجة في أنفسهم.

من عيوب معارضتنا الراهنة، وهي متعددة الأوجه، أنهم أشبه بالحواجز التي تضعها الميليشيات المسلحة في الطرق لابتزاز المارة، والمعارضة ليس لها هدف ولا مبدأ تدافع عنه، الابتزاز للحصول على مال أو منصب واضح جدًا؛ وهنا تصبح المعارضة اسمًا بلا مسمى مغايرًا للمصطلح السياسي العادي.

زارني في البيت شيخ من كبار مشايخ الطريقة الصالحية الصوفية وهو شريف محمد نور، يتذكر الشيخ وقائع دموية حدثت في هذه المحافظة عندما كان شابًا وعضوًا في حزب "دغل ومرفلة" غيِّر اسمه فيما بعد إلى حزب "الدستور المستقل الصومالي" ولم تتغير ألفاظه الأولية إلا بزيادة كلمة الصومالي.

في سنة ١٩٥٦ عندما شكَّل السيد/ عبد الله عيسى محمود من حزب "رابطة الشباب الصومالي" الحكومة الداخلية وذلك قبل استقلال البلد بخمس سنوات فرضت الحكومة ضرائب على المزارع للحصول على دخل إضافي؛ لأن أكثر من نصف ميزانيتها كانت تدفعها الإدارة الإيطالية الوصية. اتخذت الحكومة هذه التدابير بعد أشهر قليلة من ائتلافها، بينما لم تتجرأ الإدارة الإيطالية التي باشرت زمام الحكم لأكثر من ست سنوات قبل الحكومة الصومالية على فرض ضريبة على الأرض المزروعة.

ثارت ثورة شعب دغل ومرفلة ضد فرض هذه الضريبة؛ لأن الأراضي الزراعية كلها تقريبًا تقع في محافظاتهم مثل بنادر القديم، جوبا العليا وجوبا السفلى، وكانت حزبية دغل ومرفلة تحرِّض الفلاحين والمزارعين على مقاومة الإجراءات الجديدة، وكانت تراها هيمنة وتعسفًا من قبل حزب احتكر السلطة بعد أن أقصى أحزاب المعارضة كلها، ويريد الآن أن يتجبر عليهم بنظام بوليسي.

ممثلو حزب دغل ومرفلة في البرلمان وأعيانهم من الأقاليم حاولوا عرقلة قرار

الحكومة عبر وفود وعرائض والتماسات، ولم تغير الحكومة قرارها أو تعدله، وبدأ مواطنو دغل ومرفلة يرفضون دفع هذه الضريبة بقيادة حزبهم، وكانت هذه بداية حرب معلنة دموية في كل محافظة.

ومن هذا العصيان المدني ما حدث في منطقة غوريساني على بعد ٣٥ كيلو مترًا من مدينة بيدوه يوم ١٨ سبتمبر، ففي هذه الحادثة اعتدى الفلاحون على عسكريين أُرسلا من حاكم الناحية لجلب عشور الضرائب من المنطقة، وعانا من جروح خطيرة من جراء الضر ، وحدثت عشرات بل مئات من المواجهات بين عساكر الحكومة وشعب دغل مرفلة في محافظة بنادر القديمة وبكول الراهنة خاصة محافظة بيدوه. وفي بكول قتل مزارع أخاه جالب الضرائب الذي كان يريد أن يتحصل عليها منه، ولكن الاصطدام الأكثر دموية وغرابة حدث في منطقة باي بالقرب من بيدوه و تسلسلت الوقائع كالآتي:

أنابت الحكومة بقرار منها يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٥٦ الحاج موسى بغر وزير الداخلية فى أن يترأس وفدًا لتهدئة الأهالي في مقاطعة جوبا العليا سابقًا. وزار الوزير كل النواحي (وحدة إدارية جزء من المحافظة)، وناقش الأمر مع الأعيان ورجال الدين وقطاعات شعبية وحزبية أخرى، وكانت الحكومة مقتنعة بأنها حققت نجاحًا في توعية شعب دغل ومرفلة، وستنتهي المواجهات الدامية ولكن النار كانت متوقدة تحت الرماد كما يقول المثل.

ففي يوم ١٦ ديسمبر ١٩٥٦ بعث حاكم ناحية بيدوه السيد/ على محمد من أعيان ليسان بري ليجتمع مع رجال قبيلته المزارعين لإقناعهم بدفع الضرائب الحكومية، ولكن رجال من عشيرته هاجموه وضربوه ضربًا مبرحًا. السلطات أرسلت إلى المنطقة يوم ١٨ من هذا الشهر قوة بوليسية قوامها ثلاثون شرطيًا إلى قرية شويلو لتهدئة الشغب هناك، وإنقاذ المسئولين من القتل، ولكن مقاومة المزارعين كانت شديدة، وراح ضحيتها عسكري من البوليس ومدني.

وفي صباح ١٩ ديسمبر كثف المزارعون هجومهم على البوليس ومات في المواجهات مدني آخر، وكان المدنيان من قبيلة ليسان بري. وفي نفس اليوم أرسلت السلطات إلى القرية الملازم الثاني محمد فارح عيديد ومعه ٣٠ عسكريًا لإيقاف المواجهات واعتقال المسئولين عن الشغب، وبينما كان البوليس ينقل القتلى والجرحى إلى سيارات الإسعاف هاجم متمردون من ليسان بري قوامهم حوالي مائة مقاتل، هاجموا البوليس بأسلحة بيضاء، وكان رد فعل البوليس قويًا، فقد فتحوا النيران على المهاجمين

وقتلوا منهم اثنين آخرين. ألغت الحكومة قانون ضريبة الأرض المزروعة لاحقًا.

حكومة عبد الله عيسى محمود الذاتية تعرضت لمصاعب سياسية وأمنية ملحوظة، ولم تتم بعد دراسة هذه الحوادث الدامية والعصيان الحزبي القبلي الذي أثار هذه الأزمات العنيفة التي تميزت بها فترة الحكم الداخلي ١٩٥٦ إلى ١٩٦٠.

في تقديري أزمات الخمسينيات تتصل بالممارسات السياسية التي كانت تتبعها ما عرف بحكومات الديمقراطية، والتي أدّت بدورها إلى اغتيال رئيس الجمهورية عبد الرشيد على شارمركي في ١٥ أكتوبر ١٩٥٩، والذي أدى إلى الانقلاب العسكري بعد ستة أيام من هذا التاريخ.

شهر يونيو ٢٠٠٦

٤ يونيو:

آخر يوم لي في بيدوه. غادرتها مع عدد من الأصدقاء النواب إلى نيروبي في رحلة على متن طائرة تكسي، أتت برئيس الوزراء من العاصمة الكينية إلى مركز الحكومة، ونحن ننتهز هذه الفرصة لنغادر عليها في رحلة عودتها، واليوم هو الرابع من يونيو ٢٠٠٦م. نزلنا في مطار " ويلسن" للرحلات الداخلية. إجراءات الهجرة تتم دون تعقيدات تذكر في غضون ساعة من وصولنا. خرجنا من المطار كل إلى محل إقامته.

كنت أشعر بتدهور في صحتي في هذه الفترة.

وفي صباح ١٧ يونيو سافرت إلى النمسا للاشتراك في مؤتمر عالمي بفينا مع وفد رسمي من البرلمان. ولكن في اليوم التاسع عشر أصابتني نوبة جديدة بعد سير تحت أشعة الشمس في جو حار خانق. دخلت المستشفى جراء ذلك ودامت مدة علاجي حوالي شهرين بين فحوصات طبية، وعمليات جراحية، وفترة نقاهة قضيتها خارج المستشفى.

طوال هذا الشهر أقمت بفينا.

شهر يوليو ٢٠٠٦

الأحد ٢ يوليو:

وصلت إلى بيت المرحومة هدن يوسف موسى مع أصدقاء آخرين لعزاء أهلها. والتقينا أمها مريم حاج محمد مصلي، وزوجها وولديها وعدد من أقربائها.

ولما عدت إلى الفندق في الخامسة عصرًا كان في انتظاري الدكتور حسن إبراهيم وزوجته دنيا. احتفيا بي في مطعم هندي في وسط المدينة. الطرق في وسط المدينة واسعة، تكثر فيها القصور الفخمة والأبنية المهيبة التي خُطط لها على طراز معماري إمبراطوري جميل. كما هو معلوم فإن فينا هي حاضرة الفنون الأوروبية في العصر الحديث، وكانت صاحبة الثقل السياسي المضطرد لأوروبا الوسطى، والنمسا وريثة

الإمبراطوريات في زمن التوسع الأوروبي خارج هذه القارة.

تغير الوقت وزالت القياصرة وأترافهم الطبقية وتألقهم المستهتر، ولكن آثار أذواقهم الفنية العالية في الفن المعماري وفي الآداب والموسيقي ما زالت حية نابضة وباقية، تشعرها وتحسها في أرجاء هذه العاصمة الفريدة.

بدأ في هذا اليوم الهجوم الإسرائيلي على لبنان.

الإثنين ٣ يوليو:

لليوم الرابع وفؤاد محمود، نجل ابن عمي، يلازمني في سيري ويساعدني فيه، ولكني أشعر بالإرهاق سريعًا بالرغم من الجو الصافي وعودة الهواء المنعش. اشتريت جريدة الأهرام المصرية ليوم الأحد و"ري بوبلكا" الإيطالية من محطة المترو القريبة حيث يوجد هناك كشك للجرائد.

ومما يدعو إلى التساؤل أن الأهرام شبه الرسمية، وهي في طليعة الجرائد العربية تاريخًا ونضالاً تتحدث عن الاعتداءات الإسرائيلية بلهجة محايدة حذرة طبقًا لأسلوب الجرائد الغربية المحافظة، التي لا تنصف العرب عادة في مواجهتهم مع إسرائيل. ويخرج المرء، إزاء هذه الجرائد المحايدة، بانطباع هو أن الأجهزة الإعلامية في عدد من البلدان العربية، التي كان ينتظر منها تعبئة الجماهير للدفاع عن حقوقها المشروعة، ضد الاغتصاب الأجنبي لأراضيها وإذلال بني جلدتها، تنأى بجانبها وتفض أيديها كأنها لا ناقة لها ولا جمل في الاعتداءات الجارية. ينظر هذا الإعلام إلى المشاهد الدامية وسحق المدنيين العزل من منصة عالية، ومع تأفف واضح أحيانًا.

هذا الموقف السلبي، ولا أقول العدواني ، يرسل إشارة إلى الشعوب العربية والعالم بأن الاعتداءات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين واللبنانيين ما هي إلا إجراءات بوليسية عادية ومبررة، مهما كانت قاسية وخارجة خروجًا صارخًا عن القانون الدولي وحقوق الإنسان.

فلا عَجَبَ إذًا أن أصحاب الحق والمستضعفين في البلدان العربية (فلسطين والصومال) لن يحققوا أي مكسب سياسي أو استحقاق قانوني مشروع ما دام العالم العربي ينصرف عنهم كأنه محايد إزاء هذه الأعمال الهمجية والإبادة الجماعة التي يعانون منها منذ زمن بعيد، وتزداد حدتها يومًا بعد يوم.

الثلاثاء ٤ يوليو:

جو صيفي جميل والهواء منعش. أشعر بالإرهاق عندما أمشي نفس المسافة. أتابع المونديال الكروي المقام حاليًا في ألمانيا. خسر الألمان وكسب الطليان بجدارة. لم يكن لعب الألمان مقنعًا ولا مترابطًا، تراهم في الملعب تائهين لا يهتدون إلى عمل جدي. بالعكس كان الإيطاليون كأنهم استيقظوا من غيبوبة ودب الجن في أرجلهم، خفيفي الحركة مركزين أشد التركيز والتناسق. كانوا يلعبون بقوة وشجاعة للمرة الأولى، وحققوا نتيجة لم يكن يتوقعها الكثيرون. كان يجلس في المنصة كل من: رئيسة وزراء ألمانيا أنجلا مركل، ورئيس وزراء إيطاليا رومانو برودي الذي غنَّي، من الفرحة الغامرة مع منتخب بلاده المنتصر، الأغنية القديمة المعروفة ooo sole mio. هذا الخبر أوردته عدة إذاعات إيطالية.

إن المباريات العالمية والتنافس الرياضي يعززان التضامن القومي والشعور بالانتماء إلى موطن وأمة معينة وقيم موحدة لشعب واحد.

كتب د. عبد الملك عودة مقالاً في الأهرام يوم الثلاثاء ٣ يوليو، خلاصته: أن المحاكم الإسلامية والحكومة المؤقتة في الصومال سوف يصطدمان في آخر المطاف، دون أن يسهب في التطورات التي يمكن أن تؤدي إلى هذا السيناريو. وأوضح د. عودة أن الطرفين اعترف كل منهما بالآخر نتيجة لقائهم الأول في الخرطوم، ويرجع سبب نجاح هذا الاجتماع التمهيدي لجامعة الدول العربية.

ولكن السؤال الملح هو: ماذا سيكون موقف الدول العربية من محاكم شرعية تسعى لتطبيق الشريعة الإسلامية في الصومال، والعداء الغربي والإسلامي المحافظ يحيط بها من كل جهة؟

الأربعاء ٥ يوليو:

صحتي جيدة، ولكني أشعر بالإرهاق عند المشي. جو منعش وشمس ساطعة مبهرة مع الخضرة المترامية، خاصة ونحن إلى جنب حدائق "شونبرون" الغنّاء. خرجت إلى وسط المدينة للتنزه والتسوق مع فؤاد محمود، ولم نجد ما كنا نبحث عنه.

بعد الظهر انضم إلينا في الفندق الدكتور عبد الإله أبو بكر "بافو"، تجاذبنا الحديث حول مجريات الأمور في الوطن. كل المغتربين يحنون إلى الوطن لا ينقطع وجدناهم



بيدوه : مركز الدولة المؤقت



صنعاء : وفد البرلمان ورئيس الحكومة اليمنيه السيد باجمال ٢٠٠٥

واسترجاع ذكرياتهم. لا تجد مغتربًا واحدًا انسجم كليًا بمجتمعه الأوروبي الجديد وإن كان منخرطًا في مهنة أو عمل يدر عليه كثيرًا من الأموال. الوطن دائمًا هو الملاذ الحقيقي الذي يحن إليه كل من عاش فيه بغض النظر عن أحواله المؤقتة وغير المؤقتة في الخارج.

حسب خبرتي، ربما يكون الصيني أكثر الناس حنينًا واندماجًا بوطنه؛ إذ من المعتاد أن يعود المليونير الناجح في أعماله إلى قريته وقد بلغ من الكبر عتيًا ليعيش حياة زهد بسيطة ينتظر مثواه الأخير.

في المونديال الكروي فازت فرنسا وخسرت البرتغال، وكانت الأخيرة أجدر وأنشط من لاعبي زين الدين زيدان الذين بدوا منهكين من المباريات المستمرة، زهاء شهر تقريبًا.

الخميس ٦ يوليو:

قالت لي موظفة الفندق: إن بعض النزلاء في غرفة قريبة من غرفتي يشتكون من علو صوت جهاز التليفزيون الموجود عندي. وهذا ممكن؛ لأن هذا الجهاز به خلل فني، فهو يعمل أحيانًا، ويتعطل أحيانًا أخرى. وهذا خلل لا أستطيع أن أزيله بمهارتي الشخصية.

مكالمة تليفونية طويلة مع الأخ م/م/ حسن الموجود في روما. تحدثنا عن الأوضاع السياسية الراهنة وتأثيراتها الاجتماعية في البلد.

رئيس الجمهورية وحزبه متمسكان بالحل العسكري مهما كانت الظروف. يرى الأخ أن التوجه البارز في أوساط الصقور، وهو واضح وغير قابل للحيدة عنه، هو حل المواجهة العسكرية فقط، وإفساح المجال للتدخل العسكري الإثيوبي. إن تدخل أديس أبابا في شئوننا وصل إلى حد لا يمكن السكوت عليه؛ إذ إن حكام أديس أبابا المهيمنين بدؤوا يتبجحون بكونهم الآمرين الناهين في كل كبيرة وصغيرة في المجال السياسي والأمني. وهذا أمر يستدعي وجوب تغيير هذه الموازين السلبية والخروج من المأزق الراهن.

الجمعة ٧ يوليو:

وصلت إلى محطة "وست بانهوف" وهي من المحطات الكبيرة للقطارات، يلتبس اسمها بمحطة المترو والتي تحمل نفس الاسم. أتزود بما يمكن لي الحصول عليه من الجرائد المهمة، وهي بالنسبة لي: فايننشال تايمس، وكوريري الإيطالية.



توقيع إتفاقية عدن بين الرئيسين تحت رعاية الرئيس اليمني على عبدالله صالح - يناير ٢٠٠٦



بيدوه : مقر البرلمان المؤقت



الرؤساء الثلاثة فى البرلمان ٢٠٠٦



الشيخان : شيخ شريف شيخ أحمد و شيخ حسن طاهر اويس



الشيخان فى تشاور



الصومال : عجب العجاب



محاولة إغتيال الرئيس عبدالله يوسف - بيدوه ٢٠٠٦



مقديشو : غارة الجيش الإثيوبي على حي من المدينة



مقديشو : فندق جلوبال



تدمير المنازل والمدارس



قوات الإحتلال



تدمير متعمد للبيوت من قوات الإحتلال



قوات إثيوبية فى مقديشو ٢٠٠٧



مقديشو : تفجير عربية عسكرية إثيوبية



المحاربون الصغار



فرحة الإنتصار



معاناة المدنيين



نازحون فى العراء



المهجرون فى العراء



معاناة النازحين



النازحون تحت الأشجار



ضحايا الحرب الأهلية

عناوين هذه الجرائد مضللة ومحتواها أكثر تضليلاً. تقول كوربيري في مانشيتات كبيرة: إن إسرائيل وحماس يتقاتلان في غزة، وهذا التعبير يعطي لغير الملمين بالموضوع انطباعًا بأن قوتين متساويتين في التسليح والقوة تقتتلان في القطاع. بينما هناك سلاح جو متطور ينفذ عمليات بوليسية بإلقاء قنابل على المطلوبين لديه، غير مبالٍ بالخسائر التي تلحق بالمدنيين العزل من تقتيل وتجريح وتهديم لبيوتهم، أو ضرب للمجموعات الفلسطينية - رماة الحجارة - بالرصاص الحي.

في نفس الإيقاع غير المنصف تحدث فيليب ستيفن في الفيننشال تايمس لهذا اليوم عما يجري الآن في غزة وهو يقارن "إرهاب" غزة بمشكلة الإرهاب في بريطانيا. ثم يلوم توني بلير رئيس وزراء بريطانيا الذي تردد في الإدلاء بتصريح حول العنف بغزة وإدانة الإرهاب. ولكن الأدهى من كل ما سبق ما كتبه شخص يدعى مهدي علام والذي يعاتب بلير على التساهل مع المسلمين غير المتطرفين، وأكرر غير المتطرفين. ومن بينهم كما يقول علام "الإخوان المسلمين" يرى أن هذا التساهل خطر عظيم على جبهة المقاومة ضد الإرهاب. نادرًا ما يكتب كاتب أو صحفي غربي بهذه البجاحة والسطحية عن موضوع التطرف على طريقة هذه الأبواق المتطرفة التي تنفث سموم الحقد والكراهية ضد المسلمين وتدعو إلى إذكاء النار تحت أقدامهم.

الأحد ٩ يوليو:

جاء شينو إلى الفندق ليصطحبني بعربته ويطوف بي في الأقسام التاريخية من مدينة فينا، وهي كلها تاريخ. وانتهى بنا المطاف إلى معسكر اللاجئين على تخوم المدينة. أكثرية النازلين بالمكان من الشيشان والعراق مع مجموعة قليلة من الصوماليين، وبعض النازحين من جمهورية يوغسلافيا السابقة من الاثنيات المسلمة.

ومن اللافت للنظر أن نزلاء هذا المعسكر (المكون من بيوت عادية وإن ظهر عليها الإهمال) من بلدان إسلامية اقتلعت سكانها الحروب والتدخل الخارجي لأسباب غير بريئة. التقيت أربعة فقط من الشبان الصوماليين الذين كانوا هناك في تلك اللحظة. تحدثت معهم زهاء ساعة تحت شجرة في وسط المباني، وهم يرون على غير اختلاف أن اللجوء إلى الخارج أفضل من انتظار عمل تحت حكومة وطنية تعيد البلاد إلى حالة الأمن والاستقرار. يقول بعضهم: إنهم سمعوا من بعض أصدقائهم، عندما كانوا قادمين إلى أوروبا متسللين، سمعوا عن تكوين حكومة صومالية (أواخر ٢٠٠٤). وتشاءموا من هذا

الحدث خائفين أن ترفض الحكومات الأوروبية لجؤوهم. يمكن اعتبار هذه العقلية أنانية صرفة، ولكن من الإجحاف أن نلوم الشباب الذين يركبون البحر إلى جميع الجهات ويستميتون في الهروب إلى خارج البلد؛ لأنهم سئموا من الاقتتال العبثي وتبعاته المخيبة للآمال. بسليقتهم يفهمون أن هذه الحكومات لا يمكن لها أن توفر لهم العمل والاستقرار ولا يمكن الاعتماد عليها، وربما تمثل عائقًا في طريق هجرتهم إلى أرض الله الواسعة.

الإثنين ١٠ يوليو:

في المونديال الكروي فازت إيطاليا ليلة البارحة وخسرت فرنسا التي لم تكن متألقة بأي حال من الأحوال. كان الإرهاق والفتور واضحًا على الفريقين. ومما أدهش الجميع "نطحة" زين الدين زيدان لـ "زامبروتا"، أحسن الهدافين الإيطاليين. كان مشهدًا مخزيًا للروح الرياضية. نطح زيدان اللاعب الإيطالي برأسه نطحًا مبرحًا لم يعرف سببه ودواعيه أحد، فطُرد زيدان للتو من الملعب. خرج قبله تييري هنري حتى أصبح الفريق الفرنسي بدون قدوة وتنسيق وكان لا بد من الخسارة لا محالة.

من السهل أن تلاحظ في فينا أن العمالة الأجنبية هي التي تشتغل في القطاع الخدماتي خاصة الوافدة من بلدان الاشتراكية السابقة: أوكرانيون، بلغاريون، رومانيون، ومن يوغسلافيا سابقًا.

أخبرتني أختي فاطمة بأنها لم تتمكن من أن تغادر اليوم لندن لتجيء مع أولادها إلى فينا حسب المنتظر، لوجود تعقيدات بيروقراطية تتعلق بوثائق سفرهم.

أخبرني أخ اتصل بي من بيدوه، وهو مستغرب، أن الحكومة رفضت أن تلتقي المبعوث الإيطالي ماريو رفاييللي؛ لأن الممثل ذهب إلى "جري عيل" ليلتقي بشيخ حسن طاهر أويس. ومن اللافت للانتباه أن النظام الحالي ليس لديه مساند أوروبي مثل الموفد الإيطالي الذي كان دائمًا متحمسًا لدعم هذا الجهاز المتداعي. كنا نرى رفاييللي منذ توليه هذا المنصب من سنة ٢٠٠٢، عندما أصبح "كميسارًا" للحكومة الإيطالية لمنطقة القرن الإفريقي، أنه لا يضاهيه أحد في سعيه لحماية النظام.

الثلاثاء ١١ يوليو:

الإيطاليون في نشوة فوزهم بالمونديال الكروي ملؤوا ساحات مدنهم بالمهرجانات الصاخبة، ولكن نائب اسمه كالديرولي من رابطة الشمال – العنصرية اليمينية – شمت

بالسود والإرهابيين الذين تحتضنهم فرنسا في أراضيها. استنكر السياسيون الإيطاليون من الأطياف المختلفة التصريحات العنصرية لهذا النائب.

لا نستغرب اليوم أن يعيش الغني والفقير جنبًا إلى جنب في المجتمعات المعاصرة، الترف والبذخ بإزاء الجوع والفاقة. والظاهرة من سنن الحياة؛ إذ فضل الله بعضنا على بعض. ولكن مما يدعو إلى التأمل أن أغنياء الغرب كانوا مولعين بالمغامرات السياحية منذ زمن قديم من ركوب البحر إلى أقطار غير معروفة أو السفر عبر فيافي الصحراء والأدغال الاستوائية. من هؤلاء المغامرين "المستكشفين" أو الرُحلة المترفين الأثرياء لورد بيرون (كان ثريًا ومترفًا) عندما كان في مدينة البندقية، بداية القرن التاسع عشر، كان يصرف ببذخ على الرييسين، كان يمتلك كلابًا، وقردة، وذئبًا، وثعلبًا وعددًا من الغربان)، وفندريديكن (قتل في مدينة باطيري الصومالية وهو يبحر بسفينته في مياه نهر جوبا في منتصف القرن التاسع عشر بعد عطب سفينته) ولورد ديلاميار الذي فتح كينيا للبريطانيين.

في العصر القديم نرى أن شيشيرو [Cicero] صديق الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر والمدافع عنه في كتابه:[رسائل إلى أتكا]، يذكر في رسالة بعث بها إلى صديقه وقريبه وهو موجود في مدينة اللاذقية [laudicea]، في ٢٠ فبراير سنة خمسين قبل الميلاد ما يلي: "إن شابًا ثريًا وعابثًا يدعى بوبليو فيديو [Publio Vedio] جاء إلى مقري ومعه عربتان تحملان أغراضه وأخرى يجرها الحصان عليها سرير (فارهة) وله أتباع كثير من العبيد. ولا شك أنه سيدفع ضرائب بمقدار مائة ألف درهم عند التصديق على مشروع قانون كوريون. في أحد العربات قرد برأس كلب، وكان في حوزته دنانير ذهبية" كان سيسيرون هو نفسه ثري يطوف في المقاطعات الرومانية، سواء في آسيا، أو أفريقيا أو أوروبا (الأقطار المعرفة آنذاك) يرسل رسائله إلى قريبه عبر الخدمات البريدية المنتظمة، والتي كانت دقيقة التوزيع في الإمبراطورية الرومانية. هذا الثراء المحفز على النزهة والمغامرة والذي يشجع السياحة الترفيهية اليوم متجذر في التقاليد الغربية.

أما الرحالة المسلمون أمثال القاضي ابن بطوطة والإدريسي فلم يكونوا أثرياء ولا مغامرين، بل كانوا طلبة علم وباحثين عن الحقائق والظروف التي تعيشها أمتهم.

الأربعاء ١٢ يوليو:

جاءت أختي فاطمة مع أولادها من لندن (إيان، أيانلي، وزهوة) في الليلة الماضية ولم تستطع أن تتصل بي حتى الصباح المتأخر. ومن لندن أيضًا اتصل بي الأخ م/م/ شريف تحدثنا بالتليفون لبعض الوقت. يرى الأخ أن المحاكم الإسلامية، وهي في سدة الحكم في العاصمة وبعض مقاطعات الجنوب، يرى أن قيادتها أجود نوعًا وتوجهًا من أمراء الحرب الذين لم تكن لديهم رؤى سياسية تذكر. بينما المواقف السياسية والإنجازات الاجتماعية للمحاكم ينمان عن نضوج فكري يحسد عليه.

الأخت مريم أوريا بعثت إلي بتحياتها من مقديشو وترجو لي شفاء عاجلاً ونقاهة تفضي إلى الخير.

الخميس ١٣ يوليو:

استيقظت في الرابعة والنصف للاستعداد لعملية أخرى. وصلت إلى مستشفى دناو مع فاطمة وجمال، حيث أُعِدَّ لي كل شيء. تمت الإجراءات التمهيدية ثم العملية الشاقة التي تواصلت لمدة ساعتين. أعد لي غرفة خاصة مريحة. وصلتني من كل مكان تمنيات الإخوة الطيبة بالشفاء العاجل. من دبي اتصلت بي الأختَ المحامية مريم شيخ عبد الله، ومن نيروبي المهندس عبده محمد صبري، والأخت عنب عبدي ديني حرمه. ومن تورونتو- كندا بنتي العزيزة لول شيخ أحمد، ومن تجيللو بنتي رقية معلم مصطفي، ومن لندن أخي الكريم مصطفى شريف محمد. هذه الاتصالات التليفونية من كل القارات كانت متتابعة طوال فترة بقائي في المستشفي وما بعدها. تأكد لي في هذه الفترة أن الشعور بالأخوة والتضامن بين الأقرباء والأصدقاء بخير، بالرغم من أن كثيرين، خاصة الذين يعيشون داخل الوطن، يمرون بحالات يفقد فيها المرء معنى التعاطف والمجاملة.

الأربعاء ١٩ يوليو:

تتواصل الاعتداءات الإسرائيلية الوحشية على لبنان وفلسطين والعالم يتفرج ولا يعمل أو يقول أي شيء. الصحافة الحرة الغربية تضلل قراءها بمقارناتها بين كتيوشات حزب الله البدائية والطيران الحربي الإسرائيلي الذي حوّل جنوب لبنان إلى دمار وأنقاض بعد أن قتل المئات وشرّد نصف مليون لبناني في أسبوعين. تم هذا الاعتداء بالتنسيق مع الدول المتنفذة في مجلس الأمن، ولا يستهدف العدوان تأديب ولا تركيع الأمة، كما يزعم البعض، بل سحقها وإبادتها وإخراجها من أي معادلة سياسية في المستقبل. لا للشعب

العربي حقوق تصان، ولا أدمية تقدّر، ولا تعاطف يذكر إقليميًا ودوليًا. تجرد الغرب عن كل قيمه التي كان يدعي أنه هو رائدها وحارسها.

الجرائد الإيطالية التي قرأتها (كوريري وريببلكا) منحازة كل الانحياز إلى المعتدين، يبالغون في العمليات الإجرامية ويصفونها كأنها عمليات بطولية.

اتصل بي الدكتور عبد الإله أبو بكر حوالي الساعة التاسعة ليلاً ليخبرني بأن فوجًا من مليشيات اتحاد المحاكم الإسلامية اقترب من مدينة بيدوه للاستيلاء عليها. ثم بعد ساعتين اتصل بي ثانية ليخبرني بإعلان الإثيوبيين أنهم سيحتلون بيدوه، مركز الحكومة، للوقوف أمام زحف الإسلاميين على معاقل الحكومة المؤقتة، وأنهم سوف يتصدون لهم بكل الوسائل. وفي هذا السياق صرح وزير الاستعلامات الإثيوبي بأن جيشه سيسحق المليشيات سحقًا. من الواضح التناقض فى موقف المحاكم فهي تهادن الحكوميين من جهة وتحاربهم من جهة أخرى.

الخميس ٢٠ يوليو:

رحلة ترفيهية على نهر دانوب مع فاطمة وأبنائها الثلاث، مريم حاج عباس وبنتها نجلاء، دكتور حسن شيخ أحمد، على شريف أحمد، صفية، أخت مقيمة بفينا. والمجموعة مكونة من سبعة كبار وثلاثة صغار، والرحلة النهرية تستمر ثلاث ساعات، نتنزه فيها على مركب سياحي، وأبهرت الجميع. سبق لي أن رأيت في الستينيات من القرن الماضي الجزء الأخير من دانوب في دلتا الرومانية القريبة من مدينة ماميا، والجزء قبل الأخير في بلغراد- يوغسلافيا في أواخر السبعينيات، ولكن هذا النهر العظيم يبهرك كل مرة بحيويته الخلابة وصفحة مائه الخضراء المتألقة.

وفي الليل أكد لي علي عبد الله ع. من كندا أن الإثيوبيين أعلنوا دخولهم مدينة بيدوه. استغربت كيف أن الإخوة الذين اتصلوا بي في المساء، وهم كثير، لم يعرفوا نبأ الاحتلال الرسمي السافر لبيدوه والمدفوع من قوى الشر والظلم المتسلطة علينا.

إن ما حدث هو احتلال حقيقي واعتداء فج على الوجود الصومالي، وسوف يكون ع/ي أول من يكتوي بهيمنة وغطرسة المحتل.

هذا الاحتلال السافر يختلف عن تواجد قوة عسكرية لـ إيغاد لتثبت الحكومة المؤقتة على الأرض، والزحف شبيه بزحف إسرائيل على جنوب لبنان والذي بدأ في نفس

هذا اليوم ٢٠ يوليو الجاري، له أجندته الخاصة غير أجندة إيغاد، ويخدم مصالح الهيمنة وفي إطار ما يُعرف بـ" محاربة الإرهاب". لكن الصومال ومقاومته المتعافية لن تركع للمعتدي الظالم وسوف تطرده، وسوف يؤدي هذا الاستكبار والغطرسة إلى تقوية شوكة هذه الأمة ووعيها وتلاحمها حتى هزيمة المعتدي.

الجمعة ٢١ يوليو:

أعد لي الأخ علي قور مأدبة في بيته، في المجمعات التي خصصت للاجئين. اصطحبني علي شريف وحسن شيخ أحمد إلى مكان التجمع بعد استخدامنا لمواصلات عديدة. قُدّمت لنا أطعمة من الأطباق الصومالية التقليدية، ولكن لاحظت بعد انتهاء المأدبة أن نجلاء بنت جمال غائبة عن المشهد. وعندما سألت عن سبب غيابها، وهي بنت أربع سنين عفرية يحبها الجميع ويدللونها. كانت دائمًا بؤرة انتباه الجميع، عرفت أنها مستلقية على السرير بعد أن أجهدها القيء. بعد انفضاض الجمع أخذنا الصغيرة إلى مستشفى الأطفال الذي لا يبعد كثيرًا عن النقطة التي نتواجد فيها. عالج الأطباء الصغيرة بجدية وسرعة وأعطوها عن طريق الشرايين محاليل مزدوجة لاستعادة السوائل التي افتقدتها.

الجرائد العالمية لا تذكر احتلال الإثيوبيين لمدينة بيدوه، ولم يعتبروا هذه الحادثة خطيرة على سلام المنطقة وما ينجم عنها من صعوبات متعددة. كوريري الإيطالية كتبت بعض السطور في صفحتها الداخلية متحاملة على الإسلاميين الذين استفزوا نظام أديس أبابا. أما الأهرام فلم تذكر الحادثة، ولم تمر عليها مرور الكرام، بالرغم من أن هذا الحدث سيربك السلام في القرن الإفريقي. لم نستطع أن نعرف حتى الآن حقيقة تعاطي الدول العربية المعنية للاحتلال الحبشي في وقت يتابع فيه الشارع العربي وهو مشدود الأعصاب ما يجري في لبنان. والجدير بالذكر أن تصريحات السيد شيخ شريف الذي كان يجيب على سؤال صحفي استفسر عن الاحتلال : "ما هي المؤازرة التي تنتظرونها من الدول العربية؟ فأجاب: نحن لا ننتظر منهم مؤازرة لم يعطوها لفلسطين.

السبت ٢٢ يوليو:

أنا أول من وصل إلى مستشفى الأطفال حيث تمرَّض الصغيرة نجلاء جمال. باتت أمها معها البارحة. يظهر على الطفلة مفعول الأدوية والمحاليل من خلال نشاطها الموفور واستعادة قواها كالسابق، ولكن الأطباء ينصحون ألاّ تخرج الطفلة اليوم لمواصلة العلاج. جاء إلى المستشفى أقارب وأصدقاء كثيرون لعيادة الطفلة. يوم الأحد ٢٣ يوليو تعافت

الصغيرة واستعادة قواها ونشاطها كاملاً، وستسافر هذا المساء مع أمها وجدتها حوي فارح سجللى إلى ترييستي. تسافر العائلة بعربة مزودة بجهاز التكييف والتي جاء بها خصيصًا محمد عباس صوفي أخو مريم من إيطاليا لنقل الصغيرة وأهلها بدل القطار المحجوز كي لا تتأثر بالسفر الطويل.

ذهبنا جميعًا إلى غداء أعد لنا في بيت الدكتورة فاطمة على عيسى، كيمائية صومالية متجنسة بالجنسية النمساوية. بعد انتهاء الغداء ودعنا المسافرين إلى إيطاليا.

الإثنين ٢٤ يوليو:

اتصلت بي من مطار بلندن أختي فاطمة وأولادها الثلاثة وهم ينتظرون إقلاع طائرتهم.

تتواصل الحرب على لبنان. يتخيل المشاهد غير الملم بواقع الأحداث أن حزب الله هو المعتدي. أغلبية وسائل الإعلام الغربية تسلط الضوء على الضرر الذي ألحقته الكاتيوشات بالمدنيين الإسرائيليين، وأن مدافع ميدانية لهذه الدولة ترد عليها وهي مصطفة في فضاء واسع، كأن الطرفين يتراشقان بالرجمات بصورة متساوية. ولا يظهر على الشاشات الطيران الحربي الذي يجول ويصول بلا رادع وهو يبيد المدنيين بالمئات، يعيث عربدة وفسادًا على بيروت. والكل يتفرج كأنه فيلم هوليودي. أين حقوق الإنسان التي من أجلها قامت الدنيا ولم تقعد بعد مقتل الحريري؟ الدرس الذي نستخلصه من هذه الكارثة اللبنانية هو انعدام حقوق الضعفاء في عالمنا الراهن.

في الصومال تتفاقم المأساة، والمستهدف هو الشعب الصومالي نفسه، ولن يقتصر العدوان على المحاكم الإسلامية، وسوف يواجه الصومال نفس السيناريوهات التي نراها في لبنان وأفغانستان.

الأحد ٣٠ يوليو:

زارني في الفندق جماعة من الإخوة الصوماليين المقيمين بفينا منهم د. حسن محمد إبراهيم، ود. عبد الله أبو بكر بافو (طبيبان) ود. فاطمة على عيسى، والسيد محسن شريف على، والسيدة آمنة، وقريب للأخت المحامية مريم شيخ عبد الله، تجاذبنا الحديث حتى العاشرة مساء.

عندما نتحدث عما يجري في لبنان يشعر الجميع بحسرة بالغة للاعتداءات التي يسحق فيها الأبرياء المدنيين، ولا تميز بين الأهداف العسكرية والمدنية. الأنباء التي تصلنا من بيدوه، مقر الحكومة الصومالية، تؤكد أن البرلمان الصومالي لم ينجح في إسقاط حكومة الأستاذ ع/م/ غيدي.

الإثنين ٣١ يوليو:

أرشدتني وكالة سفريات إلى عنوان مكتب شركة طيران الإمارات الذي وصلت إليه بجهد جهيد، فحجزت مقعدًا في الرحلة إلى نيروبي يوم ٢٨ أغسطس القادم، وأخبرت الجهة التي تتولى شئوني الإدارية أنني أحتاج إلى تغطية قانونية من إدارة الهجرة للمدة التي تزيد على الزمن المعلن بجوازي، حتى خروجي المفترض، وهي تقريبًا شهران.

لاحظت وأنا في وسط البلد، أن أكثرية أكشاك الجرائد مغلقة لسبب العطلات الصيفية، وبالتالي لم أتمكن من الحصول على نسخة من القدس العربي.

لا فائدة في الجرائد العربية الأخرى، التي تتحدث بـ صوت صاحبها. ربما تكون الجرائد الإنجليزية المعروفة بعدائها للعرب أكثر جرأة وإنصافًا من الجرائد العربية في موقفها من الحرب على لبنان. الدبلوماسية الغربية في مجلس الأمن، تتلكأ في الوصول إلى قرار وقف إطلاق النار في لبنان، ربما لإعطاء إسرائيل مزيدًا من الوقت لتنفيذ مخططها وإلحاق أقصى دمار ممكن بلبنان. يجب على العرب أن يعتبروا هذه الحرب بداية لعهد جديد، ينهضون فيه من سباتهم العميق لبدء مرحلة جديدة من المقاومة ورفض الإذلال، ليستعيدوا ما أضاعوه من الوقت في السنوات الماضية، ويقضون على ما أصابهم من تهميش وانحطاط للوزن والكرامة.

شهر أغسطس ٢٠٠٦

طوال الشهر كنت في فينا عاصمة النمسا ما عدا اليومين الأخيرين منه.

الثلاثاء ١ أغسطس:

يوم غائم مطير وبارد. اتصل بي مبكرًا بالتليفون الدكتور عبد الإله أبو بكر "بافو"، وهو طبيب صومالي تجنّس بالجنسية النمساوية، ليخبرني أن صحفيًا أرتريًا يطلب منا أن نشترك في نقاش تليفزيوني حول تطورات الأوضاع في الصومال، بتنسيق من الإذاعة الأرترية العالمية. وافقت على الاشتراك. ولكن بعد قليل طلب مني المنسق السيد حمدان أن أعطيه صورتي، كما أخبرني بأن النقاش سيدور باللغة العربية، وسيبدأ في الثانية بعد الظهر غدًا إن شاء الله.

في محطة المترو "سويدن بلاس" اشتريت نسخة من جريدة القدس العربي وأخرى من الجريدة المصرية "الأسبوع". يبدو لي أن هاتين الجريدتين أكثر تحررًا من غيرهما، من جملة ما يمكن الحصول عليه من جرائد باللغة العربية في فينا. وكلتاهما تستنكر المواقف السلبية للقيادة العربية حول ما يتعرض له لبنان من الدمار والإبادة على أيدي الإسرائيليين.

الأربعاء ٢ أغسطس:

أجرينا الحديث التليفزيوني للقناة الأرترية العالمية في الساعة المحددة له. اشترك معنا في الحديث، أنا وعبد الإله، باحث سوداني كان في إستديوهات التليفزيون الأرتري بأسمرا. دار النقاش حول الأوضاع الراهنة في الصومال وبصورة خاصة نظام المحاكم الإسلامية وعلاقته بالحكومة المؤقتة ومن يؤيدها من الدول المعادية للمحاكم.

اتصلت اليوم بالأخ النائب، أ.د/ محمد واستخبرته عما يجري ببيدوه، وقال لي: إن الإثيوبيين انسحبوا من بيدوه، ولكن عيونهم الكثيرة ما زالت متوغلة في جميع قطاعات الدولة. واستطرد قائلاً: إن استقالة وزراء حكومة ع/م/ غيدي ما زالت مستمرة، ومن بينهم في الفترة الأخيرة حسن أبشر فارح، رئيس وزراء سابق في نظام "عرتي"، المعروف بنظام الحكومة الوطنية الانتقالية. من مقديشو تخبرني ع/ ع/ د أن المدينة هادئة

ويسودها الأمن، مضيفة: "يمكن لك أن تذهب سيرًا إلى أي جهة بلا أي مشكلة أمنية" وهذا في نظري ضرب من المعجزات. اتصلت بصديقي السفير م/م/ حسن الساكن في روما، وهو الآن نائب في البرلمان. تبادلنا الأخبار، وهو في العاصمة الإيطالية، وهو يعتقد أن تصرفات الرئيس ع/ي لا تؤدي إلى حل للأزمة الراهنة بينه ورئيس الوزراء، بل يمكن أن تتعقد الأمور أكثر عما كانت عليه من قبل. يرى حسن أنه ليس من الحكمة في شيء فتح صندوق "بندورا" وليس في يدك إمكانية لإغلاقه. أضاف الأخ حسن: أن الرئيس لا يحظى في هذه اللحظة بتأييد بنتلند، المقاطعة المستقلة داخليًا، والتي ينتمي إليها الرئيس، وخاصة في تصرفاته لمعالجة الأزمة.

وهذا الشد والجذب، الصومالي الحالي، بين رئيس الدولة ورئيس الوزراء، حيث يستقيل فيه جميع الوزراء المعروفين بتأييدهم لرئيس الدولة، خسارة للبلد. وهناك آخرون ينتهزون الفرصة طمعًا منهم في الرجوع إلى الوزارة في التشكيلة المقبلة، وكلهم مدفوعون من الرئيس لإرغام ع/م/ غيدي على تقديم استقالته، وذلك بعد استحالة سحب البرلمان الثقة من رئيس الحكومة.

من الواجهة الأخرى المؤيدة لرئيس الوزراء، سمعنا انتقادات لاذعة من النائب صلات علي جيللي للرئيس عبد الله. وهذا التنافر الشخصي بين هاتين الشخصيتين سيؤدي إلى ضياع التناغم بين مؤسستي الرياسة ورئاسة الوزراء ليصبح الصراع "الأهلي" مفتوحًا على مصراعيه، أسوة بالنزاعات العبثية بين الفئات، تأكيدًا للمثل الصومالي: إذا جاءت الاستغاثة من المسجد فأين المفر؟

ولهذا السبب يبدو أن جامعة الدول العربية، التي كانت تدير الوساطة بين الحكومة والمحاكم، بعد أن تعقدت الأمور بين المؤسسات الصومالية، اختارت تأجيل الجولة الثانية للمحادثات إلى أوائل سبتمبر القادم. أما إذا أدت هذه الأزمة إلى سقوط حكومة غيدي فإن المحادثات التي يشجعها جزء من الدول المحبة للسلام في الصومال، (وجزء آخر يراهن على فشلها أو يسعى إلى إفشالها) ربما تذهب أدراج الرياح.

الخميس ٣ أغسطس:

في السابعة صباحًا وأنا في طريقي إلى المستشفى العام داناو [الدانوب] بالألمانية، ركبت أربع وسائل للنقل ومشيت ثلاثة كيلو مترات للوصول إلى المستشفى. وكانت بالنسبة لي، في هذه الفترة من النقاهة، ممارسة مضنية. انتظرت الطبيب في بهو يتقدمني

في الطابور عدد من المسنين، وعندما جاء دوري في الفحص كانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة والنصف. هذا هو نفس الطبيب الذي لقيته المرة الأولى في السابع والعشرين من شهر يوليو الماضي. نصحني أن أكون تحت فحص مستمر، على المستوى الذي نحن بصدده. وهو يرى أنه لا يمكن لي أن أجد هذه العناية إذا عدت إلى الصومال وأنا في هذه الحالة [انسداد في بعض الشرايين]. وقد أُجريت لي عدة عمليات منذ العشرين من شهر يونيو المنصرم.

وعند انتهاء الفحص قال لي: من المستحسن أن تستشير البروفسور فيبر، وهو رئيس قسم الكارديولوجي بالمستشفى. ولكن عندما ذهبت إلى مكتب البروفسور فيبر بعد نزول وطلوع للأدوار وترهات لوقت غير قليل، أخبرتني السكرتيرات أنه غائب وسيرجع من عطلته يوم ١٤ أغسطس، بعد عشرة أيام من الآن. هذا الطبيب أخبرني من أمري ما لم أسمعه من الأطباء الآخرين، وهم أكدوا لي دائمًا أنني لا أحتاج إلى استبدال الشريان عن طريق باي باس.

أنا أومن كل الإيمان بالعلم وأطمئن للأطباء النمساويين، وأعلم أنهم من أحسن الأطباء في العالم الغربي، ويجب أن أنقاد إلى أوامرهم. ولكني أراهم الآن بين مهوّن ومهول: منهم من يري أنه لا مانع من عودتي إلى بلدي، ومنهم من يصر على بقائي في هذا المكان لأحصل على عناية فائقة.

وتذكرت قصة طريفة حكاها لي في الثمانينيات من القرن الماضي زميلي السفير محمد ورسمه على "كيميكو" وهي أن صديقًا له، إخصائي في أمراض القلب، قال له بعد فحص دقيق بين الجد والمزاح: إنك تحمل قلبًا مات منذ زمن بعيد". ولكنه لم يكترث لحكم صديقه الصارم، ولم يغير من نمط حياته في شيء. وبعد ثلاث سنوات مر بروما، محل إقامة صديقه الطبيب، ليبشره بأنه على صحة جيدة، ولكنه فوجئ بأن صديقه مات إثر نوبة قلبية!

الجمعة ٤ أغسطس:

عبر مكالمة تليفونية من "كلاجن فورت" النمسا، أخبرتني سعاد عمر علاد أن السيد عبد الله شيخ أبو بكر، جارنا في حي حمر جب — جب في ذمة الله، ولم يكن مريضًا قبل وفاته. وهناك حالات مماثلة شائعة جدًا بمقديشو، ربما لأن السكان يعيشون في حالات من الخوف والاستياء والتوتر المستمر، جراء الظروف المأساوية التي يعيشونها.

مررت بمحطة "وست بانهوف" لأشتري بعض الجرائد : نسخة من القدس العربي وجريدة الشرق الأوسط. في الجريدة الأخيرة صورة كبيرة لرئيس الوزراء الصومالي ع/م/ غيدي، تحت عنوان: "رجل في عين الإعصار" بقلم الصحفي على حلاني الموجود بمقديشو. والموضوع يغطي ثلاث صفحات كاملة، من الحادية عشرة. يتحدث حلاني عن الأزمة التي في طور التشعب بين المؤسسات الدستورية العليا للبلاد.

من عدة أيام ألاحظ أن قناة س، ن، ن تبث أنباء وصورًا أكثر اعتدالاً بالنسبة للحرب الدائرة بين حزب الله وإسرائيل. بينما نرى قنوات أوروبية تركز أنبائها على معاناة المدنيين الإسرائيليين، ولا تتورع القنوات عن القول بأن انحياز جورج بوش وتأييده لإسرائيل، الذي وصل إلى درجة لم يصل لها أي رئيس أمريكي سبقه في الكرسي، له مبرراته .

السبت ٥ أغسطس:

توالى سقوط الأمطار من بداية الشهر، وأصبح الجو باردًا جدًّا لا يحبه الناس؛ لأنهم كانوا يتمنون جوًّا صيفيًّا حارًّا ينعمون به ويقضون عطلاتهم في المصائف الدافئة.

شبكة "هيران" للمعلومات نشرت تفاصيل الخلافات بين رؤساء المؤسسات الدستورية الصومالية الثلاث، مما يجعلك بعد قراءتها تشعر بالخجل والأسى.

ع/م/ غيدي ينتقد رئيس البرلمان في وقت تحاك فيه مؤامرات القصر لإسقاط الوزارة. والنواب منقسمون على أنفسهم متحزبون مع رئيس الجمهورية أو مع رئيس الوزراء.

الرئيس ع/ي هو الذي اختار الدكتور ع/م/ غيدي، وهو أستاذ مساعد سابق في البيطرة والإنتاج الحيواني في الجامعة الوطنية الصومالية (وهي الآن لا وجود لها). ولم تكن لدى الرجل أي خبرة سياسية أو إدارية تذكر. جاء اختياره من خارج البرلمان خلافًا لأحكام الدستور المؤقت. واضطر أن يأخذ كرسي نائب من عشيرته ليتولى منصبه الراهن. ومما يدعو إلى الاستغراب أن علاقة رئيس الجمهورية برئيس الوزراء لم تكن مثالية من البداية. ومن الأسرار المكشوفة أنهما صديقان حميمان لإثيوبيا، وفي تنافس مستمر لإرضاء هذا النظام المهيمن على بلدنا. ويعتقد الناس أن إثيوبيا هي التي فرضت على صديقها ع/ي أن يعين ع/م/ غيدي "بنيامين" في هذا المنصب، فإذا اضطر الرئيس ع/ي أن يرضخ لضغوط أصدقائه الإثيوبيين للإتيان بالبروفسور، كان لزامًا عليه أن

يصبر على الشدائد. ولكنه اختار طريق المواجهة المفتوحة مع ع/م/ غيدي، مستعينًا أحيانًا بالإدارة الإثيوبية. ولا شك أنهم يعطونه الضوء الأخضر ويؤكدون له: "قل ما بدا لك". وفي نفس الوقت يربتون على كتف غيدي قائلين له: إنهم ماضون في تأييده أيضًا.

في الفترة الأخيرة ذهب المسئولان إلى أديس أبابا، أو دعاهما إليها النظام الإثيوبي، للمصالحة بتوسط من السيد/ ملس زيناوي ووزير خارجيته سيوم مسفن. ولكن الاصطدام بين الشخصيتين لم ينته؛ لأن مسببات الخلاف قائمة، فالوسيط "النزيه" لا يريد أن تزول بؤرة هذه الخلافات، وإلا بطل السحر.

الأحد ٦ أغسطس:

تحتفي بنا سيدة صومالية مقيمة بفينا واسمها فاطمة علي عيسى أنا والدكتور عبد الإله. وصلت إلى مكان الاجتماع متأخرًا بمقاييس الألمان، وليس بالنسبة لعاداتنا المتسامحة في المواقيت. والمكان مقهى في "سويدن بلاس" والساعة الثالثة عشرة بالضبط. ومن هنا تحركنا إلى مطعم إيطالي بالقرب من الميدان تعرفه السيدة الصومالية-النمساوية.

الأطباق إيطالية على الطريقة الأبروسيسي cucina abruzzese، وهي حسب خبرتي طريقة طهي شبه ريفية ممتازة. وكانت مناسبة سعيدة ومشحونة بذكريات الوطن الجريح والبعيد. الدكتورة فاطمة خريجة الجامعة الوطنية، كلية العلوم، شعبة الكيمياء. سافرت إلى أمريكا للتخصص في الكيمياء — الفيزياء لتصبح مدرسة في كليتها؛ لأنها كانت متميزة بين زملائها، ولكن الحرب الأهلية المدمرة حالت دون ذلك. حصلت على عمل في شركة لإنتاج الأدوية والمواد الكيماوية بفينا، حيث تعمل الآن.

وهذه الحرب الأهلية لم تدمّر فقط مؤسسات الدولة، الوفاق والسلام، بل مستقبل الأجيال الصاعدة، وبددت خبرات الآلاف من الصوماليين المتخصصين، الذين دُربوا بأموال الشعب ليخدموه في جميع المجالات، وليطوره إلى مستوى أحسن.

وردت لنا من الصومال نفس الأنباء المخيبة للآمال. وزير خارجية إثيوبيا جاء إلى بيدوه ليتوسط في النزاع بين الرئيسين للمرة الثالثة أو الرابعة. تفيد المعلومات التي تصلنا من بيدوه بأن سيوم مسفن، وزير خارجية إثيوبيا، نجح في إقناع الرئيس ع/ي أن يعطي لرئيس الوزراء مهلة ثلاثة أشهر، ينهي فيها جميع ما يطلب منه الرئيس ومؤيدوه من التزامات دستورية، ومنها تقديم مسودة للدستور الجديد إلى البرلمان، والتي انقضى موعد

استحقاقها من عدة شهور.

من الواضح أن المنتصر في هذه الوساطة هو ع/ م/ غيدي؛ لأنه سيحصل على مهلة تمكنه من أن يتصرف بحرية، وأن يستعد للجولة الجديدة بكل طمأنينة، ويصفي حسابه مع معارضيه. وهذه المشادة المهينة والصراع المستمر المكشوف أمام الشعب للسنة الثانية، جعل هذه المؤسسة المؤقتة مشلولة لا تستطيع القيام بأي عمل من أجل الأمة، في وقت لا تحكم فيه أي مقاطعة من مقاطعات الوطن. بل استنفد قدراتها المحدودة التطاحن داخل مقرها الجديد، الذي يتعمق يومًا بعد يوم، حتى زوال النظام كله. يعلم كل من يتتبع الشئون الصومالية الراهنة، أن هذا هو ما تريده دول الجوار ألاّ تقوم للصومال قائمة، ولا حكومة فعالة. نحن من القطاع المدني في مفاوضات كينيا، لتشكيل حكومة جديدة، اقترحنا على منظمة إيغاد، رئيسة المؤتمر، والدول المعنية الأخرى، مرارًا وتكرارًا أن يكون على رأس الدولة والحكومة شخص واحد، له صلاحية تنفيذية كاملة، ولكن المانحين تصدوا لهذه الفكرة كل مرة بعناد.

وكان تبريرهم كل مرة واهنًا غير مقنع: سيصبح الرئيس التنفيذي مستحوذًا على جميع السلطات، بما لا يسمح له الدستور، ليصير دكتاتورًا. كان واضحًا للجميع أن هؤلاء "الإيغاديين" الذين كانوا يفتعلون الحرص لإعادة الصومال إلى الديمقراطية، هم أنفسهم مستبدّون في بلدانهم، يُزوِّرون الانتخابات، ويقتلون المئات ليستمروا في كراسي الحكم إلى ما شاء الله.

لا بد لنا أن نعيَ في الحالة الصومالية درسًا آخر عن "الديمقراطية" التي يراد منها استمرارية الفوضى وعدم الاستقرار، ومواصلة ما تؤدّيان إليه من التفكك والتشرذم للوطن الصومالي في المستقبل. لن نخرج هذا البلد من هذه الحلقة المفرغة طالما نحن متكلون على الأجنبي لحل مشاكلنا الداخلية.

الإثنين ٧ أغسطس:

اعتذر دكتور حسن محمد إبراهيم عن مرافقتي إلى مستشفى دانوب؛ لأنه سيتأخر في المستشفى الذي يعمل به لمعالجة حالة طارئة، وهو من المهنيين الصوماليين الذين تجنسوا بالجنسية النمساوية منذ وقت بعيد، في غضون الأزمة .

الأمطار تتواصل ليومها السابع، وأفسدت على الناس عطلاتهم الصيفية، ولا نستطيع أن نقول: اللهم حوالينا لا علينا، خشية أن يتضرر من حوالينا.

تقول الأنباء الواردة من بيدوه: إنّه قد استقال الوزير الأول وحكومته، وأنه سيشكل حكومة جديدة في غضون أيام. يبدو أن الوساطة الإثيوبية آتت أكلها: استبقت رئيس الوزراء ليشكل حكومة جديدة، والرئيس ع/ي سينتهز الفرصة لاستخدام الفيتو ضد المعارضين من الوزراء. وهذا المنحى لا يزيد الأزمة إلا إشكالاً، وتوسيعًا لأرضية المعارضين لرئيس الجمهورية. يقول متحدث من مقديشو، وهو قريب من مراكز السلطة: إن الدول المهيمنة على الشئون الصومالية تلح على أن يحاول الرئيسان استمالة بعض قياديي المحاكم الإسلامية وتعيينهم في حقائب وزارية في الحكومة التي يجري تشكيلها. والنظرية مبنية على المساومة والمشاركة في الحكم ومصدرها غربي، وتتناقض كليًا مع رؤية الصوماليين المتصلبة، والإثيوبيين الانتقاميين الذين يسعون إلى عزل المحاكم ليجدوا ذريعة لتدخلهم العسكري، بمباركة من الدول الكبرى. يمكن القول، بلا تحفظ: إن النظام المؤقت الصومالي في طريقه إلى التفكك والفشل؛ لأنه لا يستمد وجوده من الثقة الشعبية، ولا من صلابة وحدته الداخلية، ولأنه تديره دولة أجنبية حسب مصالحها وأطماعها التوسعية، وضد مصالح صوماليا العليا.

الثلاثاء ٨ أغسطس:

ذهبت إلى المستشفى لأتسلّم التقرير الطبي. كان مشوار الذهاب والإياب طويلاً كعادته، والطقس في تحسن بعد انقطاع الأمطار الغزيرة التي لا تؤثر على العمل أو المرور وإن طالت مدتها، ولا توجد البحيرات الراكدة من مياه الأمطار أو الوحل التي تعرقل المارة، كما يحدث في مدننا الإفريقية. المجاري التحية تصرف مياه الأمطار إلى أماكن محددة بعيدة.

أتابع تطورات الأزمة الحكومية عبر الإنترنت. تقول بعض المصادر: إن رئيس الوزراء ع/م/ غيدي لم يقم بطلب الثقة من البرلمان، طبقًا للميثاق المتبع، وبالتالي وُجِّهت له انتقادات من بعض النواب ولكنه تعلل بأنه لا يقدم حكومة جديدة، وإنما هو بصدد تعديل وزاري عادي.

فإذا كان هناك مخطط لسحب البساط من تحت قدميه لإسقاطه برفض البرلمان الثقة له، أيًا كانت الجهة المخططة لهذا السيناريو، فإن ع/م/ غيدي وثب من فوق المصيدة وتخلص منها بذكاء؛ لأن الدستور لا ينص على طلب الثقة المسبقة في التعديل الوزاري. وكان من الممكن لمعارضي رئيس الوزراء أن يجعلوا طلب الثقة من البرلمان شرطًا

لاحتفاظه بمنصب رئيس الحكومة.

الأربعاء ٩ أغسطس:

قرأت جريدة القدس العربي، وهي الجريدة المستقلة الوحيدة التي يمكن الحصول عليها الآن في فينا. وهي الصحيفة الوحيدة القريبة من الشعور النابض للشارع العربي. كانت جريدة الحياة في التسعينيات، وقبل خصخصتها، شبيهة بتوجهات القدس في الوقت الراهن. جريدة الجارديان اللندنية أكثر موضوعية وعدلاً بالنسبة للقضايا العربية مقارنة بجرائد عربية عديدة .

فاجئتني بعض الانتقادات من المصريين لتصرفات حكامهم ونظمهم السياسية القائمة، حسب ما نشرته جريدة القدس والتي تطبع أيضًا في القاهرة. فإذا كان المواطن المصري يستطيع أن يعبّر عن أفكاره بهذا الوضوح والقوة، فمن الجائز القول: إن حرية الصحافة أصبحت جزءًا من الثقافة الديمقراطية وممارسة الحقوق الدستورية المعلنة هناك. ولا يمكن لي البت فيما إذا كانت هذه الموضوعات الساخنة التي تنشرها القدس والانتقادات اللاذعة للسلطات مجرد تسريبات عبر الإنترنت، وهذا أمر آخر.

في تقديري هذه المقالات أو القطع المقتبسة من المقال لا تجعلك تطمئن إلى أساليبها الصحفية التي تُعزى إلى اللباقة والتوازن، والابتعاد عن الهجوم الكلامي الفج. هذا الأسلوب يرتد سلبًا على الكاتب بينما لا ينال من المنتقد نفسه. ولن يُتأسَّف على اختفاء مثل هذه الجرائد، أو الأساليب الصحفية الهابطة من الأنواع التي قرأتها في القدس العربي.

لا شك أن الأمة العربية تستحق قيادة ذات كفاءة عالية الهامة تنهض بالأمة إلى مستوى أعلى من حاضرها، وتأخذ مكانتها في المسرح العالمي. ولن يتحقق ذلك إلا بأن تراجع هذه القيادة نفسها ولا ترضى لها بالتهميش المقصود، وتحجيم أهميتها ودورها في كل المجالات الدولية، ولن تحقق هذا الهدف النبيل إلا في وحدتها، واستعادة حقوقها المسلوبة.

الخميس ١٠ أغسطس:

في أروقة الأمم المتحدة، الدبلوماسية تعمل بنشاط مكثف للوصول إلى قرار لوقف القتال الدائر بين حزب الله وإسرائيل. واتجه مجلس الأمن نحو قرار يوافق عليه الأعضاء، إلا أن الولايات المتحدة تمدد الوقت بالتناسق مع إسرائيل، لكسب مزيد من الزمن لتحسين

وضعها العسكري، وإلحاق مزيد من الدمار بلبنان وإيلامه بصورة أكثر وحشية.

استمعت إلى نشرات الـ بي.بي.سي/ ق. ص. ولا ذكر لتشكيل الحكومة المرتقبة في بيدوه. جميع الرحلات من وإلى مطار لندن هيثرو متوقفة. أعلن البوليس البريطاني أنه اكتشف شبكة إرهابية تخطط لتفجير الرحلات المتجهة من هيثرو إلى أمريكا وهي في الجو. حالة درامية ومعاناة شديدة للمسافرين . الأنباء الأولية عن الشبكة تتحدث بأن الخلية التي اكتشفها البوليس تنتمي إلى جماعة جهادية لها صلة بالقاعدة، ولكن لم يعلن البوليس أن في حوزته ما يثبت اتهاماتهم.

بثت الإذاعات المرئية صورة للرئيس جورج بوش وهو منفعل جدًا، في تصريح للصحافة يقول بلا أي تردد: " إن المسئولين عن التهديد الإرهابي لمطار هيثرو ينتمون إلى الفاشية الإسلامية ". يمكن للرئيس بوش أن يستفيد من الحدث لكسب بعض نقاط لبرامجه المفعمة بالهستريا ضد الإرهاب، ولكن لن ينجح في جعل "بعبعه" ماردًا منفوخًا يخيف به الشعب الأمريكي.

جريدة القدس تتحدث عن القيادات العربية بصورة لاذعة، وتقارن بين الجيوش العربية التي هُزمت في أيام معدودة في سنة ١٩٦٧ ومقاومة حزب الله التي تصدت لما كان يسمى بالجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر، وجعل الأسطورة خبر كان.

وسائل الإعلام البريطانية تعبر عن فرحة الشعب الذي نجا من حمامات دم كانت وشيكة الحدوث، بأيدي قتلة استباحت دم الأبرياء، حسب زعمها. لا بد أن تَعيَ هذه الاستعلامات الجماهيرية أن دم الأمم الأخرى لا يقل قيمة عن دم البريطاني أو الأوروبي، ويجب أن تنعم الأمم المستضعفة بالأمن والسلام والحرية أيضًا، وليس الإسلام فاشيًا كما يزعم الغربيون، بل الفاشية هي التي تعتدي على الشعوب الإسلامية، تحتل أراضيها ظلمًا وجورًا، وتقتل الآلاف من المدنيين العزل بلا محاسبة. نحن هنا دائمًا في الحلقة إياها: ضربني وبكى وسبقني واشتكى. الاعتداءات السافرة ضد الأمم المستضعفة التي تظهر على شاشات التلفزة لا تُؤنِّب ضمائر أولئك الذين يقولون: إنهم مصدر الحضارة والإنسانية والإحساس المتوقد لبني البشر.

الجمعة ١١ أغسطس:

قرأت في الجريدة الإيطالية "كورييري ديلاسيرا" لهذا اليوم، في مقالتها الافتتاحية حول الإسلام، بقلم رجل اسمه مهدي علام. قرأت سابقًا لهذا الرجل عدة مقالات في نفس

الجريدة، وهو يتحدث عن "الإرهاب الإسلامي" وكنت أظن أن هذا الاسم مستعار، ولكن استضافته في تحرير الافتتاحية بنفس الاسم تدل على أنه اسمه الحقيقي. ولكن يجوز لنا أن نتساءل: لماذا حظي مهدي علام بهذا المقام الذي يتناوبه عادة كبار الكتاب والسياسيين، وهو ليس من نقابتهم. والسبب بسيط: وهو أنه يدين ويهاجم الإسلام "الفاشيستي" على غرار شهد شاهد من أهلها.

والمقال يردد ما قاله جورج بوش مولِّد العبارة الذي يصف الإسلام بلهجة مبتذلة، لا تصدر عن صحفي أو حتى عن شخص يحترم نفسه. كان الرجل دائمًا من حملة لواء العنصرية والفاشية ضد المسلمين والمنظمات الإسلامية الحديثة العهد في إيطاليا. والآن تستخدمه الصحافة المغرضة في مهاجمة الإسلام من هذا المنبر المرموق، ليقدم المزيد من الإساءة إلى الدين الحنيف ورسالته العالمية السمحة. الهجوم على الأديان أو معاداتها المنهجية، كما نرى الآن في الغرب، منافيان للأخلاق والحضارة والحاجة إلى التعايش السلمي بين الأمم. الاساءات إلى الأديان والتعصب الديني، في نظري، ضرب من الهمجية. الإسلام سلام في ثبوته وعقلانيته، ولن تخدشه هذه الهستريا المفتعلة من الإمبريالية الجديدة، وإن كان هو المستهدف كما قال الملك عبد الله بن الحسين، حيث قدم هذا الاستفهام بحذاقة إلى العالم: "هل هي مجرد صدفة أن تكون الحروب مشتعلة في لبنان والعراق، والسودان وأفغانستان والصومال؟". نقول: إن العدوان على هذه البلدان الإسلامية ليس مجرد صدفة بل مخطط لا غبار عليه.

جريدة القدس العربي في أحد مقالاتها تقول: إن العدوان الإسرائيلي ضد لبنان فشل في تحقيق أهدافه المعلنة وغيرها، وهذا الاستنتاج ستكرره الصحافة الحرة العربية. في تقديري، ومما لا شك فيه، أن الحرب الدائرة بين حزب الله وإسرائيل ستغير الموازيين الإستراتيجية والسياسية في منطقة الشرق الأوسط، حيث سيقتنع كل من يهمه الأمر بأن إسرائيل ليست مصنوعة من الحديد والعرب من الفخار، حسب الأساطير المغرضة.

الخميس ١٣ أغسطس:

احتفى بي السيد ياجر والسيدة إنجي زوجته في بيتهم الفاخر في وسط مدينة فينا. وكانت السيدة نائبة في البرلمان النمسوي، قبل الانتخابات الأخيرة. قبل العشاء مررنا بعدد من المحطات السياحية المهمة. المدينة جميلة إلى حد الزهو الطاغي، والتناسق العمراني الأنيق يبهر. لم أجد هذا الجمال في لندن في عمرانها إلى العصر الفيكتوري، ولا في

باريس المعروفة بمعمارها الملكي والإمبريالي الذي أعطى لهذه المدينة لقب "مدينة النور".

فينا كانت مقر الإمبراطورية الرومانية المقدسة من سنة ١٥٥٨ حتى سنة ١٨٠٦م، وكانت مقر الإمبراطورية النمساوية والمجر حتى تاريخ زوال هذا النظام بعد الحرب العالمية الأولى، عندما هُزمت النمسا وألمانيا، وتنازل عن العرش الملك شارلس الأول سنة ١٩١٨م.

من المعالم السياحية في المدينة المكان الذى كان معسكرًا للأتراك العثمانيين الذين ضربوا الحصار على المدينة لشهرين، قبل انسحابهم في سنة ١٦٨٣، وهذه المنطقة كانت خارج السور القديم لفينا والآن هي في وسط المدينة.

الأحد ١٣ أغسطس:

وصلت إلى نفس المحطة "وست بانهوف" لأشتري الجرائد العربية، نسخة من القدس وأخرى من الشرق الأوسط. ما عدا القدس الجرائد الأخرى لا تذكر أي شيء ذا قيمة عن الاعتداء على دولة شقيقة مثل لبنان. بعض الجرائد العربية تحاول أن تكون محايدة بين حزب الله وإسرائيل، كالماشي على السلك في "السيرك". كثير من الصحفيين يقولون ولا يقولون. ولا بد من الإشارة إلى أن بعض الصحف الأجنبية تتناول الحدث على استحياء، بينما قلة من هؤلاء الصحفيين ينحازون إلى السيد/ حسن نصر الله.

يشك المرء في أن كثيرًا من الصحف العربية خصصت لئلا تؤدي الواجب الصحفي الملقى على عاتقها لتسرد الكلام في موضوعات جانبية مملة، هزيلة المستوى. تبهرك المنشآت الأنيقة الإخراج، والطباعة الصافية، وعدد الأوراق المطبوعة الكثيرة. ولكنها ليست من الصحافة في شيء، إذا لم تستطع الصحيفة أن تقول الحق في ظرفه الزمني والمكاني.

الإثنين ١٤ أغسطس:

اتصل بي عدد من إخواني وأقاربي الموجودون في البلدان الغربية.

اعترفت إسرائيل بأن حزب الله هو المنتصر في الحرب الدائرة بينهما، والمفارقة العجيبة هي أن جيشًا نظاميًا حديثًا، ومن أقوى الجيوش في المنطقة، انهزم على أيدي جبهة لا تملك طيرانًا ولا مدرعات أو مجنزرات تواجه بها هذا الجيش، الذي لا "يقهر". ومن البديهي أن الآليات لا تحل محل الإنسان، وأن الحرب نية ثم صبر فإصرار، وأن

اللبنانيين قد جمعوا هذه العوامل وغلفوها بالشجاعة. في الـ سي.إن.إن تابعت مؤتمرًا صحفيًا للرئيس جورج بوش عند إجابته على بعض الأسئلة، لكنه كان ينسى أسماء الأشخاص المعنيين وزعماء الأطراف المتحاربة، فيتمتم متلعثمًا ويجيء بمقارنة غريبة بين حزب الله وإسرائيل على أساس تحليل نفسي من صنعه. إذ يقول:" إن العقلية المسيطرة على حزب الله، وهي عمومًا للعرب، تجعل الناس يبتهجون عند قتلهم لمدنيين عزل، أما الإسرائيليون فيقتلون بقلوب آسية حزينة! والسؤال الذي نوجهه للرئيس هنا: إذا كان الإسرائيليون قد أنعم الله عليهم بهذا القلب الحضاري الكبير، والضمير النابض فلماذا يقتلون ويدمرون الأوطان والمواطنين العرب بهذه القسوة المفرطة؟

الثلاثاء ١٥ أغسطس:

أتابع في قناة سي.إن.إن المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس السوري بشار الأسد، ولكن مترجمًا غير بارع يفسد الترجمة ويشوّه الموضوع، بحيث اضطررت إلى إغلاق الجهاز. أطوف لفترة في الإنترنت ولا أجد فيه ما يلفت نظري من الأنباء عن الصومال وغيرها. وكشك الجرائد في ميدان سوادن بلاس مغلق، لعطلة نصف أغسطس، وفينا شبه خالية.

الأربعاء ١٦ أغسطس:

اعددت نفسي للمشي الطويل بعد التوقف المؤقت للأمطار. نشرة الـ" بي.بي.سي/ ق. ص " لا تزود المرء بمعلومات جديدة.

نشرت جريدة القدس العربي مقالات ابتهاج للجمهور العربي، وأخرى تنتقد الإسرائيليين لقصور حكامهم، وفشل القيادة العسكرية الإسرائيلية لإدارة الحرب مع حزب الله. في وقت يعترف الإسرائيليون أنفسهم بهزيمة جيشهم، يقول الرئيس الأمريكي جورج بوش: إن المهزوم في هذه الحرب هو حزب الله وحلفائه.

انتقاد الإسرائيليين لحكامهم واعترافهم للواقع المرير دليل على أنهم في مستوى مغاير للعقلية السائدة في المنطقة، حيث إنه من المعتاد تحويل الهزيمة، حتى الكاسحة منها، إلى نصر مؤزر.

الحرب والسلم شأن يخص كل مواطن في أي بلد. ولا ينبغي أن يكون أمن الأمة تحت وصاية أي مجموعة بمفردها، مهما ارتفع منصبها، وكان الكاتب الأيرلندي برنارد

شو مصيبًا في مقولته الشهيرة :[الحرب أهم من أن تكون شأنًا للعساكر فقط]. إذا استطاع الشعب أن يقرر الحرب والسلام الفعليين، كما هو الحال الظاهر في إسرائيل، عندئذ يكون كل مواطن جنديًا في الدفاع عن مصير بلده، وبالتالي تتمكن الدولة من أن تُعبئ جميع الشعب بسهولة.

السبت والأحد والإثنين ١٩-٢٠-٢١ أغسطس:

تلقيت عددًا من المكالمات التليفونية من الأقارب والأصدقاء: الأخت فاطمة وأولادها من لندن، جمال ومريم وابنتهما نجلة من نفس المدينة، السفير محمد شريف محمود، على شريف أحمد وعبد العزيز محسن، كلهم من لندن، عبد الرحمن عيدروس، وأحمد مولود من ناشفيل ولاية تنسي، وعبدي صلات طاهر من نيروبي، يريدون أن يطمئنوا على صحتي.

في الإنترنت نُشرت التشكيلة الوزارية الجديدة للسيد ع/م/ غيدي. هذه القائمة تختلف عن التشكيلة السابقة التي نشرتها وسائل إعلام عديدة، وربما كانت الأولى بالون اختبار وتضليل. التنبوآت بالقائمة الحقيقية السرية في التشكيلة النهائية تقول: إن أيادي الرئيس، أو بصماته، واضحة حيث إن كل مؤيديه الأقربين احتفظوا بمناصبهم أو حصلوا على حقائب وزارية موازية. في هذه التشكيلة ثلاثة وزراء سابقين عُينوا كوزراء دولة، دون خفض مستوى وزارتهم معهم. هل سيرضون عن المناصب الجديدة؟ هل تخفيض رتبهم عقاب وممَّن؟

تحدثت في الموضوع مع الأخ م/ م/ حسن الذي يتفق معي في عدة قضايا تجاه هذه الوزارة الجديدة، وأهمها أنها ليس بمقدورها حل الأزمة بين المؤسسات الصومالية، ناهيك عن معالجة الأوضاع المأساوية للبلد الذي يعاني من حروب مستمرة منذ عقدين من الزمن.

الثلاثاء ٢٢ أغسطس:

جميع الأجهزة المرئية العالمية تبث مشاهد المذابح الوحشية والدمار الواسع الذي ألحقته إسرائيل بلبنان. في نفس الوقت أصبح جليًا للعالم أن جيشها لم يظهر كالمارد الذي لا يُقهر حسب الأساطير الدعائية. وقد أثبت حزب الله أنه استطاع أن يحارب ويقاوم هذه الأسطورة لأكثر من شهر، بما لم تستطعه الأوائل من الجيوش العربية في كل حروبها مع إسرائيل سنة ١٩٤٨ حتى الأخيرة، وصدق المثل: "إذا صدق العزم وضح السبيل".

صقور إسرائيل يحلفون بأنهم سوف يبدؤون جولة جديدة من الحرب لانتشال جيشهم من الهزيمة، واستعادة الكرامة المشوهة. يتنامى في ذلك البلد الجنوح إلى القتال، تزداد تعابير الغطرسة والإصرار على محو العار الذي لحق بالبلد، والهستريا العامة. ولكن ما يدعو إلى الاستغراب أن الأغلبية المتحفزة إلى الحرب والانتقام تؤمن بالعنف وفرض قوة السلاح على العرب فقط. وهذه عقلية مريضة لا يمكن قبولها بأي شكل من الأشكال. إضافة إلى ذلك لا يعادي هذا البلد ومن يؤيِّده في الغرب الفلسطينيين العرب فحسب بل العالم الإسلامي، ويصر على الاستيلاء على مقدسات أمة تعدادها ربع سكان العالم.

لا يمكن لبلد مهما كبرت قوته ونفوذه أن يعتمد على الصراع والحرب المستمر مع جيرانه، كوسيلة للتعايش معهم، وهذا منطق معوج يرتد سلبًا على وجود هذه الدولة.

الأربعاء ٢٣ أغسطس:

في الجريدة الإيطالية "لاريبوبليكا" الجمهورية قرأت الجدل المثار حول تصريح قيل: إنه يتعلق بـ "اتحاد الجمعيات الإسلامية في إيطاليا" أو ucii. تقول الجريدة: إن الاتحاد وزَّع على بعض الصحف المحلية بيانات تصف إسرائيل بأنها نظام فاشي. وجاء رد الفعل قويًّا من الجالية اليهودية في روما، ضد تصريح المسلمين الإيطاليين، وعلى إثر رد فعل الجالية اليهودية، بدأت الصحافة الإيطالية تندد بموقف المسلمين وتوجهاتهم السياسية. إنَّ انحياز هذه الصحافة، خاصة المتنفذة منها كـ كوريري دي لاسيرا، لاريبوبليكا، إيل مساجيرو، ضد المسلمين والدول العربية واضح كل الوضوح. وينفخ السياسيون في هذه الحملة الكلامية ضد المسلمين لإرضاء اليهود الرومانيين، حتى إنهم في بعض الأحيان يسيئون إلى المصالح الإيطالية في تماديهم في الدفاع عن هذه الجالية المنغمسة في السياسة والتأييد المتطرف لإسرائيل. والكل في إيطاليا يتودد لهذه الجالية، وخاصة الطامعين في تولي مناصب عامة، لا لأنها تتمتع بهذا الوزن الملحوظ بذاتها، بل للخلفيات المتصلة بها والتي تعمل من أجلها. ولكن هذه الجالية، التي لا يتجاوز تعدادها ثلاثون ألفا، وكانت رافدًا من روافد دولة إسرائيل عند إنشائها، في مجابهة دائمة مع المسلمين تارة، ومع الفاشيين تارة أخرى، ومع أي طرف يجدونه بعيدًا عن محور نشاطهم السياسي.

كيف تنجح هذه الجالية في الدفاع عن بلد يؤمن بالعنف مبدأ والتمييز العنصري عقيدة، يدوس على حقوق العرب والمسلمين، ويبطش عليهم كالكواسر من الطير ولا

يعترف بآدميتهم. ذلك النظام الإسرائيلي أعنف وأظلم من النظام الفاشي الإيطالي؛ لأن موسوليني بالرغم من اتخاذه قانون التمييز العنصري الرديء السمعة، المعروف بـ "قانون الأجناس" لسنة ١٩٣٨م، لم يقم بإبادة اليهود في أرضه. وقانون الأجناس هذا كان تعسفًا على السود واليهود معًا.

وللتاريخ، كان اليهود في أرضنا أجانب عاديين، لا يميزون لكونهم يهودًا أنتوان بس Antoine Besse برياتا Briata وبندا Binda، وغيرهم، كانوا يهودًا إيطاليين وأصحاب أعمال مرموقين. وكان في الحي التجاري بحمروين- مقديشو عدد من تجار اليهود اليمنيين حتى الثمانينيات من القرن الماضي.

وفي هذا الصدد كان يهودي اسمه "غولد سميث أرنست" في مجلس إدارة الغرفة التجارية الصومالية لسنة ١٩٤٨ ممثلاً للجالية اليهودية.[تجد اسمه في وثائق مداولات لجنة الدول الأربع الكبار لاستقصاء الحقائق في الأحوال السائدة في المستعمرات الإيطالية ١٩٤٨]. يجب على الجالية اليهودية الإيطالية أن تعترف بحقوق المدنيين الفلسطينيين الذين يعيشون تحت البطش الإسرائيلي اليومي من قتل، وهدم لبيوتهم، وحرق لثمارهم، وتجريف لمزارعهم، اعتداء مفعم بالكراهية، لم يذكر له مثيل بهذا العنف في التاريخ. ومن المحيِّر اليوم أن الشعب اليهودي الذي عانى من ويلات الإبادة والاضطهاد لما يربو على أربعة آلاف سنة، على أيدي الكلدانيين والبابليين، وقدماء المصريين، مرورًا بمحاكم التفتيش الإسبانية والـ"بوجرومات" الشرق أوروبية، حتى هتلر، يطبق على الشعب العربي نفس المعاملة، مقابل استضافته لهم على أرضه، ومعاملته الإنسانية لهم.

الخميس ٢٤ أغسطس:

يوم كامل خصصته للفحص الطبي ولتجميع الأدوية والأجهزة الطبية التي سأحتاج إليها في الصومال، ولا أجد وقتًا ملائمًا لألتفت إلى تطورات أخرى.

الجمعة ٢٥ أغسطس:

مكالمة طويلة مع الأخ أ/م / حسن. تحدثنا فيها عن التطورات السياسية في بيدوه. توصلنا إلى قناعة بأن النظام هناك لا يمكن له الخروج من الأزمة الهيكلية التي يعاني منها، مهما حاول من تغييرات شكلية. وأن أي طاقم وزاري جديد سيخلق مزيدًا من المعارضين، سواء من الطامعين في الحصول على مناصب، أو من غاضبين تُركوا خارج الحلقة في الغربلة، أو المعينين في درجة وزارية دون مناصبهم السابقة. إن هذه "الشلة"

السياسية لا يمكن لها أيضًا إنجاز أي قسط من التعهدات التي أعلنت للشعب بأنها ستنجزها في الوقت المحدد لها، وكانت خمس سنوات مضى منها سنتان، لغياب رؤية صادقة وإرادة مخلصة، وانحصر نشاطها في التنافر والتحزب، وحبك المؤامرات المتبادلة، ويشجع الإثيوبيون هذه الخلافات بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

في بيدوه تختلف رؤية الحكومة حول التصالح مع المحاكم الإسلامية: فئة ترى أن المحاكم في أزمة داخلية، وليس من الحكمة أن يُوقف هذا التطور في بناء كتلة تعارضهم وتعيد وحدتهم إلى التماسك، وهي جبهة الصقور الحكومية. بينما المجموعة الأخرى (الحمائم) تتبنى طريقًا براجماتيًا لا ينبني على احتمالات غير موثوقة النتائج، وتحث القيادة على فتح المفاوضات بلا شروط وبوتيرة سريعة للوصول إلى مصالحة يرضى عنها الطرفان.

الفئة الأولى يتزعمها الرئيس ع/ي وشيعته والأحباش ومَنْ مِنْ ورائهم. ومعلوم أن خطط الإثيوبيين العسكرية، لمحاربة المحاكم في الأدراج من زمن بعيد. أما الحمائم، حسب المصطلح الشائع، فإنهم يرون أن استيعاب رجال الدين في الحلول السياسية الممكنة، لتفادي حرب مدمرة جديدة على البلد، من شأنه إفشال المخطط الأجنبي الرامي إلى احتلال البلاد.

استمعت إلى بي.بي.سي/ق.ص. وتابعت عبر الإنترنت هيران أون لاين ليوم الخميس ٢٤ أغسطس، ولا أجد فيه ما يجذب الانتباه. قرأت في القدس العربي مقالاً يتعلق بتصريح للرئيس السوداني حسن عمر البشير، يقول فيه: إن الشيخ حسن نصر الله "بيَّض" وجه الأمة العربية والإسلامية. هذا تعبير مجازي يمكن قبوله على وجه العموم، لكونه عفويًا، ولكن الرئيس البشير الذي يتزعم أول بلد يشير اسمه إلى لون بالذات وهو السودان، كان من المستحسن أن يقول: "نوّر وجه الأمة العربية والإسلامية"، أو أعاد إليها كرامتها وعزتها؛ لأن السواد عكس البياض في ذاته لا يمكن أن ينطوي على انتقاص.

٢٦-٢٧ أغسطس:

تسلمت بعض الأدوية التي طلبتها عبر التليفون في الفندق في الساعة ١٤,٣٠ حسب الميعاد المتفق عليه. ثم ذهبت إلى محطة" وست بانهوف"لأبعث بعض الرسائل إلى الأصدقاء وأشتري بعض الجرائد.

أقام الإخوة الذين تعرفت عليهم بالمدينة حفلة وداع لي في الساعة الخامسة مساءً.

وكان محل الاجتماع في كفتيريا على هضبة فوق فينا، خلابة المنظر. كان اللقاء أخويًا حارًا جدًا يشعر الجميع بالحنين إلى الوطن.

الصوماليون المغتربون، مهما كانوا في رغد من العيش والأمن، فإن الصومال الأم في وجدانهم جميعًا، ولا يمكن أن يغريهم بريق البلدان الغنية؛ لأنهم سيكونون دائمًا غرباء لا ينصهرون فيها بسهولة، لوجود حواجز: سيكولوجية- ثقافية-عنصرية. ولا يمكن أيضًا للصومال أن تستعيد كمالها وأحوالها الطبيعية إلا بأن يستنقذه هؤلاء المتعلمين الذين التجؤوا إلى الغربة، وأخذ مكانهم الجهلة والغوغائيون والانتهازيون الذين نهشوا ونهبوا ممتلكات الدولة ثم هدموا كيانها.

شهر سبتمبر ٢٠٠٦

من ٧ سبتمبر إلى ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٦ أقمت بمقديشو.

الخميس ٧ سبتمبر:

رجعت من النمسا إلى نيروبي يوم الثلاثاء ٢٩ أغسطس ٢٠٠٦ ومكثت في العاصمة الكينية حتى تاريخه.

جاء محمد جلال، سائق التاكسي، في الوقت المناسب ليوصلني إلى مطار نيروبي جوموكينياتا، وكنت متأخرًا شيئًا ما بالنسبة لمن تقدم لحجز نواصي الصفوف. أمامنا طابور يتحرك ببطء شديد. انتظرنا دورنا في مرور المسلك الإلكتروني لفحص العفش. يبدو أنهم لا يكترثون للتدقيق في الأغراض كما هو الحال مع الخطوط الجوية الأخرى، خاصة الرحلات المتجهة لأوروبا عامة.

نقلنا إلى مقديشو الخطوط الجوية أفريكان إكسبريس أيرويس. هناك طرق ملتوية في ميزان العفش وتحديد الأمتعة بين المسافرين وموظفي الشركة مما يعيق سلاسة ميزان الشنط. ننهي إجراءات د خول صالة الترنسيتت عبر مكاتب الهجرة.

قبل الدخول إلى الطائرة يتكون مرة أخرى طابور طويل في انتظار سيدة مريضة ومسنة كان يحاول بعض الأشخاص حملها إلى جوف المركبة الهوائية. ثم ركوب الطائرة وكانت الرحلة قصيرة وممتعة. وصلنا مقديشو في ساعة ونصف. نزلنا في المطار القديم وليس للصالات سقف نستظل تحته. لم أنزل في هذا المطار منذ ١٩٩٣، وكان الناس يستخدمون مطار بللي دوجلى ومطار الكيلو خمسين، وأحيانًا مطار عزلي في شرق المدينة، وكلها مطارات غير مجهزة لاستقبال الرحلات العادية. استقبلني في المطار جمع غفير من الأصدقاء والأقارب، منهم الأخ محمد عبد الله والمرحوم شيخ محمد أحمد محمود شيخ أبا، وزوجتي عائشة، والسيدة نصر وهيلي مالن، والحاج محمود محمد نور، وقد أعد الشيخ أبا رحمه الله وغفر له ذنبه موكبًا من أبنائه وأقاربه من المرحبين بي بدفوفهم وقصائدهم في مديح النبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا النوع من الاستقبال يضرب بجذوره القديمة في تقاليد سكان مدن بنادر العريقة. اصطحبني الموكب إلى منزلي، وواصلوا ضرب دفوفهم وإنشاد قصائدهم لفترة.

كان ترحيبًا أخويًا حارًا لا أنساه. كان شيخ أبا رحمه الله (توفي أواخر ٢٠٠٨) من كبار علماء الصومال ومن الحافظين لكنوز الكتب في الحضارة الإسلامية، كما كان مرجعًا دينيًا أساسيًا، وملمًا بتاريخ البنادر وصلتها بالجزيرة العربية. تعرفت عليه منذ أربعين سنة، وكان عاقلاً عالمًا هادئًا بشوشًا، لا تغيب عنه نبرة التفاؤل والتطلع للخير ولو في الظروف الحالكة المأساوية التي عاشت فيها مدينة مقديشو، لم ينزح عن مدينته، حتى عندما كسرت المدافع جدران منزله بحمروين. كان الشيخ رحمه الله حامي المجتمع البنادري بمقديشو وجله يسكن الآن هذا الحي العريق، وكان تحت رعايته التامة: يكسوهم، ويطعم فقراءهم، ويعود مرضاهم في بيوتهم. ولولا وجوده بمقديشو لهُدِّم حمروين وهجرته المئات من سكانه الأصليين، ولأصبح الحي خاويًا ومهدمًا كحال الحي القديم التوءم له وهو شنجاني. نتضرع إلى الله أن يبدلنا بخير خلف عن الشيخ الذي كان خير سلف، يكون ظهيرًا لمجتمعه وأمته، إنه على ما يشاء قدير.

الجمعة ٨ سبتمبر:

يسود الأمن أرجاء العاصمة مقديشو تحت نظام المحاكم الإسلامية، ولكن يلاحظ من الوهلة الأولى أن آراء الناس منقسمة بين مؤيدة بلا تحفظ ومتوجسة لما تعتزمه المحاكم من تطبيق أوامر صارمة شكلية تضاعف من صعوبة الأوضاع.

الفرقة الأولى تعيش في غمرة الأفراح منذ أن استولت المحاكم الإسلامية على المدينة، وتتطلع بتلهف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية المزمع تعميمها على جميع المحافظات، حسب البرنامج المعلن عنه من الإسلاميين. ولكن المنتقدين للمحاكم أكثر من المنتصرين والمتشيعين لنظامها. الاختلاف سنة من سنن الحياة، والتحزب من شيمة أهل هذا البلد الذي يعيش في جو من الانفلات الأمني والسياسي لأكثر من ١٦ سنة.

من الناحية الأخرى، يحسب الجميع للمحاكم أنهم نجحوا في استتباب أمن العاصمة، وفتح الميناء والمطار الدولي. وبدؤوا محاربة الفساد والسرقة وتفشي المخدرات والرذائل. لهذا يشعر الناس بالاطمئنان والأمان، بالرغم من استمرار حصار العاصمة، وعدم وضوح معالم المستقبل القريب والبعيد.

زارني في بيتي لفيف من الأصدقاء. دارت الدردشة حول النظام الجديد، وهو موضوع لا يتغير في الوقت الراهن. يرى البعض أن القيادات الإسلامية تنعدم لديها الحنكة الإدارية، وأن إجراءاتها لتثبيت الأمن تتعثر كثيرًا.

السبت والأحد ٩، ١٠ سبتمبر:

زارني جاري وصديقي المهندس يوسف علي محمد "بحار" وجمع من الأقارب، وكلهم يريدون أن يطمئنوا على صحتي ويهنئونني بنجاح العملية التي أجريت لي بفيينا النمسا. وكالعادة يعلق الجميع على حكم المحاكم والتخبط الواضح لهم في التعاطي مع الشئون الإدارية. جميع زواري يقرون كسابقيهم بأن المحاكم أحسن من أي نظام سلطوي ادعى تشكيل دولة أو إدارة لمقديشو؛ لأنهم عكس الأنظمة التي توالت على البلد، في فترة الأزمة، لهم اهتمام خاص بمعالجة شئون العامة كإدخال الإصلاح، وتطبيق القانون.

في يوم الأحد: يجري العمل في كل مكان لتنظيف العاصمة المهدمة.

زرت عبد القادر حسين روبلي وهو طريح الفراش منذ أسابيع، وحالته الصحية صعبة للغاية، ولكنه يتمتع بمعنويات عالية.

تتحدث الجرائد المحلية (وهي بمثابة لافتات) عن تهديدات محمد إبراهيم حابسدي الذي يهاجم الرئيس مطالبًا إياه بإخراج مليشياته من بيدوه. لا تتضح دوافعه الحقيقية وراء هذا المطلب؛ لأنه تصالح مع الرئيس على مراحل عدة في السابق.

زرت الأخ المحترم م/ عبدالله/ حسين في مكتبه حوالي الساعة الحادية عشرة. وجهت إليه عدة أسئلة عن طبيعة المحاكم الإسلامية وأيدلوجياتها المختلفة. استخلصت مما سمعت منه، ومن أصدقاء آخرين في مستواه من المثقفين، أن هذه الجماعة التي تستظل الآن تحت مظلة ائتلافية تنتمي إلى جذور أربعة أصلية. وكل مجموعة تنقسم بدورها إلى فصائل فرعية تتسم "بكفاحها الخاص" لا يختلف الناس في أن أغلبية الفرق ترمي إلى الوصول لمصالح شخصية سلطوية نفعية.

من ضمن هذه الفرق من اشترك في محاربة الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، وهي متشددة في رؤيتها الجهادية وأصوليتها الراديكالية، التي لا تريد في المحصلة الأخيرة الوصول والاكتفاء بحل محلي للأزمة.

أما بخصوص المسائل السياسية والإدارية فهناك تخبط واضح وتصرفات غير مسئولة، من جانب المليشيات القديمة التي انقلبت (بقدرة القادر) إلى مليشيات إسلامية بعد أن تعممت.

من اللافت للانتباه أن نظام المحاكم الإسلامية ليس نتاجًا جديدًا في المعادلات

السياسية المحلية، فقاعدته قبلية، وأصله من المحاكم القبلية ومليشياتها من نفس القاعدة، وهي التي كانت تخرب وتقتل وتنهب.

أما موازين اقتسامها للسلطة فما زالت مبنية على الاعتبارات القبلية. وهذه التركيبة تدل على أن المحاكم لم تنفصل، ولن تنفصل في المستقبل، عن الولاءات والممارسات التقليدية إلا شكليًا.

تأييد الشعب في الوقت الراهن في الداخل قوي؛ لأن الحكومات المؤقتة التي تعاقبت منذ عام ١٩٩١ (علي مهدي) لم تبد اهتمامًا جديًا لإحياء الدولة عبر برنامج واضح المعالم، يستند إلى برجماتية جريئة وفعالة.

الثلاثاء ١٢ سبتمبر:

جريدة "حج أغال"، (كشف الأسرار) تطورت من صيغة منشورات بسيطة الطباعة إلى جريدة عادية الطبع مكونة من ٨ صفحات، تظهر فيها الصور بوضوح، ولكن مستوى محتواها لم يتغير؛ لأن صحفييها لم يتغيروا.

في عددها اليوم ثلاث صور لشخصيات تدور حولها الأخبار هذا الأسبوع. وهم طاهر ريالي كاهن، رئيس صوماليلند، وحسن عدي غابو، عمدة مقديشو السابق، ومحمد إبراهيم حابسدي، من قياديي حركة مقاومة رحنوين السابقة. حابسدي في تصادم حاد مع الرئيس عبد الله بعد حادثة مطار بيدوه التي قُتل فيها ستة أو خمسة من المليشيات المرابطة في المطار والتابعة لجناحه، وذلك في يوم ٤ من الشهر الجاري.

إثر هذا الحادث اشتدت خصومة حابسدي مع الرئيس، وطلب منه أن ترحل مليشياته من بيدوه وتخليها للمليشيات المحلية والبوليس المحلي. من الواضح أن زعماء رحنوين ليسوا راضين عن الطريقة التي عُولجت بها هذه الحادثة من قبل الحكومة، ويدينون تصرف رئيس الجمهورية الذي لم يعر اهتمامًا كافيًا للأزمة في وقت كان فيه حراسه هم الذين ارتكبوا المجزرة، ورفض اللقاء بالزعماء المحليين لأكثر من أسبوع.

ولكن يعتقد الجميع أن حابسدي الذي رحب بمليشيات الرئيس بمدينة بيدوه سوف يتصالح معه إن عاجلاً أو آجلاً بعد شفاء غليله. أما العمدة السابق عدي غابو فصرّح للإعلام بتصريحات قال فيها: "إن المحاكم الإسلامية قد تنكرت لانتفاضة شعب مقديشو وخيبت آماله في تحسين أحواله المعيشية".

الأربعاء ١٣ سبتمبر:

حسب بث الإذاعات المحلية واقتباسًا من حديثه المباشر، عبر راديو هورن أفريك، أعلن الشيخ حسن تركي أحد أساطين اتحاد المحاكم الإسلامية ورئيس فصيل رأس كيمبوني الإسلامي، أنه لا يعتزم الإغارة على مدينة كسمايو، وذلك تناقض مع تصريحات حسن دير المؤيد لسلطة وادي جوبا. يؤكد الشيخ على أنه ذاهب إلى مركزه في رأس كيمبوني ولا تعنيه الأمور المثارة من أتباع هذه السلطة، ولكنه يرى، متناقضًا، لزوم تطبيق الشريعة الإسلامية على كسمايو ومثلها المدن الأخرى التي سوف يتخذ مجلس الشورى قرارًا نهائيًا بتولي المحاكم إدارتها. وأجاب عن سؤال حول ممارسته للقبلية قائلاً: "لو كنت أؤمن بالتعصب القبلي لما حاربت في مقديشو كما فعلت".

ربما يتوقف القيل والقال ولو مؤقتًا حول الغزو المرتقب لكسمايو من قبل المحاكم بعد التصريحات المطمئنة للشيخ تركي.

من ناحية أخرى، قرر مجلس الأمن للوحدة الإفريقية إرسال ثمانية آلاف جندي إلى الصومال لحماية الحكومة المؤقتة. ينتظر أن ينتشر أربعة آلاف جندي في البلد في غضون شهر سبتمبر الجاري.

ومن الداعي للدهشة أن الاتحاد الإفريقي والدول الكبرى من ورائه، والدافعة لهذه الخطوات الاستباقية، يضرب عرض الحائط بالقرارات والنتائج الإيجابية التي أسفرت عنها محادثات الخرطوم بين المحاكم والحكومة المؤقتة. ومن الجلي أن أديس أبابا والدولة العظيمة المؤيدة لها يستعدان لإشعال حرب جديدة على الصومال، ولن ترضى عن أي مساومة سياسية بين الصوماليين ما دام طرف من المفاوضات "إسلاميًا وإرهابيًا".

الخميس ١٤ سبتمبر:

أحاول أن أجري بعض التمرينات الرياضية ولكني أشعر بكسل وآلام في الجسم. عدد من الناس الذين يزورونني ينتقدون أساليب حكم المحاكم الإسلامية. يريدون أن يتدخلوا في أمور إدارية واجتماعية شديدة التعقيد. ويرون ضرورة اتخاذ إجراءات سريعة الوتيرة، منها: إزالة الأبنية والأكشاك العشوائية التي بناها النازحون الفقراء في تقاطع الطرقات لكسب العيش اليومي المحدود. كيف تزال هذه العشوائيات والبطالة هي القاعدة الثابتة في البلد، والفقر يمتد كل يوم إلى عمق جديد؟ لن تكون أولويات أي إدارة في هذه المدينة مشاكل جانبية من ذلك القبيل. ومن الظلم أيضًا أن يطلب من هذه المحاكم، عديمة

الخبرة والمهنية، أن تعمل كل شيء في ظرف ثلاثة أشهر، وهي فترة تبوئها للحكم، ما تراكم من آثار الدمار لعقدين من الزمن.

من ناحية أخرى بدأت القبلية تطل برأسها الخبيث وتتحدى المحاكم، حيث إن ممثلي قبيلة متنفذة يصرخون لأنهم لم يحصلوا على سهمهم الذي يفترض أن يحصلوا عليه من إدارة المحاكم القائمة. وكانت القبيلة تطمح في أن تتولى إدارة الميناء الجديد لحراستها هذا المرفق سابقًا.

نسمع منذ أسبوع في حينا بحمرجب ـ جب طلاقات عيارات نارية مرتين بالليل على الأقل، وعند بحث الأسباب عبر المتابعين للحدث انتهينا إلى هذا الاستنتاج الغريب: "ترى المحاكم تحليق الطائرات الأمريكية التي تحوم فوق العاصمة بمثابة اعتداء على حكمها؛ ولهذا أطلق بعض المسلحين النار من مدافعهم صوب هذه المركبة "الحائمة". وهذا يذكرني بالفيلم الهوليودي القديم: "العَدوَّان اللدودان" كان عساكر أفارقة في الجيش الإيطالي يرمون الرماح صوب الطائرات الحربية الإنجليزية المغيرة. كان يمثل في هذا الفيلم كل من "ديفيد نيفن" الإنجليزي و"البرتوسوردي" الإيطالي (عدوَّان في الحرب).

ربما الرجمات المتصدئة التي في حوزة المجاهدين لا تنطلق ولا تضرب هذه الطلعات التجسسية الأمريكية المتواصلة ليلاً ونهارًا منذ قرابة سنة. وهي تراقب كل صغيرة وكبيرة تتحرك في الأقطار الصومالية، ولا تخشى قوة رادعة ضد استفزازاتها. ويعتقد أنها تقلع من السفن الحربية الراسية قبالة شواطئنا.

الجمعة ١٥ سبتمبر:

حوالي الساعة العاشرة صباحًا سمعنا طلقات عيارات نارية متتالية تجيء من جهة الميناء الجديد القريب من مساكننا. خمن البعض أن هناك مواجهات كانت مرتقبة بين أصحاب "الصندقات" (الأكشاك) العشوائية وهم مسلحون، وإدارة الميناء التي حاولت إزالة أكشاكهم.

ولكن بعد وقت قصير أخبرنا شاهد عيان أن المواجهة هناك كانت بين جماعة من عشيرة سليمان وإدارة الميناء، عندما احتشدت هذه الجماعة أمام المرفق مطالبة بـ "حقوقها المسلوبة". ولما تعالى الاحتجاج أمام الميناء أطلق عساكر المحاكم النار لتفريق المتظاهرين، وقُتل في هذه المواجهة شخص واحد.

تدعي العشيرة أن الميناء كان تحت حراستها منذ سنة ١٩٩٥ عند انتهاء الانتداب الأممي "يونيصوم"، وسلمت الميناء للمحاكم، ولم يعط لها أي تعويض عن الخسائر التي تكبدتها في السنوات الطويلة التي كانت تحتفظ فيها هذا المرفق، وصانت سلامة الأبنية التي يتكوَّن منها.

ذهبت ومعي الحاج محمود نور أفكورو، والحاج عثمان لنقرأ الفاتحة وسورة الإخلاص ترحُّمًا على روح العمة فاطمة برخدلي الطاهرة، في الكيلو التاسع عشر بطريق أفجوي.

صلينا صلاة الجمعة في مسجد عند مصادر مياه مقديشو في الكيلو الثامن عشر. تبدو على مجموعة المصلين آثار النزوح وصعوبة المعيشة. يفر الناس من البوادي والأرياف وينصبُّون على العاصمة التي تعيش هي نفسها في حالة بؤس شديدة ومعاناة لا حصر لها، الناس كالظمآن الذي يُخيَّل إليه أن السراب ماء فرات.

الأحد ١٧ سبتمبر:

قتل البارحة مسلحون مجهولو الهوية الراهبة الكاثوليكية "سيستا ليونيلا"، التي كانت تعمل ممرضة ومدرسة في التمريض بمجمع ومستشفى "سوس" بضاحية مقديشو الشمالية.

كانت الراهبة إيطالية من مدينة كازالي من شمال إيطاليا، يقال: كان عمرها يناهز ٦٥ سنة، وقضت جل عملها التبشيري لخمسة وعشرين سنة بكينيا، وفي السنوات الخمس الأخيرة عملت بالصومال. أكد البعض أن القتلة كانا شابين مسلحين ببنادق أوتوماتيكية، أطلق أحدهما الرصاص وهي بمحاذاة باب المستشفى، وسدد الآخر عليها أربع طلقات في الصدر والبطن. كما قُتل في الحادث أحد حراسي المستشفى. أزعجت هذه الحادثة الإجرامية سكان العاصمة بصورة عميقة.

منذ بضعة أشهر نبشت جماعة متطرفة مقابر الجالية الإيطالية سابقًا، وأخرجوا عظام الموتى إلى العراء، وبعثروا بعضها بعيدًا عن المقابر. وقعت هذه الحادثة في نفس الحارة هري وا، حيث قُتلت الراهبة. هؤلاء قوم يتحدون القيم الإنسانية وينالون من سماحة الإسلام الذي ربما باسمه يقترفون هذه الجرائم المقززة.

الإثنين ١٨ سبتمبر:

في بيدوه نجا اليوم الرئيس ع/ي من محاولة اغتيال خطط لها مجهولو الهوية.

ارتطمت عربة مفخخة يقودها انتحاري بإحدى العربات التي تسبق الرئيس عندما بدأ موكبه السير في الطريق أمام البرلمان. يبدو أن الانتحاري كان يهدف إلى تفجير السيارة لاندكروزر التي كانت تقل الرئيس. أكدت المصادر موت عشرة أشخاص وجرح عدد مماثل جراء هذه الحادثة المروعة.

نأت المحاكم الإسلامية بجانبها عن مسئولية هذه المحاولة عندما صرّح رئيس جهازها التنفيذي شيخ شريف شيخ أحمد بقوله: "من المحتمل تورط إثيوبيا في العملية لتصفية حسابات مع المستهدف". وقد بثت قناة الجزيرة تصريحات شيخ شريف.

كانت محاولة الاغتيال قد أعدت بمهنية عالية لا تقل دقة عن مثيلاتها في العراق وفي أفغانستان. يعتقد أن الانتحاري، الذي كان عملاقًا حسب شهود عيان رأوا أوصال جثته المتناثرة في الطريق، لم يكن صوماليًا. هذه الحادثة المروعة مست حفيظة الشعب في كل مكان، ويخشى الجميع أن تكون هذه العملية بداية لعمليات عنف وقلاقل ستصعد من جديد حالة الاقتتال والتشرذم. تضرر في هذه العملية مدنيان لم يكونوا من المستهدفين المباشرين، ماتوا وضاعت ممتلكاتهم.

وفي أثناء هذه التفجيرات لم تتوقف جلسة البرلمان والحادثة تقع أمام بوابته الكبيرة، بل تابع عمله كأنه لم يسمع عنها، بل أجرت رئاسته التصويت على برنامج الحكومة الذي حظي بموافقة البرلمان بـ ١٧٤ صوتًا، واختلف النواب فيما بعد حول صحة التصويت في تلك الظروف.

الثلاثاء ١٩ سبتمبر:

يوم افتتاح الدورة الحادية والستين للمجلس العمومي للأمم المتحدة. حضور رؤساء الجمهورية ورؤساء الوزراء كان كثيفًا ولكن هيئة الأمم المتحدة تبتعد شيئًا فشيئًا عن الاهتمام وعن وجدان العالم النابض. كانت أمنية الشعوب أن تكون هذه الهيئة درعًا لوقاية الشعوب الفقيرة من بطش الكبار، وتحقيق الرخاء في البلدان المتخلفة عبر علاقات اقتصادية تجارية عادلة. تلاشت هذه الأماني منذ زمن بعيد، وأصبح جليًّا أن الأمم المتحدة، بعد زوال الكتلة الشرقية، ليست محايدة بين الكبار من البلدان والمستضعفين. لا نخطئ إذا أكدنا أنها مع الأقوياء .

يبدو أن الخطبة التي حظيت بتغطية كبيرة كانت تلك التي ألقاها الرئيس الأمريكي جورج بوش، الذي سلط الضوء على المشاكل التي تستحوذ على اهتمام إدارته حسب

الأولية التالية: العراق، وإيران، وأفغانستان، وإقليم دارفور السوداني، وفلسطين. ومن اللافت للانتباه أن اهتمام إدارة بوش العالمي ينصب على بقعة واحدة من هذا الكوكب الفسيح، وهي الشرق الأوسط، والتركيز على العالم الإسلامي بصورة خاصة. وهذه البلدان كلها أقطار إسلامية. هناك أيضًا بلدان إسلامية أخرى تجري فيها حروب وقلاقل داخلية للأمريكان دور في دفعها وتأجيجها كالصومال، وباكستان، واليمن. حسب منظور هذه الإدارة لا بد لها أن تتدخل في شئون البلدان المذكورة بالحديد والنار، والحل العسكري هو جوهر مذهبها، ولا تتعظ بالإخفاقات المتعددة التي عانت منها سياستها المستعلية في العالم الإسلامي.

والظاهر أن إدارة بوش لا تهتم بالحرب على الفقر المدقع في إفريقيا، ولا بالاشتراك بصورة مقنعة وفعالة في استئصال أو كبح جماح الأمراض المعدية الفتاكة التي تحصد الملايين من أبناء هذه القارة التعيسة.

يبدو أن بيدوه ما زالت مضطربة بعد التفجيرات التي استهدفت الرئيس عبد الله. اتضحت أيضًا بصورة أكبر الخلافات التي نشبت بين أعضاء البرلمان ورئيسهم.

الأربعاء ٢٠ سبتمبر:

اتصل بي الأخ محمد طاهر أفرح وأخبرني بأن هيئة القلم التي يرأسها رشحتني أن أشترك ممثلاً للصومال في مؤتمر حول الموروث الثقافي الإفريقي المزمع عقده بدار السلام – تنزانيا في شهر نوفمبر المقبل. ويرى أنه من الضرورى أن تحاط وزارة الثقافة الصومالية علمًا بهذا الموضوع مع الحصول على موافقتها، والفكرة سليمة.

أقرأ منذ يومين كتاب المفكر العالمي الدكتور ناحوم تشومسكي: "الدولة الفاشلة" بلغته الأصلية. يعالج الأستاذ كغيره من المفكرين مشكلة التعذيب إزاء الضمير (الحضاري) الغربي.

اقتباساتي من الكتاب: "لم ينشغل محامون منذ زمن النازية بهذا الانهماك الشديد في الجرائم المقننة في القانون الدولي خاصة بما يتعلق بالتحقيقات المباشرة مع سجناء قبض عليهم في الحرب". هذا ما يقوله أستاذ القانون الدولي، جوردن باوست، كما يتهكم على المجهود القانوني الذي يريد أساتذة أجلاء تقديم استشاراتهم والذين يشغلون أنفسهم بـ"فبركة أكاذيب واضحة". ويضيف: "إن هذا التضليل القانوني المخزي يراد منه إرضاء إدارة بوش التي تسعى للضرب بالمواثيق الدولية عرض الحائط".

كان بين من زائري اليوم في بيتي الأخ علي حاجي أبغالو. وهو يتابع عن كثب مجهود المحاكم في إدارة العاصمة، ولكنه مقتنع بأنها تتصرف بصورة عشوائية، ولا تريد قيادتها الاستعانة بأشخاص ذوي خبرة في الشئون العامة. ومن غير المقبول، حسب نظره، جلد الناس في الأسواق وإذلال من يخالفهم.

الخميس ٢١ سبتمبر:

ما زلت أقرأ كتاب ناحوم تشومسكي "الدولة الفاشلة" المشوق للغاية. يقول: "إن فضيحة المشروع الأممي في العراق" البترول مقابل الغذاء"، التي أثارتها الولايات المتحدة ما هي إلا ذر للرماد في العيون، وبمثابة صيحة اللص الكبير على اللص الصغير لتوجيه أنظار العالم إلى قضية جانبية نسبيًا؛ لأن الأموال المسروقة والتي تربو على عشرين مليار دولار هُربت كشحنات بترولية إلى الأردن وتركيا، بتواطؤ مع الإدارة الأمريكية المراقبة للمشروع. وهذه هي السرقة الكبرى التي يُقصد إخفاؤها".

يرى المفكر أن صيحة اللص الكبير على اللص الصغير[الإدارة السابقة للعراق] ليوجه إليه انتباه الآخرين كي لا ينكشف هو نفسه.

الرئيس مبارك يوجه خطابه السياسي إلى مؤتمر الحزب الحاكم ليؤكد أن حكومته متمسكة بثوابتها الوطنية، ولا تريد إقحام نفسها في المغامرات.

وقال: إنه عمل لصالح بلده ٥٧ سنة وبكل إخلاص، وذلك جواب مباشر للمتشككين.

قال محمود أحمدي نجاد في المجلس العمومي للأمم المتحدة: "إن إيران دولة عظيمة قوية تحب السلام".

ومن دواعي الفكاهة ما قاله الرئيس الفينزويلي أوغو شافيز متهكمًا بالرئيس الأمريكي أمس الأربعاء: "الإرهابي الوحيد هو جورج د. بوش الشيطان الأكبر، كان هنا منذ بضع ساعات ولم يزل المكان يفوح برائحة الكبريت [العفنة] التي تركها".

الجمعة ٢٢ سبتمبر:

يجري تصادم كلامي بين المحاكم الإسلامية وسلطة وادي جوبا. يرى المتابعون لشئون الجنوب أن إعلان السيد حسن تركي عزمه الانتقال إلى كسمايو (وهو أمير مليشيات المحاكم) إنما هو بمثابة إعلان حرب ضد مناوئيه في سلطة وادي جوبا. لا يشك الخبراء في أن الشيخ تركي ومؤيديه من سكان المنطقة سوف يغزون كسمايو وما يليها،

للاستيلاء عليها بقوة السلاح، وقد استعدوا للمواجهة منذ وقت بعيد.

الكولونيل بري أدن شيري "هيرالي" محافظ كسمايو الفعلي، يلقى التأييد من حلفائه: يوسف سيرار، وجوبانلي. ومن اللافت للنظر أن بري أدن شيري يشغل حاليًا منصب وزير الدفاع في حكومة السيد ع/م/ غيدي، وأن يوسف سيرار عضو في البرلمان. وليس من الواضح ما إذا كانا يعملان في إطار مخطط حكومي أم يتحركان على أساس ائتلافهم العشائري القديم.

بعد المغرب فاجئنا استهلال شهر رمضان عبر الفضائيات من عدة بلدان:السعودية وعدد من دول الخليج، ليبيا والسودان. أما مصر، عمان وأكثر البلدان في المغرب العربي فبداية رمضان عندها بعد غد. أما إدارة المحاكم الإسلامية فأعلنت أن غدًا السبت هو المكمل لشهر شعبان.

السبت ٢٣ سبتمبر:

بالنسبة لنا يوم صوم تمشيًا مع قاعدة مطلعية نتبعها منذ زمن بعيد، وهي أن نحذو حذو البلدان الإسلامية القريبة منا في المشرق. ومن غير المعتاد هذا الجو البارد الذي يغشى مقديشو هذه الأيام؛ إذ يحتاج المرء في ساعات من الليل أن يغطي نفسه بملاءة ثقيلة للحصول على الدفء الضروري. ومن غير المعتاد أيضًا ونحن في موسم الدير (الخريف) أن تتواصل الأمطار الموسمية التي كانت تنتهي عادة بنهاية شهر أغسطس. وهذه الظواهر كلها دالة على عدم استقرار الأحوال الجوية الكلية، وربما زيادة الحرارة في بعض أصقاع العالم تقابلها زيادة البرودة في أماكن أخرى، وأن احتباس الحرارة كما يصفه بعضهم ربما لا يكون مدروسًا بصورة دقيقة.

الأحد ٢٤ سبتمبر:

تتناقل وسائل الإعلام في مقديشو سقوط مدينة جلب، عاصمة مقاطعة جوبا الوسطى، في قبضة مليشيات المحاكم الإسلامية، وذلك في الفترة الصباحية من هذا اليوم. وفي المغرب بثت الإذاعات المحلية سقوط كسمايو واستيلاء المحاكم عليها دون أي اقتتال بين المليشيات الوافدة والمحتلة لها سابقًا. ولكن تفيد مصادر أخرى بأن مليشيات بري أدن شيري أخلت المدينة حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر.

من المعروف أن بري نفسه مع أغلبية جنده وعتاده الحربي، خرجوا من كسمايو

منذ ثلاثة أيام إلى جهة مجهولة. وفي وقت لاحق من المساء أعلنت قناة الجزيرة أن سقوط كسمايو في أيدي المحاكم غير مؤكد، طبقًا لما أفاد مراسلها في العاصمة.

الإثنين ٢٥ سبتمبر:

تؤكد جميع النشرات استيلاء المحاكم على مدينة كسمايو بلا مقاومة من سلطة وادي جوبا المحتلة لها سابقًا. تفكك نظام سلطة وادي جوبا، وخرج بري ومليشياته من جراء ذلك التطور، ولكن بعض السكان الموالين للمحافظ القديم بري أدن قاموا بمظاهرات احتجاجية ضد احتلال المحاكم لمدينتهم. واعتبرت أكثر من جهة أن الزحف الجديد على كسمايو يتسم بمراعاة المعادلات القبلية السابقة.

ومن الجدير بالإشارة هنا أن من بين قياديي المحاكم البارزين المحتلين لكسمايو من ينتمون إلى نفس عشيرة بري هيرالي، وهذا أحد الأسباب التي أرغمت الوزير على ألاّ يتصادم عسكريًّا مع مليشيات المحاكم الغازية.

من الأصوات التي ترفض احتلال المحاكم وتدينه رئيس بنتلند محمود موسى حرسي، والنائب حسن دير الموالي لسلطة وادي جوبا. أدان هذا البرلماني الاحتلال بلهجة قوية وعاطفية.

كما استنكر هذا الاستيلاء السيد حسين محمد عيديد، متحدثًا باسم الحكومة المؤقتة قائلاً: إن المحاكم تجاوزت حدها ونقضت عهدها الذي قطعته على نفسها تمشيًا مع المحادثات الجارية بينها وبين الحكومة.

بينما المحاكم تؤكد من جانبها أنها لم تخرج عن اتفاقية الخرطوم ولم تهاجم كسمايو، بل المدينة هي التي انضمت إلى نظام المحاكم بمحض إرادتها. وهذا منطق وعقلية لا يستندان إلى أرضية واقعية مقنعة. قال الشيخ حسن التركي، كلامًا غير مقنع وغير متماسك، عندما وجّه له صحفي من إذاعة هورن أفريك هذا السؤال: "قلت لنا من أيام: إنك لن تهاجم كسمايو بل تريد الرجوع إلى قاعدتك في الجنوب، واليوم احتللت كسمايو. هل كان رجوعك إلى الجنوب تمويهًا لمخططك الذي نفذته الآن؟"، تخبُّط الشيخ كان سببه أنه لم يكن مستعدًا لأن يقول الحقيقة فيكذب؛ لأن الإسلاميين المتدينين يحاولون دائمًا تفادي الكذب فيقولون ولا يقولون، لهذا لا يقنعون الأغلبية أحيانًا. ولا بد أن نأخذ في الاعتبار هذا النمط من التصرف، عند متابعة تصريحات شيوخ كبار في كل الأحوال.

انضمام مدينة كسمايو يذكرنا بأحد الطرائف التي تنسب إلى جحا عندما انضم للمدعوين إلى وليمة أعدت في الطابق العلوي وكان نائمًا في الأسفل. سأله الناس: من أين جئت والأبواب مغلقة؟ فأجاب: سقطت من الأسفل.

الثلاثاء ٢٦ سبتمبر:

جاءنا هذا الصباح النبأ المحزن بوفاة علي شيدو عبدي. توفي ليلة الإثنين في مستشفى الحياة بعد أن نُقل إليه في وقت الظهيرة، وقد اشتد عليه المرض. كان عمره يناهز التسعين، وهو من أوائل المناضلين للاستقلال من حزب وحدة الشباب الصومالي(حزب الاستقلال) ومن صف قيادته العليا. من نهاية الأربعينيات من القرن الماضي أصبح عضوَ اللجنة المركزية ونائبَ رئيس الحزب.

كان من المتبقين القلائل من القيادات التاريخية في النضال من أجل استقلال البلد.عمل موظفًا في الإدارة العسكرية البريطانية بعد احتلالها للصومال حتى ١٩٥٠م. ثم كان من أوائل الكوادر التي دربتها الإدارة الوصية الإيطالية لتولي المناصب الإدارية في إطار صوملة الوظائف، وكان أول صومالي يتولى منصب حاكم محافظة، عندما عُيِّن محافظ لهيران في سنة ١٩٥٥م. كما عُيِّن في الستينيات قبل الانقلاب العسكري سفيرًا لدى المملكة العربية السعودية ثم فرنسا. كان رجلاً مرهف الحس لبقًا ذكيًّا.

لم يتحزب علي شيدو في فترة المحنة وتفكك المجتمع إلى قبائل وعشائر، بالرغم من محاولات كثيرة لاستدراجه للهبوط إلى ذلك الدرك.

استفدت من خبرته ومعلوماته سنة ٢٠٠٢ عندما كنت أكتب كتابي الذي سميته 'حدر' ونشرته تحت هذا العنوان. إنا لله وإنا إليه راجعون.

الأربعاء ٢٧ سبتمبر:

تتحدث وسائل الإعلام المحلية عن أن جماعات رحنوينية بدأت تفر من مدينة بوصاصو التي نزحوا إليها في غضون الحرب الأهلية. وتشتكي هذه الجماعات من سوء معاملة أهل المدينة لهم، خاصة بعد محاولة اغتيال الرئيس ع/ي.

أكدت مصادر عديدة دخول قوات إثيوبية إلى عمق الأراضي الصومالية، رغم إنكار أديس أبابا لهذا التطور.

فرقعة الأحداث في كسمايو وصل صداها إلى العاصمة، والأهالي يقاومون حكم

المحاكم هناك، حيث فرضت على المدينة حظر التجوال من الساعة التاسعة ليلاً حتى السادسة صباحًا. كما منعت المحاكم من استيراد القات وتداوله. يُنتظر أن يكون هذا الإجراء القشة التي قصمت ظهر البعير، إن لم تتراجع الإدارة الجديدة عنه.

أعددنا الإفطار في بيتي لجماعة من الأهل والأصدقاء، منهم: أحمد عبد ديني، والسيدة نصرة، وهيلي مالن، وزوجها الدكتور عبد الله فارح عسير، وطاهر جمعالي. وكانت المناسبة مليئة بالفرح والود العائلي. بعد الإفطار تابعنا الدردشة لفترة.

الخميس ٢٨سبتمبر:

يدور الحديث في هذه الآونة حول نشاط إدارة المحاكم التي تتوسع في الأقاليم الجنوبية.

منذ يومين تم لقاء بين رئيس الجهاز التنفيذي للمحاكم والقائم بأعمال السفارة الأمريكية بجيبوتي، بطلب من السفارة. تقول المصادر المطلعة: إن واشنطن تنوي إيجاد علاقة تمهيدية مؤقتة [modus vivendi] إلى حين الانتقال المرجو إلى علاقة أكثر تقاربًا. لم يعلن حتى هذه اللحظة تفاصيل اللقاء ونتائجه، بينما تؤكد نفس المصادر أن مسئول المحاكم سبق أن اشترط ألاّ يبوح الأمريكان بحدوث هذا اللقاء إلا بعد أن تعلنه المحاكم. وكان الشرط الثاني ألاّ يستغل الأمريكان اللقاء لأسباب دعائية، كأن يعلنوا مثلاً أنهم التقوا بالجناح المعتدل من المحاكم الإسلامية.

من الجلي جدًا أن جناحًا من المحاكم الإسلامية كان على اتصال سياسي مع الإدارة الأمريكية منذ نشأت إدارتها، وربما قبل هذا التاريخ. ومن هنا يبدأ الجناح المعتدل من المحاكم مسيرته نحو الانفصال وإلى مؤتمر جيبوتي الذي أفرز حكومة شريف شيخ أحمد الراهنة. هذه المجموعة المعتدلة كانت مستعدة لتقاسم السلطة مع نظام "مباغاتي" والذي تتمركز حكومته ببيدوه. ولكن يستشف من تلك الاتصالات أن الدول الغربية لم تكن مخلصة في تعاملها مع المحاكم، وكانت في الخط الموازي لهذه اللقاءات الاستدراجية تجهّز وتحرّض أديس أبابا على أن تهزم المحاكم بالحديد والنار. والمجهود الذي كانت تبذله هذه الدول للتقارب مع المحاكم الإسلامية [rapprochement] كان غرضه إضعاف المقاومة الصومالية المحتملة ضد الغزو الإثيوبي، كما استخدمت هذه الدول أمراء الحرب المتحالفين تحت شعار: "إعادة السلام ومكافحة الإرهاب".

في يوم ٢٧ من الشهر الجاري خرجت مظاهرة حاشدة في مدينة بارطيري ضد

احتلال المحاكم لكسمايو. تتحدث الإذاعات أن بري أدن شيري، المحافظ السابق لكسمايو، كان يُنتظر أن يخطب في المتظاهرين ولكنه تغيّب عن الميعاد. بثت وكالات الأنباء والإذاعات المحلية أن رئيس الوزراء صرّح في نيروبي بأن المحاكم الإسلامية أهدرت حقوق الإنسان، ومنعت ممارسة الحريات الأساسية في الأماكن التي تسيطر عليها، ومنها: التجمع ومشاهدة الأفلام في المقاهي، ومتابعة مباريات كرة القدم عبر التليفزيون.

أفادني صديق من النواب رجع من بيدوه منذ يومين أن الانشطار في المؤسسات الدستورية حاد كالعادة. لذا يشعر كثير من النواب بالاستياء؛ لأن الحكومة متمسكة بسياساتها المتحجرة وغير الوطنية، وهي تسعى للسيطرة على البلد بجيش أديس أبابا، قناعة منها بأن حكمها سيزداد قوة ومناعة وتبقى في الكرسي إلى أمد طويل بلا منازعة. طبعًا هذه أوهام لن تتحقق.

الجمعة ٢٩ سبتمبر:

يوم ثقيل كسول. يوسف جراد مدير القسم الصومالي في الـ بي.بي.سي، يدير، كعادته في كل يوم جمعة، مناقشة حول موضوع ساخن. يتناول موضوع اليوم: "التوسع الجاري للمحاكم الإسلامية". يجري الحوار بصورة غير مرتبة بين الأشخاص المشتركين في هذه المناقشة. السيد حسين عيديد يمثل الحكومة، والشيخ عبد الرحمن فارح "جنقو" ممثلاً للمحاكم، وجمع غفير من المستمعين في أرجاء العالم. تأييد المحاكم وسياستهم كان أقوى من منتقديهم، وإن بدا بعض المعارضين للمحاكم أقوى حجة وأكثر إقناعًا في التعبير عن أفكارهم.

شيخ جنقو كان رصينًا حذرًا وبعيدًا عن التشنجات والمهاترات الكلامية التي تتسم بها الأطروحات والمداخلات الخاصة بهذه المناظرات. والتعاطي بهذا الأسلوب جدير بالتنويه. ولكن الشيخ لم يكن مقنعًا للمتشككين في الأهداف التي تسعى إليها المحاكم بعد صعودها إلى الحكم. كان كلام حسين يتدفق كالشلال الجارف دفاعًا عن رئيس الوزراء و"العهد" الوطني (دستور مباغاتي). وذكر محاولتين سابقتين لاغتياله، ولكن فضح الحكومة بهذا التصريح لإصداره حكمًا عليها بكونها ضعيفة، مطوقة ومحصورة في أقاليم بعيدة عن مركز الأحداث، وهي العاصمة.

تنفيذًا لنصائح الأطباء أحاول أن أمشي ساعة بعد الإفطار كلما أمكن لي ذلك. وخط سيري بصحبة الحارس قروني كالتالي: بيتي- مبنى السفارة الإنجليزية- مستشفى دي

مارتينو- حمروين (بمحاذاة البحر)- البوستة القديمة- متحف غاريزا- فندق العروبة- مسجد أربع ركن- بارنسيونالي- البنك المركزي- مبنى بنك روما- القنصلية الإيطالية- ميدان البرلمان القديم- شارع شيري ورسمة- السفارة الصينية - المكتبة الوطنية - الموقع القديم لتمثال حواء تاكو- مركز جمعيات النساء- المسرح الوطني- مبنى المعارض القديم- مبنى أكاديمية العلوم والفنون بشارع مكة المكرمة- موقع تمثال طقح تور- بين مسجد التضامن وقصر الشعب (برلمان الثورة)- الانعطاف إلى اليسار، الميناء الجديد - البناء القديم لمدرسة شريف بانا أبا الثانوية (بناها التجار سنة ١٩٤٨/ فحوّلتها الإدارة الإيطالية الوصية إلى معهد للمعلمين سنة ١٩٥١)- المدرسة التجارية السابقة- منزلي ثانية.

أتمتع بالمشي في الهواء الطلق تحت أمان المحاكم السائد في هذه الفترة. ولكن أحس بشيء من الامتعاض والحزن الممزوج بالحنين إلى الماضي. هذا المربع، الذي لا يزيد عن ٦ كيلو مترات، هو قلب المدينة متمثلاً في معالمها الحضارية القديمة، ولكنها أكثريتها الآن أطلال دمَّرها العابثون والجهلة.

دُمرت المتاحف، واستُخدمت أدواتها الخشبية كوقود، وكُسِّرت مقتنياتها الثمينة، خاصة متحف غاريزا القائم من سنة ١٩٣٤، وكان يحفظ كتبًا نادرة وتحفًا تاريخية قيمة. هُدِّمت المكتبات وبُعثرت في الطرق والأزقة، وأصبحت الأوراق الثمينة لفافة للسكر والدقيق في دكاكين الحارات. إنها مصيبة كبرى.

لم يتهدم في الصومال نظام الدولة فقط، بل ضاع تراث الأمة وركائزها الحضارية. مع ضياعه تبدد أيضًا ما ركزنا عليه من جهد وضحينا بشبابنا في بناء الجامعات والمعاهد، والمكتبات والمتاحف، وتشييد الأكاديميات والمختبرات ومحتوياتها.

ومن الجدير بالإشارة هنا أن جميع أبنية الجامعة الوطنية الصومالية الأنيقة، مع مدينتها السكنية في الكيلو متر الثامن بطريق أفجوي، دكَّه المخرِّبون دكًا، ولم يبق منها أجُرّ أو طوب.

أرض الجامعة كانت ملكية إيطالية بموقع كان يسمى "هلمسالي" holmisaale وكانت في تخوم العاصمة قبل عمران حي المدينة وامتداد العمران نحو الشمال على طول طريق أفجوي. خصصت الحكومة المدنية هذه الأراضي للسفارات، وكان نصيب الإيطاليين هذه القطعة العريضة. ولما توسّعت الجامعة الوطنية، وكنت رئيسًا لها من

١٩٧٠-١٩٧٤، اضطررنا إلى البحث عن أراض واسعة ملائمة في مشارف مقديشو لبناء الجامعة الجديدة ولنقترب من الكليات التي في الطريق نفسه(كلية التربية لفولي وكلية الزراعة). ورأينا أن هلمسالي موقع مثالي للغرض. أردنا استرجاعها من السفارة الإيطالية وسلكنا طريقًا طويلاً من المفاوضات لإقناع المسئولين الإيطاليين بأن يعيدوا الأرض، للحكومة. ساعدني في هذا المجهود وزير الزراعة الأسبق د. عبد الرحمن محمد حسن "دتورينو" ووزير الأشغال العامة. نجحنا أخيرًا في الحصول على الأرض وأذكر أنني وضعت حجر الأساس، بصفتي وزيرًا للتعليم العالي، لبناء الجامعة الجديدة منتصف سنة ١٩٧٥م.

عندما تهدم صرحَّ الدولة، ويجب أن نبذل كل ما أوتينا من حول وقوة لتفاديه، الكتب والتحف النادرة هي أول الضحايا؛ لأن الأوباش والدهماء لا يعرفون قيمتها، ويحاولون إعادة استعمالها لأغراض دنيئة، وهذا حدث أيضًا في مصر عند انحلال وزوال الدولة الفاطمية، قبل استتباب الحكم للناصر يوسف صلاح الدين الأيوبي. يقول المقريزي في خططه وهو(الشيخ الإمام تقي الدين أحمد بن علي) في هذا الصدد ما يلي: "فأخرجوا من خزائنه [مكتبه] كتاب الذخائر عدة الخزائن في سائر العلوم بالقصر. من جملة الكتب المخرجة بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة نُهب جميعها من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل في سائر الأمصار صحة وحسن خط وتجليد، وغرابة التي أخذوا جلودها عبيدهم وإماؤهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم وأحرق ورقها تأولاً منهم أنها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره---- وبقي منها [الكتب] ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالاً باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب". ولكن الأوباش الفاطميين لم يهدموا أو يحرقوا قصور الدولة كما فعل الرعاع في مقديشو.

السبت ٣٠ سبتمبر:

زارني في بيتي مجموعة من الأصدقاء واصطحبوني إلى بعض بيوتهم في منطقة الجزيرة لنتجاذب الحديث حتى تقترب ساعة المغرب والإفطار.

في هذا الحي الذي يمكن أن نحصره بين الكيلو متر الرابع والسابع نحو أفجوي إلى نقطة التفتيش القديمة، ثم شرقًا في شارع ٢١ أكتوبر حتى التقاطع مع كلية الرفيق سياد، والوصول إلى ميدان المنصة Tribuna مرورًا بمصنع الألبان (كلها تسميات قديمة) يوجد فيه حسب تقديري مئات الفلل بمختلف أحجامها، رونقها وخصائصها المعمارية، كان الحي

من المناطق الراقية للمدينة. كان الأجانب يستأجرون أغلبية البيوت، وكانت تدر لأصحابها ملايين الدولارات. أما في الوقت الراهن فهذه الفلل الجميلة أكثرها معطل، وبعضها يحتاج إلى صيانة مكلفة. كانت توجد في هذه المنطقة فيلا فاخرة مكونة من ثلاثة أدوار، أحب صاحبها أن يجعل لها مصعدًا إلى الطوابق العلوية والسطح. وكان هذا المصعد هو الوحيد في العاصمة لعدم وجود أبراج فيها. بنى المالك على جانب الفيلا ملعبًا للتنس مجهزًا بالإضاءة. الحرفيين الذين بنوا هذه الفيلا استُوفدوا من أوروبا.

عندما هجر هذه الفيلا أهلها في بداية التسعينيات، استولت عليها عائلة رعوية نزحت من الداخل وجعلت أجزاء من الفيلا حظيرة لأبقارها، طبقًا لتأكيدات متواترة. رأيت بنفسي مشاهد من هذا النوع في أماكن متفرقة من مقديشو؛ لأنني لم أرحل عن العاصمة طوال الأزمة، إلا في رحلات قصيرة وكنت أعود إليها.

ومن المفارقات العجيبة أن الأغنياء النسبيين الصوماليين والبرجوازية الناشئة هم الذين حرَّضوا وموّلوا الجبهات المتمردة التي أسقطت النظام السابق، فتكدَّست وتعطَّلت تجارتهم جراء الحرب، وأصبح كثير من دورهم ركام أنقاض. بعضهم خسر كل شيء وأصبح فقيرًا عاجزًا وتهدمت الدنيا من حولهم. هؤلاء السادة أشعلوا النعرة العشائرية فأحرقتهم، وخرَّبوا بيوتهم بأيديهم، وبدَّدوا أموالهم في قضية جلبت الدمار على أنفسهم وعلى البلد كله، عندما اصطفوا وتحزَّبوا مع أعدائهم الحقيقيين. لم يحسبوا حسابًا لما يمكن أن تتطور إليه الأوضاع بعد اجتثاث الدكتاتورية والتعري من حكمها. أرادوا استغلال الرعاع لقلب الحكم ولكن الدنيا انقلبت عليهم عندما تناسوا الحكمة الصومالية القديمة: "المصيبة لها آذان تُكبح وليس لها ذيل يمسك"!

شهر أكتوبر ٢٠٠٦

الأربعاء ٤ أكتوبر:

وصلت إلى سوق بكارها لأداء مشوار شخصي. فالمنطقة التي لا تتعدى ميلاً مربعًا مكتظة بالخلق. ربما يكون هذا السوق أكبر سوق في شرق إفريقيا؛ لأنه يحتوي على شركات الاتصالات التليفونية، شركات التحويلات النقدية وبنوكها الخاصة، تجارة الجملة والتجزئة بأنواعها المختلفة وخاصة المواد الغذائية. كما يحتوي السوق أيضًا على قسم لبيع وشراء الذهب، وسوق للبورصة غير الرسمية، حيث يتم تحديد أسعار العملات والمواد الاستهلاكية بشكل يومي، صورة طبق الأصل لـ وول إستريت وبورصة لندن.

تتحدث بعض الإحصائيات عن تبادل تجاري يناهز المليارين من الدولارات سنويًا لهذا السوق، وليس له شرطة ولا نقطة بوليس تراقب الأمن أو تفرض القانون على الناس. والحالة السائدة بمثابة laissez-faire الليبرالية التى تؤدى إلى الفوضى.

في سوق بكارها، تصطف السيدات بائعات الذهب جالسات تحت سقف مرتجل يكاد ظله يمتد أحيانًا إلى مائة متر، كل واحدة منهن تعرض ما لديها من أسورة وحلقات وأقرطة ووشائح مختلفة الصياغة. تعرض كل منهن بضاعتها ولا تحث الزبون أو الزبونة على الشراء، إلا أن يعلن السعر، كلهن هادئات صابرات ولا يحاولن استدراج الزبائن إلى بضاعتهن أو ذكر أفضليتها.

الأغرب من هذا العرف التجاري، الذي لا تظهر فيه المنافسة بسلوكياتها المعروفة في كل البلدان، أن السيدات بائعات الذهب في بكارها، عندما يذهبن إلى البيت أو إلى مشوار آخر، في ساعة عمل السوق، يتركن بضاعتهن عند إحدى زميلاتهن، لتبقى معروضة. وعندما تعود إلى كرسيها ربما تجد أن زميلتها قد باعت لها قطعًا من ذهبها، في حين أن المؤتمنة عليها لم تبع أي قطعة من بضاعتها هي نفسها. وليست هذه الحالة غريبة عندهن؛ لأن المعاملة ستكون بالمثل. هذا النوع من التعامل والتضامن مكرر في

جميع قطاعات سوق بكارها(*) عند البزازين، بائعي مواد الأغذية والصرافة. التعاون والتكاتف هما العاملان اللذان يقومان مقام الردع البوليسي الغائب. مع الأسف هذا التعاون اللامع كان من المفروض أن يصبح مثالاً يقتدي به من يعمل في السياسة أو إدارة المجتمع، لتقليل الخلافات والنزاعات القائمة في البلد منذ أمد بعيد.

والدرس المستفاد من التعاون القائم هو أن من يريد تحقيق مآربه الشخصية في المجال السياسي والاجتماعي حتى الاقتصادي لا يصل إلى ذلك المرمى إلا بتعاونه مع الآخرين، ويقنعهم أن من أهداف مسعاه أن يفيد الآخرين أيضًا. ولهذا نرى أن التعاون المدني والتضامن المجتمعي بين المواطنين، والإدارة المسئولة التي تنسق هذا التكاتف الاجتماعي، جعلت هذه المجتمعات المتقدمة تزداد ازدهارًا ورقيًا.

حوالي الساعة الرابعة عصرًا اتصل بي أحمد ديري محمد، سكرتير البرلمان، ليخبرني بأن قيادة المحاكم أعدت للنواب إفطار عمل في فندق السلام، وأنا مدعو إلى هذا اللقاء. ولكني اعتذرت عن عدم الاشتراك في المناسبة؛ لأنني ملتزم بمناسبة أخرى، حيث دعوت عددًا من الإخوة لتناول الإفطار في منزلي هذا اليوم.

من ناحية أخرى سبق أن طلبنا ميعادًا مع قيادات المحاكم لتوضيح بعض المواقف السياسية، على أن يكون الإفطار الجماعي في مناسبة منفصلة وإتمامًا لهذه المحادثات التحضيرية.

الخميس ٥ أكتوبر:

زارتني جماعة من الطلبة الجامعيين في المنزل وعلى رأسهم صالح بن سيد على نورو ومحيي الدين شيخ إسحاق. وتحدثت معهم زهاء ساعة ولاحظت أنهم يتشوقون لتحصيل العلم وكسب الخبرة والتخصص كل واحد في مجال دراسته. كلهم مؤيدون لنظام المحاكم الإسلامية، يعلقون آمالهم على هذا النظام الذي يلائم رؤاهم في إعادة بناء الدولة والانتقال إلى السلام، في جميع أقاليم البلد. ومن بين هؤلاء الطلبة عدد من الذين حملوا السلاح وحاربوا في صفوف مليشيات المحاكم ضد أمراء الحرب، الذين تحالفوا تحت راية محاربة الإرهاب. ولكن بالرغم من تأييدهم المطلق للمحاكم وإيمانهم بأن هذا النظام قابل

(*) بكارها جمع لـ بكار، وهو صهريج يحفر في الأرض لتخزين الحبوب. كانت منطقة بكارها تقع خارج مدينة مقديشو في الستينيات من القرن الماضي، وكانت تابعة للريف القريب من العاصمة، حيث كان الأهالي يتخذون من الموقع صهاريج لحفظ مؤنهم من الحبوب والمحاصيل الزراعية. وللكلمة صلة بالبخار: المخزن بصورة عامة (وهى عامية عربية جنوبية).

للتوسع والثبوت، لكنهم كأي شبان في عمرهم وبيئتهم، ليست لديهم فكرة واضحة أو التكهن بما ستنتهي إليه الأمور في المستقبل. بالنسبة لهم الحاضر والتعايش معه، وعدم الاكتراث بالتعقيدات المستقبلية، هو المهم.

الأمريكان يعدون عبر مجلس الأمن عقوبات ضد السودان وإيران. يتوعد جون بلتون، الممثل الأمريكي في الأمم المتحدة، بإنزال عقوبة أليمة على السودان، لعصيانه وتحديه لقرارات مجلس الأمن. ومن المفارقات العجيبة أن أصبح مجلس الأمن قاعدة للاعتداء على الدول المستضعفة التي يرى أنها تتوانى أو تتباطأ عن تنفيذ أوامر الولايات المتحدة، أو تحاول بصوت خافت أن تعبر عن وجهة نظرها، بصورة لا تتناغم مع رؤية واشنطن.

تقول الـ بي.بي.سي/ ق.ع: إن الرئيس الفلسطيني محمود عباس صرَّح بصورة ضمنية بأنه ربما يميل إلى دراسة خطة لحل الحكومة الفلسطينية التي يرأسها السيد/ إسماعيل هنية.

بينما أعلنت قناة الجزيرة في بث متأخر من هذه الليلة أن قوات إثيوبية قصفت مدينة بلدوين، ولم يتضح ما إذا كان القصف جويًا أو بريًا، من الجيش الإثيوبي، أو تمت عملية القصف بواسطة عملائها الصوماليين.

الجمعة ٦ أكتوبر:

تلقيت مكالمة من سيدة قالت لي: "إن اسمها فوميكو أوهيناتا" وهي مسئولة عن البرنامج الثقافي لليونيسكو، مكتب أديس أبابا. تسألني عما إذا كنت أرغب في الاشتراك في مؤتمر يعقد بدار السلام، في أواخر شهر نوفمبر القادم، يهدف إلى مناقشة مشروع قانون يتعلق بـ حفظ التراث الثقافي، إذا كنت قد فهمتها جيدًا. والمشروع تتبناه منظمة اليونيسكو، ويتم دراسته من قبل خبراء متخصصين في الشئون الثقافية من البلدان الأعضاء في المنظمة.

السبت ٧ أكتوبر:

أعلنت المحاكم اليوم أنها ستستولي على أسلحة التجار ورجال الأعمال بدءًا من الأسواق الكبيرة في العاصمة، كالمؤسسات التجارية الكبرى بسوق بكارها وسوق بعاد بمقديشو. وهذا أمر خطير جدًا إذا ما تحول هذا الإعلان إلى تنفيذ فعلي، فالمحاكم ليست

في وضع يمكّنها من استتباب الأمن الكامل في كل مكان، بحيث يطمئن التجار ورجال الأعمال إلى مظلة أمنية تديرها المحاكم، يستغنون بموجبها عن حراساتهم المسلحة، ومليشياتهم التي أبدت كفاءة ملحوظة في غضون هذه الأزمة المستعصية. وفي كسمايو تظاهر مئات من السكان احتجاجًا على الطريقة التي نظمت بها المحاكم الإدارات المحلية، وتم فيها تعيين محافظ الإقليم.

يرى الأهالي أن الطريقة المثلى في تنظيم الإدارات المحلية هي التي كانت متبعة حتى الآن: سلطة يقتسمها سكان المنطقة على أساس قبلي. بينما تحاول المحاكم الالتزام بنظام إسلامي لا يستند إلى الاعتبارات السابقة. أخطأت المحاكم في هذا الصدد كما أخطأت كل الحكومات والأنظمة المؤقتة التي حاولت تطبيق النظام اللامركزي أو ما دون ذلك في إدارة البلديات. ولا شك أن فكرة إنشاء إدارات للبلديات كانت فكرة صائبة من بدايتها، عندما عُمِّم تطبيق هذا النظام عبر انتخابات أُجريت في الصومال تحت الوصاية الإيطالية في ٢٨مارس ١٩٥٤م شمل تكوين الإدارات المحلية في ٣٥ مدينة وبلدة. قبل إدخال هذا النظام لم تكن في الصومال إدارة بلدية انتخبها السكان.

وأدخل النظام الفاشي الإيطالي تعيين عمدة لمدينة مقديشو تقليدًا للنظام الروماني القديم، وكان العمدة موظفا تعيّنه الحكومة. ولما احتلت بريطانيا الصومال الإيطالي في الحرب العالمية الثانية، سلّم "البوديستا" Podesta مفاتيح مدينة مقديشو إلى قيادة القوات البريطانية، وهي على بعد ٤٠ كيلومترًا من العاصمة. ربما لهذا السبب ولاعتبارات عملية أخرى لم تتدخل الإدارة العسكرية البريطانية في شئون بلدية مقديشو؛ إذ كان الإيطاليون يديرونها بكل حرية، حتى عادت إيطاليا إلى الصومال كإدارة وصية للأمم المتحدة، في إبريل ١٩٥٠م.

في سنة ١٩٥٨ أُجريت انتخابات مجالس البلديات الثانية، حيث استحوذ حزب "وحدة شباب الصومال" على أغلبية مقاعد المدن والبلديات، عدا مدينة مقديشو؛ حيث خسر حزب الوحدة أمام تحالف الأحزاب المعارضة التي اشتهرت بـ "الكتلة الشيطانية"، وشكلت إدارتها وأصبح حزب الوحدة محصورًا في زاوية المعارضة. ومن فترة الاستقلال والوحدة بدأت انتخابات المحليات تتزامن مع الانتخابات السياسية العامة ١٩٦٤-١٩٦٩م.

ثم جاء النظام العسكري في سنة ١٩٦٩ فألغى الدستور ومعه الأحزاب والإدارات المحلية المنتخبة. مرة أخرى نفض الغبار عن النظام المحلي الذي يستند إلى تعيين أعضاء

الإدارة ورئيسها العمدة، الذي يجمع في أكثر الأحيان هذا المنصب في حالة مقديشو مع منصب محافظ بنادر، أحياء العاصمة الأربعة عشر.

بعد زوال الحكومة المركزية النظام الإداري المحلي متوقف. ومما جعل الموضوع أكثر تعقيدًا أن النظام العسكري، كما طبق تعيين مجالس الإدارات المحلية، أدخل أيضًا تسمية جديدة لهذه المحليات عند تدوين اللغة الصومالية سنة ١٩٧٢ (وكانت لغة شفهية) إذ أصبحت تعرف بـ الدول السفلى dowladaha hoose مصطلح سطحي وغير سعيد. وكانت التسمية السابقة consigli Municipali (مجالس البلديات).

بالرغم من الأهمية المطلقة للمجالس البلدية في إيصال الحكم الذاتي إلى المجموعات السكانية في الريف، وتخفيف قبضة الدولة على الجهاز الإداري الكلي، بما يريح الناس ويخفف الضغط التنافسي على الحكم المركزي، إلا أن في الصومال، منذ نشأة المحليات كان التعسف مستمرًّا على مجالس المحليات من قبل الحكومة، وهذا نمط مواز لما حدث في كسمايو، حيث إن الإدارة المحلية التي كونتها المحاكم الإسلامية وعينت أعضاءها يشكو المحليون من أنهم أبعدوا عن المناصب المهمة، واستبدلوا بأعضاء لا ينتمون إلى المدينة أو إلى المقاطعة ذاتها.

فإذا كان الحال كذلك، حسب المعلومات التي وصلتنا، فإن الإدارة الراهنة لمدينة كسمايو ستصبح اسمًا بلا مسمى. وبالتالي لن تكون الإدارة المحلية إلا بالاسم فقط، فمن الأفضل والحالة هذه أن يعطى لها اسم آخر غير ملبس. ومن البديهي ضرورة فصل الحكم المحلي، الذي يتولى شئون المدينة أو البلدة، عن الإدارات الحكومية في المقاطعات. وفي الحالة العادية لا تتداخل الإدارتان إلا في إطار التعاون العام.

تعيين المجالس المحلية في هذا الظرف المعقد، الذي يمر به البلد، لا يزيد الطين إلا بلة؛ لأن التعيين يتناقض مع الصيغ الماضية لاختيار مجالس البلديات. كان إنشاء مجلس مؤقت من أعضاء المحاكم في هذا الوقت أكثر ملائمة من غيره، مع إقناع السكان بأن المجلس انتقالي، ولا يستند إلى اعتبارات قبلية أو طائفية ومهنية. ولكن ما حدث الآن في كسمايو ورطة واضحة تنال من سمعة المحاكم الإسلامية ومن تأييد الشعب لها. والوضع الناتج إنما هو تسلسل للأزمة القائمة من خمسين سنة تقريبًا، بين الحكم المحلي والحكومي.

نذكر مثلاً عندما هُزم حزب "وحدة الشباب الصومالي" في انتخابات مجالس بلدية مقديشو سنة ١٩٥٨ لم يكن ليغفر هذا التحدي للأحزاب المتحالفة التي هزمته، ومنها حزب

"دغل ومرفلة" وحزب "صوماليا الكبير" وحزب "شباب بنادر" ولم يستطع أن يعمل ضدهم أي شيء طالما بقيت الإدارة الوصية. ولكن بعد الاستقلال بسنة ونصف ألغت حكومة الدكتور عبد الرشيد على شرماركي مجلس مدينة مقديشو، وعينت بدلاً منه مندوبًا حكوميًا يتولى شئون البلدية. كما تم أيضًا تعيين مندوب آخر لمجلس مدينة مركا، كانت هذه المدينة في الماضي مركزًا تجاريًا وزراعيًا مرموقًا.

كذلك كان الحكم العسكري أيضًا غير متسامح مع الإدارات المحلية، حيث وصلت بعض الإجراءات التعسفية إلى أن ينقل سُعاة أو عساكر بلدية هرجيسا إلى كسمايو، مع عدم مراعاة حقوقهم وطبيعة ارتباطهم المحلي الخالص. كان من الأفضل للحكومة والعامل أن يفصل من خدمة المدينة، لأن إبعاده الى أقصى البلاد يصبح عقوبة لهؤلاء المساكين الذين لا يمكن لهم أن يعيشوا براتب من الدرجة السفلى في سلم الوظائف الحكومية، ناهيك عن تحقيق قوت عياله في موطنه الأصلي. وكانت أسباب النقل دائمًا سياسية.

ومن غرائب هذه التعسفات ما وقع على مدينة جالكعيو، وكانت بؤرة للقلاقل والمعارضين للحكومة العسكرية طوال الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي، إذ أصدر رئيس الجمهورية أمرًا بأن ينقل من جالكعيو إلى مكان آخر، كل من ينتمي إلى القبائل الساكنة في المقاطعة والمدينة بما في ذلك موظفو المجالس المحلية؛ لأن الحزب الاشتراكي ومنفذيه المحليين، قد أبلغوا رئاسة الحزب أن أهل المدينة متعاطفون مع الجبهة الديمقراطية لإنقاذ الصومال، وكانت أول فصيل حمل السلاح في وجه الحكومة العسكرية.

٨ أكتوبر:

توعد بعض أعيان قبائل "جدو" بأنهم سيحاربون المحاكم الإسلامية ويسعون لإخراجهم من مدينة كسمايو، ومن كل نواحي جوبا الوسطى والسفلى. وبثت عدد من الإذاعات المحلية بمقديشو نبأ أن وحدات قتالية من مقاطعة جدو تعززها قوات إثيوبية يحتمل أنها بدأت تزحف نحو كسمايو، لمحاربة المحاكم، في وقت تتعالى فيه أصوات الاحتجاج من المعارضين لمجلس المدينة والمحافظ حاكم الإقليم، الذين عينتهم المحاكم في الأسبوع الماضي، خاصة بعض المجموعات القبلية كـ" عو رماله"، التي تشتكي صراحة عبر الوسائل الإعلامية. ولم يكن من الحكمة انجرار نظام المحاكم إلى أمور جانبية، ومليئة بالحساسيات، أمام أزمة أمنية وسياسية تزداد كل يوم احتدامًا وتفاقمًا.

يتحدث مصدر من بيدوه بأن حكومة ع/م/ غيدي تستنكر التجاوزات التي تقوم بها

المحاكم بكسمايو، في إهدار حقوق سكان المدينة والنواحي التابعة لها في تعيين مسئولين للمجالس البلدية لا ينتمون إلى سكان المدينة والمقاطعة.

أما نبأ قصف إثيوبيا لمدينة بلدوين السابق فكان عاريًا عن الصحة. وفي هذا الأثناء صرح مصدر محاكمي بأنهم قد أغلقوا جميع المنافذ الحدودية في منطقتي هيران وجلجودود. طبول الحرب تقرع في مقاطعة جدو وجوبا السفلى، ومليشيات مريحان تستعد لخوض معركة مع المحاكم؛ لاستعادة سيطرتها على المقاطعات التي كانت تحت حكمها سابقًا، عبر التحالف الذي كان يسمى بـ "سلطة وادي جوبا"، الذي يبدو الآن مفككًا وبلا رجعة.

الإثنين ٩ أكتوبر:

في وقت يتحدث الناس في العاصمة عن استعدادات حربية لمهاجمة المحاكم في كسمايو. وتتواجد تحرشات عسكرية لنفس الغرض في بلدات جوبا الوسطى من قبل مليشيات معادية للمحاكم.

وصلت أنباء إلى مقديشو تفيد احتلال مدينة بورهكبار من قبل مليشيات حكومية تؤازرها قوات إثيوبية. كان لهذا النبأ في الأوساط السياسية وقع الصاعقة، إذ انسحبت المليشيات المحلية المتحالفة مع المحاكم إلى جهة غير معروفة إثر الاحتلال. وبعد أقل من ٢٤ ساعة من احتلالها لـ بورهكبا، ولت مليشيات الحكومية على أدبارها، وعادت إلى بيدوه. وكان رد فعل المحاكم للاحتلال قويًا؛ إذ صرح شيخ شريف شيخ أحمد بـ: "أن المحاكم تعلن الجهاد ضد المعتدين الإثيوبيين". ودعا الأهالي إلى توحيد صفوفهم لمقاومة المحتل الإثيوبي والدفاع عن الدين والوطن.

وفي الساعة الواحدة من هذا اليوم أعلنت الإذاعات المحلية أن مليشيات الحكومة ومؤيديهم الإثيوبيين أخلوا مدينة بورهكبا، حيث دخلتها مليشيات المحاكم وكذلك الفصائل المحلية الأخرى. ويعزو عدد من المراقبين السياسيين الخروج المفاجئ للقوات الإثيوبية والحكومية إلى ضغط من الاتحاد الأوروبي، تتقدمه إيطاليا التي أعلنت عدة مرات أنها تشجع التفاوض بدل الاقتتال والعدوان. هل يمكن لإيطاليا أن تلعب دورًا مغايرًا للموقف الغربي المؤيد للدور العسكري الإثيوبي؟

الثلاثاء ١٠ أكتوبر:

في بورهكبار ما زال الأهالي يشعرون بالآثار السلبية والبلبلة التي نتجت عن اجتياح القوات الحكومية المعززة بالإثيوبيين. بينما مجموعة بري أدن شيري "هيرالي" تتوعد بشن هجوم وشيك على كسمايو، لاسترجاع المدينة من قبضة المحاكم الإسلامية، التي سبق أن طُردت منها منذ أسبوع مليشيات برّي التي كانت تنتمي إلى ما كان يُعرف "سلطة وادي جوبا". وأهمية كسمايو بالنسبة للمليشيات التي تتصارع في السيطرة عليها، منذ سقوط النظام العسكري، تكمن في وجود ميناء حديث نسبيًا تستند إليه الملاحة التجارية الصومالية بصورة مضطردة. وتستمد المليشيات من الميناء والحركة التجارية دخلاً ملحوظًا، يُمكّنهم من توسيع قدراتهم العسكرية والمالية، وتنفيذ برامجها الاستيطانية، حيث تخطط هذه المليشيات لنقل مجموعات قبلية من الأقاليم(*) الداخلية المغلقة الجرداء إلى الأراضي الزراعية الخصبة، وإلى البحر المفتوح، وإلى وادي جوبا الغني بالموارد الطبيعية.

من المؤلم أن الكتل القبلية في قصر نظرها، وهي ظاهرة عامة في الوقت الراهن، تبحث عن منفذ بحري لأفرادها لتنعم في البر والبحر. وهذه الرؤية، كما لاحظنا مرارًا، تنبع من التوجه الرامي إلى تكوين دويلات قبلية تتناقض مع فكرة الدولة الصومالية الوطنية.

تلهف هذه القبائل على المنافذ البحرية لا يختلف عن تلك الدول المحصورة في بطون القارات التي تتطلع إلى الاستيطان والنفوذ إلى البحر. هذه مشكلة يمكن حلها بسهولة من حكومة وطنية تبسط سلطتها على جميع البلاد، وعندما يتحقق هذا الأمل يمكن لأي مواطن أن ينتقل ويعمل في أي ناحية تحلو له الإقامة فيها، دون أي تمييز. وتكون الدولة مسئولة عن المواطن وليست القبائل.

وفي سنوات جفاف وقحط مدقع، هجّرت الحكومة آلاف العائلات من الأقاليم الشمالية والوسطى (مدق، جلجدود) إلى الأراضي الخصبة الزراعية بشبيلي السفلى ليعملوا بالفلاحة والتنمية الزراعية. وبعض المهجّرين من الداخل استوطنوا شواطئ البحر، قرب مدينة براوا. إن فكرة تحويل ضحايا القحط الرعاة إلى فلاحين باءت بالفشل، ولكن فكرة تحويلهم إلى صيادي أسماك، ومديرين لمعدات الصيد، حققت قدرًا كبيرًا من النجاح.

وفي نيروبي تجري مباحثات بين وفد حكومي وآخر من المحاكم، تمهيدًا للجولة

(*) الناحية في الصومال: وحدة إدارية دون المقاطعة، وهي جزء منها - (district) والمقاطعة تتكون من عدة نواحي - (Region)
أما beel فهي البلدة، الوحدة الإدارية التي تتكون منها الناحية ثم القرية tuulo وحدة إدارية من الدرجة الرابعة أو الخامسة في السلم الإداري.

الثالثة من المفاوضات المزمع عقدها بالخرطوم، في غضون أكتوبر الجاري. وذلك عبر وساطة من جامعة الدول العربية. وصرحت الحكومة من بيدوه، وكررت مرات، أنها لم تُفوّض أي وفد من جانبها للتباحث مع المحاكم. وبالرغم من هذا الموقف الحكومي الرافض للمفاوضات بث الإعلام المحلي تعليقات عن النشاط التفاوضي الجاري في نيروبي. من الناحية الأخرى تتحدث بعض المصادر المطلعة بأن الممثل الإيطالي "ماريو رافاييللي" المسئول عن الشئون الصومالية، هو الذي ضغط على الرئيس ع/ي لسحب المليشيات التابعة له من بورهكبار، لتفادي اصطدامها مع مليشيات المحاكم.

هاجمت الوزيرة فوزية محمد شيخ ع/ي بصورة مباشرة، متهمة إياه بأنه يسعى لزج البلاد في هاوية ليس لها قرار. وأدانت سعيه الحثيث لتسليم البلد إلى إثيوبيا لتحتلها، ولتمكنه من بسط سلطته المطلقة عليها.

الأربعاء ١١ أكتوبر:

جو العاصمة مملوء بالشجون والترقب إثر زحف المليشيات الحكومية على مدينة بورهكبا، ويستنتج من هذه الاستعدادات لهذه المليشيات المدعومة من الجيش الإثيوبي أنها تخطط لشن هجوم على جميع معاقل قوات المحاكم الإسلامية. ومن المفارقة العجيبة أن عامة الناس هنا في مقديشو، وحتى أغلب الفئة التي تسمي نفسها بالسياسيين، ليس في مقدورهم التمييز بين مخاطر الغزو الإثيوبي العدواني على الوطن الصومالي، والذرائع التي يتكلم عنها مؤيدو الاحتلال لخديعة البسطاء. يبدو لي أن الحزب المؤيد للتدخل الإثيوبي تكّون منذ الثمانينيات من القرن الماضي عندما احتضن الدكتاتور الإثيوبي منجستو أول معارضة ضد الحكم في الصومال، وسلّحها لتقوم بمناوشات على الحدود.

يمكن مقارنة هذه المجموعة بالحزب الذي كان يؤيد في أرتريا الاحتماء بسلطة الإمبراطور هيلاسلاسي والوحدة مع إثيوبيا، بعد الحرب العالمية الثانية حتى إلغاء النظام الفيدرالي بجرة قلم من النجاشي سنة ١٩٦١. طبعًا الدواعي التاريخية والعنصرية والدينية أيضًا معروفة لدى الإرتريين، ولكن الصوماليين لا يستند ولاؤهم لإثيوبيا إلا لأغراض مادية وطمع في الاستفادة من التدخل الإثيوبي. كثير من هؤلاء يرددون بصورة ديماغوجية أن الحكم الآن في الحبشة في أيدي مناضلين جمهوريين من قومية تغراي والمتعاطفين مع تحرير وانفصال القوميات، التي رزحت تحت نير أباطرة الأمهرة لعقود أو قرون من الزمن. وبعض هؤلاء المتملقين تصل بهم السذاجة واعوجاجهم النفسي إلى

القول بأن تغراي تنتمي إلى قبيلتنا! بينما أطماع إثيوبيا للهيمنة على القبائل المجاورة لها لم تتغير قيد أنملة. لا نبالغ إذا قلنا: لم يتغير شيء يذكر في إثيوبيا اليوم عما كان عليه في أيام منجستو هيلي مريم، وإمبراطور هيلاسلاسي: الحكم قمعي، والفساد مستشر، والقوميات مهضومة الحقوق ومستبدة، والحرب في أغادين مستمرة، بل زادت بشاعة وقسوة، الإصلاحات الديمقراطية التي يتكلمون عنها في أديس أبابا هي للاستهلاك المحلي وذر الرماد في عيون المجتمع الدولي، يكال للحكام التأييد والثناء كلما تمادوا في البطش بقومياتهم وجيرانهم.

ولا أتحفظ عن القول: إن إثيوبيا تتعامل معنا على أنها دولة والصومال قبائل فوضوية، هي نفسها كرَّست بعض هذه القيم. المصالح الجوهرية لا تتغير بتغير الحكام في إثيوبيا، في حين أن الحكام عندنا يدعون لاحتلال بلدهم ودوس مقدساته وإبادة شعبهم. أنا لا أذكر في التاريخ الحديث حاكمًا أو متنفذًا دعا عدو بلده إلى بسط سلطانه على أرض وطنه إلا كوزلينج (Quisling) النرويجي الذي ساعد النازيين على احتلال بلاده أثناء الحرب العالمية الثانية.

نحن هنا في الصومال نعاني من الظاهرة المعروفة بثغرة الأجيال؛ لأن الجيل الواعي الذي تمرّس على الحياة السياسية وتفاعل مع النضال من أجل وحدة صوماليا الكبرى وانتزاعها من براثن الاستعمار الحبشي قد هجروا البلد أو قضوا نحبهم، وحل محلهم الملايين من سكان الريف الذين أرغمتهم الظروف الصعبة في أقاليمهم على النزوح إلى العاصمة والمدن الأخرى، ويقل عندهم الوعي الوطني. يقيدهم البؤس عن الالتفات إلى شيء آخر غير الكدح من أجل البقاء.

كان الجيل الوطني الواعي هو الذي حاول مرتين انتزاع أغادين بالقوة من قبضة الإثيوبيين. وكاد تحرير تلك الأراضي يتحقق لو لم يكن التدخل السوفيتي المكثف، لمساعدة إثيوبيا، وتكالب الغرب والشرق لإفشال الغزو الصومالي، الذي وصل إلى عمق لا يبعد كثيرًا عن العاصمة الإثيوبية.

في مقديشو والمدن الداخلية، أيًا كان حجمها، كان الناس يخرجون إلى الميادين ويصيحون بأعلى أصواتهم: GUUL AMA GEERI NA GEEYA GOOBAHA DAGAALka (النصر أو الموت هلموا بنا إلى مناطق القتال)(*) وكانت جل المظاهرات

(*) أريد أن أبين هنا للتاريخ ولعلم مواطني بلدي أن اللجنة المركزية للحزب الثوري الاشتراكي الصومالي عقدت في مركزه

عفوية ولم تستطع الحكومة تسليح جميع المتطوعين الذين جاؤوا بالآلاف لينضموا إلى صفوف الجيش أو إلى مليشيات جبهات التحرير.

الخميس ١٢ أكتوبر:

القوات الإثيوبية تزداد كل يوم عددًا و تحركًا إلى الأمام نحو العاصمة، ولم تصل إلى هذا العمق في الأراضي الصومالية، رقم "سبع" المعروف بالجمهورية الصومالية منذ أكثر من قرن. في أواخر القرن التاسع عشر كان ملك الحبشة يرسل عصابات أمهرية لنهب الرعاة الصوماليين والاستيلاء على مواشيهم، وكان الأهالي يقاومون هذه الحملات اللصوصية ويفشلونها في أكثر الأحيان، وأحيانًا كانت تعصف بالغزاة الأوبئة الفتّاكة فيموتون جماعة بعد جماعة. وهذه الوقائع مذكورة في كتب التاريخ.

منظمة إيغاد، أصبحت مخلب قط لإثيوبيا؛ لأن التدخل الإثيوبي في الشئون الصومالية يتم تمريره عبر هذه المنظمة، التي تبدو فاشلة في تحقيق أهدافها الأساسية، وانحسر دورها الآن في إدارة الأزمة الصومالية.

اتحاد المحاكم الإسلامية هي الجهة الوحيدة التي يمكن أن تعلن للعالم خطورة الاعتداء الإثيوبي السافر على الصومال، ولا نشير إلى الأمم المتحدة أو مجلس الأمن الضالع في الاحتلال، ولكنها تبدو مقتنعة بأن صوتها لا يصل إلى آذان مسدودة. ولا شك أن الاحتلال يرمي إلى إزالة المحاكم وإشعال حرب قبلية- طائفية جديدة، سوف تسحق كل شيء في هذا البلد، وتكون الحكومة العميلة أول ضحية للغزو الجاري.

ثلاث جلسات طويلة متتالية ليلاً ونهارًا، من ١-٣ مارس سنة ١٩٧٧ لاتخاذ قرار حول المشاكل الأمنية والعسكرية في وقت كانت تتصاعد فيه المناوشات بين جبهة تحرير الصومال الغربي (أغادين) والجيش الإثيوبي. وتقرر بعد مناقشات ملتهبة حينًا ومثيرة للعواطف حينًا آخر أن تعطي الدولة كل التعزيزات المتاحة لجبهة تحرير الصومال الغربي لمواصلة عملياتها العسكرية. ولم ترجع القيادة العليا للحزب الحاكم إلى اللجنة المركزية لتمرير قرار غزو شامل على الأراضي الصومالية المحتلة كما حدث. أنا وقلة من أعضاء الحزب المدنيين لم نكن مؤيدين لقرار الغزو الشامل على إثيوبيا، لانحياز = =الدول الكبرى ضدنا بما في ذلك حلفائنا السوفيت. كما هو معروف في الحرب أن الانتصار السياسي هو المهم.

ولم تنجح دبلوماسيتنا في استمالة دولة واحدة إلى جانبنا بصورة علنية، إفريقية كانت أم آسيوية. ومن الناحية الأخرى لم تكن للجيش الصومالي أسلحة متطورة تفي بالهجوم، بل كانت الأسلحة الموجودة لديه من مخلفات الحرب العالمية الثانية وتم تخصيصها للدفاع فقط، في إطار اتفاقية صريحة بهذا الخصوص مع المزود السوفيتي.

ولهذا كنت أعتقد دائمًا، ولا زلت، أن حرب أغادين في سنة١٩٧٧-١٩٧٨ كانت مغامرة مدفوعة من الغرب في إطار الحرب الباردة لإسقاط النظام الصومالي. أهدرت فيها أرواح الآلاف من الضباط والجنود والمتطوعين المدنيين، وجزء كبير من موارد البلد، وأدت أخيرًا إلى تأزم النظام وزواله.

ومن الغريب أن المحاكم منهمكة في شئون إدارية لا أهمية لها، مثل ملاحقة مستهلكي القات في منازلهم، والتشدد بتطبيق المحسوبية في بلد أغرقه الجهل والفوضى، بينما العدو يتقدم في كل الجهات.

صرح السفير الإيطالي المتجول ماريو رفايلي في مؤتمر صحفي عقده بالأمس في نيروبي الثلاثاء، بأنه يتوجب على المجتمع الدولي إرسال قوات محايدة إلى الحدود الصومالية الإثيوبية، لمراقبتها ومنع اجتياز أي طرف إلى الجانب الآخر تفاديًا لوقوع اصطدام مسلح بين الصوماليين والإثيوبيين. ولكن لا شك أن السفير يعلم أن حشودًا إثيوبية مدججة بأسلحتها الثقيلة والخفيفة موجودة في عمق الأراضي الصومالية منذ أسابيع؛ وبالتالي كان عليه أن يطلب من الإثيوبيين التقهقر إلى ما وراء حدودهم. ولو فرضنا جدلاً إمكانية تطبيق مقترحات السفير فإنه لن يجد سبيلاً لتنفيذ الخطة، إلا أن يتراجع الجيش الإثيوبي إلى ما وراء حدوده.

وإذا أمعنا النظر في السياسة الخارجية الإيطالية تجاه الأزمة الصومالية سنستخلص منها عددًا من المواقف والمبادرات التي تتناقض أحيانًا، ومن أهمها الأمور التالية:

١- حكومة بتينوكراكسي الاشتراكية، التي تزامنت فترة حكمها مع بداية الأزمة الصومالية، وكانت متعاونة مع الحكومة الصومالية، وأنفقت مبالغ طائلة تزيد على المليار دولار في بعض المرافق الحيوية، حاولت وهي ممثلة للغرب إنجاح مصالحة وطنية بين الحكومة والجبهات المسلحة آنذاك. عينت الحكومة الإيطالية السيناتور ماريو رفاييلي (الممثل الإيطالي الراهن) للوساطة بين الأطراف الصومالية المختلفة، ولكن هذه الوساطة فشلت في ديسمبر ١٩٩٠م، عندما رفضت الجبهات المسلحة أن تتصالح مع حكومة الرئيس محمد سياد بري. إثر هذه النتيجة السلبية للمصالحة دعا البرلمان الإيطالي للاستجواب السينيور دى ميكيلس، وزير الخارجية، حول ما يمكن عمله تجاه تفاقم الوضع في الصومال. وكانت إيطاليا تبذل مجهودًا ملحوظًا أيضًا للتوفيق بين الحكومة والمعارضة الداخلية.

ومن تصريحات الوزير أمام البرلمان أنه: "يتوجب علينا مؤازرة السيد الرئيس محمد سياد بري، وليس هناك في الصومال من يمكن أن يحل محله في الوقت الراهن لإدارة هذه الأزمة وحلها؛ لذا يجب أن يكون الرئيس الشخصية المحورية التي من خلالها يمكن الامتداد إلى المعارضة"، ونحن في شهر ديسمبر ١٩٩٠م.

٢- بعد معركة دامت شهرًا في العاصمة مقديشو، بين الحكومة وجبهة المؤتمر الصومالي الموحد، استولت الأخيرة على العاصمة، واضطر الرئيس محمد سياد بري إلى الخروج والانتقال إلى الجنوب كما سبق ذكره، واستقر بكسمايو. وفي نهاية فبراير ١٩٩١ بدأت إيطاليا تتصل من جديد بالرئيس في مقره المؤقت ومع قيادة المؤتمر الموحد في العاصمة، بعد تكوينها لحكومة انتقالية، دون التشاور مع الجبهات المسلحة الأخرى. وكانت فكرة إقامة الحكومة الانتقالية مدفوعة من كبار شخصيات المؤتمر في العاصمة الذين كانوا يمثلون تيارًا مضادًا للجنرال محمد فارح عيديد، رئيس الجبهة، لسد الطريق أمامه ومنعه من الوصول إلى سدة الحكم. ومن هنا انقسم المؤتمر على نفسه وانفلق إلى ثلاثة تيارات متنافسة.

في هذه اللحظة تتوالى الوفود الإيطالية الرسمية، وعلى مستويات مختلفة، وتصل إلى مقديشو وكسمايو للقاء الرئيس وقيادات المؤتمر الموحد، كما تتواصل هذه الوفود مع الشخصيات الصومالية ذات الوزن، سواء خارج البلد أو داخله.

٣- في تلك الفترة كانت إيطاليا تقدم معونات محدودة لمتضرري الحرب بالعاصمة على شكل شحنة طائرة صغيرة من الأدوية والأجهزة الطبية الضرورية. ولكن المتضررين الفعليين في ذلك الوقت كانوا هم النازحين من العاصمة إلى كسمايو. تكدست أعدادهم هناك، إذ فاجأتهم الأحداث في مقديشو ولم يدر في خلدهم أنهم سيصبحون في هذا الوضع المزري بين عشية وضحاها. حاولت إيطاليا مساعدة هؤلاء النازحين ومن بينهم عدد كبير من الرسميين السابقين بكل وسيلة، وإمدادهم بالمؤن الغذائية والأدوية، ونقل بعضهم إلى إيطاليا للجوء المؤقت. ولكن هذا الاهتمام بشخصيات النظام المخلوع ومؤيديه الآخرين استثار حفيظة قيادات المؤتمر الموحد بجميع تياراته، متهمين الحكومة الإيطالية بالانحياز إلى الرئيس سياد، وأنها تحاول إعادته إلى السلطة من جديد.

٤- ومن ردود الفعل المبالغ فيها من قبل المؤتمر الصومالي إرسال طائرة من طراز ميج الحربية لقصف مطار كسمايو، في وقت كانت فيه طائرة شحن مستأجرة من الحكومة الإيطالية تفرغ شحنتها على أرض المطار. كادت الميج وهى طائرة خردة تم تصليحها بعد انتشالها من مرقدها القديم، أن تصيب طائرة الشحن بقذيفة. والحادثة من الوقائع التي أثرت سلبًا على العلاقات بين الجبهة وإيطاليا.

٥- وفي بداية ١٩٩٢ (أظن أنه كان شهر يناير) كانت السلطات المؤقتة بمقديشو

تنتظر مجيء وفد نائب وزير خارجية إيطاليا إلى العاصمة، للتباحث مع حكومة المؤتمر، بينما كانت المعارك جارية بين عيديد ومنافسه علي مهدي، بما عرف لاحقًا بحرب الأشهر الأربعة. ولكن كانت المفاجأة أنه عندما اقتربت طائرة نائب الوزير من أرض المطار فتحت مليشيات عيديد نيران مدافعها على الطائرة، ومنعتها من الهبوط واضطرت للرجوع إلى نيروبي محل إقلاعها، ومنذ هذا الحادث تحولت علاقة محمد فارح عيديد (ضابط حصل على رتبه الأولى من أكاديمية إيطالية) مع إيطاليا من سيئ إلى أسوأ.

٦- ولكن إيطاليا بالرغم من هذه الإهانات والتجاوزات بحقها من تيار عيديد لم تنحاز كلية إلى حكومة السيد علي مهدي محمد، ولم تعترف بها، والدليل على ذلك أن السيد/ عبد القادر محمد أدن "زوبو" [رحمه الله] الذي قيل: إنه في زيارة رسمية لإيطاليا بدعوة من الجهات المعنية، حيث حددت له مقابلات عديدة مع الرسميين من وزراء ومناصب أخرى في الدولة، وألغت وزارة الخارجية كل المواعيد بعد أن وصل السيد/ عبد القادر إلى روما. ومنعته الخارجية أيضًا من أن يلتقي مع الرسميين بصورة شخصية، ربما خوفًا من إثارة الصحافة لزيارته وانعكاساتها السلبية في مقديشو. هل هذه التصرفات عبارة عن خسارة إيطاليا لطرفي نقيض الصومال أم شطارة دبلوماسية لا تريد أن تهرق ماء الوجه مهما كانت الظروف صعبة؟

٧- لا شك أن الدبلوماسية الإيطالية صبورة وحصيفة، ولا ننسى أن نيكولو مكيافيللي كان ينتمي إلى هذه الدبلوماسية. يدور في هذا الصدد تساءل آخر، قبل أن أقدم استنتاجي الخاص بالمواقف الإيطالية المتناقضة، وهو هل كانت إيطاليا مقتنعة بأن المؤتمر الصومالي الموحد، حتى وإن تصالحت تياراته حول برنامج سياسي، لحل الأزمة وتأكيد وحدة البلد، ليس لديه المقومات القيادية اللازمة لرئاسة الدولة؟

كانت إيطاليا وما زالت أنشط دولة أجنبية على الإطلاق من حيث الاهتمام بالأزمة الصومالية:

٨- كان لها دائمًا مبعوث على درجة سفير على رأس بعثتها في مقديشو، كلما أمكن ذلك، وفي نيروبي اضطراريًا ومؤقتًا، حتى إن ادعت قبيلة صومالية أن "ماريو سيكا" ينتمي إليها، وكان سفيرًا مقيمًا في بداية الحرب الأهلية.

علاوة على السفراء عيَّنت إيطاليا مفوَّضًا ساميًا للشئون الصومالية ودول إيغاد في شخص السيناتور ماريو رفاييللي Mario Raffaelli .

٩- كانت إيطاليا ضمن الدول الأوروبية المشتركة في الحملة العسكرية المعروفة بـ "إعادة الأمل" تحت القيادة الأمريكية، والتي احتلت الصومال في ديسمبر ١٩٩٢، وحاولت الولايات المتحدة عرقلة الاشتراك الإيطالي في الحملة ولكن روما أزاحت من وجهها هذه العراقيل مستعينة بشركائها الأوروبيين. وتبلور تصميمها في السيطرة على إدارة الأزمة الصومالية وبرز أكثر وضوحًا عند إنشائها للمنتدى الذي أصبح معروفًا بـ "منتدى شركاء إيغاد" تحت رئاسة روما وبعضوية الدول الكبرى والمهتمة بالأزمة الصومالية، ولفيف من هيئات عالمية كبرى مثل البنك الدولي والاتحاد الأوروبي.

وكان الهدف من تأسيس هذا المنتدى هو تنسيق الأنشطة السياسية للدول الأعضاء، والاستفادة من ثقلها الاقتصادي الهائل بحيث يمكن على قدر الإمكان للمنتدى، استخدام المساعدات الاقتصادية لتمرير إجراء سياسي معين. ومما لا بد من ذكره هنا أن نادي شركاء إيغاد هو الذي رسم سياسة عقد مؤتمر مصالحة تحت مظلة إيغاد، الذي أفضى إلى بروز النظام المؤقت الراهن. كان النادي يدير من وراء الستار كل أنشطة المؤتمر ومولـه منذ بدايته حتى نهايته (١٥/١٠/٢٠٠٢-٢٠٠٤).

١٠- بعد أكثر من ثماني عشرة سنة من النشاط السياسي غير المجدي لإيطاليا، يبدو الآن أن الأمريكان استعادوا سيطرتهم المباشرة على الشئون الصومالية، عند إنشائهم لـ "جماعة الاتصال" بدار السلام في نهاية سنة ٢٠٠٦ (والاسم تصغير للتمويه) بعضوية الدول الكبرى والدول الأخرى المعنية بالشئون الصومالية. والجماعة لعبت دورًا في التخطيط للاحتلال الإثيوبي والدفاع عن اعتداءاتها السافر، وإهدائها المال، وتحسين علاقاتها العامة، عبر وسائل الإعلام العالمي. وبالرغم من تحول بؤرة الاهتمام بالشئون الصومالية إلى هذا النادي الجديد إلا أن إيطاليا تصر على إبقاء أصدقاء إيغاد لمزاولة أنشطتهم بنفس أطول، وتحاول استيعاب النادي الجديد في هيكل شركاء إيغاد القديم، وتقاوم أي محاولة لتهميش هذه المؤسسة.

إن هذا النشاط الدؤوب لإيطاليا له جوانبه الإيجابية، وليس من المنصف أن نحملها كل الفشل والإحباطات التي نجمت عن الأزمة الصومالية، فقد وصلت كل المحاولات متعددة الجوانب للمجتمع الدولي، وبعض دول الجوار كدولة جيبوتي لإيقاف الأزمة وحلها إلى طريق مسدود. التعقيدات المحلية الصومالية والخلافات الحزبية والطائفية هي التي جعلت الأزمة تستعصي على الحلول المعقولة. ومن الناحية الأخرى هناك من يتهم إيطاليا بأن سياساتها لا تتناغم مع التوجهات الغربية السائدة في هذا الصدد؛ لأنها تحاول دائمًا

لعب دور خاص بها يكتنفه الغموض والمراوغة على أساس تناقضات متعمدة.

١١- ولما استقر الرئيس السابق محمد سياد بري في بيدوه في نهاية ١٩٩١، وصلت إلى المدينة بعثة إيطالية حثته على شن هجوم على مقديشو (هناك من يقول: إن البعثة جاءت لتجعله يعدل عن القيام بالهجوم). وفعلاً قام الرئيس السابق بهذا الهجوم ولكنه فشل بصورة غير مسبوقة، وأصبح جنرال عيديد المنتصر في هذه الحرب في شهر إبريل ١٩٩٢ بؤرة اهتمام الإيطاليين، وكان عدوهم اللدود من جراء خصومة قانونية بينهما تتطور إجراءاتها منذ الثمانينيات، وبالتالي جاء إلى الصومال وزير خارجية إيطاليا إميليو كولومبو في سبتمبر ١٩٩٢، والتقى بالجنرال محمد فارح عيديد، وهو مقيم في مدينة بارطيري، مركز قيادته المؤقتة في الجنوب الغربي من البلد.

قبل كل شيء اعتبر منافسو عيديد أن زيارة الوزير كانت تهدف إلى التصالح مع الجنرال، ثم الانحياز إلى جانبه في الساحة السياسية.

١٢- وفي غضون سنة، عندما طبقت الأمم المتحدة الحصار على عيديد، وحاولت أسره اندلعت المواجهات الدامية بينهما من يونيو ١٩٩٣ إلى أكتوبر، عندما انتهت المواجهات. تأزمت من جديد العلاقات بين إيطاليا وبينه في تلك الأثناء؛ لأن مليشيات عيديد كانت هي المسئولة عن قتل العديد من الجنود الإيطاليين المنتمين إلى الحملة العسكرية بقيادة الأمم المتحدة.

وهذا التأرجح في العلاقات مع الفصائل الصومالية، ومحاولة إيطاليا المستمرة أن تحتكر إدارة الأزمة الصومالية، وأن تنصب نفسها وصيًّا على الصومال، والمرجع الأوحد دون عمل أي شيء جاد في مجال المصالحة أو أخذ مبادرة جريئة يمكن أن تحسب لها، سواء في المجال السياسي أو الاقتصادي، كل هذا جعل قطاعًا مهمًّا من المثقفين الصوماليين والسياسيين يشك في أن اهتمام إيطاليا بمجريات الأمور في الصومال ليس بنَّاءً، إنما يهدف إلى تثبيت الأوضاع الراهنة حتى تتبلور تطورات جديدة تتمكن من خلالها من السيطرة الكاملة على البلد وتجعله تحت هيمنتها السياسية.

وفي عجالة – وقد أطلت فى هذا الموضوع، وليس قصدي تحليله المسهب، أود أن أختتم ملاحظاتي باقتباسين: الأول من كتاب "المصيدة الصومالية" (trappola somala) 1993. للكاتب الإيطالي Angelo Del Bocca والاقتباس الثانى من كتاب: صوماليا: القبائل فى مواجهة القومية: (Somalia:clan vs

nation) 2002 للكاتبة المعروفة مريم عريف قاسم.

أ- "بداية تبيّن أن إيطاليا غير قادرة على العمل في الفريق بالرغم من توقيعها لاتفاقية[قوات حفظ الأمن] إنها ستعمل كلية تحت مظلة يونصوم الثاني، إلا أنها احتفظت بنظامها الذاتي، حتى وإن تسبب هذا النظام الذاتي في أزمة حادة لـ يونصوم (معروف أن القوات الإيطالية كانت في تصادم وخلافات مستمرة مع القيادة العامة تحت إشراف الأمم المتحدة). يقول البعض: إن البعثة العسكرية الإيطالية جاءت لتعطيل الحملة أولاً، ثم عرقلة مجهود الأمم المتحدة) ترجمة من المصيدة.

بالرغم من السنوات الاثنتي عشرة من الحرب الأهلية المدمرة (التي يعانيها الشعب الصومالي) إلا أن إيطاليا استمرت غير مبالية بما يحدث في مستعمراتها القديمة، طالما لا تتدخل أطراف أخرى في الشأن الصومالي، ولكن عندما يتقدم طرف ثالث بمبادرة سياسية معقولة سرعان ما تصحو إيطاليا وتنشط في مناوراتها لتضرب القيادات الصومالية بعضها ببعض لتؤيد الفصيل الذي يرفض المبادرة الجديدة ويسعى لإفشالها. وعندما تموت المبادرة التي أتى بها الطرف الثالث تعود إيطاليا إلى سباتها المعهود، وتنأى بنفسها عن المشاكل الصومالية". (ترجمة من النص الإنجليزي لكتاب مريم عريف المذكور).

الجمعة ١٣ أكتوبر:

سألت صديقًا لي تناولنا الإفطار معًا في بيتي بالأمس، وهو من أعيان مقديشو، وكان يتابع عن كثب برنامج أمراء الحرب المتحالفين المعروفين بـ "المكافحين لإعادة السلام وضد الإرهاب": ماذا حدث عندما نقُض العهد من جانب راعي البرنامج وممولّه الذي تعهد لأمراء الحرب بمشاركة عسكرية لإنجاح برنامجهم؟

عندما فشل البرنامج وطُرد زعماء الحرب من العاصمة صرَّح عدد منهم بأن متبني البرنامج وهو هيئة الاستخبارات الأمريكية كما هو معلوم أكدت لهم مرارًا أنها ستحارب إلى جانبهم بالطائرات والمشاة، وسوف تغزو الصومال لتحتلها وتسحق الإرهابيين. ولم يحدث شيء من هذا القبيل حسب ادعائهم، أجاب الصديق: كانت هناك بعض وعود سرية كان يعلمها بعضهم!

لم أسمع بنفسي النبأ من وسائل الإعلام، ولكن أكد لي صديق تابع التصريح أن البرنامج التابع للأمم المتحدة والمشرف على مختلف الهيئات متعددة الأهداف، قرر سحب موظفيه من جمهورية الصومال مبررًا ذلك بأنهم أصبحوا تحت تهديدات مستمرة، ولا

يمكن للبرنامج أن يعمل أي شيء. ويبدو أن هذا الانسحاب الكلي ليس له سوابق، وبالتالي من الواضح أن "البكاء أبعد مرمى من موت النعجة" كما يقول المثل الصومالي. وعندما تحرينا عن دوافع هذا القرار بالانسحاب الكلي وقفنا على أمرين:

الأمر الأول: أن هذا الجلاء رد فعل لإعلان الحرب والجهاد من قبل المحاكم، ضد الغزو الإثيوبي المرتقب وما سيترتب عليه من حرب شاملة ومخاطر للمدنيين.

والأمر الثاني: حصار غير معلن على الصومال تنفيذًا للسياسات الغربية ضد الإرهاب.

يتضح أيضًا من هذا السيناريو مرة أخرى، أن الأمم المتحدة بقدر ما تدير هذه البرامج الإنسانية الهائلة يمكن أن تستخدم لحصار بلد وتجويع منكوبيه.

ومن ناحية أخرى فإن المحاكم لا تريد إيصال احتجاجاتها إلى الأمم المتحدة أو إبلاغ وجهة نظرها للعالم حول الاحتلال الإثيوبي ومخاطره المرتقبة، والخروقات للمواثيق الدولية التي تترتب عليه. المحاكم هي الجهة الوحيدة التي يمكن لها معارضة الاحتلال وتحديه بصورة فعالة، ولكن يبدو أن الإسلاميين مقتنعون بأن الأمم المتحدة والدول الكبرى ضالعون في تشجيع الإثيوبيين لشن الهجوم على الصومال، وبالتالي يرون أنه لا جدوى من احتجاج يزيد فقط من ازدراء المخططين والممولين للاجتياح. ولكن بالرغم من واقعية موقف المحاكم إلا أنه لا يمكن لها أن تتنازل عن حقها، وحق الشعب الصومالي في أن تعلن احتجاجها للعالم مشيرة إلى خطورة هذا الاجتياح الظالم، والمعاناة التي ستنتج عنه قريبًا.

اتخذ رئيس الوزراء ع/م/ غيدي تدابير تأديبية ضد بعض أعضاء حكومته: فأقال السيدة/ فوزية محمد شيخ، والسيدة/ خديجة محمد ديري ، وعين بدلاً منهما أعضاء جددًا منهم صالح سخاوي (نائب وزير) والسيدة/ آمنة مرسل بدلاً من فوزية في وزارة "شئون المرأة والعائلة".

السبت والأحد ١٤-١٥ أكتوبر:

حسب مصادر موثوق بها تستعد المحاكم لقطع الطريق المعبد الذي يربط بيدوه بالعاصمة لأسباب إستراتيجية. ولتنفيذ هذه الخطة يقول المراقبون: إنها أرسلت إلى منطقة بورهكبا عربات مسلحة، وهي ما يُعرف هنا بـــ "تكنيكا" لا يقل عددها عن خمسين وحدة.

يرجح أن تكون نقطة تجمع قوات المحاكم على مشارف بورهكبا. وفي هذا الصدد بثت قناة الجزيرة صورًا لحشود معممة من قوات المحاكم تنتقل إلى المنطقة.

ونتيجة لمناظرة بثتها إذاعة الـ بي.بي.سي/ ق.ص، بين ممثلي الحكومة والمحاكم ظهر أن الحكومة متحفظة في اشتراكها في المفاوضات المزمع انعقادها في الخرطوم، في أواخر شهر أكتوبر الجاري.

الرئيس ع/ي سافر اليوم (السبت) فجأة من مدينة بيدوه متوجهًا إلى أديس أبابا. ولا يُعرف سبب لهذه الرحلة التي لم يعلن عنها مسبقًا. يعتقد أنه سيلتقي برئيس وزراء إثيوبيا في إطار المشاورات الروتينية بين الحليفين.

استغرب الأهالي من تصرفات الرئيس الذي يبدو أنه يأخذ الأوامر من أديس أبابا، ويتردد إليها غير مبال بشعور المواطنين الذين يرون أنه يسير ضد التيار الوطني- الديني الرافض للتدخل الإثيوبي.

ولم يحدث في الماضي أنّ رئيس دولة أو حكومة صومالي تودد لإثيوبيا إلى هذا الحد. تقرب الرئيس إلى أديس أبابا بهذه الطريقة المبتذلة يجرح شعور الشعب ويهين كرامته.

يعتقد الرئيس أن تقربه وإخلاصه لإثيوبيا سوف يمكنه من بسط سلطته على جميع الأقاليم والعاصمة، وسوف يكون الجيش الإثيوبي عاملاً لاستقرار وازدهار نظامه، ولكن إثيوبيا لا تساعد أي طرف صومالي على أن يصبح قويًا ومستقرًا. ومن المؤسف أن الرئيس عبد الله لم يستوعب أي حكمة من علاقته الطويلة بإثيوبيا، خاصة الوقائع التي حدثت في سنة ١٩٨٢ عندما سلحته إثيوبيا، وكان قائدا لجبهة الخلاص الوطني، ودفعته للاستيلاء على منطقتي "غل دغب" GalDogob ، و"بلامبلى"Blamballe، الحدوديتين لتكونا مركز انطلاق الجبهة لمواجهة القوات الصومالية. ولما نجح في السيطرة على المنطقتين ورفع العلم الصومالي عليهما، داهمته القوات الإثيوبية وأنزلت العلم وأرسلته إلى غياهب سجون أديس أبابا عند تململه من تنكر الإثيوبيين لوعودهم. وستكون نهاية هذه العلاقة الحميمة وخيمة كغيرها في السابق.

انتقلت اليوم سيطرة مدينة براوي إلى أيدي المحاكم الإسلامية بعد أن كان يحكمها زعيم المليشيات السابق يوسف محمد سياد "انعدي" بعد انضمامه إلى نظام المحاكم، وتم تعيينه في منصب مسئول مكتب الدفاع (الأحد).

لقاء غير مريح مع عدد من النواب في فندق الصحفي والحديث يدور حول المواجهات المرتقبة بين المحاكم والحكومة المؤقتة، ويقول أحد النواب: إن الإثيوبيين والأمريكان لهم قنوات اتصال برجال المحاكم، وأنه من المحتمل أن تتفاهم هذه الأطراف على قضايا معينة، منها: انصياع أجندة اتحاد المحاكم الإسلامية إلى صيغة لتقاسم السلطة مع الحكومة المؤقتة، في حين أن السيد/ ع/م/ غيدي نفسه أصر هو وبعض مؤيديه على أنه يسعى لأخذ زمام المفاوضات مع المحاكم.

سبق أن اعتزل شريف حسن منصب رئيس الوفد الحكومي المفاوض مع الإسلاميين، وتضامن معه في الاعتزال عدد من أعضاء وفده البرلمانيين.

الإثنين ١٦ أكتوبر:

يوم مليء بالأحداث في مدينة بيدوه. مليشيات أدن "سرنسور" تحاصر منزل الجنرال علي مدوبي، رئيس قوات البوليس التابعة للحكومة المؤقتة، فور عودته إلى المدينة عن طريق نيروبي. منذ يومين يطلب أدن سرنسور أن يسلم الجنرال نفسه إلى مليشيات تحالفه؛ لأنه المدان الوحيد في مقتل ستة رجال من مليشياته في الرابع من شهر سبتمبر المنصرم، حسب اتهاماتهم. والغريب في هذا المشهد هو أن رئيس البوليس، والمسئول الأمني الأول تحتجزه مليشيات قبلية وتنفذ عليه أحكامها، والحكومة لا تستطيع فعل أي شيء تجاه هذا الوضع المحرج. هذه هي الفوضى على أشدها، وإن دلت على شيء فإنما تدل على الضعف الذي تتقلب فيء الحكومة المؤقتة، والتي كما يبدو ليس لها أمام الجماهير رصيد يحفظ لها ماء الوجه.

وعقب مفاوضات مضنية، دامت عدة أيام لفك الحصار عن الجنرال، أعلن أدن سرنسور في مؤتمر صحفي بثته الـ بي.بي.سي / ق.ص، أن الأطراف المعنية توصلت إلى اتفاق يخرج بموجبه علي مدوبي من مدينة بيدوه في غضون ٢٤ ساعة، كشرط لفك الحصار المفروض عليه. ولكن سرنسور لم يعط تفاصيل عن بنود الاتفاقية وكيف تم دفع الدية والتعويضات الأخرى عن الخسائر المادية التي لحقت بتحالفه.

نظمت المحاكم الإسلامية مظاهرة في بورهكبار احتجاجًا على القوات الإثيوبية المتواجدة داخل البلد. احتج بعض المتظاهرين، كعرض جانبي، ضد عزل الوزيرة فوزية محمد شيخ حسن، واعتبروا هذا الإجراء تعسفًا في حق أهل بورهكبا؛ لأن السيدة من هذه المدينة وتحظى بتأييد كبير وشعبية عند سكان إقليم باي.

نقل الصحفي أنتوني ميتشل Antony Mitchel من وكالة أسوسييتدبرس، عن "بيتر فام" الخبير المتخصص في العمليات ضد الإرهاب، ومركزه الولايات المتحدة، قوله: "إن ما نشاهده هناك [الصومال] هي حركة متطرفة خطيرة" معلقًا على طبيعة المحاكم الإسلامية بالصومال. ويضيف "بيتر فام" الذي قرأت له عدة مقالات فجة عبر الإنترنت هذه الأيام: "إن الغرب في أسلوب تعامله مع المحاكم الإسلامية يتصرف كتصرف النعامة في إنكارها للواقع.

الثلاثاء ١٧ أكتوبر:

في مدينة بيدوه، مازالت أزمة رئيس البوليس المحتجز من قبل تحالف أدن سرنسور في تفاقم مستمر. ويتوقع أن تتحول الأزمة من رسمية إلى قبلية، والحكومة في موقف المتفرج المحايد، خوفًا من إثارة المزيد من الحساسيات المحلية، بالرغم من تأييد قطاعات حكومية للجنرال. بينما فعاليات "رحنوينية" وخاصة من قبيلة سرنسور المتنفذة هناك، تبارك إجراءات سرنسور، إذ يرونه الـ "روبن هود" الذي يستميت في الدفاع عن مصالحهم واستعادة حقوقهم المسلوبة.

قال صحفي "مستقل" من بيدوه، أجرت معه الـ بي.بي.سي/ ق.ص، مكالمة: "إن الجنرال ما زال قابعًا في بيته تحميه قوات إثيوبية مسلحة تسليحًا قويًّا". ولما سأله المذيع: هل رأيت بعينك القوات الإثيوبية، وكيف أمكن لك تمييزهم عن القوات المحلية؟ أجاب الصحفي: "القوات الإثيوبية متميزة بزيها العسكري الأخضر مع علامات خاصة بهم، يتكلمون الإثيوبية وعند حديثهم مع الصوماليين يستخدمون المترجمين".

وبصدد هذه الإشكالية حول احتجاز الجنرال صرَّح أحد أعيان إقليم "جدو" بأن عشيرة "مريحان" التي ينتمي إليها رئيس البوليس عقدت اجتماعًا في مدينة "بارطيري" لاتخاذ موقف موحد حيال احتجاز رجل ينتمي إلى مجتمعهم. وتوصلت إلى القرار التالي: "احتجاز الضابط الأعلى رتبة في البوليس من قبل مليشيات محلية هو شأن الحكومة المؤقتة، وما يجري من تجاوزات ضد مسئوليها هي التي يُطلب منها وقف هذه التجاوزات، ومواجهة المعتدين وردعهم وملاحقتهم أيضًا. وفي هذا الصدد يكون المسئول عن مضاعفات الحادث هو رئيس الوزراء ع/ م/ غيدي، ولم يكن الأمر ليصل إلى هذا الاحتقان لولا تخاذل الحكومة واتخاذها موقف المتفرج".

ينتظر اليوم عودة الرئيس ع/ي من زيارته لأديس أبابا لحل الأزمة المتفاقمة في

بيدوه التي نالت كثيرًا من هيبة الدولة. وإذا تم ترحيل علي مدوبي من بيدوه، وهو من الخيارات لحل الأزمة حسب متطلبات عدد من فعاليات "رحنوينية"، سوف يكون ذلك مؤشرًا على فشل النظام المؤقت. بدأت أقرأ أحدث تقرير لـ "جماعة الأزمات العالمية" international crisis group بتاريخ ١٠ أغسطس. الوثيقة تركز على الصومال وتحت العنوان: "هل يمكن احتواء الأزمة الصومالية؟"

التقرير دقيق جدًّا، وهو عبارة عن دراسة متعمقة حول بروز المحاكم إلى الحيز السياسي، بعد أن هزموا التحالف من أجل السلام وضد الإرهاب. وبالرغم من المجهود البحثي المرموق الذي اشتركت فيه طواقم عدة من الخبراء والمتخصصين في شئون القرن الإفريقي، إلا أنني ألاحظ في طيات هذه الوثيقة تقديرات وقناعات خاطئة. ومن الجدير بالإشارة هنا أن التوجه العام للتقرير لا يخرج عن إطار جمع معلومات استخباراتية تصب في خانة تصويب السياسات الغربية والأمريكية خاصة تجاه معالجة الأزمة الصومالية. ترى جماعة الأزمات لزوم سيطرة إثيوبيا على القرن الإفريقي في إطار المقتضيات الإستراتيجية القارية للولايات المتحدة.

الأربعاء ١٨ أكتوبر:

الجو العام في جنوب الصومال مكهرب سياسيًّا بين الأطراف المتنازعة. أزمة احتجاز جنرال البوليس في بيدوه أصبحت الآن هامشية بالنسبة للاشتباكات المنتظرة في جبهة باي بين الحكوميين والمحاكم، وفي جوبا الوسطى والسفلى بين قوات المحاكم ومليشيات جدو تحت إمرة وزير (الدفاع) بري أدن شيري "هيرالي". هذه الشخصية مشهود لها ببراعة فائقة في المناورات المحلية، وكذلك إلمام ملحوظ بالشئون العسكرية. ولكن خططه العسكرية الراهنة ليست موفقة. بري لا يتفوه بكلمة واحدة، ولكن مساعدوه يتوعدون المحاكم التي أخرجتهم من الجوبتين، الوسطى وعاصمتها مدينة جلب، والسفلى وعاصمتها كسمايو بالويل والدمار.

من الشخصيات التي تلعب دورًا في هذه الأزمة عدد من الأعيان البارزين من عشيرة "مريحان" الذين لا يرون ضرورة خوض معارك جديدة مع الإسلاميين. وهم أقلية تسبح ضد التيار المتمثل في أغلبية العشيرة التي قطعت على نفسها العهد باستعادة الأرض التي خسرتها في المواجهات السابقة مع المحاكم. ومن الناحية الأخرى بالرغم من الوعيد والتهديدات الصادرة من "جدو" إلا أن المحاكم لا يظهر عليهم القلق من الهجوم المرتقب من محافظة "جدو".

الخميس ١٩ أكتوبر:

الرئيس ع/ ي موجود الآن في نيروبي ليلتقي بجماعة الاتصال التي تترأسها الولايات المتحدة. كما يتواجد في العاصمة الكينية السيد/ إبراهيم حسن عدو ممثل المحاكم لشئون المفاوضات. ولا يمكن لنا التنبؤ بما إذا كان الطرفان سيلتقيان بنيروبي، خارج توقيت أجندة المفاوضات.

أعلنت إثيوبيا أنها أرسلت مدرّبين لمليشيات الحكومة، وذلك ضمن برامج دعمها للحكومة المؤقتة ببيدوه. ومن الجهة الأخرى تُدرِّب المحاكم المئات من المتطوِّعين للدفاع عن أرض الوطن.

ومن بيدوه لا جديد في قضية احتجاز الجنرال. مختار ربو، أو أبو منصور" احتل منطقة قرطو بالقرب من بورهكبا، وأعلن أنه لا يخطط للاستيلاء على المدينة نفسها، بالرغم من أنها ليست خاضعة لسلطة الحكومة المؤقتة. استنتج عدد من المحللين السياسيين والعسكريين أنه لا مفر، تبعًا للظروف الراهنة، من انفجار حروب دينية سوف تبتلع منطقة القرن الإفريقي برمتها على المدى القريب.

بث الجزيرة نبأ مفاده أن السيدة جندايى فرايزر، مساعدة وزيرة الخارجية الأمريكية للشئون الإفريقية، أدانت حكومة أرتريا لتزويدها اتحاد المحاكم الإسلامية بأسلحة وذخائر حسب زعمها. صرحت المسئولة الأمريكية بهذه الإدانة من نيروبي - كينيا، وهي تشترك في جلسة للمجموعة التي سمت نفسها بـ "مجموعة الاتصال" contact group، أُنشئت خصيصًا لإدارة الأزمة الصومالية وتوجيهها.

طلبت هذه المسئولة أيضًا من المجتمع الدولي محاربة الإرهاب في الصومال (المحاكم)، وتأييد الحكومة المؤقتة. وتمت الإشارة إلى هذا الموضوع في عدة مواضع من هذه المذكرات. هذه المجموعة خططت لها الولايات المتحدة تمهيدًا للاحتلال الإثيوبي المرتقب للاعتداء على المحاكم الإسلامية ودحرها عسكريًّا بالحديد والنار، كجزء في إطار إستراتيجية محاربة الإرهاب.

ومن المفارقة العجيبة أنه لا توجد بين مجموعة الاتصالات دولة واحدة تتحدث بصورة شبه محايدة. لا نريد منها الشجب الهامس، وأن تعلن مفردة وعلى استحياء العواقب السلبية للاحتلال الإثيوبي الزاحف على الصومال، خرقًا للشرعية الدولية والمواثيق العالمية المنصوص عليها في القانون الدولي، بينما في العلن ترضخ لإرادة

الكبار المهيمنين على المنطقة.

الصومال ضحية لاعتداءات متكررة، وهذه بلطجة مكشوفة تدل على فشل الغربيين في تعاملهم مع العالم الثالث وقضاياه الوجودية. ولا شك أن هذه الغطرسة التي هي نتيجة للرؤية السطحية للأحوال المعقدة في العالم الثالث، لا تؤدي إلا إلى فشل هذه السياسات العدوانية.

يوم الجمعة ٢٠ أكتوبر:

بدأت الأمطار الموسمية (داير) تهطل بغزارة على العاصمة من ثلاثة أيام، وبالتالي تلطف الجو وانخفضت الحرارة بصورة ملحوظة. وتقول الأنباء الواردة من مقاطعة جوبا الوسطى: إن الأمطار الغزيرة قد عرقلت زحف قوات الكولونيل بري أدن شيرهيرالي.

كان رد فعل الحكومة الإرترية قويًا ضد إدانة جنداي فرايزر لها، ووصفت هذه الإدانة بأنها باطلة، وافتراء لا صحة له إطلاقًا. بمناسبة شهر الصوم يعطي لها أهل مقديشو مؤنًا غذائية جافة لما يسمى بالنازحين بالداخل. كانت هذه الجماعات من النازحين في البداية – وهم متواجدون في العاصمة منذ عام ١٩٩٣، فى وقت سيطر فيه القحط الكاسح على أقاليمهم، وعصفت بهم الأوبئة، فاضطروا للجوء إلى الأقاليم الأخرى – لكنهم أصبحوا الآن من سكان مقديشو، واحتلوا المدارس والمعاهد التي أصبحت خاوية بعد اندلاع الحرب الأهلية، وحوّلوها إلى مخيمات محصورة وسط حظائر مطوقة بالأشجار الشائكة، طبقًا للتقاليد الرعوية الصومالية.

يعيش هؤلاء النازحون حياة ضنكة، فأكثرهم متسولون أو حمّالون في الأسواق الكبيرة مثل بكارها، والصغيرة مثل سوق كاران، وعدد كبير من هذه الجماعات أصبح منشطي الحفلات والمظاهرات أو الاستعراضات الجماهيرية، حيث إن كثرة عدد المشتركين في هذه المناسبات لها أهمية إعلامية وتعطي لها أيضًا اعتبارات سياسية.

ولكن كان من المفيد توجيه هذه الجماعات إلى القيام بأعمال إنتاجية تعود بالفائدة على الجميع، كالفلاحة والرعي، وتدريبهم حرفيًا على قدر الإمكان. اختيار أفراد النازحين لهذا النمط من المعيشة الطفيلية، وعلى أعمال لا تغير من أحوالهم البائسة سوف يؤدي بهم إلى مزيد من الانحطاط في مستوى معيشتهم.

إن هذه الجماعات النازحة تديرها شخصيات لها تنظيم على شكل المافيا، تتولى

أنشطتهم الجماهيرية من مظاهرات، واحتجاجات، واستعراضات يفتخر عدد من مشتركيها بوجودهم فيها؛ لأن في استطاعة هذه المافيا أن تتعاقد مع أي طرف يحتاج إلى مَلْء الساحات بالناس، مقابل أجر معلوم، وعليهم إرسال المئات من المطبلين والمزمرين من سكان العشوائيات.

السبت ٣١ أكتوبر:

حدث صباح اليوم السبت ٢١ أكتوبر حوالي الساعة الثامنة اشتباك بين مليشيات محلية تابعة لمدينة بورهكبا وأخرى حكومية قادمة من بيدوه لشن هجوم على المدينة. وعقب معركة دامت لوقت قصير طُرد المحليون من المدينة. ومن المعروف أن المليشيات المحلية متحالفة مع المحاكم الإسلامية. برر قائد المليشيات المرابطة في المدينة خروجه بأن قواته "انسحبت" لأسباب تكتيكية. بعد تكرار هذه العبارة في كل مرة ينهزم فيها طرف من أطراف الصراع ويخلي الساحة للطرف الآخر، بدأ الناس يُفسِّرون الانسحاب التكتيكي بلفظ اقرب إلى الواقع وهو "الفرار التكتيكي".

يقول شهود عيان: إن الحكوميين كانوا مدعومين بقوات إثيوبية، ومن المحتمل أن هذه القوات المغيرة كانت في مهمة استطلاعية لجس نبض القوات التابعة للمحاكم المحتشدة بين منطقة "قرطو"، و "بور"، منذ أسابيع، على جانبي الطريق المعبد. يبث الإعلام العالمي تحرك مليشيات المحاكم صولة وجولة وهي تتنقل بعرباتها المسلحة "التكنكا"، بزيها العسكري الخاص، ومعتمرة بالعمائم الحمراء.

من المتوقع أن يؤدي الوضع الساخن والمحتقن إلى اقتتال مباشر وشيك بين قوات المحاكم والجيش الحكومي.

الشيخ مختار محمد حسين:

زرت اليوم السبت الشيخ مختار محمد حسين رئيس البرلمان السابق، ورئيس الجمهورية المؤقت إثر اغتيال الدكتور عبد الرشيد على شرماركي رئيس الجمهورية في ١٥ أكتوبر ١٩٦٩، في بيته. الرجل مسن ناهز المائة عام، وَهِن الجسم بالطبع، ولكن ذهنه ماض ومرتّب. يذكر جل الأحداث التي مر بها البلد، خاصة الوقائع المهمة في الكفاح من أجل الاستقلال منذ الأربعينيات من القرن الماضي، وكان من قادة حزب رابطة الشباب الصومالي، فيما كان يُعرف بأقاليم جوبا العليا (باي + بكول +جدو + وجزء من جوبا الوسطى).

أنا أعرف الشيخ مختار منذ أن كنت في الكُتّاب. تعلم العلوم الدينية في مركز ديني في الصومال، ثم انتقل إلى هرر حيث واصل تحصيله طبقًا للمنهج المعروف بـ "اللقية" صوملة النصوص المكتوبة باللغة العربية وترجمتها، وإيجاد مصطلحات دقيقة للمفاهيم الفقهية عمومًا. عند عودته إلى جوبا العليا اشتغل بالتجارة، ولم يكن له طلبة (حر) لتدريس العلوم الدينية. نحن من نفس المدينة "حدر" عاصمة إقليم "بكول" الحالي، وأذكر أنه انخرط في النشاط الحزبي، فرع رابطة الشباب لحدر، منذ أواخر الأربعينيات، وقد ذكرت نشاطه السياسي في كتابي: [حدر وتاريخ جنوب الصومال] الصادر من مكتبة دار النهضة المصرية عام ٢٠٠٥. زودنى بكثير من المعلومات القيمة حول التطورات السياسية في القرن الإفريقي والقطر الصومالي خاصة الكفاح من أجل الصومال الكبير، في ظل الاحتلال الإنجليزي وفترة الوصاية الإيطالية. وعند بزوغ فجر الاستقلال: النشاطات الحزبية بعد الاستقلال في حدر وفي المدن الأخرى وحتى في القرى.

في هذه الفترة بالذات، كان حزب دغل ومرفلة، الذي أصبح حزب الدستور لاحقًا، قويًا جدًا، وفي تنافس مستمر مع حزب رابطة الشباب الصومالي. الاجتماع الأسبوعي [Riunione] لحزب رابطة الشباب كان يعقد كل ليلة السبت (ليلة الأحد حسب التقويم المحلي) في نادي الحزب. أما الحزبية دغل ومرفلة فكانت اجتماعاتها تعقد ليلة الأحد، (الإثنين)، فكانت إدارة الحزبية، أو قيادتها، تنتهز هذه الفرصة لتنتقد التصريحات التي أعلن عنها قياديو حزب الوحدة؛ لأن مكبرات صوت الأحزاب كانت تصل إلى من يريد استماع الخطب، والتقاط الأمور التي يرونها مهمة للإجابة عنها؛ لينتقدوها في اجتماعهم الأسبوعي.

كانت الحزبية في وضع أحسن من حزب الرابطة في هذه المناوشات الكلامية؛ لأن اجتماعها يلي مباشرة جلسة الرابطة، وهي التي تفند وتنفي أو تكذب بصورة مباشرة وفعالة تصريحات الرابطة، مثل: تواجد الرابطة في جميع أقاليم البلد، وأنها ستشكل الحكومة المستقبلية. تنفي الحزبية الفضل الذى تنسبه الرابطة لنفسها.

وتعقيبًا على تكذيب الحزبية كان الشيخ مختار محمد حسين يعلن في اجتماع حزبه، وعلى مسمع الجميع: سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر(سورة القمر آية: ٢٦). وفعلاً تحقق كثيرًا مما تنبأ به الشيخ مختار: حزب الرابطة أصبح الحزب الوطني الذي تصدى للأطماع الاستعمارية، وقاد البلد إلى الاستقلال، وكون كل حكومات البلد من ١٩٥٦ حتى إلغائه من العسكريين في أكتوبر ١٩٦٩. اختار البرلمان سنة ١٩٦٦ الشيخ ليكون رئيسه

وكان واحدًا من نواب رئيس البرلمان قبل تقلده منصب الرئاسة.

الأحد ٢٢ أكتوبر:

آخر يوم في شهر رمضان الفضيل. تترشح أنباء قليلة عن المواجهات التي دارت بين المحاكم وقوات بري أدن شيري. يستشف من هذه التسريبات أن القوات المغيرة مُنيت بهزيمة نكراء، وخسرت خلال هذه المواجهات جل آلياتها الحربية. أغرقها الطمي والأوحال في وقت حوّلت الأمطار الغزيرة والسيول المتدفقة كل مناطق المواجهات إلى مستنقعات تغرز فيها العربات والأسلحة الثقيلة. تحدث بعض ضباط بري عن "الجنرال الوحل" الذي عصف بحملتهم، واضطرهم إلى الرجوع على أعقابهم، قبل الوصول إلى أهدافهم.

يبدو أن قوات المحاكم استغلت هذا الظرف المواتي لهم للاستيلاء على آليات الحرب والذخائر والمؤن، وأسرت عدد من المليشيات المغيرة. تصريحات المحاكم، حول هذا النصر، متحفظة جدًا؛ إذ لا تبوح كثيرًا عن الاصطدامات التي جرت بجوبا الوسطى وعن النتائج التي أسفرت عنها المواجهات كعدد القتلى، والجرحى والأسرى. في مؤتمر صحفي عقدته اليوم بمقديشو بعض قيادات المحاكم كانت تهربت فيه عن الإدلاء بأي أرقام أو معطيات وافية لأسئلة الصحفيين الدقيقة.

ضباط المحاكم لا يريدون أن يشمتوا بالقوات المهزومة لما قد يترتب على ذلك من حساسيات قبلية، ربما تنعكس سلبًا على الإسلاميين؛ لوجود عدد كبير من نفس العشيرة في قيادات تنظيمهم.

الإثنين ٢٣ أكتوبر:

يوم عيد لا انقسام فيه بين سكان العاصمة، كما تكرر في مرات عديدة في الماضي. كما جرت العادة، ذهبت حوالي الساعة السابعة وبضع دقائق إلى فناء مدرسة الإمام الشافعي، في حي هدن لصلاة عيد الفطر، ولكن ما جذب انتباهي هو أن الحضور كان قليلاً بالنسبة للماضي، والمشتركين في الصلاة كانوا من عامة النازحين. تبدو عليهم صعوبة الأوضاع الاقتصادية المتدنية. ولكن اكتشفت لاحقًا سر هذا الوضع؛ إذ ذهب الشيوخ السابقون ليصلوا صلاة العيد بمسجد التضامن الكبير، حيث يبدو على المشتركين التأنق والنضارة، حسب المقاييس المحلية، ويؤمه الزعماء الجدد بالعاصمة ويخطب فيه رئيس اللجنة التنفيذية لاتحاد المحاكم شيخ شريف.

في طريق عودتنا من مصلى الإمام الشافعي سلكنا طريق مكة المكرمة وعند تقاطع هذا الطريق بالآتي من حمر جب - جب والميناء الجديد، كان تزاحم السيارات شديدًا بحيث اضطررنا إلى الوقوف لفترة من الزمن، والطريق خال من إشارات المرور، حتى أفسح المجال لنا متطوع مرور مرتجل. يقول البعض: إنه قد اشترك في صلاة العيد في المسجد ما لا يقل عن ١٥ ألف مصلٍ. امتلأ المكان بالمعيِّدين بالقمصان البراقة والأثواب البيضاء، وتحملهم السيارات الفارهة. هل هذه هي الطبقة الحاكمة الجديدة؟ أو هي طبقة تطمع في الارتقاء إلى الحكم؟ ولا شك أن أوضاع المعيشة لهذه الطبقة النضرة مغايرة لتلك التي صليت معها في فناء مدرسة الإمام الشافعي، التي جاءت إلى المصلى مشيًا على الأقدام. ونشأة الطبقات في عالمنا البائس ليست عملية تراكمية، بل تحدث بين ليلة وضحاها، وربما تزول على نفس الوتيرة، ودائمًا البقاء للأصلح.

ولكن نجد هنا تأكيدًا لحقيقة مفروغ منها، وهي أن السلطة تكسو الرجال مهابة وجمالاً، حتى وإن كانت مؤقتة ومجهولة المستقبل، كوضع المحاكم. من الفكاهات الشائعة في عالم السياسة الإيطالية، أن قيادي في الأحزاب المعارضة وجَّه إلى السياسي الحجة المعروف " جوليو أندريوتي" (أصبح رئيس وزراء على رأس خمس حكومات) هذه الدعابة الكلامية: "سوف تنهككم السلطة"، فأجابه "أندريوتي" بمقولته الشهيرة: "السلطة تنهك من لا يملكها= Il potere logora chi non ha".

أخلت الميليشيات الحكومية مدينة بورهكبا حوالي الساعة الرابعة صباح هذا اليوم الإثنين لأسباب غير معلنة، متراجعة إلى مناطق انطلاقها، وهي نصف الطريق بين بور وبيدوه. يُخمِّن البعض أن هذا التراجع المفاجئ للحكوميين يشير إلى أن هذه القوات لا ترى ضرورة للاشتباك مع الإسلاميين في هذا الوقت، حيث إن ترتيباتهم الخاصة لجمع المعلومات ولجس نبض رد فعل قوات الإسلاميين هي المهمة.

والجيش الإثيوبي معروف بتحركاته التكتيكية جيئة وإيابًا، حيث يحتل موقعًا ويخليه بعد يوم أو يومين، ثم يعود إليه ثانية في حركة متتالية؛ القصد منها إرباك خطط العدو.

رجعت قوات المحاكم إلى بورهكبار ثانية وبصحبتها الميليشيات المحلية التي أخلت المدينة بعد احتلال الحكوميين لها. وبدأ الإسلاميون يضغطون بدورهم على مدينة بيدوه بعد سيطرتهم على مواقع جديدة في الطريق المؤدي إلى عاصمة باي، والمعروف أن المسافة بين المدينتين ٦٠ كيلو مترًا.

الثلاثاء ٢٤ أكتوبر:

ثاني أيام العيد. جو فرح يشوبه التوتر. استغرب كثير من الناس من تصريحات الشيخ حسن تركي التي أدلى بها لإذاعة "هورن أفريك" المحلية قائلاً: "إن اتحاد المحاكم الإسلامية سيحرر جميع أجزاء الصومال وبلاد المسلمين الأخرى (التي تحت الاحتلال)، ولا يكون هناك وجود لصوماليلند وبنتلند. ولا شك أن هذه المجازفات الكلامية من مسئول كبير لا تساعد على تأييد الشعب لسلطة المحاكم. الكلام عن تحرير بلدان بعيدة عن الصومال وإثيوبيا تتهيأ لاحتلال مقديشو، ما هي إلا سذاجة وثرثرة مجانية، وليس الآن وقت العنتريات.

تقول الأنباء الواردة من الجبهة: إن القوات الإثيوبية الغازية احتلت قرية "مودي مودي"، نصف الطريق بين بور وبيدوه، وسحبت الميليشيات الحكومية من الخطوط الأمامية، وحلت محلها قوات من الصاعقة الإثيوبية، دربها الأمريكان تدريبًا عسكريًّا كاملاً. ضباط التيجراي، وهي الطبقة الحاكمة الراهنة، لا تثق بالميليشيات الصومالية غير المدربة، وتحاول أن تقلل من الاستناد إليها لأسباب عديدة، مهما كان ولاؤهم للحكومة المؤقتة قويًّا.

في الوقت الراهن يستخدم الإثيوبيون الميليشيات الصومالية في المهام الاستطلاعية والاستخباراتية الحربية، ولم يكن من عادة الإثيوبيين في الماضي الدخول في الخط الأمامي، ولكن تغيير منهجهم القديم يشير إلى التصميم القوي على الاحتفاظ بجبهة متماسكة، قادرة على التصدي لهجوم الإسلاميين، ومواصلة الزحف إلى الأمام شيئًا فشيئًا.

وسائل الإعلام المحلية مليئة بأنباء تتحدث عن استعدادات المحاكم لشن هجوم وشيك على الغزاة، بينما الدعوة إلى التطوع والاستشهاد تجري على قدم وساق. منطقة بورهكبا وعلى امتداد ثلاثين كيلو مترًا، على جانبي الطريق المعبد، والأدغال المجاورة له، مكتظة بالمسلحين الإسلاميين.

صرح اليوم ملس زيناوي، رئيس وزراء إثيوبيا لوكالة رويترز، بأن إثيوبيا "فنيًّا" في حالة حرب مع الإسلاميين. إن السيد زيناوي يحاول تضليل الرأي العام العالمي، وتسليط الضوء على الصرخات التي تعلو بعنتريات مثل: "سنصلي صلاة عيد الفطر بأديس أبابا" ليبرر أمام المجتمع الدولي، غير المتورط في مخططه العدواني، أنه مضطر للدفاع عن بلده.

الأربعاء ٢٥ أكتوبر:

ذهبت إلى سوق بكارها لقضاء مأمورية هناك. الوحل والمياه المتعفنة تغطي الشوارع الضيقة، في هذا القسم من المدينة. والناس لا يبالون بهذه المضايقات؛ لأنهم يكافحون من أجل لقمة العيش.

تحشد المحاكم قواتها في الشطر الشرقي من الطريق، بينما يعزز الإثيوبيون والحكوميون جبهتهم في القسم الغربي.

بعض المذيعين التابعين للإذاعات المحلية أساء تفسير كون إثيوبيا "فنيًا" في حالة حرب مع المحاكم، حسب تصريح ملس زيناوي، فظنَّ أن أديس أبابا ستشن على المحاكم حربًا فَنية - تقنية (والحرب بالتقنيات). تلتبس على هؤلاء المذيعين الشباب كثير من الأمور القانونية والسياسية الدقيقة لضآلة معرفتهم العامة والمهنية، ويحاولون تقديم ما يلتقطون من الإذاعات الخارجية من أخبار تبدو لهم مهمة لتوصيلها إلى الشعب العريض، الذي لا تفهم أغلبيته إلا اللغة الأم، وهم مضطرون لاستيعاب هذه المعلومات المشوهة والمغلوطة.

احتلت المحاكم اليوم مدينة "ساكو" بعد أن انسحبت منها مليشيات بري أدن شيري "هيرالي". وغاصت في الوحل جميع آلياته الحربية من عربات ومعدات ثقيلة. وطبقًا لمعايير المليشيات الصومالية، الآليات الحربية أهم من الإنسان نفسه، مثلاً الرشاش المتوسط طراز" ب ك م" تصل قيمته إلى ١١ ألف دولار، العربات المسلحة برشاشات ثقيلة تصل قيمتها إلى مائتي ألف دولار. بالنسبة لحملة هيرالي غير المحظوظة، يجوز القول بأن الجنرال وحلاً هو الذي حسم المعركة وهزم القوات المغيرة من باطيري، نقطة انطلاقها، بلا وفيات تذكر من الجانبين.

وهذا يذكرنا - وإن تباينت الأوضاع عسكريًا وجغرافيًا - بـ "الجنرال ثلج" الذي أدى إلى هزيمة نابليون بونابرت في روسيا في بداية القرن التاسع عشر، وأوقع هتلر في نفس الفخ في الحرب العالمية الثانية. ومن غير المعقول ألاّ يحسب ضابط مخضرم من الجيش الصومالي حسابًا للعوائق المتمثلة في الأمطار والأوحال المتوقعة في هذا الفصل من السنة. ولكن لا غرو من الحسابات العسكرية الخاطئة للكولونيل بري أدن هيرالي؛ إذ أخطأ جنرالات عظام مثل "فون باولوس" في موقع ستالينجراد، فيمكن التسامح مع بري وإن لم يحاول أن يصمد كما فعل الجنرال الألماني.

الخميس ٢٦ أكتوبر:

الجو العام في العاصمة متوتر، وما زالت القوات الإثيوبية تكثف تعبئتها على جانبي الطريق المؤدي إلى بورهكبار، وفي عمق عشرات الكيلومترات، كما تتخلل قواتها في الأدغال المجاورة للطريق يمينًا وشمالاً.

أكد لي أ/م/ علي ضابط سابق في الجيش الصومالي أن قوات إثيوبية كثيرة العدد تتدفق إلى مدينة بيدوه، وتهبط في المطار باستمرار طائرات محملة بالجنود.

ومن بيدوه يترشح أيضًا نبأ مفاده أن فرقة استطلاعية من المحاكم وقعت في كمين نصبته لها قوات من الحكوميين، وتم القبض عليها في منطقة مزارع شيخ عبد الرحمن بناني، شرقي مدينة بيدوه.

احتجزت قوات المحاكم ثلاثة نواب برلمانيين، كانوا في طريقهم إلى بيدوه مقر المجلس التشريعي، عندما وصلوا إلى بورهكبار، وهم: شيخ جامع حاج حسين، ومعلم جيس، ومحمد حسن فقي. أثار هذا الإجراء البوليسي زوبعة من ردود الفعل في الأوساط السياسية؛ إذ ليس كل أعضاء البرلمان معادين لنظام المحاكم. وفي هذا الصدد صرَّح النائب صلات على جيللي لـ بي.بي.سي/ ق.ص بأن النواب الثلاثة تم اختطافهم من مليشيات المحاكم، فقط لخلق مزيد من الاحتقان والاستفزاز. بينما الشيخ يوسف محمد سياد "انطعدي" أعلن عبر هذه الإذاعة ذاتها: أن النواب وُقفوا عن السفر إلى بيدوه حفاظًا على سلامتهم. طبعًا لم يقنع هذا التبرير الركيك أحدًا. ربما كانت حجة الإيقاف أصبحت أكثر عقلانية لو قال الشيخ: وقفنا النواب عن السفر لأسباب أمنية تطبيقًا لقرار القيادة العسكرية.

يعتقد صديق من قيادات جبهة المقاومة الرحنوينية القديمة بأن المحاكم سيخسرون إذا ما حاولوا الهجوم على مدينة بيدوه؛ لأن كل الغزاة السابقين انهزموا فيها وضاعت آمالهم. طبعًا ليس للمدينة مفعول سحري يهزم بمفرده الغزاة، بل من المقنع القول: إن دفاعات المدينة قوية، بحيث إنه ليس من السهل اقتحامها.

المحاكم تجهز في العاصمة الآلاف من المواطنين لمظاهرة واسعة غدًا الجمعة للاحتجاج على الغزو الإثيوبي، وسوف ينتهزون الفرصة لاكتساب المتطوعين للانضمام إلى قواتهم.

الجمعة ٢٧ أكتوبر:

قرأت بدهشة عميقة شهادة الدكتور بيتر فام (dr.peter pham) أمام لجنة الشئون الدولية، لجنتها الفرعية للشئون الإفريقية، للكونجرس الأمريكي. هذه الشخصية مدير لمعهد نيلسون للشئون الدولية والعامة بجامعة ميديسون (وسكونسن). هذا الرجل الذي لم يزر الصومال ولو مرة واحدة، ولم يستند إلى مصادر صومالية مباشرة، تنصبّ كل تحليلاته السطحية وقناعاته اليمينية المتطرفة على تشويه صورة الإسلام في الصومال. ويفتري على الله كذبًا عندما يقول: "إن الإسلاميين في الصومال ترجع جذورهم إلى مدرسة الدراسات الإسلامية التي أنشأها الأزهريون في بداية الخمسينيات من القرن الماضي". هذا الكلام لا يستند إلى الحقيقة، ولا يمكن للأستاذ إعطاء أدلة مقنعة على أن معهد الدراسات الإسلامية، كما كان يعرف أيضًا بـــ scuola discipline lslamiche ، حيث كانت بعض مواده تدرس باللغة الإيطالية، هو أول نواة أنبتت الحركة الإسلامية في الصومال. تعطي وثيقة الشهادة انطباعًا بأن دراسة اللغة العربية والمواد الدينية بدأت تدرس في الصومال من الخمسينيات من القرن الماضي فقط. بينما كان للصومال، من أوائل القرون الهجرية، مراكز لتحصيل العلوم الدينية واللغة العربية، تؤمه الطلاب من الجزيرة العربية وأقطار إسلامية أخرى؛ إذ يقول ابن سعيد (١٢٨٦م) أبو الحسن علي المغربي في كتابه "بسط الأرض في الطول والعرض": "إن مدينة مقديشو هي من أعظم المراكز الإسلامية في صدر الإسلام" ويسميها مدينة الإسلام.

والشهادة التي أدلى بها الخبير إلى الكونجرس، ربما تطوُّعًا من نفسه، تحتوي على مغالطات وافتراءات مقصودة حول عدد من الموضوعات، لا صلة لها بالحقيقة. يقول فام مثلاً: "إن عثمان حسن علي "عاتو" هو مليونير يملك عقارات كثيرة، حصل على بوليصة شحن للمعدات الحربية التي أرسلتها أرتريا إلى المحاكم الإسلامية". يفصّل كل هذا الهراء في أربع عشرة صفحة من شهادته أمام لجنة الكونجرس، متهمًا أرتريا ظلمًا بأنها تتصرف بهذه السذاجة في توزيع بوليصات شحن الأسلحة المزعومة على الجهات الراغبة في الحصول عليها، بما في ذلك الـــ سي.أي.أي"! ومغزى الشهادة مفضوح، وهو تحريض الكونجرس الأمريكي على نظام المحاكم الإسلامية، وتسليط الضوء على البعبع الإسلامي لتبرير الغزو الإثيوبي.

ومن المفارقة أن في جامعة مديسون أستاذ آخر اسمه كيفن برت Kevin Barret الذي يقارن ج.د. بوش بهتلر، ولكن برت يتدارك فيقول: "إن خارج قسمة عقل هتلر تزيد

من ٢٠ إلى ٣٠ نقطة على قسمة جورج بوش". وبالتالي أصبحت المقارنة بهتلر بمثابة سبّ له.

نظمت المحاكم الإسلامية اليوم الجمعة مظاهرة عارمة اشترك فيها الآلاف من أفراد الشعب، احتشدت في منطقة المنصة المعروفة بـــ تريبونك [Tribuna]بعد صلاة الجمعة.

السبت ٢٨ أكتوبر:

لا جديد في الجبهة الساخنة بورهكبا- بيدوه.

عقد رئيس الوزراء ع/م/ غيدي مؤتمرًا صحفيًا في بيدوه، هاجم فيه المحاكم واستفزهم قائلاً: "إن المحاكم تتوعد بالويل والوبال دائمًا، وليس في مقدورها القيام بأي عمل حربي جدي!" هذه التصريحات تتناقض مع الجدية التي ستواجه بها المحاكم الاشتباك المرتقب حدوثه في الأمد القريب، حيث يمكن القول: إن هناك تناغم جيد بين قيادات المحاكم والقاعدة الجماهيرية.

يبدو أن السياسيين في صوماليلند يسعون لاستغلال الظروف الراهنة في جنوب الصومال، للحصول على الاعتراف، حيث إن الإسلاميين استولوا على السلطة، ويطمعون في ابتلاع صوماليلند "العلمانية". هذا ما صرَّح به السيد طاهر ريالي كاهن، رئيس نظام صوماليلند لمراسل لـــ"ديلي تلغراف" وديفيد بلاير [David Blair] في مقابلة له يوم ٢٧ أكتوبر الجاري. قال ريالي للصحفيين أيضًا: إنه يحذر من مغبة ضياع صوماليلند، وأن دولاً كثيرة، بما في ذلك بريطانيا، سوف تندم لزوال صديق في القرن الإفريقي؛ لأن الزحف الإسلامي، حسب رؤية السيد/ ريالي، سوف يغمر سلطته ويطمسها كمكون لموازين القوى في المنطقة. هذه الاستغاثة للحصول على الاعتراف، نعرفها منذ زمن بعيد وقد عفا عليها الدهر. كيف يكون مشهد تبرز فيه ثلاث أو أربع دويلات صومالية، شبه مستقلة وفقيرة، تُصعِّد من النزاعات القائمة وتزج بالمنطقة في دوامة من الصراع وعدم الاستقرار؟ لا أحد يستطيع التنبؤ بظهور حركات انفصالية جديدة تريد الاستقلال لكنتونها القبلي؟

الأحد ٢٩ أكتوبر:

لا جديد في الجبهة العسكرية. تقول أنباء لم تتأكد بعد: إن القوات الإثيوبية

تزحزحت إلى الوراء من خط المواجهة بـ "دوي نوناي" إلى هضبة مانيا فولكا على مشارف مدينة بيدوه، من بداية الطريق المؤدي إلى مقديشو .

عين الرئيس ع/ي وفدًا جديدًا لمفاوضات الخرطوم برئاسة وزير الخارجية عبد الله شيخ إسماعيل، يضم ١٩ شخصًا، بينهم رئيس البرلمان شريف حسن، بصفته رئيس شرف للمفاوضين، بدلاً من أن يكون رئيسًا للوفد كما بدأ. وهذا التعيين ليس عبثيًا فحسب، وإنما هو إهانة مقصودة للبرلمان، وإهدار لكرامة المؤسسات الدستورية. واللافت للأنظار هو أن المعينين الجدد في الوفد عدد من السيدات لا تنتمين إلى البرلمان والحكومة، ربما اخترن لعرقلة المفاوضات، لكونهن مشاغبات ومثيرات للعراك في المؤتمرات السابقة. يبدو أن مفاوضات الخرطوم مشجعة من قبل بعض الدول والمنظمات غير المعادية للصومال، أما بعض الدول الكبرى والصقور في صفوفهم فيرجون لها الفشل، بل يحاولون أن يجعلوا منها مهزلة.

الإثنين ٣٠ أكتوبر:

تسببت الأمطار الغزيرة في مقديشو في خسائر فادحة، فهدمت أمطار هذا اليوم بيوتًا كثيرة وأتلفت مؤنًا غذائية وأمتعة تقدر بالملايين من الدولارات. لم تشهد المدينة منذ ١٥ سنة أمطارًا بهذا الحجم. كما هو معروف فإن الشطر المحاذي لشاطئ البحر كان مبنيًا فوق كثبان رملية، ولكنها تآكلت بمرور الزمن بفعل السيول المتدفقة من شمال المدينة المحملة بالطين ومواد عضوية وغيرها.

المدينة ليست لها مجارٍ لصرف مياه الأمطار، وبالتالي تتحول جميع المواقع المنخفضة إلى مستنقعات وَحَلية تعيق كل أنواع المرور. الطرق التي لم تلق أي عناية تذكر، من عشرات السنين، تحولت إلى هوة خطيرة ومطبات متواصلة تتعمق بعد كل موسم من المطر.

وصل وفد المحاكم إلى الخرطوم للمفاوضات، ولكن الوفد الحكومي ما زال يستعد للسفر. أخبرتني قريبة من مدينة حدر أن العشرات من شباب المنطقة، وخاصة طلاب العلم المعروفون بـ"حر" سافروا إلى مقاطعة بلدوين للاشتراك في الجهاد هناك. ومن المعلوم أن هؤلاء الشباب كانوا يتدربون من عدة شهور على أيدي بعض الناشطين من الحركات الجهادية، وكان يتم تدريبهم في جنح الليل حتى يُخفوا عن أنظار الناس.

في كسمايو ما زالت أعمال العنف تتوالى، منذ أن قتلت بعض المليشيات شخصًا

غير مسلح، بصورة متعمدة، دون أن يعتدي عليهم أو يحاول مقاومتهم.

الغريب أن أكثر الناس في هذا الوقت، وقد تغيرت مفاهيم حضارية واجتماعية كثيرة في الصومال، ينسبون كل واقعة تاريخية إلى الشخص المجرد، فيقولون مثلاً: "هذا العمل أنجزه محمد سياد بري" بدلاً من القول: أُنجز هذا العمل في زمن الرئيس محمد سياد بري، أو أنجزته حكومة سياد بري، أو شيدته الثورة. هذه العقلية المختصرة على عكس العقلية الصينية الشمولية التي تنصهر الشخصية في زمنها وتذوب الإنجازات في عصور الدول في حلقات متواصلة. يقولون مثلاً: ملاح المنج جونك هي، لأن "منج"، عصر إمبراطورية عظيمة من حلقات تاريخ الصين.

شهر نوفمبر ٢٠٠٦

الأربعاء ١ نوفمبر:

عُقدت جلسة للنواب الموجودين في العاصمة بفندق "إمباسادور" في شارع مكة المكرمة، وعددهم لا يتجاوز الثلاثين، ومن بينهم المحامي حسن طنبل ورسمه، والمهندس نور وبر، والسيد/ عبد الكريم أحمد، ودكتور علي باشي رورابي، ودكتور عثمان محمود دوفلي، والسيد/ أحمد عبد الله جامع ذاكر، والسيد/ إبراهيم إسحاق عيموي، والسيد/ عبدي حاشي عبد الله، والسيد/ عبد الله حاج أحمد. يتكون جدول أعمال الجلسة من نقطتين:

الأولى - تبادل المعلومات حول تطورات الأزمة.

الثانية - تحديد المهام التي لا بد للمجموعة من أن تنفذها في العاصمة في الفترة المقبلة.

تحدث عن مهام المجموعة خاصة في الوقت الراهن أحد عشر نائبًا، وأشار أغلب المتحدثين إلى أنه يجب تقوية دور البرلمان ووحدته إزاء الأزمة المتطورة، على أن يكون على مستوى الأحداث، وإحباط المحاولات التصعيدية للأزمة على حساب السلام والمصالحة. وفي النهاية اختار النواب لجنة تنسيق برئاستي وباشتراك من عشرة نواب آخرين، وهم: حسن طنبل، وعبدي حاشي عبد الله، وعلى عبد الله عسبلي، وعبدي ولي شيخ مودي، وعائشة أحمد عبد الله، وإبراهيم عيموي "جرير"، وعامر شكيتي، وعبد الكريم أحمد على، وعبد الله حاج علي، ويوسف عبد الله كاهن.

الخميس ٢ نوفمبر:

في الخرطوم، رفض كل من الوفد الحكومي ووفد المحاكم أن يجتمع بالآخر، وتعلل كل منهما بتنفيذ شروطه مسبقًا، ولم تسفر جميع الضغوط التي مُورست عليهما من جهات عديدة عن أي نتيجة لبدء المفاوضات وإعادة المحادثات إلى مسارها الطبيعي. عقد وفد الحكومة برئاسة عبد الله شيخ إسماعيل مؤتمرًا صحفيًا للاستفزاز، صرَّح فيه بأن اتحاد المحاكم الإسلامية "مجموعة إرهابية". ومن الناحية الأخرى تمسك اتحاد المحاكم بشروطه، وأولها: خروج الإثيوبيين من أرض الوطن.

اجتمعت لجنة التنسيق في فندق أمباسادور وحضر الجلسة ثمانية أعضاء. بعض النواب حوّل المناقشة إلى مشاكل جانبية لا تمت بصلة لأهداف لجنة التنسيق بدلاً من التركيز على الموضوعات الساخنة.

حصلت على نسخة من كتاب الدكتور عبد الرحيم حاج يحيى بعنوان: "العربية الفصيحة في اللغة الصومالية". نوّه الكاتب في مقدمته إلى مجهودي في المقارنة بين الصومالية والعربية؛ إذ يقول: " لا بد أن أنوّه إلى عمل رائد وقيم قدمه د/ صالح محمد علي للمكتبة الصومالية ممثلاً في كتابه (أصول اللغة الصومالية في العربية) فقد أفدت منه ومهد لي كثيرًا...." وفي فهرس الكتب الأجنبية كلها من كتابي المذكور يوضح الكاتب بإخلاص علمي أن الببليوغرافيا مقتبسة من كتابي الآخر: "أصول اللغة الصومالية في العربية". أحسن الدكتور صنعًا.

ولكن ٩٠٪ من مداخل الكتاب العربية الفصحى المائة والسبعين في مشاركة مع قاموسي: " الكشاف عن جذور الصومالية في العربية". المجهود نتيجة لبحث مضن في اكتشاف أصل الكلمة الصومالية وجذورها العربية. نشرتُه سنة ١٩٩٦م في القاهرة، استغرق البحث ما يربو على عشر سنين، أي عشر سنين قبل تاريخ نشر كتاب الدكتور عبد الرحيم حاج يحيى.

استغربت كيف أن هذا الكاتب، الذي أقدر التزامه العلمي بكل ثقة، لم يستشر هذا القاموس وهو الوحيد في مجال أصول الكلمة الصومالية - العربية (Etymologycal)، بالرغم من غياب نصفه الثاني غير المنشور بعد. والنقطة الثانية التي أريد أن أوضحها: هي أن قاموس الكشاف ليس عملاً مفيدًا للمكتبة الصومالية فحسب، بل لجميع الدراسات المهتمة بالمجال اللغوي عامة. أريد أن أقول في هذا الصدد: إن إتمام القاموس له أولوية قصوى في مجهودي البحثي، وسيجد النور في الوقت القريب إن شاء الله.

كماهو معلوم لسنا بإزاء تفسير كلمة صومالية بأخرى عربية، بل تتبع أصل الكلمة التاريخي، وهو عمل في غاية الصعوبة، من جراء التقلبات والتآكل والتمدد الذي يطرأ على الكلمة في رحلتها عبر الزمن، أوتنقلاتها من بيئة جغرافية إلى أخرى، بحيث قد ينشغل الباحث في السعي وراء كلمة واحدة كالضالة لأيام.

الجمعة ٣ نوفمبر:

اتصل رئيس البرلمان بأحد النواب وأخبره أنه سيصل إلى مقديشو يوم الأحد الخامس من الشهر الجاري، عن طريق نيروبي، ومعه عدد من النواب المقيمين ببيدوه. أكد رئيس البرلمان لمن اتصل به من النواب على أنه ينوي تعزيز السلام وتشجيع المفاوضات. ولكن اتضح أخيرًا أن "الصقور" عزلوه عن منصب رئاسة وفد الدولة وعيّنوا بدلاً منه وزير الخارجية عبد الله شيخ إسماعيل. ويرون أن انتقاله من بيدوه دون استشارة القيادات الأخرى بمثابة تحد لهم ولخطتهم التفاوضية.

في هذه الفترة القوات التابعة للمحاكم الإسلامية تستعد لشن هجوم على مقاطعة باي بعد فشل المفاوضات في الخرطوم، ومن محورين:

الأول: من ناحية بورهكبا، التي تبعد عن بيدوه ٦٠ كيلو مترًا.

والثاني: من ناحية دينسور، جنوب غربي بيدوه، وبينهما ٩٠ كيلو مترًا.

يبدو أن رئيس البرلمان ووفده اتصلوا ببعض المراكز المتنفذة بنيروبي وحملوا رسالة شفوية من هذه الجهات إلى قيادة المحاكم مطالبة إياها بألا تقوم بأي عملية عسكرية وأن يواصلوا الجهد التصالحي.

ناقشت لجنة التنسيق البرلمانية هذا الطلب من قبل المجتمع الدولي [أقرأ دائمًا الدول الكبار] وقررت إرسال بعثة مكونة من ٤ نواب للقاء شيخ شريف شيخ أحمد، رئيس اللجنة التنفيذية لاتحاد المحاكم الإسلامية، لإبلاغه بطلب رئيس البرلمان.

تحركنا من فندق أمباسادور ونحن ثلاثة، إذ تغيب نائب بسبب وعكة صحية. حُدد لنا ميعاد مع شيخ شريف في الساعة العاشرة في مكتبه بالقرب من فندق رمضان، على الطريق المؤدي إلى مدينة بلعد. ولكن المسئول ما زال غائبًا والساعة قد تجاوزت العاشرة. النائب عبدي ولي مودي، الذي له صلة بالمحاكم، حاول أن يتصل بالشيخ، ولكنه لم يتمكن من ذلك. يقول لنا أحد مساعديه المسمى بـ عبد الله عيسى، وهو غارق في تلك اللحظة في مناقشة مع جماعة من التجار، تحت تعريش في سور الفيلا المستخدمة كمكتب للشيخ: إنه لا يستطيع مساعدتنا في الوصول إلى الشيخ. وبالتالي طلبنا منه أن ينقل إلى رئيسه أن رئيس البرلمان قادم إلى مقديشو، وأنه يحمل رسالة إلى اتحاد المحاكم الإسلامية، ومطلبه الخاص هو إيقاف الاستعدادات العسكرية.

عقد شريف حسن اليوم مؤتمرًا صحفيًا في نيروبي وصرح بأنه سيسافر إلى مقديشو ليتحدث مع المحاكم حول ضرورة التمسك بالحل السلمي للأزمة.

السبت ٤ نوفمبر:

جلسة أخرى في فندق أمباسادور، بوجود جميع أعضاء لجنة التنسيق. نقدم تقريرنا حول اللقاء الذي لم يتحقق مع الشيخ شريف، وأننا طلبنا من مساعده أن ينقل إليه رغبة الشريف حسن في لقائه. اتخذت الجلسة أيضًا قرارًا حول التحركات القادمة واللقاءات المزمع ترتيبها لرئيس البرلمان، وذلك تنسيقًا مع الجهات المختصة في المحاكم. بالرغم من الشرخ الذي يؤدي إليه التصرف المنفرد لرئيس البرلمان في الصف الحكومي، إلا أننا أيدناه في محاولته استمرار توقد شعلة السلام، كي لا يُفهم من سكوتنا أننا راضون عن الموقف المتعنت للحكومة، التي تزدري بكل وضوح المحاولات التصالحية التي نقوم بها. وقد أكدت هذا الموقف السلبي للحكومة تصريحاتها الأخيرة، ومؤتمراتها الصحفية لأكثر من مرة.

وفي نفس الوقت لا توافق لجنتنا على التشدد الذي أبدته المحاكم في المرحلة الأخيرة، لطرحهم شروطًا تعجيزية، حيث إن الحكومة الراهنة لا تستطيع إخراج الإثيوبيين دفعة واحدة. ولكن التفاهم الصومالي- الصومالي وحده هو الذي يمكن أن يمهّد لإخراج الأجنبي من الوطن، وإحباط مخططاته العدوانية. نرى أن المواقف المتشددة للمحاكم، والتوثب الواضح لصقورهم إلى المواجهة العسكرية مع الحكومة المؤقتة، تصب في نفس الهدف للصقور الحكوميين، ولا يمكن لنا البت في وجود تنسيق بين صقوري الطرفين، وهو محتمل.

الأحد ٥ نوفمبر:

استقبال شريف حسن في مطار مقديشو

في الصباح الباكر ذهبت إلى نقطة التجمع في فندق أمباسادور. ولكن في الساعة الثامنة لا يوجد في المكان إلا عدد قليل من الزملاء، ممن اعتادوا الاستيقاظ المبكر. أفادنا أحد الحاضرين في مكان التجمع أن رحلة الشريف حسن قد أقلعت من مطار نيروبي منذ ساعة. والرحلة للخطوط الجوية "أفريكان إكسبرس أيرويس" معروفة بدقة مواعيدها، وهي تعمل في هذا الخط منذ أوائل التسعينيات. انتظرنا أن نذهب مع بروتوكول المحاكم الغائب حتى التاسعة. ولكن فاجئنا رتل من العربات المسلحة يندفع بسرعة فائقة، وهو لا يقل عن

عشر وحدات. ثم قال شخص: إنها المحاكم فبدأنا الجري ورائها. مُنعت عرباتنا من الدخول إلى أرض المطار، فتركناها في مواقف خارجية، بينما سُمح لعربات المحاكم بالدخول إلى أدراج المطار.

قطعنا مسافة كبيرة مشيًا ولكن أوقفنا مليشي في البوابة. وبعد فترة تبادلنا فيها السين والجيم مع حراس المحاكميين، حيث تفادينا فيها تصادمًا مباشرًا مع معمَّمين "سخن الرؤوس"، أسعفنا رجل من بروتوكول المحاكم ليوصلنا إلى نقطة التجمع في داخل المطار. وفي غضون هذا الانتقال استفز حارس السيدة النائبة عائشة أحمد عبد الله قائلاً لها: لماذا لم تحتشمي بملابس لائقة؟ وهو يعني "ملابس إسلامية" للمحجبات. ولما تفادت أن تجيبه أعاد عليها السؤال مرة أخرى، فقالت له منفعلة: هذا لا يعنيك، روح شوف شغلك!

في داخل المطار يضيع النظام ويختلط الحابل بالنابل. والغريب أن المجموعات السلطوية التي جاءت بعد زوال الحكم العسكري السابق، ورثت منه مطالب شكليات البروتوكول، من ترحيب بزائر كبير ووداعه، والتباهي بالعربات المسلحة التي تمشي في ركب زعماء الحرب وأقرانهم من الرسميين. ولكن للأسف لم ينجحوا في إرساء نظام بروتوكولي معقول؛ لأن الفوضى العارمة تحول دون ذلك.

اصطف النواب وبعض مسئولي المحاكم انتظارًا لمقابلة رئيس البرلمان لمصافحته، بعد نزوله من الطائرة. ولكن الصف البروتوكولي المنتظم تستولى عليه جماعة كبيرة من المحاكميين، ويصبح الصف ملتويًا، ثم تنصب في المكان "الصحافة" والمصورون "البابا رازي". ومن هنا يتحول المولد إلى مشهد مشابه لمهرجان زيارة الهندوس لنهر كنج. يخيل لك أن الناس جاءت لتتبرك بالشريف، في استقبال رجل يحمل رسالة سلام لا يمكن لأحد أن يراهن على نجاحها.

الشيخ حسن ظاهر أويس، كبير المستقبلين، يأخذ الشريف بعربته الرسمية خاطفًا إياه، ويخرج به إلى مكان غداء خاص، والنواب حائرون تحت الشمس الاستوائية اللافحة، ولم يتمكن أحد منهم من مصافحة رئيس البرلمان.

الإثنين ٦ نوفمبر:

عُقد اجتماع في منزل شريف حسن رئيس البرلمان، وكان عدد النواب المشتركين خمسين ونيفًا. موضوع المناقشة انحصر في نقطة واحدة، وهي الأمور الملحة التي يجب أن نبدأ بها محادثاتنا مع اتحاد المحاكم الإسلامي، والنهج الملائم لإنجاح المحادثات. أبدى

حوالي عشرة نواب رؤيتهم حول الموضوع، واتفق الحاضرون إثر النقاش على ألاّ يتقيد النواب بأجندة مركزة، بل يجب اتخاذ أساليب مفتوحة لينة ومبنية على البرغماتية والتبسيط، وبذل كل جهد لإقناع الطرف الآخر. على أن يوقع الطرفان وثيقة تحتوي على الأمور المتفق عليها، حول تحقيق المصالحة في الجولة الختامية.

نظمت إدارة البلدية في مدينة بيدوه مظاهرة اشترك فيها مائتا شخص، طبعًا بأمر من القيادة السياسية، لشجب انتقال رئيس البرلمان إلى مقديشو، "بدون إذن مسبق". وصرح ناطق باسم المحاكم الإسلامية في مقديشو بأن قوات الحكومة الإقليمية بونتلند، هاجمت مواقع جيشهم في بلدة "جللنسور"، شمال مقاطعة جلجودود، حيث بدأ الأهالي النزوح من البلدة وما حولها.

الثلاثاء ٧ نوفمبر:

نظم اتحاد المحاكم الإسلامية حفلة غداء للاحتفاء برئيس البرلمان والنواب. اختير لمكان الحفلة أن يكون في قصر أو (عزبة) الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان (رحمه الله) بمدينة أفجوي. صاحبني في العربة إلى مكان الحفلة من النواب كل من: أحمد شريف محمد سيدي، شيخ جامع حاج حسين. وصلنا إلى العزبة حوالي الواحدة ظهرًا إلا بضع دقائق قبل الميعاد المحدد. صلينا الظهر وانتظرنا الآخرين.

وزعت موائد الغداء تحت شجرة جميز عظيمة وارفة الظل وأرضيتها مبلولة إثر الأمطار الموسمية الغزيرة في ذلك الوقت. أعدت طاولة خاصة للقيادة، وحثني بعض الأصدقاء أن أنتقل إليها، ولكني عارضت الفكرة بأدب وجلست مع الآخرين على مائدة وسط المربع المعد للضيوف. عندما انتهى الغداء دُعي الضيوف إلى الجلوس أمام المنصة على هيئة شكل هلالي. بعد الافتتاح بآي من الذكر الحكيم، قدم أحد منظمي الحفل السيد عبد الرحمن فارح "جنقو"، نائب شيخ شريف، ليدير الخطب، وهو بعد وعظ ديني موجز أعطى الكلمة إلى شيخ أظن أن اسمه كان "نور"، الذي بدوره قدم بعض المواعظ الحسنة، ولكنه كان من اللباقة بمكان حين أدخل في الجو المشحون بالترقب والبرودة، نوعًا من الكوميديا الفكاهية كما اعتدنا في الغرب في الحفلات الرسمية الصاخبة. ربما لم يشترك أحد من رجال المحاكم في هذه الحفلات أو العشاءات الرسمية في الغرب التي تختار فيها شخصية من الوزن الثقيل وتكون خفيفة الظل لتنعش بخطبتها الحضور، كي ينتبه ويستوعب الخطب الرسمية المملة، ولكنهم سلكوا نفس الطريق، عقل الإنسان يتوافق دائمًا

في أشياء كثيرة بالفطرة. ذكر الشيخ نور أن الدولة الإسلامية زالت منذ ٨٢ سنة، وجميع رؤساء الدول الإسلامية ليسوا إلا "باوات" (والبوّ في عرف الرعاة يُنصب للناقة من جلد فصيلها المذبوح، تعطف عليه وتدرُّ)، واللفظة مرادفة للصومالية "عبعب" (والعبعب بالعربية: صنم).

إذا كان الشيخ يريد الإشارة إلى زوال الخلافة العثمانية، فإن آخر سلاطينها كان عبد الحميد الثاني، عُزِل في سنة ١٩٠٩م إثر اضطرابات شعبية في إسطنبول، ثم نفاه العسكريون إلى جزيرة سالونيك، ومات بها سنة ١٩١٨م. ولكن هل يعلم مريدو خلافة السلطان عبد الحميد الثاني أن الدولة العثمانية تضاءلت في عصره، واستقلت دول عديدة من إمبراطوريته، منها العربية والأوروبية، وأنه في حكم هذا السلطان زالت الخلافة الإسلامية؟ والعثمانيون كانوا إمبراطورية أكثر مما كانوا خلفاء؟

ثم أعطى الكلمة للشيخ حسن طاهر رئيس مجلس شورى المحاكم، فانتقد النواب "المشرعين" واستهجنهم وتهكم عليهم لادعائهم أنهم مشرعون: "لأن الله هو المشرع، وأكمل شرائعه للخلائق، ولا يمكن لأحد غيره أن يشرّع لهم" حسب قوله. وكان الشيخ يعاتب النواب بصورة غير مباشرة؛ لأنهم لم يحاولوا أن ترتقي أعمالهم إلى مستوى مناصبهم المدعاة. لا يفرق الشيخ بين أمور دنيوية أرض- أرضية، والشرائع الإلهية، ولا يمكن أن تقارن الشريعة الأزلية بالقوانين الوضعية، حتى بمجرد مماثلة كلامية.

تحدث بعد خطباء المحكميين أربعة من زملائنا الجالسين على المنصة، وهم: شريف حسن، عمر حاشي أدن، محمد عبدي يوسف، وعبدي حاشي عبد الله، وركزوا جميعًا على أهمية المناسبة، وشكروا قيادة المحاكم الإسلامية، وأشاروا إلى أنه لا بد من بذل جهد لإيجاد سبل كفيلة لإعادة السلام إلى البلد، وأن يتعاون النواب واتحاد المحاكم لتحقيق هذا الهدف المنشود. وجد النواب الأربعة مساحة من الوقت للرد على قياديي المحاكم، بطريقة حاذقة، عن أمور غابت عن منظورهم السياسي. اختتم الخطب شيخ شريف بتعبيرات بروتكولية مقتضبة. ومن مقولات الشيخ شريف في هذه المناسبة ما يلي: "يمكن للدبابة التجرينية أن تحتل مقاطعة صومالية، ولكن لا يمكن لها البقاء فيها". وانفض الحفل.

الأربعاء ٨ نوفمبر:

يوم خصصته للفحص الطبي في عيادة الدكتور حسن حاج أفرح "فري"، وهو إخصائي العظام والكسور.

في المغرب أحاول الاتصال برئيس البرلمان، ولكن النائب يوسف ميري (سيرار) أخبرني أنه في اجتماع مع الشيخين (حسن طاهر أويس، وشريف شيخ أحمد).

"صاعقة من مليشيات المحاكم قبضت على قراصنة استولوا على سفينة قبالة ميناء "عيل معان" من موانئ العاصمة، وحرروا السفينة. وهذه بداية عمليات ناجحة تقوم بها المحاكم ضد لصوص البحر. أُعطيت للحادثة تغطية إعلامية واسعة في الصحافة العالمية والمحلية.

الخميس ٩ نوفمبر:

في الساعة الواحدة بعد الظهر اجتمعت في منزل شريف حسن لجنة عينها رئيس البرلمان للتفاوض مع المحاكم الإسلامية، لتحديد الموضوعات التي سنضعها على بساط البحث من جانبنا، وهي كالآتي:

١) الاعتراف الكامل لخرطوم واحد والثاني.

٢) استئناف المفاوضات مع الحكومة في أسرع وقت ممكن، وفي أي مكان يتم الاتفاق عليه.

٣) انسحاب القوات التي تتواجد حاليًا في مساحة ضيقة إلى مسافة لا تقل عن عشر كيلو مترات، سواء في المحور "إيدالي" غربًا، و"بورهكبا" شرقًا.

كنت عضوًا في اللجنة، وكان معى كل من: عمر حاش أدن، والمهندس محمد حسين عدو ([رحمهما الله] قُتل الأول ببلدوين، والثاني بمقديشو في شهر يونيو ٢٠٠٩)، وعبد القادر محمود طقني.

كانت نقطة تجمعنا بفندق أميرة، في القسم الغربي من مقديشو. بالرغم من استعدادنا المبكر للمفاوضات إلا أننا لم نتمكن من الوصول إلى المكان المعد للمحادثات إلا في الساعة السابعة وأربعين دقيقة. المكان عبارة عن فيلا صغيرة في منطقة مصنع الألبان، تبدو خالية من الأثاث، بحيث نضطر إلى الجلوس على الحصائر، ونعقد عليها الجلسة.

تقدّمنا في المكان وفد المحاكم، تعرفت منهم على الشيخ عبد الرحمن فارح "جنقو"، (وكان بيدو المضيف)، والشيخ عبد الله علي عمر، كلاهما نائبان لشيخ شريف، والدكتور إبراهيم حسن عدو(رحمه الله)، ورجلين آخرين لم أستبن هويتهما. وقيل لي فيما بعد: إنهما كانا الشيخ عمر إيمان أبو بكر، والثاني الشيخ أحمد غُدني، (أبو زبير)، لم ألتق بهما قبل تلك اللحظة.

افتُتحت الجلسة بآي من الذكر الحكيم والوعظ المبرمج، حسب التقاليد السائدة عند المحاكم. الشيخ جنقو قدَّم كل مجموعة إلى الأخرى؛ لأنه شخصية مقدشية لها إلمام كبير بالنواب المقديشيين. بدأت المحادثات وأخذ الكلمة أول المتكلمين من جانب المحاكم، وهو الشيخ عبد القادر علي عمر، ولكنه لم يتطرق إلى الأزمة الراهنة بين الحكومة والمحاكم، في وقت يمكن فيه أن تصطدم قواتهما رأسًا برأس في أي لحظة. ولكنه استطرد في موضوع بدا لنا أن القصد منه التوعية، وهي ليست طبعًا في محلها، فطفق الشيخ يقدم لنا ما يريد إيصاله إلينا، يذكر: "كيف تحققت المعجزة في مقديشو وهي الآن تتطور من مرحلة إلى أخرى". أسهب في الموضوع وكانت وتيرة حماسه ترتفع مع ذكر المنجزات. ربما يدري الشيخ أننا نتابع هذه المعجزة عن كثب، نصفق لها ونباركها؛ إذ وجودنا في العاصمة يعبر عن تأييدنا لها والدفاع عنها، ويتناسى المثل الصومالي القائل: "إذا ذُكرت فالزم الصمت، وإذا أُهملت فاذكر شأنك لغيرك".

فمعجزة الشهور الستة تكلم عنها العالم، وأشاد بها الصومالي من كل حدب وصوب. فإذا كان الشيخ عبد القادر وأصدقاؤه يريدون أن يصولوا ويجولوا في بحور إنشائية، حتى يتحروا طبيعة وفدنا ومراميه، ولهم الحق في الشك في نوايانا، لكن كان الأجدر بهم الحديث عن موضوع أجدى من "المعجزة" التي أصبحت معروفة.

ثم جاء دورنا في الحديث، فتكلم عمر حاشي أدن، وأخذت الكلمة بعده ثم حسين محمد عدو. قدمنا لهم كل ما كان في جعبتنا من مقترحات على أساس النقاط الثلاث المذكورة أعلاه. أجاب عن مقترحاتنا الدكتور إبراهيم حسن عدو [رحمه الله قتل فى تفجيرات ٣ ديسمبر ٢٠٠٩م فى حفلة تخريج الأطباء بمقديشو]، الذي كان رئيس وفد المحاكم في لقاءات الخرطوم، وهو بمثابة المسئول عن الشئون الخارجية. وأكَّد لنا أنهم سيدرسون مقترحاتنا وسوف يبلغوننا بالرَّد عليها في أقرب وقت ممكن.

انتهى الاجتماع في الساعة العاشرة بعد العشاء، على إثر محادثات جرت في

ساعتين تقريبًا. استنتجت شخصيًا من اللقاء أن وفد المحاكم كان حذرًا جدًا. يشك في نوايانا الحقيقية؛ لأننا نحاوره باسم البرلمان أولاً، وثانيًا نقترح فكرة تفادي الاقتتال التي ليست مبادرة صومالية بحتة، بل هي أيضًا مطلب للدول الكبرى المؤيدة للاحتلال الإثيوبي. أما الوجه الثالث للمشكلة فيتمثل في كوننا جماعة من النواب لا تمثل أغلبية البرلمان ولا المؤسسات الأخرى، أو القيادة الأخرى المعنية، فهم يرون ضعف موقفنا، ويتحسسون إخلاص نوايانا وحرصنا على إحلال السلام، الشعور الذي يحركنا، سلام يرفضه الصقور ومحرضوهم الأجانب. المهلة التي طلبها وفد المحاكم ليست تكتيكًا للتأخير، بل يريدون أن تناقش قيادتهم العليا ما قدمنا من مقترحات، وتجيب عليها على الوجه الأكمل والأمثل لرؤيتنا.

الجمعة ١٠ نوفمبر:

أخبرني النائب عبد الله حاج بأن إبراهيم حسن عدو اتصل به وهو يبحث عن رقم تليفوني، وأنه أعطى الرقم له. حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر اتصل بي إبراهيم نفسه وقرأ لي على الهواء محتوى مسودة البيان المشترك، نتيجة للمحادثات بين الطرفين. اقترحت عليه بعض التعديلات والإضافات المحددة. وبدون أن يطلعني أو يقرأ لي نص الوثيقة النهائية، يقول: إنه تقرر اجتماع بفندق أميرة بعد ساعة، أي الرابعة عشرة والنصف. وكنت أول من وصل إلى مكان الاجتماع.

اكتمل عدد الوفود بالفندق بعد ساعة من الميعاد المحدد، فنوم القيلولة مهم في هذا الجو، وهو سبب بلبلة المواعيد. من الفندق نتحرك إلى الفيلا السابقة. أدّينا صلاة المغرب مع الجماعة. إبراهيم عدو حضر بعد وقت وقرأ مسودة البيان على الحضور باللغة الصومالية (التي يجيدها الجميع). ولكن جذب انتباهنا للتوّ أن المسودة لم تضع تقريبًا في الحسبان جميع مقترحاتنا على النحو الذي قدمناه.

وبالتالي، اقترحنا إدخال بعض التعديلات على الوثيقة ومزيد من التدقيق في بعض الأمور. ولكن إبراهيم عدو وصديقه شيخ عمر إيمان، حذرانا من أن أي تغيير في المسودة سيؤدي إلى إيقاف المحادثات، وإرجاء الموضوع إلى مجلس شورى المحاكم، وذلك تهديد مُبطن وإيحاء بأن الشورى سترفض مقترحاتنا.

ورطة حقيقية لنا وشعور بالإحباط. نحاول أن نتدارك الموقف ونحاول تغيير بعض الألفاظ وإسقاط البعض، وإعادة صياغة عدد من العبارات، خاصة في الأمور الجوهرية،

ونتساهل فيما يخص العموميات من النص المقدم من وفد المحاكم. ولكن الإخوة يتشددون في التمسك بنصهم للبيان المشترك الذي أعدوه بانفراد، ودون إشراكنا في صياغته. بالنسبة لي، وأنا مفاوض من عقود، لم أصادف سوابق من هذا النموذج الذي نحن بصدده الآن.

نحن لسنا يابانًا ضُربت بالقنبلة الذرية وفُرض عليها توقيع وثيقة الاعتراف بالهزيمة، بشروط المنتصر الأمريكي، وليست المحاكم "دجلس مك آثر" الذي أملى على اليابانيين شروط استسلامهم. أعلنا تأييدنا للمحاكم وأبدينا حرصنا على ألاّ يُستخدموا ذريعة لخطة عدوانية جرى ترتيبها منذ زمن بعيد. ومن المؤكد أن القيادات العليا للمحاكم، بعد أن أجرينا معها لقاءات مطولة منذ شهر أغسطس المنصرم، استيقنت أنه ليس لدينا أجندة خفية ضد مصالحهم، ولسنا طابورًا خامسًا لأي جهة. ولكن هذا التشدد ضد مساعينا السلمية ونوايانا الحسنة من هؤلاء "المَنْذَرين" Mandrine لا مبرر له إطلاقًا. ولهذا أخبرنا رئيس البرلمان بما حدث وأن وفد المحاكم لا يرغب في إجراء أي تعديلات على صياغته، وبناء عليه أمرنا بتأجيل التوقيع إلى أجل آخر، لم يحدد تاريخه. استقال أحد أعضاء وفدنا، ونحن لم نبرح المكان، وهو المهندس محمد حسين عدو رحمه الله كرد فعل للإجحاف العبثي للمحاكم. ثم انضم إلينا بعد فترة الشيخ عبد الرحمن فارح "جنقو" الذي ما أن علم بأن المحادثات قد وصلت إلى طريق مسدود، حتى ذهب إلى منزل رئيس البرلمان ليقنعه بضرورة توقيع البيان، طبقًا لشروط المحاكم. تراجع شريف حسن إثر هذا الضغط، وطلب من النواب توقيع البيان، طبقًا للنص المقدم من المحاكم.

زاد المشهد بلبلة إثر تغير موقف رئيس البرلمان، ونحاول الآن على الأقل أن نوحد صفنا إزاء هذا التعنت. كان يجب على شيخ جنقو أن يضغط على زملائه لتليين موقفهم، ولو بإدخال تعديلات شكلية على الوثيقة، ولكنه ضغط على الجهة المتعسف عليها. والعدالة الإسلامية بريئة من هذا الصلف المتعمد. وقعنا البيان رغم أنفنا طبقًا للنص المفروض علينا. ولكن هؤلاء السادة الذين تشاطروا علينا حتى الإذلال، فروا من مقديشو، بعد توقيع البيان بخمسين يومًا، والتجؤوا إلى بلدان خارجية، عندما احتلت إثيوبيا عاصمة الصومال مقديشو. كان عليهم أن يتشددوا في وجه الغزاة ولم يحاولوا ذلك. بالرغم من أننا لسنا على يقين بأن مساعينا الدبلوماسية الرامية إلى إظهار المحاكم على أنها هيئة تتمتع بكل المقومات لتكون جزءًا من المعادلة السياسية الوطنية، كانت ستنجح أمام الغزو العسكري الإثيوبي عن سبق إصرار، بمباركة أمريكية وأوروبية إلا أننا حاولنا إنقاذ السلام، على قدر طاقتنا.

السبت ١١ نوفمبر:

التقيت في الصباح مع رئيس البرلمان ووجدته ممتعضًا لما جرى البارحة من مشادات كلامية بين الوفدين "والديكتات" المناوئة لليد المفتوحة الممدودة من النواب بالتعاون مع اتحاد المحاكم. وكان يستهجن أيضًا انتقاد بعض أعضاء الوفد لتناقضه في توقيع البيان، وحاولت تهدئته.

في السابعة بعد المغرب أذاعت محطة شبيللي المحلية بيانًا عن رئيس الوزراء ع/م/ غيدي بالتضامن مع وزرائه، يؤكدون فيه أن التفاهم الذي جرى بين المحاكم والبرلمانيين، بقيادة رئيسهم، لا يخص الحكومة لا من قريب ولا من بعيد.

الأحد ١٢ نوفمبر:

عُقدت جلسة في منزل رئيس البرلمان اشترك فيها حوالي خمسون نائبًا، من العدد الموجود بالعاصمة. على إثر نقاش قصير حول المحادثات التي جرت والبيان المشترك الذي تم نشره، طُلب مني أن أقرأ نص الوثيقة الموقعة ليلة الجمعة ١٠ من نوفمبر الجاري، فقرأت على النواب نص البيان المكون من سبعة بنود، ولم يعلق عليه أحد. النائب محمد عبدي يوسف الذي استمع إلى نشرات إذاعية عديدة، والتي بثت نبأ البيان وعلّقت عليه حسب هوى كل محطة، اقترح وجوب صدور رد لرئيس الوزراء وأعوانه. واتفق النواب بعد مداولات حول الموضوع على أن يُعقد مؤتمر صحفي نلقي فيه مزيدًا من الضوء على وجهة نظرنا حول إنقاذ البلد من حرب جديدة، والرد على مواقف بيدوه ورئيس الوزراء المصر على التقليل من جهودنا، وابتعادهم عنا لخدمة المسيرة العدوانية المقبلة.

كُلفت من الزملاء بأن أعد وثيقة تحتوي على سبعة بنود نوضح فيها وجهة نظرنا حول القضايا الراهنة، وكيف أننا حاولنا بذل كل جهد ممكن لتفادي الحرب، معلنين أن الحكومة في بيدوه لا تتجاوب مع المبادرات الرامية إلى تهدئة الموقف.

قرأت على المؤتمر الصحفي هذه الوثيقة بصوت متزن غير متعجل، وأجبت عن بعض الأسئلة بعد قراءتي للوثيقة. أعطت الصحافة المحلية تغطية واسعة لمواقفنا في غضون الأربع والعشرين الساعة التالية. امتنع الرئيس ع/ي عن التعليق على تصريحاتنا، أو أن يعبر عن أي رد فعل حول الاتفاقية التي وقعناها مع المحاكم، ربما اقتنع بأن التصريحات التي أدلى بها السيد ع/م/ غيدي تفي بالجواب.

الإثنين ١٣ نوفمبر:

عادت مجموعة من البرلمانيين إلى نيروبي من حيث جاؤوا أصلاً في طريقهم إلى مقديشو.

تفيد الأخبار بأن مجموعة من النواب الذين لم يتحركوا من نيروبي، وكانوا يتابعون الأحداث عن كثب وهم في العاصمة الكينية، عادوا إلى بيدوه. هؤلاء يميلون مع الريح حيث تميل بانتهازية مكشوفة. قيل لنا: إن عدد هؤلاء النواب كان ثلاثين، ولكن لم يكن الرقم يزيد على تسعة. رئيس البرلمان ليس في حالة نفسية عالية ولكنه لم يكن قلقًا؛ لأن الأخبار التي تسربت من بيدوه تفيد بأن الشيخ أدن مدوبي، منافسه في انتخابات رئاسة البرلمان في سنة ٢٠٠٤م، ينظّم حملة لإبعاده من منصبه، ويتهمه بالخروج عن إجماع القيادة المؤقتة المتمركزة ببيدوه.

ومعروف أن شيخ أدن يتمتع بتأييد إثيوبيا ورئيس النظام المؤقت، وأن مؤيديه الآن منهمكون في إعداد أغلبية برلمانية توافق على مشروع قانون لعزل شريف حسن، وجملة من النواب المنشقين، لاتخاذهم مواقف مناوئة للاتجاه "الرسمي".

النواب المحيطون بالرئيس ع/ي يتشدقون بغير حياء ويقولون:" إن التدخل الإثيوبي لإحلال السلام لا غنى عنه، ولا يمكن إنقاذ النظام إلا إذا استند دفاعه إلى هذه الدولة".

طبعًا هذا هو التوجه الرسمي ولكن الرئيس ع/ي ورئيس الوزراء ع/م/ غيدي يتفاديان طرح الموضوع بهذا الأسلوب الفج والمستفز لأغلبية الصوماليين.

جُل انتباه السياسيين مشدود حول تغيير رئيس البرلمان والبرلمانيين "المتمردين"، في وقت يمكن أن يصبح فيه كل شيء أمام أتون حرب مدمرة، ويحتمل الإطاحة بهذا البرلمان المهزوز نفسه. وفي هذا الجو يبدو أن الشرخ بين برلمان بيدوه ومجموعة مقديشو، تحت قيادة رئيس البرلمان، ربما بدأ في التوسع إلى حد القطيعة والبينونة.

تفيد الأنباء الواردة من أقاليم وسط الصومال بأن مليشيات المحاكم سيطرت على بلدة بنديرتلى (Bandiiradleey) قرب جالكعيو، والقرى المحيطة بها، وربما تواصل هذه القوات زحفها نحو جالكعيو نفسها وما ورائها.

الثلاثاء ١٤ نوفمبر:

تأخرت بعض الوقت عن الجلسة التي عُقدت في منزل رئيس البرلمان، وهي فيلا

حديثة الطراز بالنسبة للقيم المعمارية المقديشية، وبحثت عن مقعد لي بين صفوف الزملاء، والصالة مملوءة عن آخرها. رئيس البرلمان قدم عرضًا للتطورات المستجدة، واقترح أن تركز الجلسة على عدد من القضايا، وخاصة مواجهة الاستعدادات التي تجري في بيدوه للإطاحة برئيس البرلمان والنواب الذين يعارضون التدخل الإثيوبي، في إطار محاولة جديدة لتقسيم البرلمان وانتقاص شرعيته وفعاليته.

تحدث عن هذا الموضوع عشرة نواب، ثلاثة منهم أطالوا الحديث عن الإهانات التي ألحقتها مليشيات المحاكم بالمارة المتجهين إلى بيدوه. وذكروا في هذا الصدد المحامي عثمان سلطان، رئيس لجنة مصالحة مركزها بيدوه، الذي احتجزته هذه المليشيات لفترة، وفتشت أغراضه، وبعثرت أوراقه على الأرض لإذلاله، حسب تصريحاتهم. فعلاً كانت هناك مليشيات من المحاكم أقامت حواجز على الطريق المؤدي إلى بيدوه، كان الهدف منها منع مرور أسلحة من مقديشو إلى بيدوه، ولكن هذه المليشيات تجاوزت مهمتها إلى إعاقة المرور المدني العادي، حتى وصل تعسفها إلى منع نواب البرلمان من متابعة سفرهم إلى بيدوه وإعادتهم إلى العاصمة. تركيز النواب في الجلسة على هذا الموضوع بالذات يستشف منه أنهم يبحثون عن ذريعة للانفصال عن مجموعة مقديشو البرلمانية. وفعلاً هؤلاء البرلمانيون المستنفرون، انفصلوا وعادوا إلى بيدوه في غضون أيام.

كان موقفي واضحًا منذ بداية اختيار أعضاء البرلمان في أغسطس ٢٠٠٤م، وهو الاعتراض على كل محاولة من شأنها حل الأزمة القائمة بالوسائل العسكرية، وخاصة الاستعانة بإثيوبيا لإحلال السلام في البلد عن طريق الحديد والنار. في وقت يعلم الصغير قبل الكبير هنا أن أديس أبابا هي التي كانت تسلح زعماء الحرب، وعن طريقهم أدخلت إلى الصومال ٩٠٪ من الأسلحة الموجودة في السوق، وبالتالي لا يمكن لها الآن أن تلعب دور رسول السلام.

قلت لزملائي: إنه لا بد لنا من أن نقوم بكل نشاط ممكن لتفادي الحرب ورفض التدخل في شئوننا الداخلية، وألاّ يفسّر سكوتنا بأنه تزكية للتدخل الأجنبي والانضمام إلى ركب بيدوه، وذلك، لا قدّر الله، بمثابة وبال على الشعب الصومالي. بذلت كل ما في وسعي من جهد لأثني المتشككين لئلا يخرجوا من صف الرافضين للاحتلال.

وهناك، في هذه الممارسة لمشاورة الضمير، من سلط الضوء على وحدة البرلمان بكل السبل، أما الزميل الأغاس عبد القادر محمود طغني، فاقترح أن يسافر رئيس البرلمان

إلى بيدوه، حاملاً رسالة سلام إلى المؤسسات الدستورية هناك، قائلاً: "كما فاجأ الرئيس السادات الإسرائيليين بزيارته المشهورة" طبعًا المقارنة في غير محلها، على الأقل فإن الرئيس السادات كان يفاوض أعدائه المحتلين للأراضي العربية، أما زمرة بيدوه فلم تصل علاقتنا بهم إلى حد العداوة حتى هذه اللحظة، بالرغم من تحالفهم مع العدو وتحريضهم له على تخريب بيوتهم.

في نهاية الجلسة ذهبنا مع رئيس البرلمان إلى وليمة عرس دعانا إليها السيد/ أحمد نور جمعاله أحد رجال الأعمال المرموقين بمقديشو، وصاحب شركة البركات [هورمود] للاتصالات التليفونية. كان فندق السلام مكان إقامة الحفلة. الصومال شبيه بالبلدان الفقيرة الأخرى: الغني يتعايش مع الفقير، والترف مع العدم، والجوع مع التخمة.

الأربعاء ١٥ نوفمبر:

في منزل رئيس البرلمان عدد غير قليل من النواب، وهم في دوامة من التحرك والتجمع لا يريدون الجلوس. السيدان/ محمد شيخ حسن ومحمد أدن وايل أخبراني بالميعاد المحدد للجلسة وهو في الحادية عشرة صباحًا. ولكن يبدو أنها لا يمكن أن تنعقد في هذا الجو الهائج المائج والساعة متأخرة، والطقس الحار الرطب يخنق الأنفاس، والمكيفات لا تبرد الصالة ولا تُلطِّف الهواء.

في وقت لاحق أخطرني أحد الأصدقاء بأن قيادة المحاكم تدعونا إلى غداء "عمل" بفندق الأميرة، المواجه لمنزل شريف حسن. استأذنت الإخوة لأني مدعو إلى مناسبة أخرى أكدت مشاركتي فيها من عدة أيام، وهي عقيقة سمي صالح على مصطفى، مولود لأحد أقربائي، ويقام الحفل بمنطقة أُبَخْ (Ubax) في شمال المدينة، أو "بلاك سي"، اسم الحي.

زارني في البيت المحامي إبراهيم عثمان هرغانتي (Hergaangty). كان مراقب الحسابات لحكومة "عرّتي" واسمها الكامل: الحكومة الوطنية الانتقالية. استغربت عندما أخبرني بأنه لم يُستوعب في كوادر الحكومة الجديدة؛ فإبراهيم محام قدير، اشتغل في السلك التعليمي أيضًا لمدة طويلة. هذه الحكومات "المؤقتة" من ١٩٩١م لا تريد تطبيق النظام الإداري ولا القواعد السياسية السليمة. بعد سقوط آخر حكومة شرعية في البلد سنة ١٩٩١م لم تهتم الحكومات المؤقتة التي جاءت بعد هذه الفترة، بإرساء الهياكل الإدارية للدولة، ولو في نطاق محدود، خاصة في المجال المالي، والعدالة، والصحة، والتعليم.

من المعتاد في الوقت الراهن أن تُوزَّع المناصب السياسية والكوادر العليا الإدارية على أساس التوازن القبلي؛ ولهذا خرجت من المعادلة استمرارية وظيفة الإداري، الذي كان في السابق لا يتأثر بتغيير الوزارات. واستحدثت الأنظمة المؤقتة تجديد الطاقم الإداري، بحيث إن حكومة اليوم تأتي بطاقمها الإداري محدد الأفراد، واحد إلى ثلاثة أشخاص في الأوضاع الملحة. في أحيان عديدة تجد وزيرًا بلا إدارة على الإطلاق؛ ولهذا أصبحت الخدمة المدنية المعروفة بالثبوت وطول العمر شيئًا من الماضي. فرض "المؤقتون" رؤيتهم وأهدافهم على المؤسسات السياسية والإدارية طبقًا لنظام متجول (Garab-rarato)، نظام لا يريد أن يتحمل أكثر مما يحمل كتفه من الحمل.

النظام المؤقت والانتقالي، وهو محسن لفظي، لا يهدف أن يتحرك إلى أي جهة أو أن ينقل البلد من حالة حرب وبؤس إلى بر السلام والاستقرار. إنما يطمع فقط في سلب ونهب الأموال التي يمكن أن تصل إليها يده. الكل يحاول أن يستغل منصبه ليغتني بأي طريقة "رسمية" أو غيرها، في ظل الزمن المؤقت الضيق. وليس في مصلحته وجود رقابة إدارية أومساءلات مالية؛ لأن هذه المؤسسات "الفضولية" تعرقل عمليات السطو على الأموال العامة والخاصة، وتعيق قدراته الاختلاسية والارتشائية.

أطلق كاتب على اختلاس الأفارقة للأموال العامة اسمًا مركبًا: "دولة الاختلاس، أو حكم المختلسين = CLIPTOCRACY. والفرق بيننا وبين البلدان الإفريقية الأخرى هو أن أنظمتهم "غير مؤقتة" ولهم رقابة على أموال الدولة، وإن كان الحكام في الهوى سوى. أما المحروسة صوماليا فالفساد المالي وسوء إدارة الأموال "الممنوحة" ليس له وازع ولا رقيب. وحسب الاعتقاد السائد في البلد فإن الهيئات المانحة نفسها متورطة في هذا الفساد المستشري، مستفيدة من الفوضى العارمة والغياب الكلي للرقابة المالية والإدارية. تُوقِّع المنظمات غير الحكومية من الجهات الحكومية مبلغ تكلفة المشروع، ثم تحول جزءًا منه إلى المحليين ويبقى الجزء الأكبر في جيوبها.

نظام يعيش ويعشش على هذه الشاكلة لا يحتاج إلى مراقب حسابات من نوع المحامي إبراهيم عثمان هرغانتي. ومن السخرية بمكان أن هذه الهيئة التي كان اسمها MAGISTRATE OF ACCOUNT أو MAGISTRATO AI CONTI [لأن الإدارة اقتُبِسَت من نظام الوصاية الإيطالية (١٩٥٠-١٩٦٠)] ترجمت إلى الصومالية: مراقبة ممتلكات الدولة HANTI-DHOWRKA QARANKA، تميع

واضح لمسئولية محكمة الحسابات التي كانت لها أيضًا، كما سنشرح، اختصاصات قضائية؛ طبقًا للقانون الإداري الصومالي هذا المكتب أو قاضي المحاسبات، لم يكن مسئولاً عن ممتلكات الدولة. بل الهيئة المختصة بمراقبة هذا القطاع هي إدارة المحاسبات، ضمن الإدارات العامة لوزارة المالية والميزانية. وكانت هي المسئولة عن المراقبة الشرعية للمدفوعات المطلوبة من الإدارات الحكومية.

أما قاضي المحاسبات، أو قاضي محكمة المحاسبات، فكانت مهمته الأساسية مراقبة شرعية الإجراءات المالية وضرورتها معًا، وقائيًا وتعقيبيًا، لكل التزام مالي يخص ميزانية الدولة. كان قاضي محكمة المحاسبات يرأس القسم الخاص بالمحاسبات في المحكمة القضائية العليا؛ ولهذا كانت اختصاصاته مزدوجة: قضائية وإدارية. وبناء على القانون المذكور، فإن كل الوثائق المحتوية على المبالغ التي وافقت الإدارة المالية على دفعها من خزينة الدولة، كانت تُحوّل إلى قاضي محكمة المحاسبات للحصول على موافقته وتسجيله للوثيقة. كما كان يمكن له رفض الوثيقة التي تحتوي على مبلغ التعهدات المالية الصادرة من وزارة المالية والامتناع عن توقيعها. وفي هذا الظرف يخطر قراره تحريريًا إلى الإدارة المعنية، فإذا أصرت الحكومة على الحصول على موافقة القاضي أبلغته بالطلب تحريريًا. وفي هذه الحالة، كان يُوقِّع على الوثيقة مع تحفظ، لتكون نافذة المفعول. ولكن في آخر السنة يقدم القاضي إلى البرلمان تقريرًا يحتوي على كل التعهدات المالية التي وقعها بتحفظ، على أن يتولى الجهاز التشريعي متابعة هذه القضايا ومساءلة الوزراء المعنيين بالقضية للإدلاء بأجوبة مقنعة للبرلمان. وكان القاضي يُعيِّنه رئيس الوزراء بمرسوم يوافق عليه رئيس الجمهورية، وكان مكتبه تابعًا لرئاسة الوزراء.

الخميس ١٦ نوفمبر:

منزل رئيس البرلمان، نقطة تجمعنا اليومي، يوجد فيه عدد من النواب. النائب عبد الله أدن أحمد بلاك والذي جاء من بيدوه عن طريق نيروبي، يقول: إن بعض موظفي رئيس الوزراء وكينيين من وزارة الخارجية من المؤيدين للرئيس ع/ي حاولوا عرقلة سفره إلى مقديشو.

أحرقت إدارة جمارك المحاكم اليوم والأمس شحنات من القات يقدر وزنها بأكثر من ستين كنتالاً (ستة آلاف كيلو غرامًا).

استفز هذا الإجراء غير المبرر كلاً من تجار النبات الأخضر ومستهلكيه. وكرد

فعل للإجراء تصاعدت اضطرابات في حي بلاك سي، وأحرق المحتجون الإطارات المطاطية على قارعة الطريق، مما أرغم مليشيات المحاكم على إطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين، وتجمعوا على الطريق بالمئات، وقتلوا بعض المحتجين. بولغ في عدد القتلى في الأنباء الأولية، ولكن قُتل شخص واحد في هذه الاضطرابات. من المؤسف أن نظام المحاكم بدأ يتشدد شيئًا فشيئًا ويزيد تدريجيًّا رقعة محظوراته التي تُثير حفيظة الشعب، سكان مقديشو خاصة. في وقت تتنامى فيه المشاكل السياسية والعسكرية أمام نظامهم، للسيطرة على الاحتجاجات والاعتراضات المدنية. فرضت المحاكم حظرًا للتجوال في العاصمة من التاسعة ليلاً حتى السادسة صباحًا، وقد ظهر هذا الإجراء فعَّالاً إلى حد ما.

في هذه الأيام ظهرت عصابة إجرامية سمت نفسها أو سماها منظموها: "قُطَّاع العنق" لترهيب الشعب وتحريضه على العصيان. تقتل هذه العصابات المدنيين العزل في الأحياء المختلفة ليظهروا أن الاستقرار الذي تتحدث عنه المحاكم خيالي.

في بلدة بنيدرتلى، المحاكم من جهة ومعارضوهم، بتأييد من بنتلند من الجهة الأخرى، يستعدون لمواجهة جديدة. لإيقاف هذا السيناريو تتعالى أصوات من علماء بنتلند وأعيانهم طالبين من حكامهم: "إدخال الشريعة الإسلامية إلى الإقليم وتطبيقها" ولكنهم لا يظهرون أي تأييد للمحاكم الإسلامية في جنوب الصومال. يمكن أن يكون هذا التحمس المفاجئ من علماء بنتلند لتطبيق الشريعة الإسلامية، فكرة ذكية هدفها عرقلة أو إحباط اندفاع المحاكم إلى هذا الإقليم.

الجمعة ١٧ نوفمبر:

يوم قليل النشاط كمثله تقل فيه الأعمال قبل صلاة الجمعة. اتصلت تليفونيًّا برئيس البرلمان واستنتجت من نبرة صوته أن معنوياته عالية. يقول: إنه تلقى اتصالات هاتفية عديدة من شخصيات متنفذة من المجتمع الدولي، وهم عادة الشخصيات التي تدير الشئون الصومالية من نيروبي- كينيا. من هؤلاء السيد السفير فرانسوا فال، ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة للشئون الصومالية. وأخبر السفير رئيس البرلمان بأنه سيترأس وفدًا يزور بيدوه غدًا السبت، وأنه سيلتقي بالرئيس ع/ي والسيد ع/م/ غيدي، رئيس الوزراء، مؤكدًا لشريف حسن أنه سيطلب من المسئولين: "الامتناع عن كل ما من شأنه أن يخلق شرخًا جديدًا في البرلمان".

يبدو أن شريف حسن أكّد بدوره للسفير فال أنه سيواجه أي تحد يرمي إلى عزله

من قبل الرئيس ع/ي وع/م/ غيدي بتحد مماثل، كسحب البرلمانيين الموجودين في مقديشو ثقتهم عن الحكومة والرئيس ع/ي.

تتحدث جميع وسائل الإعلام عن التقرير الأخير الذي قدمته لجنة حظر الأسلحة إلى مجلس الأمن للأمم المتحدة. كالمعتاد، التقرير يحتوي على معطيات وأرقام مبالغ فيها.

أصبح من المعهود استخدام هذا التقرير النصف سنوي لأغراض سياسية من الدول الكبرى. وهذه اللجنة خرجت عن نطاق عملها بتقديم تقرير صادق عن كيفية تطبيق نظام حظر دخول الأسلحة إلى الصومال. وكانت قد عُيِّنت لكي تعطي استشارة فنية إلى مجلس الأمن لمرة واحدة فقط، ولكنها أصبحت هي أيضًا "دائمة" وتحولت إلى مصدر استخباراتي وعميل مُحَرِّض ومضلل في أيدي الأقوياء، وعلى ميزانية الأمم المتحدة.

السبت والأحد ١٨-١٩ نوفمبر:

سيدة من المغتربين الصوماليين أخبرتني بأنها مكثت بمدينة بيدوه ٨ أشهر، وكانت تنوي الرجوع النهائي إليها، ولكنها اقتنعت أخيرًا بأنها ليست مستقرة ولا يمكن لها أن تنتقل من لندن حيث النظام والأمن والخدمات العديدة المتوفرة. هذه السيدة أنموذج من المغتربين الذين ينتظرون العودة، أو عادوا فعلاً إلى البلد، ولكن "النظم المؤقتة" تخيّب آمالهم؛ لأنها لا تستطيع إحلال السلام واستتباب الأمن في أرجاء البلد، بل تصاعد من الاقتتال العشائري وتزيد من الفوضى. هذه الدويلات المؤقتة تنحصر برامجها في التمركز في العاصمة أو مدينة أخرى، بصورة مؤقتة، فيخيل لها أنها تسيطر على باقي الأقاليم إذا استقر حكمها في العاصمة، الذي بدوره لن يتحقق لها أبدًا.

حتى هذه اللحظة لم نر أي حكومة حققت هذا الهدف المحدود، فالعاصمة بعد سقوط النظام القديم ما زالت تحت سيطرة زعماء المليشيات، والنظام الذي يجيء تحت مسمى الحكومة، يسيطر دائمًا على جزء فقط، إذا كان محظوظًا. ومما لا شك فيه أن هجرة عكسية كانت تتجه من البلدان الغربية إلى الصومال في حالة إعادة بناء الدولة على أسس ثابتة مستقرة. وكان من الممكن لهذه الجموع العائدة من الاغتراب أن تفيد البلد بخبراتها ومهاراتها علاوة على معرفتها. بالعكس فإن سوء الاحوال تحتجزهم في أماكنهم، هناك غياب للدولة وغياب للاستقرار إلى أجل يعلم الله نهايته.

تقول الأنباء الواردة من بيدوه: إن السفير فرانسوا فال حاول تهدئة الموقف الساخن في الأوساط الحكومية، والاستعدادات الحزبية لعزل رئيس البرلمان الجارية. ربما تتوقف

الحملة ضد شريف حسن لفترة وجيزة، ولكنها ستتواصل حتى بلوغ غايتها، وهي عزل رئيس البرلمان.

في غضون أيام استطاعت حملة محلية لجمع التبرعات لمنكوبي الفيضانات، أن تجمع ثلاثمائة ألف دولار أمريكي. وهذا التعاطف مع الإخوة المواطنين دليل على أن شعبنا قادر على أن يساعد نفسه بنفسه، حتى وهو في هذه الظروف البائسة المأساوية. وفي ظروف عادية سوف يجود الصومالي لإسعاف أخيه المتضرر أكثر وأكثر.

الإثنين ٢٠ نوفمبر:

أعلنت حكومة جيبوتي هذا الصباح وفاة الرئيس السابق حسن جوليد أبتدون عن عمر ناهز الثمانين. كان الرئيس الراحل شخصية وطنية صومالية، عملاقة بلا أي مبالغة، قليل الكلام، متوقد الذهن، سريع البديهة، كما عرفته في قمة رؤساء الدول العربية المنعقدة في بغداد في مايو ١٩٩٠م. اشترك في هذه القمة كل من الرئيس محمد سياد بري، والرئيس حسن جوليد.

قبل سفر الرئيس سياد إلى هذه القمة بيوم واحد قدمت جماعة المنفستو (Manifesto Group) أول بيان احتجاجي لهم إلى الرئيس بري، طالبوا فيه بإدخال إصلاحات على نظام الدولة، وكان أغلبهم من أعيان البلد، وأولهم الرئيس الراحل أدن عبد الله عثمان. بدأت الاضطرابات تتسع في العاصمة وفي الأقاليم حين ذاك. وشرع الجيش النظامي يتمرد، وكان بعضهم ينضم إلى الجبهات المسلحة، التي كانت تقترب من العاصمة شيئًا فشيئًا. سافر الرئيس محمد سياد بري إلى بغداد، وترك وراءه هذا الجو المشحون بالمشاكل والاضطرابات، وهو قلق من هذه التطورات المتسارعة. وفي فترة القهوة في الجلسة الصباحية للقمة، وقف الرئيس حسن جوليد إلى جانب سياد برى ليخبره أن طيارًا من القوات الجوية الصومالية اخترق الأجواء الجيبوتية، بلا إذن مسبق، ونزل بطائرته على شاطئ مدينة جيبوتي، وأنه في تلك اللحظة تحت الاستجواب. ثم تلاحقت الأخبار على الرئيس سياد وحصل على معلومات أوفر عن الحادث. وفي الجلسة المسائية التقى الرئيسان فقال سياد لجوليد: "الحادثة كما ذكرتها أنت". فرد عليه جوليد بشيء من الاندفاع: "هل كنتُ سأقول لك شيئًا لم يحدث؟". كان الرئيس حسن جوليد أول من جمع بدعوته الأطراف الصومالية المتنازعة في جيبوتي، وطلب منهم أن يتصالحوا وينتشلوا دولتهم من الجرف الذي انهارت فيه. وذلك في شهري يونيو ـ يوليو ١٩٩١م (جيبوتي

الأول، وجيبوتي الثاني).

وفي وجه كل المحاولات الفاشلة التي جعلت من الأزمة الصومالية معضلة تستعصي على الحلول الكلاسيكية المعروفة، حث جوليد على مبادرة جديدة، تستضيف فيها دولة جيبوتي جميع الأطراف المدنية التي دب الخلاف بينها في مؤتمر شامل مهيب، يشترك فيه أكثر من ألفي شخص. في إعداد لهذا المؤتمر قال كلمته المأثورة عندما استفزه أحد الدبلوماسيين قائلاً:" كيف تدفعون فاتورة هذا المؤتمر الموسع، وطاقتكم المالية محدودة؟" أجاب بحزم بالصومالية: "(Xin Looma Xoola Yera)" أي: (كلنا أغنياء في الدفاع عن أنفسنا).

والذات التي كان يريد الرئيس حسن جوليد الدفاع عنها هي الصومال، قناعة منه بأن الدفاع عن وحدة الصومال وإعادة دولته من جديد، هو دفاع عن جيبوتي وسلامة وحدتها.

في ٦ نوفمبر ١٩٦١م، قدَّم السيد حسن جوليد، وكان آنذاك عضوًا في الجمعية الوطنية الفرنسية، ممثلاً للصومال الفرنسي، مشروع قانون إلى هذا المجلس لإعطاء جيبوتي حكمًا ذاتيًا أوسع، حيث يُجيز للصومال الفرنسي تشكيل مجلس تشريعي ومجلس وزراء برأسه رئيس وزراء، على أن تبقى تحت اختصاصات الممثل السامي الفرنسي محفظات الدفاع، المالية وشئون الخارجية، في إطار دستور يحتوي على هذه النقلة المهمة نحو تحرير البلد.

اتخذت اللجنة المختصة بهذا القطاع في الجمعية الوطنية الفرنسية قرارًا بتأييد المشروع في ديسمبر ١٩٦١م. وطلب رئيس الجمعية الوطنية من رئيس الوزراء "ميشيل دوبرى" تنفيذ المشروع الذي أصبح قانونًا ساري المفعول في الصومال الفرنسي. ولكن رئيس الوزراء اعترض على تنفيذ القانون متحجِّجًا بعدم إمكانية إرسال القانون إلى جيبوتي للتطبيق، لأسباب دستورية وصعوبات محلية.

ولكن حسن جوليد واصل كفاحه ومجهوده حتى نجح بعد سنوات في الحصول على الاستقلال الكامل لجيبوتي سنة ١٩٧٧م، ووحد شعبها وأرسى قواعد السلام في ربوع بلده.

الأربعاء ٢٢ نوفمبر:

أعددت باسم الزملاء، وبالتفاهم مع رئيس البرلمان، وثيقة- موقف (Position Paper) تُحدد علاقاتنا وأنشطتنا بالأحوال المستجدة. ولكنه أرجأ

الموافقة عليها من البرلمانيين إلى يوم الخميس ٢٣ نوفمبر القادم. نشطاء المجتمع العالمي يضغطون على مجموعتنا لصون وحدة البرلمان والرجوع إلى بيدوه. وبصورة خاصة فإن اتصالاتهم التليفونية لا تنقطع برئيس البرلمان، يطلبون منه العودة إلى بيدوه، ولو بمفرده، ولكن لن يعود إليها؛ لأن سلامته هناك ليست مضمونة.

حصلت مواجهات جديدة في منطقة "إيدالي" بين مليشيات المحاكم والحكوميين المعززين من الإثيوبيين، والأنباء الواردة من منطقة الاقتتال متناقضة.

عدد من النواب يتحدثون في حلقات صغيرة في مقر رئيس البرلمان ، وهم يناقشون الأوضاع المستجدة ببيدوه، والمواجهات التي بدأت تتصاعد من ناحية دينسور إيدالي وبورهكبا- بيدوه. في هذا الجو غير المنضبط لا يمكن لي أن أقدم إلى البرلمانيين الوثيقة التي كنت أعددتها منذ يومين. ومن ناحية أخرى فالتطورات الميدانية تتسارع بحيث تجعل بعض مقترحاتنا قد تخطتها الأحداث.

في الظاهر يبدو أن الأوروبيين يدعون إلى السلام، ويؤيدون بصوت عال التيارات الصومالية التي تسعى لتفادي الحرب، لكن من المؤكد أنهم يلعبون هذا الدور بالتفاهم مع الأمريكان المحرضين للأحباش. والهدف المتفق عليه هو أن تهاجم القوات الإثيوبية مقديشو معقل المحاكم لتسحقهم سحقًا، لتتمكن الحكومة المؤقتة من بسط نفوذها وسيطرتها على العاصمة.

في المحصلة النهائية كان هذا هدف الغربيين من تنصيب "الحكومة الشرعية" برئاسة ع/ ي ليكون القوة الشرعية لمحاربة الإسلاميين، الذين لم يكونوا كلهم متطرفين حسب المعايير الغربية، كما ستبينه الأيام. كان يمكن أن يحقق الغرب في سنة ٢٠٠٦م، ما توصل إليه في اتفاقية جيبوتي بعد سنتين من القتال المدمر؛ لأن هذه الشخصيات نفسها التي أريد لها أن تكون على رأس نظام جيبوتي، كانت على قمة نظام المحاكم. وربما شقة الخلاف بين المتصالحين مع الحكومة المؤقتة والرافضين لها أصبحت أقل اتساعا مما هي عليه الآن. معارضة الإسلاميين تبدو الآن واسعة النفوذ عما كانت عليه الأحوال سنة ٢٠٠٦م.

من الناحية الأخرى لا شك أن من بين قياديي المحاكم من كان يدعو إلى محاربة "الكفار" والتشدد عليهم وسوق الحرب إلى ديارهم، بخطط عكسية، ولكن بالتناغم مع الهدف الإثيوبي- الغربي للزحف واحتلال الصومال. ولا أشك في وجود بسطاء في

المحاكم كانو يتطلعون إلى الجهاد، بغض النظر عن عدم تكافؤ القوة المستخلصة عن المعطيات الجغرافية والاقتصادية والإنسانية على الأرض، مقتنعين بإمكانية هزيمة العدو، وأحيانا تحرضهم العنتريات التي يسمعونها من قوادهم ويصدقونها.

إزاء هذا الواقع لم يكن لدى المحاكم خيار غير مقاومة العدو الزاحف على العاصمة وعرقلة تقدمه، أو انتظاره على مشارف مقديشو ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً. واختاروا الخيار الأول، أي: مواجهته في بؤرة تجمعه وهي مدينة بيدوه؛ لأن الزحف المخطط له لا يمكن إلغاءه أو تأخيره وإن فرشت المحاكم الإسلامية غصون الزيتون على الأرض، إرضاءً للغرب. ومن المفارقة أن بيانًا للمجلس التنفيذي للاتحاد الأوروبي كان ينتقد القرار الأمريكي الذي يرمي إلى إرسال قوات إفريقية متعددة الجنسيات، تحت قيادة الأمم المتحدة، على غرار القوات الهجينة، كما يقال، في دارفور.

أخبر رئيس البرلمان النواب الموجودين في منزله بأنه قرر أن يعود إلى نيروبي عن طريق جيبوتي. وليس النبأ جديدًا؛ لأن المتنفذين الغربيين في نيروبي يطالبون برجوعه قبل أن تدخل المجموعة البرلمانية في أي اتفاق يعرقل مسار خططهم الهادفة إلى تيسير الزحف الإثيوبي؛ لأنه في الآونة الأخيرة كانت تدور أفكار حول استدراج الأغلبية البرلمانية إلى مقديشو، بأي طريقة ممكنة، لسحب الثقة عن حكومة بيدوه وإعلان القرار بالعاصمة.

الخميس ٢٣ نوفمبر:

دعاني رئيس البرلمان إلى مناقشة موضوع خاص وحساس في مكتبه، وانضم إلينا لاحقًا السفير يوسف إبراهيم حسن، وهو عضو برلماني من المجموعة المقديشية القديمة، والمؤيدة لفكرة استيعاب اتحاد المحاكم الإسلامية في إطار وفاق وطني. وأطلعنا رئيس البرلمان على وثيقة موقعة من الرئيس ع/ي، ورئيس الوزراء ع/م/ غيدي. عنوانها "بلاغ مشترك" وتحمل تاريخ ٢٠ نوفمبر ٢٠٠٦م. وجهت الوثيقة تهمة إلى رئيس البرلمان لخرقه نظام وحدة قيادات المؤسسات الثلاث، وإساءته في استعمال السلطة، والتنكر للاتفاق الذي تم بين القيادات الثلاث. تتهم الوثيقة رئيس البرلمان أيضًا بدخوله في اتفاقية مع اتحاد المحاكم الإسلامية بانفراد، ودون استشارته للقيادات الأخرى في بيدوه.

والقسم الثاني من الوثيقة يوجه تهمة إلى المحاكم لكونهم غير جادين في اتصالاتهم بالحكومة المؤقتة، التي استيقنت عبر الاتصالات السابقة، حسب الدعوى، بأنهم متشددون

ومراوغون، ولا يريدون المصالحة مع الحكومة. والقسم الأخير من الوثيقة يلوم المجتمع الدولي (الدول ذات النفوذ) الذي يشجع تأزم المؤسسات الفيدرالية الصومالية المؤقتة بتحريض بعض مكوناتها للقيام بأنشطة سياسية تنال من صلابة المؤسسات الدستورية.

أكّد الرئيسان في هذه الوثيقة على أنهما يدينان الأجندة الخفية التي ينفذها بعض أعضاء المجتمع الدولي، للتشكيك في المؤسسات الدستورية وإضعافها أمام الصعوبات المتصاعدة. طلَب منا رئيس البرلمان أن نجيب على هذه الوثيقة التي تتهمه بشق صف القيادة الدستورية، وإضعاف موقفها التفاوضي مع المحاكم. أعددنا له وثيقة متزنة بالإنجليزية وسلمناها له لتوقيعها.

الجمعة ٢٤ نوفمبر:

تسلمت نسخة من وثيقة التفاهم (memorandum of understanding) الموقعة من الرئيس ع/ي ورئيس الوزراء ع/م/ غيدي بتاريخ ٥ أغسطس ٢٠٠٦م التي بموجبها يعطى رئيس الوزراء مهلة ثلاثة شهور لينفذ كل الأمور العالقة التي أدت إلى الخلافات بين القيادات الدستورية [هل المحترمان يمثلان دولتين؟]. كما أوضحنا أعلاه فقد تم التوصل إلى هذا الاتفاق المكتوب بوساطة من وزير خارجية إثيوبيا، " أتوسيوم مسفن". ومن الجدير بالذكر أن الوسيط الإثيوبي كان غرضه، في المقام الأول، إعطاء فرصة لرئيس الوزراء (المحشور في زاوية الاتهامات) لتصفية حساباته مع معارضيه، الذين كانوا مصممين على إسقاط حكومته التي فشلت في إعداد الدستور الجديد، حسب متطلبات الميثاق الوطني.

التوسط الإثيوبي في هذا المجال محسن لفظي؛ لأنهم لا يخشون فرض إرادتهم على موكليهم. ولا يخفى على أحد أن أديس أبابا تملي كل شيء على النظام المؤقت، وأن الأخير يستمد قوته وأيضًا وجوده من إثيوبيا. وبالتالي يصبح التوسط تمثيلية غير موفقة، تقدم في مسرح البسطاء. ولا يمكن أن تمثل الشعب الصومالي قيادة تنازلت عن كل مقومات الدولة ورمز سيادتها، لدولة أخرى مثل إثيوبيا، التي كان قياصرتها ورؤساؤها يدّعون ولا يزالون أن الصومال جزء من إثيوبيا "الأم"، وأن الصوماليين قبائل لا تاريخ لهم. وكلنا نتذكر "الرسالة الدورية" للإمبراطور منيلك الثاني الحبشي إلى رؤساء الدول الأوروبية سنة ١٨٩١م معلنًا فيها أن أرض إمبراطوريته تمتد من أرتريا شمالاً والسودان غربًا، وجميع المقاطعات الصومالية شرقًا وجنوبًا حتى بحيرة " نيانزا " في إفريقيا

الاستوائية. وأعلن للمستعمرين بقصد المساومة:" إثيوبيا لا زالت جزيرة مسيحية في بحر من الوثنيين، لأربعة عشر قرنًا من الزمن. إذا أقدمت دول من أرض نائية لتقسيم إفريقيا فيما بينها، فأنا لا أريد أن أكون متفرجًا غير مبال".

السبت ٢٥ نوفمبر:

صرح رئيس الوزراء الإثيوبي ملس زيناوي أمام برلمانه بأن جيشه سيهاجم المحاكم الإسلامية في حالة فشل المفاوضات الجارية مع الحكومة المؤقتة. تقول مصادر مطلعة بوجود ثلاث فرق من الجيش الإثيوبي في الأراضي الصومالية بمحاذاة الحدود، وهي مستعدة لخوض معركة موسعة في أي وقت. قال شيخ شريف ليلة البارحة للإذاعات المحلية باسم المحاكم ردًّا على تصريحات زيناوي: "سنحارب الإثيوبيين وسنهزمهم". سافر شريف حسن وعدد من مساعديه وثلاثة نواب هذا الصباح إلى جيبوتي، وقبل سفره أصدر هو وشيخ حسن طاهر أوريس، رئيس مجلس شورى المحاكم، بيانًا مشتركًا مكونًا من ست نقاط، هي:

١) أن المحاكم ستشترك في الجولة الرابعة من مفاوضات الخرطوم.

٢) ستشترك المحاكم مع إيغاد في المحادثات المزمع عقدها يوم ١٥ ديسمبر ٢٠٠٦م، في المكان الذي تتفق جميع الأطراف على عقد الجلسة فيه.

٣) أشاد الطرفان الموقعان بالدور المسئول والبنّاء لدولة كينيا، في تعاملها مع المحاكم.

٤) سيكوّن الطرفان الموقعان على هذا البيان لجنتين لدراسة المشاكل السياسية والأمنية، والمشاركة في السلطة على أن يقدما توصياتهما إلى القيادتين العليين.

٥) إثيوبيا مطالبة بنبذ لهجتها العدوانية وتهديدها للأمة الصومالية.

٦) يُطلب من المجتمع الدولي تأييد المبادرات السلمية وحق الشعب الصومالي في أن يتمتع بالسلام على أرضه.

ومن الناحية الأخرى فالجو السياسي والأمني في مقديشو متوتر. تتعالى العنتريات من جهات إسلامية عديدة من خلال الإذاعات المحلية. من بين هؤلاء شيخان يعلنان الجهاد من خلال إذاعة القرآن الكريم، وهي واحدة من الإذاعات المحلية لمدينة مقديشو. وصرحا بأنهما سيواصلان الجهاد حتى تعود الخلافة الإسلامية، وحثّا الشعب على أن "يجاهدوا الكفار".

الأحد ٢٦ نوفمبر:

اتصل بي هذا الصباح السيد/ عبدي موسي ميو الساكن بسويسرا، وقال لي: "إن الانخراط في الشئون السياسية الصومالية في هذا الزمن الرديء ينتهي إلى الإحباط المتواصل والمرارة المتكررة، مما يؤدي في المحصلة الأخيرة إلى اضطرابات صحية وأمراض خطيرة، كما حصل لي ولك أخيرًا". ويذكر كلمة قائلها عبد الله يوسف "ميجاج"، أحد كبار موظفي الدولة في العهد البرلماني الأول، تعبيرًا عن امتعاضه: "إنكم [يشير إلى الجنوبيين الصوماليين] لا تقدرّون أعباء مسئوليتنا وما نقوم به من تضحيات لتحقيق التقدم والرفاهية في هذا البلد. ومات "ميجاج" من جراء فشل الكبد سنة ١٩٩٢م. فإذا كان هذا شعور الوطنيين في وقت كان فيه الصومالي فخورًا بوطنه، تملأه الآمال بعد تحرير البلاد وكان يمكن له التطلع إلى مستقبل أفضل، والأمن مستتب في ربوع البلد، وتعتل صحتهم من جراء عبء المسئولية، فماذا كان يحدث لهؤلاء الوطنيين إذا شاءت الأقدار أن يعيشوا في صومال تلاشى أو يكاد، تضمحل فيه قيمه الوطنية، ووحدة أراضيه، تبددت مكاسبه المادية ونزل أهله إلى حضيض الجهل والضلال، ويعيش البلد في مهب الريح؟

الإثنين ٢٧ نوفمبر:

أفاد الأخ ي/ش إسحاق بأن الجيش الإثيوبي دخل إلى مقاطعة باي، وأنه متواجد بكثافة في مدينة بيدوه، مركز الحكومة المؤقتة. يضيف هذا الأخ، وهو من سكان بيدوه: إن المليشيات القبلية، بما في ذلك تلك التابعة للرئيس ع/ي أصبح دورها ثانويًا. كل المليشيات الآن سُوِّيت بالأرض، لا فضل لمليشيات الرئيس على المحلية. أبعد الإثيوبيون كل المسلحين الصوماليين إلى معسكرات خارج المدينة لكي لا يحتكوا بالقوات الغازية. أما في المحور الشمالي فالمواجهات الدامية مستمرة بين المحاكم ومليشيات تحت قيادة عبدي "قيبديد". يتراشق الطرفان بمدافع هاون دون خسارة أرض من الجانبين.

أقيم في نيروبي حفل بمناسبة تقديم جواز سفر جديد إلى المشتركين في هذا الحفل تحت رعاية رئيس الوزراء ع/م/ غيدي. لكن الشعب الذي يراد له استخدام هذا الجواز هو الشعب الصومالي، وليس الكيني، كما أن نيروبي ليست عاصمة الصومال. على هؤلاء السادة اختلطت عليهم الأمور كما يقول مثل يماني: "الفرح في كوكبان والمحجرة(*) في شبام".

(*) المحجرة: تصويت اللسان بترديده في الأفراح، من النساء عادة، وهو ما يُعرف بالزغاريد، وفي الصومالية: "مشخرة" تصحيف للمحجرة.

أعطت الإذاعة المحلية هورن أفريك تغطية واسعة لمناسبة تقديم جواز السفر الجديد، وبثت خطبة رئيس الوزراء بأكملها دون تعليق. وغرابة الجواز الجديد هي أن حامله لن يحصل على التأشيرات إلى البلدان التي أغلقت أبوابها في وجه الصوماليين من قبل. بينما هذه الحكومة الشاطرة، وموظفوها العاملون في الهجرة، يريدون أن يوهموا هذا الشعب المسكين أن هذه الوثيقة تفتح لهم أبواب الهجرة والسفر إلى أي بلد. وهذا التصرف لا يليق بمؤسسة تسمى نفسها حكومة، وسيعلم الجميع إن عاجلاً أو آجلاً أن الجواز الجديد ما هو إلا صورة طبق الأصل للجواز القديم، لا يفتح آفاقًا جديدة للمسافرين. و"الهيصة" لا تعدو كونها تضليلاً.

الثلاثاء ٢٨ نوفمبر:

الأمطار الغزيرة والفيضانات العارمة في إقليمي سبيلي الوسطى والسفلى، أدت إلى خسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات. الهيئات الخيرية المحلية عملت كل ما في وسعها لإسعاف المتضررين، وقدمت لهم الأغذية والأدوية، ووزعت عليهم الخيام ومواد البناء. كما أن حملة للتبرع على المنكوبين نظمتها المحاكم الإسلامية نجحت إلى أبعد حدٍ؛ إذ وصلت محصلتها إلى نصف مليون دولار، والرقم قياسي في الصومال وهو سابقة تبشر بالخير. هناك من دفع دولارًا أو دولارين، أو أقل من ذلك بالشلن الصومالي. ومن الجدير بالذكر أن الجاليات الصومالية في الغرب تطوَّعت بسخاء لمعاونة المنكوبين. كانوا في السابق يتبرعون لقبائلهم ولعشائرهم للقيام بأعمال عدائية ضد القبائل الأخرى، في أكثر الأحيان. أما الصيغة الجديدة لمساعدة الأخ الصومالي المتضرر، فهي بمثابة نقلة نوعية تدل على أن الجاليات رأت أنه لا جدوى من تمويل الحروب، والمشاحنات القبلية التي أدت إلى عدم استقرار بلدهم، وجعلتهم يبتعدون عن أوامر دينهم، ويقترفون الذنوب ضد جيرانهم.

أجرى شريف حسن مقابلة صحفية مع إذاعة الـ بي.بي.سي/ ق. ص. وهو لا يزال بجيبوتي. كانت مواقفه واضحة وشجاعة في الدفاع عن السلام وكونه عنصرًا مهمًا لاستقرار البلد، وأن العمليات العسكرية المعدة لحرب جديدة على الصومال لن تحل الأزمة، بل ستعقد المشاكل وتصعدها. مجلس وزراء جيبوتي أعلن في بيان له طلب فيه من الأطراف الصومالية المتصارعة أن يلتزموا بالحلول السلمية لإنهاء الأزمة. ملأت المحاكم ميدان المنصة [Tribuna] بالمتظاهرين من الساعة التاسعة صباحًا حتى الحادية عشرة. زاد عدد هؤلاء المتظاهرين على عشرة آلاف. غطت الصحافة العالمية

والمحلية المظاهرة بشكل واسع، وكان الاحتجاج ضد الاحتلال الإثيوبي للأراضي الصومالية في ازدياد مستمر.

مقدمة

في عصر الثلاثين من نوفمبر غادرت وعدد من النواب الموجودين بمقديشو - لا يقل عددهم عن عشرين - العاصمة في طائرة خاصة أُرسلت من نيروبي لتنقل رئيس البرلمان إلى العاصمة الكينية. عند الوصول إلى مطار جومو كينياتا، لم يكن فيه أي موظف من البروتوكول لمساعدة رئيس البرلمان والوفد المرافق له، لتسهيل إجراءات الهجرة الصارمة ضد الصوماليين، والتي لا تميِّز بين الرسميين وغيرهم. استنتجنا من غياب رجل البروتوكول، والتشدد في إجراءات الدخول إلى كينيا أن هناك شيئًا متعمدًا، يراد إيصاله إلينا، وهو أن السلطات الكينية التي تعمل بتنسيق مع الحكومة المؤقتة الصومالية، لا تنظر إلى أنشطتنا وسفرنا إلى كينيا بعين الرضى.

وبعد مماطلات متعمدة، وفحوص زائدة عن اللزوم، انتهت إجراءات إدارة الهجرة وانتقلنا إلى المدينة حوالي الساعة العاشرة مساء، وأوى كل واحد منا إلى فندقه المحجوز له. لم يحدد رئيس البرلمان ميعادًا للاجتماع القادم لإعداد أجندة الأنشطة للنواب في الأيام المقبلة.

تزامن سفرنا مع تدهور الأوضاع في الجنوب وزحف إثيوبي- حكومي مرتقب نحو العاصمة. يعلم الجميع أن الهجوم الإثيوبي على معاقل المحاكم وشيك ومبارك من الدول الكبرى، وستنصاع الدول الصغرى والمهيمن عليها إلى قرارات المهيمنين.

بالرغم من هذه الحقائق المرة، رأت مجموعتنا أن تقوم بما في وسعها من اتصالات وحراك لإبلاغ المجتمع الدولي والجالية الصومالية بنيروبي، بأن الحل العسكري المزمع فرضه على الأزمة القائمة، سيخلق مزيدًا من الإبادة والدمار ولن يكتب له نصر في النهاية.

السبت ٢ ديسمبر:

في البارحة أويت إلى فراشي في فندق٦٨٠ حوالي الساعة الثانية صباحًا. وكانت ليلة ثقيلة، فالهواجس تتلاطم في ذهني، ولم أصب من الراحة إلا قدرًا يسيرًا.

زرت شريف حسن رئيس البرلمان وهو نازل بفندق "بناري" خارج المدينة، وعلى طريق مطار نيروبي. أخبرني بأنه قد تم تحديد موعد مع سفراء العرب في صبيحة

يوم الإثنين ٤ ديسمبر. اتفقنا على إعداد وثيقة باللغة العربية نلخّص فيها الأنشطة التوسطية التي قمنا بها، في فترة إقامتنا بمقديشو. وفهمت من الاتصالات التي يجريها الرئيس أنه يستعد للسفر إلى اليمن والسودان، ليلتقي بالقيادات السياسية هناك.

ومن بيدوه تترشح بعض الأنباء والأقاويل التي يستخلص منها أن رئيس النظام المؤقت ورئيس الوزراء يخططان لعزل شريف حسن، واستبداله بشخصية طيّعة لسياستهما، والأسماء عديدة للارتقاء إلى هذا الكرسي. وكل المتنافسين من مجموعة د/ م.

وفي نيروبي نشعر بأن الدول المعنية بالشئون الصومالية ليست كلها مقتنعة بزج الصومال في أتون حرب جديدة، وليس الخلاف في مجرد توزيع للأدوار الكلاسيكية. وإنما بعض الدول ترى الاندفاع إلى الحرب، وفرضه على بلد يئن تحت وطأة الخراب والدمار، ما هو إلا مزيد من المعاناة والأهوال، خاصة على المدنيين، مع أن هناك بدائل أكثر جدية وفعالية، كمواصلة المفاوضات، وتقديم مشروع لاقتسام السلطة إلى المحاكم.

الإثنين ٤ ديسمبر:

عقد الأستاذ عبد الله مبارك العريمي، ممثل الجامعة في الصومال، الاجتماع الذي ذكرناه في الساعة العاشرة. اشترك فيه من جانب البرلمان حوالي عشرة نواب، برئاسة شريف حسن رئيس البرلمان. وحضره من جانب السفارات عدد لا يقل عن عشرة دبلوماسيين من الدرجة الثالثة والرابعة. حضر سفيران عند اختتام الجلسة، ولم يشتركا في الجلسة. وزّعنا على الدبلوماسيين الوثيقة التي أعددتها حسب التفاهم مع رئيس البرلمان. كانت تحتوي على نتائج المباحثات التي أجراها الوفد البرلماني الصومالي مع مسئولي مجلس المحاكم الإسلامية بمقديشو. في افتتاحية الجلسة ألقى رئيس البرلمان شريف حسن حديثه باللغة الصومالية، وترجم عنه النائب زكريا محمود حاج. وسلط الضوء على خطورة الموقف الراهن في الصومال، وإمكانية انفجار حرب مدمرة ليست في مصلحة أي طرف، وسيترتب عليها مزيد من تفاقم الأوضاع الكارثية أصلاً، تكتوي بها جميع المناطق.

ثم أخذ الكلمة نائبان، وكلاهما شجب الاحتلال الإثيوبي وتدخله السافر في الشئون الصومالية، إزاء صمت كامل من المجتمع الدولي في ظرف تعتدي فيه دولة على جارتها، خرقًا للقانون الدولي والمواثيق الراسخة في المعاملات بين الأمم. ومما يدعو إلى الاستغراب أنه لم يتكلم أحد من ممثلي البعثات الدبلوماسية المشتركة في الجلسة، ولكن

الدبلوماسيين ما أن انتهى الاجتماع حتى بدؤوا ينشطون في طريقة الحديث الخاص، ربما لجمع معلومات أكثر دقة عن بعض جوانب الموضوعات التي أُثيرت في الجلسة.

أهم القضايا التي تحتوي عليها الوثيقة التي قدمناها للدبلوماسيين، راغبين في تأييد حكوماتهم لموقفنا، هي الآتية:

١) الاشتراك غير المشروط في المفاوضات المزمع انعقادها بالخرطوم يوم الخامس عشر من الشهر الجاري، ديسمبر ٢٠٠٦م. (اتحاد المحاكم الذي كان يشترط خروج القوات الأجنبية من أرض الوطن، لاشتراكه في المحادثات، تنازل عن اشتراطاته، إثر ضغط البرلمانيين وجهات متنفذة أخرى مؤيدة له).

٢) الإحجام عن كل عمل من شأنه تصعيد النزاع وإذكاء الاصطدام المسلح.

٣) التمسك بمبدأ الحل السلمي للخلافات.

٤) الترحيب بدور كينيا الإيجابي في المفاوضات المعلنة في التصريحات الأخيرة من الرئاسة ووزارة الخارجية الكينيتين. وفي هذا الشأن كانت هناك عدة مواقف لحكومة كينيا تظهر للمحاكم أنها تنفرد بأسلوب غير عدائي تجاههم. ومن هذه المواقف إطلاق سراح قائد من المحاكم اختطفته جهات أمنية، وكان في القائمة المطلوبة من العدالة الكينية. (من الثابت أن المحاكم لم يعادوا كينيا بالصورة المبالغ فيها أحيانًا كعدائهم لإثيوبيا).

عمومًا أردنا أن نعلن للإخوة العرب أننا في أمس الحاجة إلى أن يعملوا كل ما في وسعهم للتصدي للحملة الظالمة ضد عضو في الجامعة العربية، وحاولنا إقناعهم بأن هناك فرصًا للوصول إلى حل سلمي للأزمة حتى هذه الساعة المتأخرة. ومن الناحية الأخرى أوضحنا للإخوة أن إثيوبيا التي سببت عدم الاستقرار في الصومال والتي تسلح وتؤوي زعماء الحرب المسئولين عن خراب البلد، وتتصدى لكل محاولات السلم، لا يمكن لها إعادة الاستقرار للصومال.

الأربعاء ٦ ديسمبر:

تنفيذًا لوصية شريف حسن أعددت الوثيقة التي كان يريد أن يرسلها إلى الرئيس ع/ي وأحطت بها عددًا من السفارات. كانت الوثيقة على هيئة تقرير يقدمه رئيس البرلمان إلى الرئيس ع/ ي عن الأنشطة التي قام بها والاتصالات التي اتخذها مع اتحاد المحاكم

الإسلامية والمجتمع الدولي سواء في كينيا أو السودان أو اليمن أو جيبوتي. وطلب إرسال هذه الوثيقة إلى المبعوث الإيطالي ماريو رفاييللي الذي ألح في الحصول على نسخة منها. وحسب تبرير الممثل الإيطالي، فإن الوثيقة تساعده على إقناع أصدقائه الأوروبيين، ولأن يثبت لهم بأن الصلة بين الرئيسين ما زالت قائمة نابضة، لحشد قوة ضاغطة على بيدوه، لتفادي أزمة انقسام جديد في البرلمان، وأن يهدئ الحملة التي تتصاعد في بيدوه لعزل رئيس البرلمان ، وأن الأمور لم تخرج بعد عن الطوق المؤسساتي، وأن الخلاف قابل للتسوية.

ولكن لا بد أن نشير إلى أن السياسيين المنخرطين الآن في العمليات السياسية في الصومال المنهمكين في الشغب والتحزب والدفاع عن النعرة العشائرية، لا يمكن لهم أن يكونوا ندًا للسياسيين الغربيين والمتخصصين في الشئون الإفريقية، والذين في مقدورهم تنفيذ وتنسيق أنشطتهم بصورة هادفة وفعالة ولديهم إلى جانب هذه الكفاءة الواضحة قدرات مادية هائلة لتسخير وتمرير رُآهم السياسية.

الجو السياسي الإفريقي يفشل أو يتصادم مع الحلول العقلانية الرتيبة والخطوات المدروسة بتأن وتفكير ثاقب، لغياب أرضية سياسية صلبة في الجانب الإفريقي تمكّنه من الانسجام أو استيعاب قسط من المقترحات الخارجية. مثلاً يعتقد صومالي دارس للأزمة الصومالية، القائمة منذ عقدين من الزمن، بأن سبب فشل كل المحاولات لإنهاء النزاع هو أن الجو الذي نبتت فيه الأزمة والذي ما فتئت تتطور فيه، هو جو غير عقلاني؛ لأن الخلافات تدور حول الحلقة المفرغة التالية:

١) ائتني بحل أتبعك-لا.

٢) جئت بحل معي خذه ـ لا.

٢) نحتكم إلى حل الوسطاء ـ لا.

٣) لنفترق ـ لا، وهكذا دواليك.

جاء المهندس محمد حسين عدّو في الميعاد الذي حددت له في الحادية عشرة صباحًا في فندق ٦٨٠، وسلمته نسخة من الوثيقة المكتوبة باليد، وطبعها من خلال مكتب خدمات العملاء في الفندق. وعند انتهاء الطباعة الأولى قمت بتصحيحها، حوالي الساعة الثالثة مساء، على أن يتولى هو توزيعها على الجهات المعنية.

ما مغزى هذه الرسالة أو التقرير؟ من جهة لا بد أن نشير إلى أن ممثلي الدول المعنية بالأزمة الصومالية والهيئات الدولية المقيمة بنيروبي، حيث تدير كل الشئون الاقتصادية والمالية الممنوحة للصومال، أحبوا شريف حسن، هذا الرجل البسيط الهادئ المؤدب، الذي يسمعون كلامه وأفكاره عبر المترجمين، لا يجادلهم بل يطأطئ رأسه عند إنصاته لآرائهم ومقترحاتهم. رأت المؤسسات الأجنبية أن هذا الرجل يمكن لها أن تتعامل معه بسلاسة ودون أي تعقيدات. ولهذا استطاع شريف حسن فتح أبواب كثيرة كانت موصدة قبله في هذه المؤسسات، وأذاب أموالاً كانت مجمدة لدى المانحين؛ لشكوكهم في كون الجو الإداري لدى الحكومة المؤقتة ليس متعافيًا وجاهزًا.

استطاع الرجل بأسلوبه الهادئ أن تحصل بيدوه، مركز الحكومة المؤقتة، على تمويلات عديدة، سمحت للنظام بتغطية مصروفاته الضرورية، خاصة بُعَيْد انتقاله إلى المدينة. بجانب هذه الميزات المذكورة، فإن رئيس البرلمان شخصية طموحة إلى أبعد حد، عنيدة ومتمرّسة في المناورات السياسية، على المستوى المحلي، وبالتالي فالرجل بعكس ما يتظاهر به من تواضع وبساطة.

وتقديرًا للعلاقات الودية القائمة مع رئيس البرلمان، فإن المجتمع الدولي، المتمثل في مندوبيه بنيروبي، ربما اقتنع بأن عزل الشخصية بهذه الطريقة الفجة والتصادمية، ليس في مصلحته في وقت يعلمون فيه بأن الإثيوبيين ورئاسة الجمهورية أعدوا محسوبهم لرئاسة البرلمان، وهو شخص معروف بتبعيته لإثيوبيا.

ومن الناحية الأخرى "التصفية" على طريقة النظام المؤقت في بيدوه تتناقض مع رؤية المجتمع الدولي، حيث يسعى إلى امتصاص الأزمة ومحاولة إعادة رئيس البرلمان إلى المؤسسات المؤقتة، وإصلاح ما فسد من علاقاتهم البينية.

في نفس الوقت، يرى المجتمع الدولي[ممثّلوه بنيروبي] أن تقوية مؤسسات بيدوه، تؤدي قطعًا إلى إضعاف محور المحاكم، وإزاحة الطريق نهائيًا عن أي كتلة برلمانية تنازع الحكومة من منبر مضاد بالتحالف مع المحاكم الإسلامية.

الخميس ٧ ديسمبر:

صدر قرار مجلس الأمن رقم ١٧٢٥ بتاريخ ٦ ديسمبر، فأخذت نسخة كان قد حصل عليها الأخ النائب جامع علي جامع، وهو في بهو الفندق ٦٨٠. وعندما قرأتها تبين لي أنها تعليق صحفي للقرار، وليست الوثيقة نفسها. وبالتالي ذهبت مشيًا إلى فندق

إنتركونتيننتال القريب للقاء السيد/ محمد حاج هُنطر، الذي كانت لديه نسخة من القرار، اندهشت كثيرًا عندما قرأت هذا القرار الظالم الذي صيغ بلهجة مليئة بالاستكبار والعنجهية. من خلال هذا القرار فإن الدول الكبرى المسيطرة على المنطقة تستعد لتأجيج حرب بالوكالة، وتفسح المجال للتدخل الإثيوبي لإزالة نظام المحاكم القائم في مقديشو. بينما المجتمع الصومالي غير المنحاز للحكومة المؤقتة كان يتطلع إلى قرار من مجلس الأمن يقف ضد الاحتلال الإثيوبي، والمجيء بمبادرات سلمية لحل الأزمة. ولكن بالعكس شجع القرار الاستعدادات الجارية لشن حرب بالوكالة وشيك الانتشار.

من ناحية أخرى، يمهد هذا القرار لقرار ثان أشد وطأة ضد مصلحة الشعب الصومالي، حيث سيفسح المجال للغزو الحبشي، ويعطي الحكومة المؤقتة الاعتبار "الشرعي" اللازم لتحصل على الغطاء القانوني لهذا التعدي السافر على بلد عضو في الأمم المتحدة. شجبت المحاكم هذا القرار واعتبرته ظالمًا وغير مسئول، كما وصفه رئيس أرتريا بأنه مدعاة للسخرية؛ إذ كيف يُستخرج قرار من مجلس الأمن يبرر اعتداء إثيوبيا على الصومال.

في هذه اللحظة تحتل إثيوبيا أجزاء واسعة من الصومال، ويزحف جيشها نحو العاصمة، ويشتبك أحيانًا مع طلائع من قوات اتحاد المحاكم. أديس أبابا غير مبالية بقرار الأمم المتحدة الذي ينص على: "أن البلدان المجاورة للصومال لا يسمح لها بانتشار قواتها في البلد".

عقدت اليوم مجموعة من البرلمانيين الموجودين بنيروبي اجتماعًا في فندق بركات، وناقشت فيما ناقشت فحوى القرار ١٧٢٥ والآثار المترتبة عليه(انظر الملحق رقم ٢).

الجمعة ٨ أكتوبر:

ذهبت إلى فندق بركات، بحي إيستلي حيث يقيم عدد من النواب لمعرفة نتائج الاجتماع الذي عقدته المجموعة بالأمس. وكان الأستاذ محمد عمر طلحة، النائب الأول لرئيس البرلمان، قد ترأس الجلسة. توصل النواب إلى رؤية موحدة حول الأمور التالية:

١) أن قرار مجلس الأمن رقم ١٧٢٥ يزيد من صعوبة الحلول السلمية للخلافات القائمة بين الحكومة واتحاد المحاكم الإسلامية.

٢) وفقًا لنص القرار مادة ٤٥، والتي تمنع الدول المجاورة من نشر قواتها في الصومال، يجب على مجلس الأمن إرغام إثيوبيا على سحب قواتها من الأراضي الصومالية.

٣) يري النواب أنه من المؤسف تلك التصريحات للسيد ع/م/ غيدي، الذي يبرر ويدافع عن غزو إثيوبيا واحتلالها لوطنه وهو في قمة السلطة، كرئيس للوزراء.

٤) ضرورة مواصلة محادثات السلام بين الحكومة والمحاكم، وبذل كل الجهود الممكنة للوصول إلى حل سلمي للأزمة، يرضي الجانبين.

٥) وأخيرًا بعث النواب نداءً إلى المجتمع العالمي لمساعدة الصوماليين المتضررين من الأمطار والفيضانات المدمرة الأخيرة.

تقول الأنباء الواردة من مقاطعة باي: إن قوات المحاكم المرابطة في قرية سفر نوليس، (٣٠ كيلومترًا شرق دينسور)، اشتبكت بالأمس مع قوات حكومية مغيرة، كانت قد انطلقت من مدينة بيدوه. وأكدت هذه المصادر أن القوات المغيرة خسرت في المواجهة عددًا من القتلى والجرحى ومجموعة من آلياتها الحربية، وانسحبت على إثرها إلى منطقة إيدالي شرقًا.

السبت والأحد ٩، ١٠ ديسمبر:

يبدو أن الانسجام الأمريكي- الإثيوبي عاد إلى مساره القديم، بالرغم مما تثيره أمريكا من زوبعة وانتقادات ضد نظام أديس أبابا من حين لآخر، لانتهاكها حقوق الإنسان وشقها لعصا الديمقراطية.

عصا الديمقراطية التي في يد أمريكا لتردع بها النظم الشمولية واللاديمقراطية في العالم الثالث، شبيهة بتلك التي كانت في يد القاضي الصومالي في الأرياف: اشتكى إليه مواطن من أن أبقار القرية أكلت كل سنابل مزرعته الناضجة، فركز عصاه الطويلة في الأرض عموديًا وأمر أصحاب الأبقار بأن يملؤوها بالذرة الصافية حتى تختفي العصا. ولكن أحد الشهود أخبره أن أبقاره كانت مع القطيع المتهم، فأخرج حكمًا جديدًا قائلاً: في هذه الحالة يجوز ملء العصا وهي على الأرض أفقيًا.

هذه الديمقراطية الغربية تتسامح مع أنظمة لا تعترف بالديمقراطية، ولا تريد تطبيقها، في حين أنها تتشدد مع دول حاولت إدخال الديمقراطية إلى بنيتها السياسية، وبما يلائم واقعها الحضاري والثقافي، ولكنها دائمًا متهمة، ومعاقبة، وملاحقة. لا تقبل الديمقراطية الكيل بمكيالين، وهذه الممارسة غير العادلة تكشفت للعالم كله، حيث أصبحت الدعوة إلى الديمقراطية نفاقًا من أرخص السبائك.

يقول بعض العسكريين هنا في كينيا، وهم موالون لحكومة بيدوه: إن الحشود العسكرية الإثيوبية في منطقة بكول- باي لا تقل عن ستة ألوية، مجهزة بأحدث الآليات، تدل هذه الاستعدادات المحمومة، وتدفق الجند والمعدات الحربية، على أن إثيوبيا قادمة لخوض حرب واسعة النطاق على الصومال، حرب بالوكالة تتبناها الدول الكبرى، التي لا تريد للعالم أن ينعم بالسلام، ولا تحقيق آمال الشعوب في الرفاهية وتحسين وضع الإنسان الفقير بالذات. إنه واقع مرير ومذل يصعب تغييره بسهولة، في المدى القريب.

SOMALIS MUST HAVE THE LAST WORD ON WHO LEADS THEM.

(على الصوماليين النطق بالكلمة الأخيرة حول من يحكمهم)

هذا عنوان مقال بقلم [بتْول كيبلغات] في الصفحة ٢٩ بجريدة "ساندي نيشن" الكينية لهذا اليوم الأحد. يقول هذا الدبلوماسي المخضرم: "إن استعمال القوة في الصومال بعيد عن الحل الأمثل لمعالجة الأزمة، وسيزيد من عدم الاستقرار". ولكن في نفس الوقت يعتقد السيد كيبلغات ضرورة إرسال قوات إفريقية متعددة الجنسيات لتحفظ سلامة الحكومة في بيدوه، كما يبرر وجود قوات إثيوبية داخل الصومال بوجود قوات أرترية. والفكرة غريبة وخطيرة؛ لأنه لا توجد داخل الصومال قوات أرترية والتي يقارنها خطأ بالكثافة العسكرية الإثيوبية ودوافعها.

يبدو أن السيد كيبلغات يعتقد أن للأرتريين وجودًا عسكريًا داخل الصومال، مستندًا إلى التقرير الملفق الذي قدمته لجنة حظر الأسلحة إلى مجلس الأمن، أو يحاول أن تتناغم رؤيته مع الحملة الدعائية المغرضة، لتغطية الغزو الإثيوبي المرتقب وتبريره. لجنة حظر الأسلحة كذبت بصورة مفضوحة، عندما أعلنت أن ألفي عسكري من الجيش النظامي الإريتري موجودون داخل الصومال ويعتزمون المحاربة إلى جانب قوات اتحاد المحاكم.

الإثنين ١١ ديسمبر:

أجرى السفير الأمريكي لدى كينيا السيد مايكل رنّبيرجر مقابلة صحفية مع مراسل للجريدة الكينية "ديلي نيشن" وموضوع المقابلة تركز على الشئون الصومالية الراهنة. يقول السفير: "إنه اجتمع مع ممثلي المحاكم وأعرب لهم عن أن الحل الأمثل للأزمة هو التفاهم بين الصوماليين، والوصول إلى اتفاق ترضى عنه الأطراف المعنية كلها". ويكرر عدة مرات: "إن لإثيوبيا مصالحها القومية ومن حقها الدفاع عنها" [باحتلال الصومال؟]. ينكر السفير وجود قوات أمريكية أُعدت في إقليم الشمال- الشرقي لكينيا لأغراض حربية. وأن المزاعم التي أثيرت حولها لا تستند إلى الحقيقة، وأن الوجود العسكري الأمريكي، حسب تصريحاته، لا يتعدى القيام بمهمات مدنية، لمساعدة الأهالي في هذه المقاطعة في شتى الميادين.

كان من المفترض أن يسأل مراسل الجريدة السفير: لماذا أقحمتم الجنود الأمريكيين في الشئون المدنية، مع أن لديكم أشخاصًا وهيئات مدنية يمكن لها القيام بهذه الأعمال بكفاءة وشفافية؟

السفير الأمريكي لدى كينيا، هو المسئول أيضًا عن الشئون الصومالية، يرى أنه لا يسمح لإثيوبيا باحتلال الصومال بلغة صريحة. لذا يتناقض ما يقوله مع موقف كيبلغات بيوم واحد قبله، الذي برر الاحتلال الإثيوبي بحفظ سلامة الحكومة المؤقتة. وهذه هي الطريقة الاعتيادية للنشاط الدبلوماسي المؤثر، حيث المواقف المتناقضة تبدو كذلك على السطح فقط، ولكنها متناسقة في مراميها. ومعلوم أن السفارة الأمريكية لعبت دورًا كبيرًا في الدفاع عن الاحتلال الإثيوبي وعززته من كل الجوانب: سياسيًا وإعلاميًا واستخباراتيًا.

الثلاثاء ١٢ ديسمبر:

يوم استقلال كينيا. وقد تم الاحتفال بالذكرى الثالثة والأربعين بكفاءة واضحة على مستوى العاصمة نيروبي والأقاليم. ولكن الطيران الذي كان يدوي في السماء للأيام السابقة للاحتفالات، لم يقم بالألعاب البهلوانية التي كان يعرضها للجماهير كعادته في الماضي.

في ظرف تجري فيه تحركات دبلوماسية ساخنة، صرَّح يوسف محمد سياد "إنطعدي" مسئول الدفاع في المحاكم الإسلامية، بأن إثيوبيا مطالبة بإخراج قواتها من الأراضي الصومالية في غضون أسبوع . يسأل البعض عما إذا كان هذا التصريح يرتقي إلى إعلان حرب "رسمي" من طرف المحاكم؛ لأن الاشتباكات مستمرة بدون إعلان حرب من الطرفين.

ومن ناحية أخرى، فإن المبعوث الإيطالي ماريو رفاييللي يجري اتصالات مكثفة مع الغربيين زملائه في نيروبي. بينما سافر رفاييللي هذا اليوم إلى مقديشو على رأس وفد من الاتحاد الأوروبي ليلتقي قيادات المحاكم. وعند عودة هذا الوفد عصر هذا اليوم من مقديشو أعلن للصحافة أنه مرتاح للنتائج التي أسفرت عنها محادثاته مع قيادات المحاكم. كان من الأهداف المعلنة لزيارة الوفد لمقديشو تبيين قرار مجلس الأمن رقم ١٧٢٥ الصادر في ٦ ديسمبر الجاري، وإقناع المحاكم بأن القرار يحمل مضمونًا إيجابيًا بالنسبة لإدارتهم.

ينتظر أن يسافر قريبًا إلى اليمن وفد من المحاكم برئاسة شيخ شريف بدعوة من الرئيس اليمني علي عبد الله صالح، في وقت يوجد فيه في صنعاء رئيس البرلمان والوفد المرافق له. السلام على أفواه الجميع، والكل يجري ويعرق ليتدارك الموقف. التصريحات الرنانة لإنقاذ الصومال من تدخل خارجي مدمر تجري على قدم وساق. القريب والبعيد يضغط على الأطراف الصومالية المتنازعة ويدعوهم إلى الاتفاق، حتى مدبري وممولي الحملة الإثيوبية يتكلمون عن السلام والتفاهم لمصلحة الجميع، بينما الجيش الإثيوبي يتقدم كل يوم نحو العاصمة.

النشاط الدبلوماسي يزداد سخونة وسرعة كلما زادت وتيرة تعبئة الجيش الإثيوبي وتوجهه نحو مقديشو. والغريب أن ممثلي الدول الكبرى – المهتمة بالشئون الصومالية – يضغطون على اتحاد المحاكم الإسلامية، الجهة المعتدى عليها. لا نسمع وفدًا أوروبيًا، أو خلافه، ذهب إلى أديس أبابا لثنيها عن مخططها أو ينتزع من حكومتها عبارة واحدة وإن كانت سطحية تخدم السلام. صرحت المحاكم بأنها مستعدة لبدء محادثات الخرطوم، ولكن التصعيد العسكري الإثيوبي يرغمها على الدفاع عن نفسها وعن الشعب الذي ينتظر منها الحماية.

من الواضح أن الدبلوماسية النشطة، في الوقت الضائع، هي مسرحية أريد بها تضليل الجميع، الصوماليين والمجتمع الدولي "الآخر"، وهي تنسّق الحملة وتجنّد إثيوبيا لسحق حركة المحاكم الإسلامية.

إن النشاط الدبلوماسي المنسق مع إيقاع الزحف الإثيوبي له عدة أهداف، منها:

١) إيهام اتحاد المحاكم بأنه يسعى لإحلال السلام بين الصوماليين، بحيث إن الوفاق الوطني يجعل التدخل الإثيوبي غير مبرر.

٢) خلق هدوء واسترخاء في جبهات المحاكم ليكون الزحف الإثيوبي على العاصمة سلسًا، لتقليل خسائر القوات المغيرة.

٣) إيهام وتضليل الرأي العام الإفريقي والعالمي المعارض لاحتلال الصومال، بأن حكومات الغرب قامت بكل جهد ممكن لمصالحة الرفقاء الصوماليين، الذين أصروا على خلافاتهم، ولم يكترثوا بالعواقب التي تترتب على التدخل الأجنبي. وبناء عليه تكون إثيوبيا المهددة من الإسلاميين مرغمة على أخذ تدابير وقائية ضد هذا الخطر.

٤) تبرئة الذمة، حيث إن عددًا غير قليل من البلدان المتعاطف أهلها مع الشعب الصومالي يُحتمل مساءلة رؤوسائهم ليقدموا تبريراتهم الجاهزة. والغرض من الحملة الدبلوماسية وضع مسئولية الحرب على عاتق الصوماليين.

٥) أخيرًا ترمي الاتصالات لجمع معلومات استخباراتية تساعد في خطط الزحف والاحتلال.

هذه خلاصة قراءتي للنشاط الدبلوماسي الذي هب فجأة في الأيام الأخيرة، قبل احتلال الإثيوبيين للعاصمة الصومالية. ولكن، وأنا أكتب هذه السطور، تغيب عني كثير من المعلومات حول الاستعدادات لخطة الاحتلال التي اشترك في وضعها عسكريون وسياسيون غربيون مع الإثيوبيين. يكتنف الغموض والشك أيضًا ما إذا كانت هناك بعض الدول المعنية التي تحاول إيصال رسالة إلى الطرف الصومالي تبدي فيها معارضتها للزحف واحتلال العاصمة، وترى أن حماية الحكومة المؤقتة في مقرها المؤقت ببيدوة، وردع قوات المحاكم من خلال سياج دفاعي في منطقة بورهكبا (ستون كيلو مترًا من المقرّ)، كان يفي بالغرض. كما لا يمكن لي أن أبت في وجود بعض دول كانت تتمسك بالحل التفاوضي للخروج من الأزمة، دون ازدواجية تذكر، وكانت أنشطتها تتعارض مع حليفاتها من الصقور، ارتأت أن تنأى بنفسها عن الاعتداء المجرم بهذه الطريقة المشاكسة. ربما الوقت فقط هو الذي سيكشف عن هذه الأسرار ويعطينا صورة كاملة، أو شبه كاملة، عن الأنشطة الدبلوماسية المحمومة التي تزامنت مع الزحف والاحتلال الإثيوبي للعاصمة الصومالية، حادثة تاريخية فريدة في الصراع الصومالي الإثيوبي عبر القرون.

١٣ ديسمبر:

التقيت عددًا كبيرًا من الإخوة الصوماليين الذين ينتقدون تصريحات السيد يوسف محمد سياد "إنطعدي" مسئول المحاكم لشئون الدفاع. أجابت إثيوبيا على تصريحات

إنطعدي بتهكم وازدراء.

من المعتاد قيام نواب البرلمان بزيارات قصيرة لنيروبي، لمراجعة أمورهم الشخصية، مثل: الحصول على تأشيرات سفر للانتقال إلى بلد آخر، أو القيام بمهمات رسمية، مثل: الاشتراك في المؤتمرات والندوات التي تنظم بنيروبي أو في بلد آخر؛ إذ إن هذه السفارات والهيئات المسئولة عن الشئون الصومالية توجد كلها تقريبًا في هذه العاصمة. وبطبيعة الحال، فإن نيروبي أصبحت البوابة الأكثر ملائمة للمؤسسات الرسمية الصومالية، المتمركزة بمدينة بيدوه، لاتصالاتها الخارجية.

وهناك حركة مرور جوية كثيفة بين بيدوه ونيروبي؛ لذا تجد دائمًا مجموعة من الوزراء والنواب وموظفي الحكومة، وهم في العاصمة الكينية ينتظرون السفر إلى الخارج أو يستعدون للعودة إلى بيدوه. ولكن الأجهزة الإدارية للحكومة المؤقتة، المعتمدة لدى كينيا، تعيق أو تعرقل إجراءات سفر النواب عند حاجاتهم إلى تسهيلات هذه الأجهزة. وكانت النائبة خديجة م.ديري ضحية لهذه العراقيل الصبيانية؛ إذ يبدو أن النواب "الكلمنجيين" الذين لا ينتمون إلى ندماء الكبار يضايقون ويهانون بأمر من هؤلاء المسئولين الكبار. ولا يصح أن تهبط المعاملات بين المؤسسات الدستورية إلى هذا الحضيض.

أخيرًا، اتصلت بالسيدة مسلمة شريف محمد زوجة ابن أختي أحمد محمد مولود التي أنجبت طفلاً من ثلاثة أسابيع سمي صالح. ندعو الله أن يكون الولد حاملاً معه البشرى والسعادة لجميع العائلة.

وصل وفد المحاكم لعدن بناء على دعوة من الرئيس اليمني علي عبد الله صالح، وصرَّح فخامته إثر لقائه وفد المحاكم، برئاسة الشيخ شريف رئيس الجهاز التنفيذي للمحاكم، بأنه محايد بين الرفقاء الصوماليين، وكل ما يسعى إليه خلاصته: أن يتفق الجانبان المتنازعان على حل للأزمة القائمة.

من المحتمل أن يكون موضوع القرار ١٧٢٥ من الموضوعات التي طُرحت على بساط النقاش عن طريق ضغط أمريكي.

الخميس ١٤ ديسمبر:

المراقبون ينتظرون ماذا ستسفر عنه المحصلة النهائية لهذا النشاط الدبلوماسي المحموم، ولكن النتيجة مفروغ منها، ولا تعدو كونها تغطية للاعتداء الإثيوبي المرتقب.

تحاول هذه الجهات كسر باب مفتوح على مصراعيه، عند اتحاد المحاكم الإسلامية الذين لم يخيبوا جهد كل ناصح طلب منهم المصالحة مع الحكومة. والله يعلم أنهم وافقوا على جميع الحلول السلمية للأزمة إلا أن يستسلموا للمعتدين.

صرح اليوم الشيخ حسن طاهر أويس للـ بي.بي.سي/ ق. ص بقوله: "لا أحد يمثل الشعب الصومالي غير اتحاد المحاكم الإسلامية؛ لأن نظام بيدوه هو الذي طلب من الأجنبي أن يحتل البلد". كما صرَّح أيضًا بأن المحاكم سوف تشترك في المفاوضات المزمع عقدها بالخرطوم، وإن كان يصعب عليها خوض هذه المحادثات والعدو ما زال قابعًا في أرض الوطن.

ومن ناحية أخرى قال إسماعيل محمود هري"بوبا" وزير خارجية الحكومة المؤقتة: "إن الحكومة ستشترك في مفاوضات الخرطوم لمصلحة الشعب الصومالي". وفي نفس الوقت أشار بوبا إلى أن السودان الذي فرش للصوماليين بساط المفاوضات بالخرطوم، هو الذي طواه بعد رفض المحاكم لقرار مجلس الأمن الأخير الخاص بتدخل قوات إفريقية لحفظ أمن المؤسسات الانتقالية الصومالية.

أما تصريحات حسن طاهر، التي كانت طويلة نوعًا ما، فقد كانت متزنة ومباشرة، تدق على رأس الموضوع بكل وضوح. وهذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها من الشيخ حديثًا سياسيًا على هذا القدر من التماسك والرزانة. على عكس هذا الانفتاح السياسي الجديد بالتنويه، لا يصدر أي رد فعل من جانب الرئيس ع/ي، وقد توارى عن الأنظار لأكثر من شهر، ولم ينطق بكلمة طوال هذه المدة، ما هو السبب؟ هل هو في انتظار حدث مهم؟

الجمعة ١٥ ديسمبر:

ظهر اليوم مقال بـ "ديلي نيشن" النيروبية بعنوان:

Authorizing igad forces a new law! by salim lone

السماح لقوات إيغاد (بالدخول إلى الصومال)- قانون جديد- الكاتب سالم لوني.

يقول كاتب المقال: "إن الأوروبيين الذين حذَّروا الأمريكان من العواقب الوخيمة للتدخل العسكري الإفريقي في الشئون الصومالية، رضخوا في النهاية للفكرة التي تتبناها أمريكا، وهي تجهيز إثيوبيا لغزو الصومال والقضاء على المحاكم عنوة. ويضيف: "إن

القرار ١٧٢٥ منحاز بصورة مفضوحة؛ إذ ينتقد المحاكم الإسلامية ويجعل الاحتلال الإثيوبي السافر، المعزز بالآلاف من قواتها مشروعًا" كما يذكر أن وفدًا من الاتحاد الأوروبي سافر إلى مقديشو يوم الثلاثاء لإقناع قيادات المحاكم بأن تستجيب للقرار راضية، ويتضح مرة أخرى من هذه الاهتمامات أن الأوروبيين والأمريكان هم صانعو القرار، على أن يلعب كل منهم دوره المرسوم". ويؤكد الصحفي:

"THE AMERICAN DO HAVE THE RRIGHT TO BE CONCERNED ABOUT SOMALIA BECOMING A BASE FOR TERRORISTS، BUT TACKLING THAT PROBLEME THEIR WAY WILL ONLY BOOST TERRORISM".

" للأمريكان حق أن يكونوا قلقين من أن تصبح الصومال قاعدة للإرهابيين، ولكن معالجة هذا الإشكال بطريقتهم الخاصة ستقوي الإرهاب".

ويؤكد – أخيرًا – وجود قوات من الجيش الأمريكي العاملة في داخل كينيا، بشهادة صحفي كيني اسمه ديفيد أنتشامي David Ochami ولاشك أن الحرب على الصومال قادمة وكان يخطط لها منذ سنوات؛ إذ فشلت محاولة محاربة الإسلاميين بالوكالة، عن طريق حلف زعماء الحرب الذين سُموا "مكافحة الإرهاب وإعادة السلام، وكانوا "خيارًا" من الخيارات الأربع لمحاربة الإرهاب في الأرض الصومالية، طبقًا لإستراتيجية الولايات المتحدة، المبنية على دراسة طويلة بواسطة خبراء مختصين مثل الأستاذ منكهاوس، ترمي إلى اقتناص الأفراد المتهمين بالخطر الإرهابي، في كل مكان في داخل الأراضي الصومالية وخارجها. تم تنفيذ هذه الممارسة من خلال زعماء المليشيات لأكثر من ٤ سنوات، وراح ضحيتها عشرات من الأبرياء. كانت عملية مقززة، كانوا يقبضون على بعض النازحين العرب، لمجرد أن بشرتهم فاتحة، وكانت الجهات الاستخبارية الغربية تأمر بإعادة ٩٩٪ من الضحايا إلى الأماكن التي اختطفوا منها. وعندما يعود الضحايا وينزلوا في المطارات العشوائية الكثيرة، التي كانوا يسيطرون عليها، كانوا يغتالون من نفس الجلادين؛ لئلا يفشوا الأسرار أو يعلنوا اختطافهم للناس، وفشلت أيضًا هذه المحاولة.

كان الخيار الثالث والغريب استدامة الفوضى في الصومال، وإفشال أي مجهود لقيام نظام دولة قوي، قد يمكّن للإرهابيين الاختفاء في مناطقهم. فشلت أيضًا هذه الخطة بالرغم من نجاح عمليات التخريب التي قامت بها الاستخبارات الغربية وعملائها الأفارقة، لإفشال مؤتمرات المصالحة الكثيرة في السنوات العشر الماضية، ولم يكتب لها النجاح

كالخيارات السابقة. ولكن البديل الرابع الذي لم يشجعه الخبراء كان وما زال استخدام إثيوبيا لاستئصال الإرهابيين وجذورهم في الصومال، من خلال حرب بالوكالة والتي نحن بصدد حدوثها الآن. وهذا التوجه ينطوي على قرار أخرق لم يأخذ في الحسبان النتائج الكارثية وما يترتب على حرب يشعلها بعض أعضاء مجلس الأمن، يمكن أن تزج دول القرن الإفريقي في حرب دينية لا يعرف قرارها إلا الله، بينما المستهدفون، إذا كان ما يقولون صحيحًا، هم رهط لا يتجاوز عددهم العشرة.

السبت والأحد ١٦، ١٧ ديسمبر:

تباحثت في شئون الساعة، خاصة الزحف المرتقب للجيش الإثيوبي نحو العاصمة، مع عدد من النواب الأصدقاء الموجودين بفندق بركات، منهم المهندس محمد حسين عدّو وعبد القادر شيخ محمود طغني. يعتقد عدد من المحللين الصوماليين أن الأنشطة الدبلوماسية الجارية مدفوعة من الدول الكبرى، وبالتحديد من أمريكا، لإقناع المحاكم الإسلامية بأن ترضخ إلى القرار الجديد لمجلس الأمن، وحث الأطراف الصومالية على "تقدير" الجوانب الإيجابية لذلك القرار، ولكن هذا النشاط المتنوّر آخر لحظة، ليس عديم الفائدة فحسب، بل يجرح آدمية كل صومالي، أو أي إنسان على الإطلاق؛ إذ لا مبرر له في وقت يحرض فيه هؤلاء النشطاء أنفسهم على التقدم الإثيوبي لاحتلال مقديشو. ليس أهلنا في مرتبة البهائم الغافلة عن قصد الجزار.

ماذا فعل هؤلاء الشاطرون لإيقاف العدوان الإثيوبي المعربد؟ ليتحدثوا عن قرارهم الذي يريدون تطبيقه على الجهة المعتدى عليها، وهم أول من ضربوا به عرض الحائط؟ نحن بسطاء بالنسبة للتعقيدات السياسية والدبلوماسية المتناقضة التي يديرونها، ولكن لسنا بسطاء إلى درجة تُصعّب علينا فهم الازدواجية والنفاق المكتنفين بمعالجة الأزمة الصومالية، من الدول الكبرى الغربية.

لا مجال في هذه الساعة للكلام عن صلاحية قرار أو محاسنه طالما تغاضى عمدًا عن الاحتلال الإثيوبي وبرّره ضمنًا. غضب الصوماليون في هذه الآونة لمحاولة الضحك على عقولهم، ممن يتعامل معهم كأنهم بُلهاء لا يفقهون شيئًا. القرار بالنسبة للشعب الصومالي لا معني له إذا فشل في وقف الاعتداء الإثيوبي، وبالنسبة له فهذا القرار ميت.

مساعي الاتحاد الأوروبي، إيطاليا، النرويج، الدول العربية، شركاء إيغاد كلها غضت الطرف عن الاحتلال الإثيوبي، ويضغطون على الجهة المعتدى عليها، وهي اتحاد

المحاكم الإسلامية والشعب الصومالي.

ستنتهي فترة سكرتارية كوفي عنان للأمم المتحدة ولم يتبق منها إلا عدة أيام. حسب تقديري لم تكن فترة انتداب السكرتير العام للأمم المتحدة مثمرة ومميزة بإنجازات تذكر؛ إذ أصبحت هذه الهيئة الأممية تحت هيمنة الدول الكبرى، التي جعلت منها أداة طيِّعة تخدم هيمنتها وتغطي بطشها على الشعوب المستضعفة.

١٨ ديسمبر:

بث إذاعة الـ بي.بي.سي/ ق.ص اليوم نبأ يفيد أن رئيس الوزراء المؤقت عرض إنجازات حكومته للبرلمان. وذكر رئيس الحكومة أن من بين هذه الإنجازات لإدارته طباعة جواز سفر جديد. ومما يدعو للدهشة أن هذا الجواز الجديد لا يسمح للمواطن الصومالي بالحصول على تأشيرة من أي بلد، فاعتباراته القانونية لا تختلف عن الجواز القديم، الذي كان يحمل عنوان جمهورية الصومال الديمقراطية. فقيود الهجرة التي طُبقت على الصومال، لغياب دولة شرعية، من معظم بلدان العالم، خاصة الدول الغربية كلها، ما زالت سارية المفعول، ولا تؤثر عليها ألوان الجوازات مهما كانت جودة صورتها وإخراجها.

حسب المعلومات الواردة من مقر الحكومة المؤقتة ببيدوه، تعتزم الحكومة عن طريق مكتب الهجرة إلغاء الجواز القديم وفرض الجواز الجديد على المواطنين المسافرين إلى الخارج، دون إزالة قيود الهجرة المطبقة على الصوماليين.

نستخلص من هذا كله أن الحكومة تريد أن تضحك على عقول البسطاء من الناس، وإهانة الذين يرون أن المسئولين نزلوا بالبلد وباعتباراته المتبقية إلى الدرك الأسفل. ليس ابتزاز الشعب إنجازًا إلا إذا كان الحاكم يرى أن نهب مقتنيات المواطن المحدودة إنجازًا لمصلحته الخاصة. فإذا كانت الأمور على هذا المنوال يجوز أن نعطي لكل كلمة معناها الصحيح وهو "عشور"على الشعب (ابتزاز الناس). والجواز الجديد سيعقِّد مشكلة سفر المواطن؛ لأن تكلفته (مائة دولار بل تزيد)، وتناقضاته مع القديم سوف تضاعف بؤس الصومالي المحاصر في أرضه وخارجها، وإرغام الكثيرين أن" يتأثيبوا" بجواز سفر إثيوبي كما فعل مئات الآلاف من الصوماليين حتى الآن، عندما ارتموا في أحضان أمهم الإثيوبية. هكذا يتحقق حلم الإمبراطور الإثيوبي هيلي سلاسي الأول الذي كان يدعي أن الصومال شعب من الحبشة، ويجب أن ينضم إلى أمته الإثيوبية.

نشرت اليوم جريدة نيشن الكينية أن الرئيس ع/ ي تراجع عن موقفه الرافض للقاء المعارضين للحكومة المؤقتة. ولكن صرَّح متحدث باسم الحكومة ببيدوه بأن تعليقات الرئيس حول المحادثات مع المحاكم قد أُسيء فهمها.

تقول مصادر مطلعة غربية: إنها ضغطت على ع/ي كي يتراجع عن موقفه المتشدد ورفضه مواصلة مفاوضات الخرطوم عندما صرَّح قائلاً: "إن باب المحادثات مغلق وأنه فات أوانها". كما أن المحاكم تراجعت عن إنذارها النهائي لإثيوبيا، حسب بلاغ أصدره شيخ مودي، مسئول مكتب الإعلام للمحاكم الإسلامية في مقديشو، الذي أكد فيه أن اتحاد المحاكم الإسلامية لا يسعى لشن هجوم على القوات الإثيوبية، وأنهم لن يرضخوا للاحتلال بكل صوره العسكرية وخلافه.

الثلاثاء ١٩ ديسمبر:

يوم بروتوكولي. يعود اليوم رئيس البرلمان إلى نيروبي، ويجب علينا أن نكون في استقباله في المطار. أكثرية المرحبين من النواب يصل عددهم إلى ثلاثين محترمًا تقريبًا. وصلنا المطار قبل الساعة الثانية بعد الظهر. هبطت طائرة الخطوط الجوية الإماراتية في ميعادها المحدد، وهو الثالثة إلا الربع، ولكن إجراءات الهجرة تأخرت بشريف حسن لأكثر من ساعة بعد نزوله؛ لأن موظفي المطار يبدو أنهم ملوا من الاستقبال والوداع لمسئولي المؤسسات الفيدرالية الانتقالية، الذين هم في سفريات مستمرة. ومعاملة موظفي بروتوكول المطار أو وزارة الخارجية الكينية ليست مشرفة؛ إذ إنه في نهاية المطاف يكتب موظف إدارة الهجرة على وريقة بدل الجواز، الذي لا تعترف به دولة كينيا، التي تستخرج للصوماليين عامة موضحًا فيها: "يجب على حامل هذه الوثيقة أن يخرج من كينيا في غضون شهر من تاريخه: برًا، أو جوًا، أو بحرًا". هذه الوثيقة حسب العرف القنصلي تعطى للمرحَّلين والمنبوذين ممن لا يُرغب في وجودهم في البلد المضيف. السلطات الكينية تعطي هذا الإنذار المهين حتى للنواب والوزراء الصوماليين، ولكن لم تمنع هذه المعاملة المهينة مسئولي الحكومة من التردد على نيروبي كل شهر عدة مرات.

لم نتمكن من الدخول إلى المطار لاستقبال رئيس البرلمان في صالة التشريفات. وبدل ذلك التقيناه خارج المطار في العراء، حوالي الساعة الرابعة. جاءت من حي إيسطلي أربعة باصات مليئة برجال وسيدات مطبِّلات ومزمِّرات لترحب برئيس البرلمان وتؤيِّد مبادراته السلمية.

الأربعاء ٣٠ ديسمبر:

انفجر الاقتتال اليوم في ساعة مبكرة بين المليشيات الحكومية المعززة بقوات إثيوبية، ومليشيات المحاكم الإسلامية بمنطقة "دوي نوناي"، (ثلاثين كيلو مترًا إلى الشرق من بيدوه) وفي قرية "إيدالي" جنوب- غربي بيدوه، في وقت يزور فيه ممثل رفيع المستوى من الاتحاد الأوروبي بيدوه، وهو لويس ميتشل. وذكر صحفي تابع للـ بي.بي.سي / ق . ص أنه رأى بأم عينيه قوات إثيوبية مدججة بالمدفعيات الثقيلة ومجنزرات إثيوبية وهي متجهة إلى مناطق المعارك الجارية. الحكومة الإثيوبية نفسها اعترفت بوجود مدربين معدودين مع الحكومة الصومالية.

انتقل السيد لويس ميتشل من بيدوه إلى مقديشو، حيث التقى شيخ حسن طاهر أويس. وتحدث الإعلام أنهما توصلا إلى تفاهم لمواصلة المفاوضات التي انقطعت في شهر نوفمبر المنصرم. وأعلنا للصحافة أن المحاكم مستعدة لاستئناف المفاوضات، بين الطرفين، المزمع عقدها بالخرطوم يوم ٨ يناير ٢٠٠٧ القادم بلا شروط مسبقة. ركز الطرفان[المحاكم وممثل الاتحاد الأوروبي] الأولوية القصوى على حسم موضوع الأمن وأن يوقعا على وثيقة على صيغة بروتوكول، تحتوي على التفاهم والموافقة على وقف إطلاق النار، وسحب قوات الجانبين المتصارعين إلى أماكن متفق عليها، وتعيين مراقبين لتنفيذ هذا الاتفاق.

بالرغم من هذه المحاولات لتهدئة الجو المشحون إلا أن الاقتتال مستمر في المحورين الشرقي والغربي دوي نوناي، وإيدالي، بل يزداد كل يوم ضراوة.

طبعًا الدبلوماسية الغربية ليست محايدة، بل تقصد تضليل المحاكم، وخلق بلبلة وتراخ في تعبئتهم الدفاعية، ونحن في بداية الزحف الإثيوبي الوشيك على مقديشو.

دعا رئيس البرلمان النواب إلى غداء عمل في فندق جريت ريجنسي [Great Reagency] بنيروبي اشترك فيها نحو أربعين برلمانيًا. واعتذر آخرون عن عدم المشاركة في المناسبة؛ ربما لأنهم لم يكونوا متحمسين للمبادرات السلمية المستقلة للنواب المتعاطفين مع المحاكم. عقدت جلسة في إحدى صالات الفندق عند انتهاء الغداء. تحدث فيها شريف حسن باقتضاب شديد عن زيارته للسودان واليمن، معلنًا أن الدولتين العربيتين تريان ضرورة حل الأزمة الراهنة بالوسائل السلمية.

الخميس ٣١ ديسمبر:

دعوت رفيقًا برلمانيًا إلى غداء في المطعم الصيني "باندا" بالقرب من فندق ٦٨٠ في وسط الحي التجاري بنيروبي. في أثناء الغداء كنا نتجاذب الحديث عن مجريات الأمور في بلدنا بوجه خاص، والزحف الإثيوبي المتقدم نحو العاصمة، والاصطدام الجاري في ناحية بيدوه، الذي هو جزء من الخطط التمهيدية للاحتلال. يبدو أن الأخ النائب ليس منزعجًا من التدخل الأجنبي، وما يترتب عليه من إبادة وتدمير، بل يحاول الأخ تبرير الاحتلال بطريقة ذكية وملتوية. استغربت كيف أن رجلاً مثله وهو ضابط سابق في القوات المسلحة، اشترك في كل الحروب مع إثيوبيا (١٩٦٤-١٩٧٧) لا يشعر بخطورة انتهاكات أديس أبابا واعتدائها السافر على الصومال. وتساءلت ما هي العوامل السيكولوجية- العاطفية التي تجعل سياسيًا وعسكريًا مخضرمًا ينظر إلى التطورات المخيفة التي تتسارع في أرضنا لتحدث كوارث لا حدود لها هذه النظرة.

كان هذا الأخ المحترم من أول النواب الذين رفضوا اشتراك دول الجوار في قوات حفظ السلام التي يناط بها مهمة عسكرية في الصومال، وكان ضمن المنتقلين إلى مقديشو في إبريل ٢٠٠٥ ليبرئوا أنفسهم عن رضوخ المؤسسات الانتقالية للضغط الخارجي ودعوة أديس أبابا للتدخل. هل هذا الأخ يرى أن المصالح العشائرية وروح الانتقام من المقديشيين فوق كل الاعتبارات؟

فاجأني الأخ بتصريح غريب أثناء حديثنا قائلاً: يجب أن نقتنع بضرورة الدفاع عن المؤسسات الدستورية. وما هي جدوى الدفاع عن مؤسسات خانت الأمة والوطن، وتجردت من مسئولياتها الدستورية؟ وماذا تبقّي من شرعيتها الدستورية إذا ارتضت هذه المؤسسات لنفسها أن تلعب دور الـ "كويسلينغ" النرويجي المعروف الذي دعا النازيين لاحتلال بلده في غضون الحرب العالمية الثانية؟ فإذا كانت رؤيتنا للدولة وواجبنا كمواطنين نحوها يغشّيه هذا الاستخفاف واللامبالاة، لماذا نجهد أنفسنا في المسئوليات العامة، ونعارض الحكومة العميلة؟ إن هذا لأمر عجاب!

تجري الآن حرب ضروس في منطقة إيدالي بين المحاكم والقوات الإثيوبية الغازية. يتبجح صلات علي جيللي، نائب وزير الدفاع، بانتصار الحكوميين على مليشيات المحاكم، الذين قطع دابرهم، وأن أمواتهم صرعى على قارعة الطريق كما يزعم. يتحدث صلات لوسائل الإعلام بنبرة استعلائية ولهجة متغطرسة. في وقت لاحق اتصلت بمقديشو

وأكد لي الأصدقاء أن الاقتتال العنيف في محور إيدالي أدى إلى خسائر فادحة في الطرفين، ولكن خط هجوم المحاكم متماسك ومعنويات جنودهم عالية.

الجمعة ٢٢ ديسمبر:

ذهبت في الصباح الباكر إلى فندق إنتركونتيننتال، حيث يقيم شريف حسن لأودّعه؛ لأنه سيسافر اليوم إلى الخرطوم ليلتقى بالقيادات السودانية هناك. ولا أدري ماذا يمكن أن ينجز بمفرده حيال استحقاقات سياسية معقدة. ويبدو أن رئيس البرلمان لا ينوي الذهاب إلى بيدوه، خاصة في وقت أصبح الاستقطاب السياسي يزداد توسعًا بين المؤسسات المؤقتة.

الاشتباكات جارية على قدم وساق في المحورين الشرقي والغربي، والجيش الإثيوبي النظامي بزيه الأخضر المعروف هو الذي يحارب مليشيات المحاكم في الجبهات العريضة لمنطقة باي. يظهر للعيان الدور الإثيوبي في القتال، وبطل التمويه السابق، كما انحصر أيضًا دور الدبلوماسية المضلِّلة.

وفي هذه الأثناء، أصبح جليًا للعالم أن الاعتداء سافر على الشعب الصومالي. لا نسمع من الخارج إلا التبريك و[لزوم إعادة السلام]. إنها الطامة الكبرى للشعوب الضعيفة. الدولة الأرترية هي وحدها التي أدانت الاعتداء على الشعب الصومالي واحتلال أرضه.

المنظمات الإقليمية العربية والإسلامية غضت طرفها عن الاعتداء وأيدت "الحكومة الشرعية". وما تجرأت أن تقول شيئًا، كانت تصريحاتها همسًا لا يسمعها الإعلام العالمي. سكوت الأشقاء والأصدقاء أبعد ما يكون عن الشجاعة والإنصاف، وهم يعلمون أن صومالاً عربيًا- إسلاميًا تعتدي عليه دولة تحاول محوه من خارطة إفريقيا لأكثر من خمسمائة سنة، وأن هذه الدولة الظالمة هي المسئولة عن التشرذم وعدم الاستقرار في الصومال، ولا يمكن لها إعادة الأمن والسلام اللذين أفسدتهما وما زالت في الصومال.

نشرت ديلي نيشن الكينية يوم ٢٠ الجاري نبأ يقول: إن وفدًا كينيًّا بقيادة النائب بول مرويت وأربعة برلمانيين آخرين سافروا إلى صوماليلند بدعوة من قياداتها. والنواب الآخرون هم: oloo aringo; madka maore; Patrice luuti; jimmy chobe يصحبهم في الرحلة نائب سابق صومالى اسمه أدن عبد الله. تقول الصحيفة: إن هدف هذا الوفد هو جمع معلومات مقنعة عن حقيقة الأوضاع، للوصول إلى قرار يجيز الاعتراف

بصوماليلند.

ومن اللافت للنظر أن سفر هذا الوفد الكيني يتزامن مع الاعتداء الإثيوبي على الصومال، ومواجهته لأكبر خطر في تاريخه المعاصر، وهو على شفى شرذمة داخلية، قد تقضي على وجوده ككيان حر، لا قدَّر الله.

ومما لا شك فيه أن النشاط الكيني مشبوه ومدفوع من جهات حاقدة على سلامة ووحدة التراب الصومالي، بدعوى أنه ينقذ صوماليلند من أن تبتعلها الموجة الإسلامية العارمة. وهنا يجب علينا الانتباه إلى ما تخطط له أياد خفية لتفكيك الصومال وعزله، والنيل من وحدة ترابه وشعبه، الهجمة فاصلة وخبيثة.

نحن نؤيد سلامة أرضنا في صوماليلند، ونعتز بجميع إنجازاته السياسية والمدنية، وخلق جو ينعم فيه الأهالي برفاهية نسبية واستقرار. ولكن الانفصال ودواعيه المنبثقة من العواطف لا تخدم مصالح الأمة الإستراتيجية. ولا بد أن يقتنع الإخوة بأن صومالاً متقطع الأوصال، ممزق الأجزاء، ومنقسم إلى دويلات صغيرة، فقيرة ومشاغبة، تنقر بعضها البعض، لا تخدم مصالح المواطن الصومالي، عكس الوحدة الثابتة للأمة الصومالية. تجزئة البلد خرق لعهد الآباء الذين استماتوا واستشهدوا على درب الحرية والوحدة لهذا البلد. ولا أرى جدوى للسباب والاستخفاف والكراهية المفتعلة من الانفصاليين، المكررة في كل مناسبة من السياسيين، خاصة" للجنوبيين العاجزين" عن إنهاء خلافاتهم. لا بد أن يعلم الإخوة في الشمال أن الأوضاع المأساوية الراهنة سوف تنتهي حتمًا، إن عاجلاً أو آجلاً.

السبت ٢٣ ديسمبر:

وصلت إلى فندق بركات حوالي الساعة الحادية عشرة بشق الأنفس عبر مرور راكد عالى المزامير. لا أثر للاجتماع الذي أعلنته جماعة من النواب، يستفسر كل واحد من الموجودين في الفندق عن سير الاشتباكات في جبهات القتال بمنطقة باي. ولكن الشائعات تفوق الأخبار الصحيحة. تزعم بعض الأنباء أن محاربين إسلاميين من أقاليم جوبا بدؤوا يتدفقون بكثرة إلى منطقة إيدالي، بثلاثين عربة مسلحة تحمل مئات المسلحين.

تفيد أنباء أخرى بأنه في هذا اليوم السبت، هدأت العمليات الحربية نوعًا ما، ربما استعدادًا لهجوم أوسع في الساعات المقبلة من الطرفين. تقول مراسلة للـ بي.بي.سي / العالمية من مقديشو: إن زعماء المحاكم يعلنون انتصارات حققوها في جبهات المواجهة،

وأنهم سيطروا على الأوضاع في كلا المحورين.

أما وضع مدينة بيدوه فهو مضطرب جدًا، حيث بدأ الأهالي ينزحون عن المدينة بأعداد هائلة، لاقتراب الاقتتال من مشارف المدينة.

الأحد ٢٤ ديسمبر:

تحدثت الإذاعات عن غارة جوية إثيوبية على مدينة بلدوين، عاصمة مقاطعة هيران، وقريتي "جويل" و "كلابيرك" التابعتين لهذه المقاطعة. أقرت المعلومات الأكثر اعتدالاً بخسارة المحاكم لهذه المواقع كلها للجيش الإثيوبي وعملائه من المليشيات القبلية. تأثير الطيران الحربي المغير على المناطق المذكورة كان واضحًا على معنويات المحاربين والمدنيين سواء بسواء.

كما أعلنت إثيوبيا بصورة لا لبس فيها أنها في حالة حرب مع المحاكم الإسلامية، وأكدت أن طيرانها الحربي أغار على عدة مواقع داخل الأراضي الصومالية. زعم الإعلام الإثيوبي بأن قواتهم المسلحة وسلاحهم الجوي قاما بهجوم مضاد متذرّعين بأن المحاكم هي التي بدأت الهجوم عليهم بأسلحتها الثقيلة. وهذه هي مقولة الذئب في حكاية أيسوبوس [AESOPOS] المعروفة؛ لأن المحاكم ليست لديهم أساسًا أسلحة ثقيلة، ناهيك عن طيران حربي.

كنت أتدارس طول ليلة الأحد - الإثنين ما سيؤدى إليه هذا الاعتداء المتصاعد، وعواقبه الوخيمة المتعددة علينا. وعزيت نفسي بأن إثيوبيا لن تنجح في وضع نيرها الاستعماري على أعناق شعبنا، مهما كانت أوضاعه الداخلية مأساوية ومفككة. ومما يدعو إلى الاستغراب أن كثيرًا من الصوماليين المؤيدين للحكومة المؤقتة فرحون مستبشرون بالقتل والخسائر التي لحقت بأهلهم ووطنهم.

الإثنين ٢٥ ديسمبر:

يوم مشؤوم شديد القتام والحزن. أغارت طائرات حربية إثيوبية على مطار مقديشو الدولي، وضربت مدرجًا بصاروخ. مغزى الهجوم الجوي الوقح هذا هو تخويف الناس وشل حركة الطيران المدني، وإغلاق المرفق. من البديهي أن هذا الاعتداء المباشر على العاصمة أدى إلى بلبلة الأمن وهدوء أهل المدينة لأول مرة. آخر مرة هوجمت فيها مقديشو من الجو كانت سنة ١٩٤١ إبان الحرب العالمية الثانية، عندما هاجم سلاح الجو

البريطاني المدينة قبل احتلالها بشهر، ودمَّر حي بون طيرى [Boondheere] بأكمله، وأودى بحياة ثلاثمائة شخص، وجرح مئات آخرين. وصفت الكاتبة أنتونيا بولوتا [Antonia Bullotta] هذه المجزرة وهى شاهدة عيان. كما ذكرت الحادثة في كتابي [حدر وتاريخ جنوب الصومال].

وصلت الغطرسة بحكام التجراي المتسلطين على الشعوب الإثيوبية أن تنزل قنابل طيرانها على عاصمة بلد جار آمنة، مع عدم الاكتراث بالآثار السلبية العميقة التي يحدثها هذا العدوان في الذاكرة الصومالية للكيل بالمثل فيما يستقبل من الزمن، وهذا الاعتداء السافر إن دل على شيء فإنما يدل على عمق ضغينة إثيوبيا على الصومال وحقدها الدفين المتراكم عبر القرون. طبعًا هذا التخطيط من أسياد الزمرة الحاكمة هناك الذين ملؤوا العالم ضجيجًا بتمسكهم بالحل السلمي لأزمة الصومال، وأنهم قلقون للتجاوزات الناتجة عن حرب جديدة على الصومال، والله يعلم أنهم ينافقون.

لا شك أن قصف مقديشو يوم عيد الميلاد (الكنيسة الغربية) يرمز إلى انتصار ديني؛ لأن المحروسة حمر أخلدها المؤرخون العرب، إنها مدينة الإسلام كما أوضح ابن سعيد في كتابه المذكور. وقد قاومت هذه المدينة، التي كانت تفوق حضارتها حضارة الأوروبيين في القرون الوسطى، والسجلات التاريخية شاهدة على ذلك، قاومت وهزمت الغزاة البرتغاليين في سنة ١٥٠٥، عندما هاجموا المدينة بأسطول مكون من ست سفن، تحت قيادة الأدميرال البوكيرك [Alfonso Albuquerque; يساعده ضابط بحري آخر اسمه تريستاو دا كونها: Tristao Da Cunha].

رست سفنهم في مياه المدينة وأمروا المدينة أن تستسلم ولكن الأهالي رفضوا الاستسلام وصبّوا عليهم وابلاً من النبال والأحجار الساخنة، وفروا بمراكبهم مندحرين. سبق أن نهبوا كل المدن الساحلية من مومباسا حتى مدينة براو، حيث قتلوا فيها المئات من الناس، وسرقوا كل مجوهرات الأهالي وذهبهم. قبل هؤلاء القراصنة هاجم مقديشو سنة ١٤٩٩ فاسكو دي غاما : Vasco Da Gama، [قتل جيشًا تحت قيادة ابنه تريستاو، الإمام أحمد إبراهيم الغازي سنة ١٥٤٥]، وبيروديا س Pero Dias ، أرادوا نهب المدينة ولكن سكانها كانوا لهم بالمرصاد، فقاوموهم وهزموهم وفروا بسفنهم، واكتفوا برمي عدة طلقات من مدافعهم على المدينة [صوبنا طلقات كثيرة على المدينة: Tiramos muitas bombardas] وهم فارون كما يذكر الأدميرال بيروديا س نفسه، في يوميات سفينته " الذي كان قبطان سفينة من الأسطول، هرب ومعظم بحارته في الأرض

صرعى، من بينهم مرشد السفينة وعلى متن المركب ٧ بحارة فقط.

أما التواجد العماني في المدن البنادرية الصومالية فكان له طابع تجاري فقط. وكان حكم السلطان رمزيًا. أما الطليان فتذرعوا، في البداية، بشركة تجارية اسمها فيلوناردي Filonardi، كان مركزها مقديشو ولم يكن لها سلطة تذكر على البلد.

في الحرب العالمية الثانية زحفت القوات البريطانية على مقديشو يوم ٢٥ فبراير ١٩٤١ كما ذكرتُ عدة مرات في هذه الأوراق. ولكن لم تكن هناك أي مواجهة معهم، إذ أعطي لهم مفتاح المدينة من العمدة بوديسا Podesta وممثل أسقف مقديشو د.جورلاني قبل دخولهم إليها.

التاريخ يشهد بأن كل المحاولات الإثيوبية لاحتلال الصومال (أرض الجمهورية) من القرن الخامس عشر وما قبله كانت تنتهي بالهزيمة. ومن المعروف أن الإثيوبيين تحالفوا مع باباوات روما والبرتغاليين في القرن السادس عشر، عندما احتلت جيوش الإمام أحمد إبراهيم الغازي "جُري" معظم أراضي الحبشة. وفي القرن العشرين، عند قيام ثورة المهدي الصومالي السيد محمد عبد الله حسن، تحالفت إثيوبيا مع القوات الاستعمارية التي اقتسمت الصومال، بصورة خاصة بريطانيا وإيطاليا، وكان الدراويش يحاربون جيوش هذا التحالف، وهزموهم على امتداد عشرين سنة ونيف (١٨٩٨- ١٩٢١).

كل الحروب والمعارك التي ذكرناها لها مضامين دينية. الأحباش هم الذين كانوا دائمًا يستغيثون بأقوياء الزمان، باسم الدين. نذكر مثلاً أن الاستعماري الإثيوبي الأكبر الإمبراطور منيلك الثاني كان يقول إن: "بلدي المسيحي محاط ببحر من الوثنيين" معتبرًا الإسلام وثنيًا.

وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح هيلا سلاسي الأول الحليف المخلص الأول لأمريكا في القارة الإفريقية، حتى وصل وفائه لهذه القوة العظمى إلى أن يرسل إلى الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣م) عدة ألوية من جيشه لتحارب في إطار ما سُمي بقوات الأمم المتحدة. أما النظام الشيوعي الذي انقلب على الإمبراطورية بقيادة " منجستو هيلى مريم" في السبعينيات من القرن الماضي فأصبح " بنيامين" الاتحاد السوفيتي السابق الذي تنكّر للصومال وتحوّل إلى تأييد "الاشتراكية" الإثيوبية، على أساس حسابات مكيافيلية وجيو - سياسية خالصة، فإنه فشل في دسائسه ضد الصومال، ولما سقط نظام منجستو في سنة ١٩٩١م عادت إثيوبيا إلى عادتها الأولى وارتمت مرة أخرى في أحضان محسوبها

القديم أمريكا. حنكة سياسية لا بد أن نعترف بها لهذا البلد؛ لأنها لا تدخل حربًا مع الصومال إلا بعد أن تجعل لنفسها درعًا من الحلفاء يحمونها أو يبرِّرون اعتداءاتها، أو يخوضون الحرب بأنفسهم في الدفاع عنها، كما فعل البرتغاليون في القرن السادس عشر، والسوفييت وبعض العرب في حرب القرن الإفريقي [١٩٧٧- ١٩٧٨].

في سنة ١٩٧٧ عندما انهزم الجيش الإثيوبي وزحفت القوات الصومالية نحو أديس أبابا، وهبطت على مرتفعاتها الحصينة، بدأت الصيحات تتعالى في الغرب، وقامت الدنيا ولم تقعد. عندئذ تحدثت بعض الدبلوماسية "العائمة" كما يحلو لي أن أصفها، عن تنازلات إثيوبية، بحيث يمكن لإثيوبيا أن تعيد أغادين إلى الصومال. طبعًا هذه الدبلوماسية، مثل زهرة ليلى لا جذور لها في الأرض، ولا مرجعية واضحة. تجدها نشطة كذلك في البلدان الغربية ولكن أسرارها ووعودها تتلاشى في الهواء (نحن لنا خبرة في هذا الموضوع) وينطمس وجودها. لا نفتقر اليوم إلى أدلة كثيرة بأن الحرب التي تشنها طغمة التيجراي على الصومال ما هي إلا حرب بالوكالة، وفي إطار الحملة ضد الإرهاب.

وكان أحد الخيارات لمعالجة الأزمة الصومالية من بدايتها، وقبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، بعقد من الزمن، ولكن كانت الطغمة "التيجراي" تمهد الطريق لهذا اليوم. وهي التي كانت تحتضن زعماء الحرب وتقوم بتسليحهم وتمويلهم، وتخطط لهم الأنشطة التخريبية داخل الصومال، وتفشل أي محاولة لإعادة السلام وإنشاء حكومة تحارب الفوضى، وتلتزم بانتقال البلد من الحالة المزرية إلى مستوى من الوئام والاستقرار. فلا يمكن أن تقنعنا الدول الكبرى بأن حكام إثيوبيا تابوا من أعمالهم العدوانية ضد الصومال واستقراره، ويسعون الآن إلى المساهمة في إعادة السلام والأمان إلى الجار المنكوب. وهذه النصيحة من الكبار إهانة للشعب الصومالي واستخفاف بآدميته، ولا يمكن محو هذا العار والإهانة من مخيلته.

الإثنين ٣٦ ديسمبر:

حسب معلومات من الـ بي.بي.سي فقد زحفت القوات الإثيوبية على بلدة "غلنسور" واستولت عليها مستعينة بمليشيات محلية تم تدجينها سابقًا، وانضمت إليها قوات من "بنتلند". وفلول عبدي حسن عوالي "قيبديد".

تتقدم القوات الغازية نحو العاصمة من جميع الجهات ما عدا محاور باي الشرقي والغربي، حيث إن الاشتباكات هناك مستمرة ولم يحدث أي تطور دراماتيكي على خطوط

المواجهات. أعلنت إثيوبيا مرة ثانية، بصورة صريحة، أنها في حالة حرب مع المحاكم الإسلامية، وأنها تدافع عن نفسها ضد الإسلاميين الأصوليين. الـ سي.إن.إن، وإذاعات عالمية أخرى تكرر بث هذا الافتراء لتضليل الرأي العالمي، وهو ظلم في الحقيقة.

استغرب الناس في كل مكان كيف تغيّب يوسف محمد سياد، مسئول الدفاع في المحاكم، ونائبه مختار روبو أبو منصور عن الصومال، في وقت وصلت فيه المواجهات إلى أوجها. يقال: إنهما ذهابا للحج، ربما حج وحاجة كما يقولون. ولكن اختفاء القائد الأعلى من ميدان المعركة، وجنوده ما زالوا يحاربون العدو ويضحون للدفاع عن شرفهم لا يغفر. السيد أمين هويدي وزير الدفاع المصري الأسبق في كتابه "أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧" يتحدث عن مشاهد بطولية للجيش المصري وقيادات لم تصمد، ربما المشهد له جوانب شبيهة بحالنا.

اليوم الثاني لعيد الميلاد يوم القديس إصطيفانوس كما يسميه الطليان أو يوم الصندقة [boxing day] أو الهدايا في التقاليد الأنجلوساكسونية. لكن الكنيسة القبطة الإثيوبية تؤخر عيد ميلادها لعدة أيام، ربما يبرمجون أن تتزامن أعيادهم مع احتلالهم الكامل لمقديشو.

عقد النواب جلسة في فندق بركات، بحي إيستلي بنيروبي، وبعد نقاش مليء بالسخونة وشعور جياش بالأسى لما يحدث الآن من اعتداءات على الشعب الصومالي وتجاوزات في حقوقه المنصوص عليها في المواثيق الدولية.

اتفق النواب على أن يعقدوا مؤتمرًا صحفيًا يعلنون فيه، غدًا الأربعاء، آثار الاعتداء الإثيوبي على البلد، والخسائر التي ألحقها غزوهم الغاشم بالعاصمة، على أن يُوزّع بيان يحتوي على التطورات المستجدة على وسائل الإعلام.

تفيد الأنباء الواردة من الوطن باجتياح قوات "التجراي" لمدينة بولوبورتي في طريقها إلى مدينة جوهر. كما هاجمت الطائرات الحربية الإثيوبية مطار "بللي دوجلي" وقصفت مدارجه وعددًا من الأبنية.

كما هو معلوم فإن هذا المطار، وهو على بعد مائة كيلو مترًا شمال مقديشو، كان مطارًا حربيًا تابعًا للقوات الجوية الصومالية. بناه الاتحاد السوفيتي السابق في السبعينيات من القرن الماضي.

تتوالى الأنباء من المحور الغربي لمنطقة باي والتي تفيد بأن قوات المحاكم بدأت تتقهقر إلى الغرب، بعد أن استولت قوات النظام، رديفة القوات الإثيوبية، على مدينة دينسور. ذكر بعض أهالي المنطقة أن طائرات إثيوبية ألقت مادة غازية سامة على الجماهير، ولكن هذا الخبر لم يلق تأكيدًا من قيادة المحاكم.

يجري في أروقة الأمم المتحدة نشاط ساخن لعقد جلسة لمجلس الأمن، بمبادرة من عدة دول أعضاء في المجلس وعلى رأسها دولة قطر، لاتخاذ قرار عاجل يطالب بخروج جميع القوات الأجنبية من الصومال. ولكن أمريكا وبريطانيا كعادتهما عرقلتا إدخال هذا الموضوع في جدول أعمال مجلس الأمن. بينما كان موقف فرنسا متذبذبًا. أعلن إسماعيل محمود هري "بوبا" وزير خارجية الحكومة، أن هدفهم التالي لقواتهم هو العاصمة ومدينة كسمايو. معنويات قيادات المحاكم ليست عالية، بينما المتحدث باسمهم يردّد أنهم غيّروا نهج المقاومة، ربما لتبرير فشلهم العسكري، وبالعكس يتبجّح الإثيوبيون بالانتصارات التي حققوها في جميع المحاور، ولم يكونوا ليحققوا هذه النتائج بسهولة.

سكان مقديشو مذهولون إزاء الأمر الواقع، في حين أن الحكومة المؤقتة، على غرار دعايات سلطات التيجراي، تفتخر بأنها سحقت الإرهابيين بفضل الجيش الصومالي!

٢٧ ديسمبر:

زَحْف القوات الإثيوبية في تقدم مستمر نحو العاصمة، سواء عن طريق جوهر أو بورهكبار- وانلي. بينما أكتب هذه السطور وصلني نبأ بأن الغزاة وصلوا إلى مشارف مقديشو، وفي نفس الوقت انسحبت من المدينة قيادات المحاكم مع مليشياتها واندفعت متجهة نحو الجنوب، دون أي مقاومة تذكر ضد العدو الغازي.

كان الشعب في كل مكان ينتظر من حكومة المحاكم التي طالما صرخت عبر وسائل الإعلام بأنها ستواجه العدو بصرامة وتضحية في مواجهات مريرة، أن تصمد. ولم يكد يصدق عينيه أن هذه المركبات الفارة إلى الجنوب تحمل نفس القيادات التي كانت تتوعَّد العدو بالويل والوبال، دون أن تطلق رصاصة واحدة على الغزاة. إنها خيبة أمل وإهانة مضاعفة، خذلان المحاكم المهين لكبرياء الأمة وقمة إذلالها. كان مغاوير المحاكم يحلفون على أنهم لا يخافون الموت، بل الشهادة والتضحية مطلبهم. ربما كانت هذه هي العقلية السائدة عندما كان المحاربون نصف جياع صابرين على الشدائد. ولكن دعة الحكم ورخاوة جوه أفسدتهم، وبدؤوا في إعادة تقييم المخاطر وفضائل التشبُّث بمغريات الحياة.

البون شاسع بين محاربي المحاكم الذين انتصروا على زعماء حرب مخضرمين أشداء، وهذه المليشيات المنتفخة من رغد العيش.

الحكوميون والإثيوبيون يتباهون بنصرهم على الإسلاميين، ويتوعدون بملاحقة الشباب المتشدد. حسب تصريحاتهم المبهرة فقد أعادت عدد من قيادات المحاكم أسلحة وذخائر إلى قبائلهم، قبل انسحابهم صوب جوبا السفلى، والمعروف أن جل أسلحة المحاكم الإسلامية كانت ملكًا للقبائل. وبالرغم من التلون المتعدد للمليشيات الصومالية، إسلامية وخلافها، فإن القبيلة هي مرجعها الأساسي.

وعندما انهزم زعماء الحرب نهائيًا في نهاية يونيو المنصرم ٢٠٠٦ سلموا أسلحتهم إلى عشائرهم. والواضح هنا أن أي جهة تخسر في الحرب لا يمكن لها أن تفرط في الأسلحة التي في قبضتها؛ لأن ملكيتها تعود إلى القبيلة وهي المتصرفة الأخيرة، وفهم هذا الوضع قد يفيد في تنفيذ برامج نزع السلاح، متى أمكن ذلك مستقبلاً. قوات المتسلطين التجراي كانت مسلحة تسليحًا عصريًا كاملاً، وجنودهم كانوا مدربين تدريبًا وافيًا من الأمريكان، وينتمون إلى قوات خاصة منتقاة بدقة، ولم يكن في استطاعة مليشيات المحاكم المجردة من أي سلاح غير "أربجيات" صدئة، من مخلفات الحرب العالمية الثانية، وبنادق كلشنيكوف أن تتصدى لهذه القوات، التي يزيد عددها عن ثلاثين ألف جندي، حسب التقديرات المتحفظة.

احتلال الصومال المنهوك من الحروب الأهلية العبثية لعقدين من الزمن ممكن لأي قوة أجنبية منظمة، مهما كان حجمها. ولكن إثيوبيا التي أعدت الأرضية لهذا الاحتلال منذ سنوات عديدة لن تنجح في إخضاع الشعب وإبقائه تحت سيطرتها. من الأعمال التمهيدية لهذا الاحتلال - كان ولا زال - اغتيال ضباط الجيش الصومالي الأكاديميين من الأسلحة الأربع (سلاح الطيران، المشاة، الدفاع الجوي والبحرية)، اغتيال المثقفين والإخصائيين في كل الميادين، وتعطيل محاولات المصالحة والوصول إلى السلام، أيضًا تكوين أمراء الحرب ودفعهم للقيام بأعمال تخريبية وفتن قبلية، وإفشال محاولات تشكيل الحكومات.

من ضمن هذه الخطة الصياح المتعالي "الإرهاب، الإرهاب" للحصول على تأييد الدول الغربية لمحاربة الإسلاميين، وتزويد عملائها المخرّبين بالأسلحة والذخائر، وتبنيهم السياسي والمالي. وكذلك إعاقة تجارة المواشي الصومالية بتهديد الصوماليين تحت

حكم إثيوبيا، وتحويل سوق صادرات المواشي إلى إثيوبيا. محاولة إثيوبيا إقناع الدول الكبرى بأن تكون وصية على الصومال لتكون منفذة سياساتهم في شرق إفريقيا، بالإخلاص والشفافية المطلوبتين. وما سبق ذكره ليس للحصر.

إن هذا الاحتلال الذي دنّس اليوم أرضنا الطاهرة لن ينجح في مقاصده الاستعمارية، وسوف تدحره إرادة الشعب الصومالي، وسوف يفر الأحباش من بلدنا كما فعلوا في الماضي، بعد أن تشتعل الأرض من تحت أقدامهم "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" (الشعراء/ ٢٢٧).

٢٨ ديسمبر:

أخبرني الأخ ي/ح بأن عددًا من المليشيات المعدودة في المحاكم الإسلامية قد تمردت وانقلبت إلى الصف المعادي، وذلك من خلال برنامج سري ارتدادي أعده طابور خامس. أعلنت الحكومة المؤقتة من بيدوه حالة الطوارئ، وأمرت بتسليم سلاح المليشيات إلى نقط معينة في أرجاء البلاد، دون ذكر التعويضات لمقدمي الأسلحة أو تقديم خطة لامتصاص المليشيات في الأجهزة الحكومية. تتصرف الحكومة وكأنها نجحت في حصر المليشيات المهزومة في معسكرات اعتقال، وتعاملهم كيف تشاء. بينما لا يوجد هناك مليشيات استسلمت للحكومة وأُرغمت على تسليم أسلحتها.

لا يعرف أحد بالتحديد إلى أين اتجهت المحاكم المنسحبة من العاصمة. ولكن الأكثرية من الصوماليين هنا في نيروبي متفقون على أنها في طريقها إلى كسمايو وما ورائها من أدغال بمحاذاة المحيط الهندي.

نشرت قناة سي.إن.إن، مشاهد من عمليات السلب والنهب الجارية في العاصمة: صبيان يحملون أمتعة بيت رخيصة كمرتبات مطاطية ومواعين. يقال: إن عملية النهب تدور غالبيتها بحي كاران، شمال شرقي المدينة.

أمريكا وبريطانيا تُفشلان للمرة الثانية محاولة بعض أعضاء مجلس الأمن تمرير قرار يفرض على إثيوبيا سحب قواتها من الأراضي الصومالية. لم أسمع حتى هذه اللحظة من وسائل الإعلام، أي استنكار صرّح به أي صومالي للاحتلال السافر، ما عدا البيان الذي أعلنته كتلتنا البرلمانية الموجودة بنيروبي. كان هذا البيان قويًا يغطي أوجه الاعتداء ونتائجه الكارثية ولكن الـ بي.بي.سي التي أذاعته أدخلت بعض التعديلات وأوجزته. من الناحية الأخرى ردود فعل مسلمي كينيا، خاصة الصوماليين الكينيين، ضد الاحتلال كانت

قوية، وقدموا لحكومتهم احتجاجًا غاضبًا يطلبون فيه من الرئيس مواي كيباكي أن تفرض كينيا عقوبات على إثيوبيا "لاحتلالها دولة ذات سيادة" كما ألحوا على إجبار أديس أبابا على الانسحاب من الأراضي الصومالية دون قيد أو شرط وعلى وجه السرعة.

من الشخصيات البارزة في احتجاج الكينيين النائبين السابقين السيد/ بيلو كيرو والسيد/ فارح معلم. وبالذات طلب السيد / بيلو كيرو من حكومة كينيا إرغام اثيوبيا على دفع تعويضات تغطي الخسائر في الأرواح والدمار الذي ألحقته بالصومال. أما أبرز الهيئات التي قدمت احتجاجات إلى الحكومة الكينية وللعالم فكانت هي:

Civil society congress ; Muslim human Right forum and National dialogue conference Nairobi

Nairobi daily nation 29 th December 2006. p.20-2=(المصدر).

كتبت ما يلي:

"the supreme council of Kenya muslims has also con demned the military incursions and demanded withdrawl of Ethiopian forces".

الجمعة ٢٩ ديسمبر:

الجو السياسي قاتم جدًا، والأنباء الواردة من الصومال تزيد من بلبلة الأفكار والمعنويات. نزل رئيس الوزراء ع/م/ غيدي في مطار مقديشو قادمًا من أفجوي على بعد ٢٥ كيلو مترًا، على متن طائرة عمودية، تم نقله من هناك إلى حي عبد العزيز تحت حراسة مشددة.

أخبرني أهلي بمقديشو بأن ع/م/ غيدي نزل في بيتي عنوة بعد أن فتحه له الحراس، تحت ضغط قوي من حاشيته. لم يكن البيت مسكونًا، وكان يمكن له أن يستأذنني أو يستأذن زوجتي الموجودة بمقديشو، وكنا سنسمح له بالإقامة المؤقتة فيه. ولكن التصرف الهمجي اللامسئول أغضبنا جميعًا؛ إذ إن شخصًا يدعي أنه رئيس حكومة لا يمكن له أن يتصرف كالمعربدين والخارجين عن القانون، متحديًا اللباقة والأعراف الحضارية. طلبت من زوجتي أن تهدئ من انفعالها الشديد إزاء هذا التصرف اللاأخلاقي.

استولت القوات الإثيوبية الغازية على عدد من المرافق الحيوية في مقديشو كالمطار الدولي والميناء، فيلا صوماليا، مجمع الرئاسة، وأبنية وطرق مهمة كثيرة، ويتوعدون بأنهم سوف يلاحقون الإرهابيين حتى القضاء عليهم. الأهالي في الأحياء

الشمالية للمدينة، خاصة منطقة "هوري وا" يتظاهرون ويحرقون إطارات العربات في الطرق تعبيرًا عن سخطهم تجاه القوات الغازية لبلدهم مرددين: "اخرجوا من أرضنا، لا نريد وجودكم في بلدنا".

السبت ٣٠ ديسمبر:

يوم عيد الاضحى المبارك. لم يتمكن المسلمون من أن يصلوا في العراء كالعادة؛ لأن الأمطار الغزيرة تنهمر بكثافة وبلا توقف.

قتل الجلادون هذا الصباح الرئيس صدام حسين شنقًا في الساعة السادسة وعشر دقائق، حسب توقيت شرق إفريقيا بنيروبي. هذا القتل الظالم المروّع خُطِّط له أن يتزامن مع عيد الأضحى لإذلال المسلمين، وإهانة معتقداتهم الدينية؛ لهذا يرد هذا الفعل المشؤوم على الذين يتشدقون بعقلية حضارية وقيم إنسانية تجعلهم يعلون على باقي البشر، ولكن أفعالهم تشهد على همجيتهم المتأصلة. إن الرئيس صدام حسين كان شجاعًا صبورًا في محنته، لا يبدو عليه أي ضعف. مات كما كان دائمًا صامدًا قويًّا.

اشتركت في حفلة غداء دعاني إليها رئيس البرلمان في بيته مع مجموعة من النواب، فيهم عبد القادر شيخ محمد نور، عبد الله أدن أحمد "بلاك"، عبد الله أدن علي شليتي، إبراهيم عبدي نور دبي غاس، إبراهيم إسحاق عيموي جرير. تحدثنا بعد الغداء عما يمكن لنا فعله في هذه الظروف الحالكة.

اتصل بي أهلي من مقديشو وأخبروني أن السيد/ ع/م/ غيدي تعهد بأن يخرج من منزلي في غضون ثلاثة أيام، معتذرًا بأن جهات غير مسئولة دبَّرت له مقلبًا وأنه: "لم يكن يعلم أن المنزل كان ملكًا لشريف صالح، وأنه لم يتابع كيف حجز له الموظفون هذا البيت".

٣١ ديسمبر:

آخر يوم في السنة والجو بارد على غير المعتاد بسبب الأمطار الغزيرة.

الأنباء الواردة من مقديشو والجنوب الصومالي تبالغ في الفوضى المطبقة على العاصمة. نظمت الحكومة مظاهرات تؤيد الاحتلال، طبعًا منظمة من النظام. القوات الإثيوبية الغازية تحركت نحو كسمايو وهي الآن على مشارف مدينة جلب، عاصمة مقاطعة جوبا الوسطى، وطلائعها على مشارف كسمايو، حسب المصادر ذاتها. أما

مليشيات المحاكم فتقول: إنها ستتصدى للقوات الغازية وتحاربهم شبرًا شبرًا مستعدين لكل التضحيات.

التقيت شريف حسن بفندق إنتركونيننتال حيث يقيم، وتحدثنا عن موضوعات عدة حول شئون الساعة. وقد فاجئني رئيس البرلمان بأنه يتحرك فكريًا في إطار مبادئ لا يريد أن يتنازل عنها، وهي ضرورة انسحاب القوات الإثيوبية من الأراضي الصومالية في أسرع وقت يمكن الاتفاق عليه، واستبدالها بقوات إفريقية، تمشيًا مع قرار مجلس الأمن ١٧٢٥ الصادر في ٦ ديسمبر الجاري.

شهر يناير ٢٠٠٧

١ يناير:

تبدأ السنة الجديدة والمشاكل الكثيرة التي خلفتها السنة المنصرمة ما زالت متراكمة تعيق تسلسل السنة الجديدة. تفيد الأنباء الواردة من الصومال خروج مليشيات المحاكم هذا اليوم من مدينة كسمايو بعد مواجهات عنيفة مع القوات الغازية على طول الطريق المؤدي إلى كسمايو في خط جليب اشتركت فى اجتماع دعي إليه رئيس البرلمان في صالة بفندق إنتركونتيننتال اشترك فيه ٢٣ من النواب الموجودين في نيروبي ويقدر عددهم بأربعين في هذه اللحظة. كانت الأجندة تحتوي على موضوع واحد: "أن نتمسك ونحث كل الجهات المعنية، وفي مقدمتها الدول الكبرى المتنفذة، على تطبيق القرار ١٧٢٥ لمجلس الأمن".

تكلمنا عن الموضوع أنا ومحمد عبدي يوسف، رئيس وزراء حكومة عرتي، وعمر حاشي أدن (رحمه الله)، تحدثنا نحن الثلاثة عن صعوبة الأوضاع والمخاطر التي يواجهها هذا البلد، وضرورة تقديم ما يمكن لنا تقديمه للمقاومة، ومحاولة القيام بكل نشاط سياسي- إعلامي ممكن هنا في نيروبي. ونحن على علم أن الدول الكبرى المحرّضة لإثيوبيا اتخذت عددًا من التدابير للتعتيم على الأخبار الخاصة بالاحتلال، وسيطرته على المدن وما قد يعرقل تقدم زحفه من مقاومة شعبية. من خطوات الكبار في هذا الصدد إظهار قانونية الاحتلال وأغراضه "الضبطية" والأمنية بطلب من الحكومة الشرعية. كان الوجوم والتأثر، بالتطورات الدراماتيكية، واضحًا على ملامح الحاضرين، ولكن الأغلبية امتنعت عن الكلام والتعليق على الحوادث؛ لأنها لم تستبن بعد مجمل المستجدات لتأخذ موقفًا حاسمًا جليًّا إزاء الغزو والاحتلال.

أخبرني الأخ الدكتور حسين حاج محمود بود (رحمه الله) بأن عددًا من الأعيان والسياسيين التقوا برئيس الوزراء ع/ م/ غيدي، وطلبوا منه أن يتصالح النظام المؤقت مع كل معارضيه، وألاّ يعتمد فقط على القوات الإثيوبية المحتلة. ولكن الحكومة كما ستكشفه الأيام اختارت أن تعتمد على القوات الأجنبية لتفعل ما تشاء بالشعب، وفضلت الدعوة إلى مؤتمر صوري للمصالحة لا تشترك فيه الأطراف المقاومة والرافضة للاحتلال. وفي النهاية ستؤدي

هذه الحيل السطحية إلى سقوط حكومة غيدي.

الخميس ٤ يناير:

عقدت المجموعة البرلمانية المعارضة للاحتلال الإثيوبي مؤتمرًا صحفيًا بفندق بركات بحي إيستلي. قرأ أحد النواب بيانًا مكتوبًا للصحافة، كان مضمونه ما يلي:

١) المجهود الذي بذلته المجموعة البرلمانية المتمسكة بالحل السلمي، لمحاولة التقارب بين الحكومة واتحاد المحاكم الإسلامية لتخطي الخلافات بينهما، بالطرق السلمية عبر استئناف محادثات الخرطوم، كان مشجعًا. وحسب تقييم المجموعة، ما زال هناك عدد من العوامل الإيجابية يمكن أن تضمن نجاح المفاوضات والتوصل إلى حل يرضي الطرفين.

٢) أيدت المجموعة جدوى نشر قوات تحت مظلة الأمم المتحدة لمساعدة الحكومة في حفظ السلام، ولا بد أن تكون بديلاً للقوات الغازية.

٣) رفض وإدانة الاحتلال الإثيوبي الخارق لميثاق الأمم المتحدة لاعتدائها على دولة ذات سيادة، ضاربة عرض الحائط بقرار مجلس الأمن ١٧٢٥، الصادر في ٦ ديسمبر المنصرم.

٤) الإقرار بأن أهداف إثيوبيا استعمارية توسعية، ولا صلة لها بمحاولات إعادة السلام إلى ربوع الصومال. بل اعتدائها السافر يرمي إلى عرقلة السلام، وزج البلد في حرب جديدة وصراعات تؤدي إلى إفشال المؤسسات الدستورية الصومالية، وتقطع السبل عن تحقيق المصالحة الوطنية وإعادة السلام، ونزع السلاح وتعطيل الأهداف التي من أجلها أنشئت هذه المؤسسات.

٥) وجهت المجموعة دعوة إلى مجلس الأمن والمجتمع العالمي لضمان سيادة الصومال وسلامة أراضيه، ووحدة شعبه، وأن يتخذ إجراءات عاجلة تفرض على إثيوبيا سحب قواتها من كل الأراضي الصومالية التي احتلتها، كما طلبت من مجلس الأمن إنزال عقوبة عليها تتناسب مع اعتداءاتها الواسعة.

٦) كما كشفت المجموعة عن خريطة إفريقية تجمع صوماليا بإثيوبيا، في وحدة تمحو من الرسم الاسم الكامل للصومال (انظر الملحق رقم ٣). تسربت هذه الخريطة عبر مكتب

رئيس وزراء إثيوبيا ونشرها وزير داخلية الحكومة المؤقتة، الذي صرَّح دون أي تحفظ، أن الحدود بين صوماليا وإثيوبيا قد أُلغيت، وأن جيشي البلدين سيُوحَّدان في الأمد القريب، وأنه سيكون للبلدين جواز سفر واحد، وهو جواز سفر إثيوبيا.

طبعًا الوحدة الإثيوبية الصومالية كانت ومازالت أمنية إثيوبية تدغدغ أماني الأباطرة والمستبدين من بعدهم بابتلاع إثيوبيا للصومال لتبقى كمقاطعة في أحضان" أمها الإثيوبية" كما كان يحلم الإمبراطور هيلاسلاسي الأول.

جيبوتي ٣١ يناير ٢٠٠٧:

جئت إلى جيبوتى مع النواب الآخرين من يوم ١٣ يناير حتى ١٤ فبراير يوم سفرنا إلى أسمرا.

استأنفت تدوين مذكراتي هذا اليوم ولكن الأخبار هنا في جيبوتي قليلة بالمقارنة بنيروبي، حيث كانت المصادر متوفرة، ويمكن أن تلتقي يوميًا شخصًا آت من العاصمة أو من جنوب الصومال.

تتحدث وسائل الإعلام المتاحة عن يوم هادئ في مقديشو. وهذا التعبير الذي تستخدمه وسائل الإعلام الصومالية مضلل؛ لأن الهدوء نسبي ودائمًا ما يكون على مدى وقت معين قصير. ألاحظ أن بعض الإذاعات المحلية الصومالية تتعاطى الاحتلال بصورة محايدة أو ملوحة أن وجوده يرمي إلى تثبيت الأمن العام، والواضح أنها قريبة من الحكومة. ولا شك أن بعض الإذاعات المحلية المرتبطة بجهات خارجية، تمويلاً وتوجيهًا، تستخدم أساليب إعلامية تخفي فيها الكثير من الحقائق، وتحاول صرف انتباه المستمعين إلى وقائع ثانوية، ولا تذكر الحوادث الأليمة، والقمع المستمر، والقتل الذي ترتكبه القوات الغازية.

حسب المعلومات التي وصلتنا في جيبوتي يتهم المحتلون عددًا من المشتغلين بالإعلام المحلي بتعاونهم السابق مع أجهزة المحاكم الإسلامية المنسحبة، وبالتالي عدد من المذيعين وجدوا أنفسهم مهددين، مضطهدين أومنبوذين.

الإثيوبيون يرددون للتضليل أقوالاً ليست في قلوبهم: إنهم عازمون على الانسحاب إلى حدودهم في غضون أيام معدودات. ومن الناحية الأخرى تفيد الأخبار الواردة من مدينة بيدوه

أن قوات إضافية إثيوبية، لا تقل عن أربعة ألوية بمعداتها الثقيلة متجهة إلى العاصمة. هذا التدفق المستمر للقوات الغازية يكذّب ادعاءات أديس أبابا أولاً أنها تعتزم الانسحاب المبكر من الصومال، ثانيًا ليس صحيحًا أنها تسعى لحفظ الأمن كي تستقر الحكومة المؤقتة، وتتمكن من أداء مهامها الدستورية.

إن الاحتلال الإثيوبي مخططٌ قديم للسيطرة على الصومال ووضعه تحت حكمها وهيمنتها العسكرية من خلال الحديد والنار، ولكن بمشيئة الله ستهزم إثيوبيا في المحصلة الأخيرة وسيلحقها العار.

الدول الغربية الكبرى تحاول إقناع رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء بأن يتفاوضا ويتصالحا مع المعتدلين من رجال المحاكم. ولكن البلادة السياسية العامة وفرحة الانتصار تجعلهم يستغنون عن الحلول السياسية والمساومات المعقولة، مع الأطراف الأخرى؛ لهذا نحن بإزاء قصر رؤية سياسية سترتد في المدى القريب على النظام المؤقت الهش. هذان المسئولان يؤمنان ويرددان: "إن نظام المحاكم سُحق سحقًا عسكريًّا ولا وجود لما يدعى بالمحاكم الإسلامية، ولا يمكن أن نتفاوض مع الأشباح المتلاشية". إذا كان ما يقوله السيدان صحيحًا فلا لزوم أن يحتميا بقوات إثيوبية، فليعلنا أنهما لا يخافان من المنهزمين ولا من الأشباح المطرودة. وبناء عليه يمكن أن يدافعا عن حكومتهما بوسائلهم المتوفرة. ولكن لا بد أن يعلما من الآن فصاعدًا أن إثيوبيا هي الحاكمة الفعلية للبلاد الصومالية، وهما مجرد مستخدمين تحت مظلة سيطرتها؛ إذ باعا حرية البلد وسيادته لها. أعلن الشعب الصومالي بكل فئاته بطلان هذا العقد الفاسد وليس بمقدور أي أحد أن يفرّط في استقلال بلدنا ووحدة شعبه وترابه.

الإثنين ٢٢ يناير:

أخبرنا بعض مساعدي شريف حسن بأن رئيس البرلمان والوفد المرافق له سيعودون إلى جيبوتي بعد ثلاثة أيام. سافر هذا الوفد إلى بروكسل منذ أسبوع للضغط على الاتحاد الأوروبي للحصول على تأييد المجموعة لحل سلمي للأزمة المتفاقمة. وكانت تلك محاولة يائسة لطلب تنفيذ الاتحاد وعوده الكثيرة على عدد من المستويات، بتمسكهم بالحل السلمي عبر المفاوضات بين الحكومة المؤقتة والمحاكم. وكان آخر مسئول أوروبي أبدى تأييده المطلق لاستئناف محادثات الخرطوم كان السيد/لويس ميتشل الذي زار مقديشو يوم ٢٠ ديسمبر

المنصرم، حيث التقى بمسئولي المحاكم برئاسة شيخ حسن طاهر أويس، وأعلنا بيانًا مشتركًا للصحافة أكدا فيه، من بين الموضوعات الأخرى، استعداد المحاكم للاشتراك في مفاوضات الخرطوم عند العودة إليها بلا أي شرط مسبق. وفي هذا الصدد تبدو الدبلوماسية الغربية راضية عن "إنجازها العظيم" ولا تتحمل مضايقة الأطراف المهزومة والنواب المتعصبين للسلام.

نتذكر في هذا الصدد تعبيرًا مجازيًّا صوماليًّا يركز على ضفدعة تنكرت لوعدها: استدانت الضفدعة من رجل في وقت الجفاف الشديد ما تسد به رمقها، على أن تسدد الدين عندما تمطر. جاء الرجل ليحصّل دينه في الوقت المحدد، وهي في بركة ترغو راضية مبسوطة قائلاً لها: أعطني ديني، فأجابت: لا تزعجني، فأنا لن أجد الوقت للتركيز على الديون!

تفيد الأنباء الواردة من مقديشو أن مواجهات دامية جرت بين الجماهير والقوات الإثيوبية المحتلة في حي "هوري وا" Huri Waa وانفجر غضب السكان عندما داهمت دورية من الجنود الإثيوبيين بيت المواطن أحمد إلال، وهو تاجر محروقات معروف، وكسرت حائط البيت بعربة مصفحة وقبضت عليه واقتادته إلى جهة غير معروفة، ثم قبضت على ابنه وساقته إلى نفس الجهة . قال إيلال لأقاربه بعد إطلاقه: إن الإثيوبيين اقتادوه إلى أحد معسكراتهم، وهو معصوب العينين ووضعوه في حفرة وهالوا عليه التراب إلا رأسه، وكانوا يستجوبونه وهو في هذه الحالة.

دام إلال محتجزًا لأسبوع بين الاستجواب والتعذيب. عندما أطلقوا سراحه، وهو ضعيف منهك، أوصلوه إلى مستشفى الحياة وهو مغشي عليه. تقول المصادر: إن الرجل كان ضحية وشاية أبلغت الإثيوبيين بأن إلال كان من أساطين المحاكم التي انسحبت. قيل: إن الواشي كان أحد منافسيه التجار، وكان يريد تعطيل أعماله المزدهرة.

صرّح محمد محمود طوري مراسل الـ بي.بي.سي/ ق.ص من مقديشو بأن أهالي الأحياء الشمالية لمدينة مقديشو قاموا بمظاهرات حاشدة على طريق ٢١ أكتوبر، أو طريق المصانع حسب التسمية الشائعة الآن، وأحرقوا إطارات العربات، واصطدموا بالقوات الإثيوبية. حصيلة هذه المواجهات الدامية، حسب المراسل، خمسة قتلى وجريح واحد. وهذا هو

الاصطدام الأول من نوعه بين الشعب المحتج والقوات الغازية، ونرجو ألاّ ينقطع حتى خروج الغزاة.

تقع هذه الحوادث ووزير خارجية إثيوبيا موجود في العاصمة، حيث صرَّح بأنه يحمل رسالة من رئيس وزرائه إلى السيد ع/ي، رئيس المؤسسات المؤقتة.

في هذه الأثناء أعلن بيان صادر من رئاسة جمهورية السودان أن السيد ع/م/ غيدي، الموجود الآن بالخرطوم، أبدى موافقته على وساطة سودانية، بين النظام المؤقت واتحاد المحاكم الإسلامية. أضاف البيان بأن السودان سيقدم جميع التعاون اللازم للطرفين، إذا قبلا الوساطة واستئناف المفاوضات. طبعًا التعاون الذي سيحصل عليه الطرفان يحتاج إلى توضيح أكثر. ولكنه من المعروف أن الإخوة في السودان قدموا مساعدات عينية وتعليمية إلى الصومال منذ بداية الأزمة إلى هذه اللحظة. الجامعات السودانية تسجل كل سنة مئات من الطلبة الصوماليين، كثير منهم يتمتعون بمنح دراسية والباقون يحصلون على تسهيلات عديدة. الشعب الصومالي يقدر ويشكر هذه المؤازرة الأخوية، وسيكون على مستوى الوفاء.

وردت أنباء من نيروبي تفيد أن الشيخ شريف وعدد من مكتبه التنفيذي استسلموا للسلطات الكينية على الحدود بين البلدين، ونقلوا في نفس اليوم ٢٠-٢١ يناير إلى نيروبي. بينما لم تكن الأخبار السابقة التي تحدثت عن وجود المجموعة بنيروبي دقيقة.

الثلاثاء ٢٣ يناير:

الإثيوبيون ووزير الداخلية، ممثلاً للنظام، يقدمون في المطار مسرحية هزلية بعنوان: بداية انسحاب القوات الإثيوبية من الصومال لذر الرماد في عيون البسطاء، وأتخيل أنهم قلة قليلة في هذا الصدد.

عكس هذه الأبواق التي تصم الآذان يعلم الشعب أن القوات الغازية ما زالت تتدفق إلى العاصمة، وأن ما تقدم منها في العاصمة بدأ يتحصن في كل الأماكن الإستراتيجية من المدينة. ويقول لسان الجماهير: "لما يطلع المشمش" فإن إثيوبيا لا تنسحب بإرادتها بل بإرادة الشعب الصومالي وتصميمه، ولن تنجح محاولات الخداع الفجة المعروضة من ممثلي إثيوبيا و"المؤقتين" غير البارعين. يردد متشددو نظام التجراي بأديس أبابا، أن ملس زيناوي قال منذ

قرابة شهر: "إن القوات الإثيوبية ستنسحب من الصومال في غضون أسبوعين إذا أدت جميع أهدافها المرسومة". استيقن الجميع أن هذه الأكذوبة الوقحة أسطوانة مشروخة، ولا يبالي الدكتاتور الإثيوبي بإيقاعها المزعج. ولا يصدق الناس إلا من كان معروفًا بالصدق، بينما الرسميون الإثيوبيون يؤمنون بالتضليل والخداع، والناس يعرفونهم.

في هذه الأثناء وزَّع اتحاد المحاكم الإسلامية إعلانًا، يؤكدون فيه أنهم بدؤوا ينظمون حرب عصابات ضد القوات الإثيوبية المحتلة. نُشِر هذا الإعلان على شبكة قناة الجزيرة. نصَّ الإعلان على أن تدهور الأوضاع في الصومال وما اقترف المحتلون من جرائم هي أيضًا مسئولية أمريكا وكينيا بالتضامن مع إثيوبيا.

الأربعاء ٢٤ يناير:

تتحدث وسائل الإعلام لهذا اليوم عن استهداف مجهولين لمطار مقديشو بثلاث طلقات هاوون. كان في المطار في تلك اللحظة وفد نرويجي يستعد للرحيل. بينما كان جمع من مستقبلي رئيس الحكومة ع/م/ غيدي، في انتظار هبوط الطائرة التي كانت تقله، في الوقت نفسه كان وزير خارجية أديس أبابا سيوم مسفن يجري محادثات مع الرئيس ع/ي بمقره في فيلا صوماليا. وسافر الرئيس لاحقًا مع أتو مسفن في رحلة عودته إلى أديس أبابا هذا اليوم دون إعلان عن برنامج زيارته وأهدافه. السيد محمد عمر طلحة أول نائب لرئيس البرلمان سيصبح الرئيس المؤقت في فترة غياب الرئيس عبد الله.

في مقابلة قصيرة مع قناة الجزيرة هذه الليلة، أيَّد الكولونيل البحري السابق فارح قري، جميع المواقف السياسية للحكومة المؤقتة الداعمة للاحتلال وتصرفاته البغيضة. وهو مدني عادي، لا يتحمل أي مسئولية في المؤسسات المؤقتة. سأله المذيع عن وجهة نظره الموضوعية كمثقف له رؤيته في الأساليب الكفيلة بحل الصراعات القائمة بالطرق السلمية. ولكنه اختار التشبث وترديد التصريحات الحكومية الرافضة للتصالح مع المحاكم. وبالتالي أوضح تحزبه مع الأطراف التي ترى أنه لا ضرورة للمصالحة مع المحاكم المنهزمة! نسي النظام وأتباعه أنه لا بد من مصالحة حقيقية بين الصوماليين، وأن المفاوضة في وقت القوة فرصة مجدية للقوي.

ومن اللافت للنظر أن جمع غفير من الطبقة المتعلمة الصومالية تعتقد أن الحل العسكري هو الأفضل لتحقيق السلام في هذا البلد، أو على طريقة العصابات المبنية على مبدأ "المنتصر يأخذ الكل". استمرارية هذه العقلية لعقدين من الزمن هي المسئولة عن المآسي في هذا البلد السيئ الحظ.

الخميس ٢٥ يناير:

عاد رئيس البرلمان والوفد المرافق له بعد زيارة لكل من: بلجيكا، السويد، إيطاليا وهولندا. ذهبت بعد المغرب إلى فندق إمبريال حيث نزل فيه الوفد.

اجتمع شريف حسن في نفس هذا اليوم برئيس جمهورية جيبوتي فخامة الرئيس إسماعيل عمر جيللي، وذلك قبل سفره بساعات إلى أديس أبابا للاشتراك في القمة الإفريقية التي تعقد هناك غدًا. أراد رئيس البرلمان أن يطلع رئيس جمهورية جيبوتي على نتائج محادثاته في أوروبا، للتوصل لحل غير عسكري للأزمة.

الأحوال العامة في مقديشو متوترة جدًا. عصابات مجهولة الهوية تختطف الناس من بيوتهم في ساعات من الليل، حيث إن أغلبية المخطوفين يلقون حتفهم وترمى جثثهم في الطرقات. تقول مصادر مطلعة: إن ضحية هذه التصفيات أناس متهمون بالإرهاب، من قبل القوات المحتلة، أو بالتعاون مع المقاومة.

يتابع النواب الصوماليون الموجودون هنا بجيبوتي تطورات الأزمة في البلد بكل اهتمام ودقة فائقة. جاء من مقديشو النائب عبد الله حاج علي لينضم إلى النواب المنشقين والرافضين للاحتلال الإثيوبي والعمل تحت هيمنته.

الجمعة ٢٦ يناير:

عقدت المجموعة جلسة بفندق سييستا Siesta حيث تقيم أغلبية النواب، للاستماع إلى تقارير الوفد برئاسة شريف حسن حول الزيارة التي قام بها في الأسابيع المنصرمة. كان عرض رئيس الوفد مقتضبًا، إذ اكتفى بشرح للخطوط العريضة للقاءات. ولكن تكلم بعده عضوا الوفد السيد عبد الرحمن حاج أدن "إبي" والسيدة / عائشة حاج علمي. أضافا إلى التقرير عددًا من الوقائع المهمة، ولقاء الوفد بالسيدة/ باتريسيا سنتينللي نائبة وزير خارجية

إيطاليا، والسيدة/ لويسا مورجنتيني، نائبة رئيس الاتحاد الأوروبي، والسيد لويس ميتشيل مسئول محفظة التعاون والتطوير في اللجنة الأوروبية.

ذكر أعضاء الوفد أن السيد ميتشيل، الذي زار مقديشو قبل الاحتلال بأيام قليلة كما ذكرنا من قبل، وتباحث مع قيادات المحاكم، كان مؤيدًا بصورة قوية لحل الأزمة بالطرق السلمية، وأنه أيضًا تطرق إلى حالة الطوارئ التي تعطي للرئيس ع/ي سلطات فوق ما تحتمله الأوضاع.

بعد هذا الفاصل تم الاتفاق على إعداد وثيقة توضح موقف المجموعة النيابية من الأوضاع المستجدة في البلاد، والاتصال بالنواب الموجودين ببيدوه والمجتمع المدني الصومالي في كل مكان ممكن لتصعيد عمليات المقاومة داخليًا، والقيام بأنشطة سياسية – إعلامية، وربط الجاليات الموجودة في الغرب بعضها ببعض لخلق جبهة موحدة في وجه الاحتلال، تسلط الضوء على أعماله الإجرامية.

السبت ٢٧ يناير:

أعددت البارحة وثيقة تحتوي على رؤية المجموعة البرلمانية حول التطورات السياسية في الصومال في المرحلة الراهنة (position parer) وسلمتها لرئيس مكتب شريف حسن (انظر الملحق رقم ٤).

بعد عرض للأحوال السائدة في البلد والمعاناة التي أحدثها الاحتلال منذ زحفه على العاصمة أوضحنا في الوثيقة الحلول الفعالة لتخطي الأزمة، وهي:

١) انسحاب القوات الإثيوبية من كل الأراضي الصومالية بلا قيد أو شرط، لكون الاحتلال غير شرعي وخرقًا مباشرًا لقرار مجلس الأمن رقم 1٧٢٥ الصادر في ٦ ديسمبر ٢٠٠٦.

٢) ضرورة إيجاد تصالح وتوافق بين جميع مؤسسات الدولة، عن طريق:

أ) إلغاء قانون الطوارئ الذي ينسخ كل الضمانات الدستورية المعلنة في الميثاق الوطني.

ب) إيقاف وإلغاء جميع الإجراءات والقرارات التي فرضتها السلطة التنفيذية على البرلمان.

جـ) إلغاء الإجراءات البوليسية التي تحد من حرية الشخص، وكذلك استعادة حرية التعبير وحرية الصحافة تمشيًا مع المبادئ المنصوص عليها في الميثاق الوطني.

٣) عقد مؤتمر مصالحة عريض القاعدة تشترك فيه كل الأطراف المعنية، وخاصة الجهات المتنازعة (الحكومة واتحاد المحاكم الإسلامية) يحدد فيه ما يلي:

أ) أن مكان انعقاد المؤتمر سيكون خارج الصومال، وسيتم اختياره باتفاق الأطراف.

ب) يجب أن يحتوي جدول الأعمال، من بين الموضوعات المهمة الأخرى، على قواعد ومقترحات تعالج المشاركة في السلطة.

جـ) مع الوضع في الاعتبار أن مدة المؤسسات الفيدرالية الانتقالية ستنتهي في نصف العام ٢٠٠٩.

نرى من الضروري أن يتخذ المؤتمر قرارًا يتعلق بمستقبل البلد، لتفادي فراغ سياسي قد يخلق بلبلة، أو إطالة عمر المؤسسات الحاضرة عبر أساليب تفاقم من الأزمة.

تفيد الأنباء الواردة من مقديشو أن المقاومة هاجمت نقطتي بوليس في حي هول وداغ، ورديجلي Howlwadaag+Wardhiigley في وسط المدينة، وألحقت بهما أضرارًا جسيمة. ولم تذكر المصادر عدد القتلى والجرحى حتى هذه اللحظة.

وفي هذا الأثناء صرح ملس زيناوي بأنه في غضون الأربع والعشرين ساعة القادمة سيسحب ثلث قواته التي انقضت على العاصمة الصومالية، ولكن لم يبح السيد زيناوي عن قوام الثلثين المتبقيين، لكي يعلم الناس الرقم الكلي الذي زحف على المدينة. والثلث الذي يتكلم عنه زيناوي بمثابة حساب الهواء الذي يتشاطر فيه الصبيان في بلدنا لتحديده. ولا جدوى في بحث هذا الرقم؛ لأن الجيش المحتل الذي لم يلق مقاومة تذكر، لن ينسحب ولو عدد قليل منه. والدعاية حول الانسحاب يراد بها إقناع بعض الجهات الإفريقية التي انتقدت الاحتلال، بصوت خافت بين اللوم والمجاملة، بنوايا إثيوبيا الحسنة، وأن رئيس وزراء إثيوبيا يريد أن يلوّح بورقة" الثلث المنسحب" لرؤساء إفريقيا الذين تنعقد قمتهم غدًا بأديس أبابا. كلام لا رصيد له في الحقيقة.

في حين أن السيد ع/ي الموجود الآن بنفس عاصمة إثيوبيا يردد مواقفه المعلنة الرافضة لفكرة المصالحة مع الأطراف التي تقاوم نظامه؛ إذ صرح لجميع وسائل الإعلام العالمية: "بأن المحاكم قد هُزمت وسُحقت، وأن زعماء الحرب جردناهم من أسلحتهم ولا يوجد أمامنا جهة أو تنظيم يمكن أن نحاوره". ويبدو واضحًا أن السيد عبد الله ليس سياسيًا ثاقب النظر، وإن أقر بعض الناس الذين عرفوه بأنه ضابط ذو كفاءة مهنية عالية، ومن كتلة واحدة. وربما تنطبق عليه المقولة: "إن العسكري الجيد لن يكون سياسيًا جيدًا والعكس صحيح".

الأحد ٢٨ يناير:

وصلت مشيًا لفندق إمبريال حيث يقيم رئيس البرلمان ومساعديه؛ لأن النزل قريب إلى سيبستا. ولما وصلت الى المكان لفت نظري أن الوثيقة التي أعددتها البارحة قد زيد عليها بعض القضايا والجمل بلغة إنجليزية ركيكة، اضطررت إلى تصحيحها اللغوي، ومحاولة تنسيقها مع النص الأول زهاء ساعة. في بيدوه تجري الاستعدادات لانتخاب رئيس جديد للبرلمان بدلاً من شريف حسن، ولكن الانتخاب الذي كان مزمعًا عقده يوم ٢٩ يناير، أي غدًا، تم تأخيره إلى ٣١ يناير، يقال: إنه بإيعاز من الرئيس ع/ي.

والسبب هو أن الرئيس يريد أن يطمئن على أن مرشحه للمنصب شيخ أدن محمد نور "مدوبي" سيفوز بأغلبية ساحقة. وبالتالي يزيد وضوحًا كل يوم أن برلمان بيدوه أصبح أداة طيعة في أيدي الرئيس وعُرابه المحتلين. "الشيخ" مرشح الرئيس سبق أن ترشح للمنصب ذاته سنة ٢٠٠٤، منافسًا لشريف حسن كما ذكرنا، ولكنه خسر في تلك المنافسة. كان الشيخ من قيادات جيش مقاومة رحنوين، ومن الشخصيات القريبة إلى نظام أديس أبابا، موقف يجعله حليفًا طبيعيًا للرئيس ع/ي.

يحاول الرئيس عبد الله أن يكون البرلمان أداة طيعة تحت سيطرته، ينفذ أوامره، ويقتدي بتوجيهاته غير مبال بنص الميثاق الوطني، الذي يوضح الاختصاصات الدستورية لمؤسسات الدولة. وفي ذلك الإطار فإن رئيس الدولة ليس عضوًا تنفيذيًا، بل رئيس برلماني ورمز لوحدة البلد وسيادته. وهو منسق للمؤسسات الدستورية، تحتكم إليه عند نشوب خلافات أو صعوبات بينها، مما قد يعيق تصريف المسئوليات المنوطة بكل قطاع.

ولكن بداية من برلمان "عرتا"(الذي تكوَّن نتيجة اتفاق مدينة عرتا- جيبوتي، في أغسطس ٢٠٠٠) بدأ الكل نوابًا وأجانب يعتبرون الرئيس تنفيذيًّا، يتقلد هذه السلطة خرقًا للميثاق الوطني الذي تشتمل عليه إرادة الفعاليات الوطنية من عشائر وزعماء حرب، وقطاعات المجتمع المدني.

والغريب أن المجتمع الصومالي الراهن، الذي غلبت عليه الفوضى، والنعرة العشائرية، واختارت نخبته الهجرة إلى البلدان الغربية، لا يعطي أي وزن لشكل الحكومة طالما كانت قادرة على إعادة السلام، وإيقاف الاقتتال المتواصل لعقدين من الزمن. فهذا المجتمع الذي أصابه الفقر المدقع والفاقة والعمى السياسي، يرى الحديث عن الديمقراطية وحكم الفرد وشرور الاستبداد ترفًا. هنا لا مبرر لوجود الطموح إلى نظام دولة حديثة تنهض بقيمة الإنسان إلى مستوى أحسن.

وليس من النادر أن تسمع في نهاية الاجتماعات الشعبية من يدعو الله: "أن يعم الشعب الصومالي برحمته ويمنّ عليه برئيس ملهم يقوده إلى الخير والسلام". بالرغم من صعوبة الجو المذكور إلا أن رئيس البرلمان وعددًا من النواب لا يقل عن المائة يحاولون تقليل إملاءات الرئيس التعسفية على البرلمان، وهم يرون في نفس الوقت ضرورة إيجاد نهج توافقي يمكّن الطرفين من التعاون، تحقيقًا للمصلحة الوطنية العليا.

لذلك لا أرى أي طريقة مشروعة يمكن من خلالها أن نخدم هذا البلد إذا أصبح البرلمان الجهاز الذي يبرر الاحتلال لينال من سيادة الوطن، والاعتداء على الشعب، والإفراط في حقوقه في السلام والعيش اللائق به. هذه المؤسسة لا تستحق أن تكون برلمانًا.

الإثنين ٢٩ يناير:

أحدثت مقابلة صحفية أجرتها الـ بي.بي.سي/ق.ص مع الزميل عمر حاشي أدن ردود فعل إيجابية من جميع أقطار العالم، إذ انهمرت التأييدات والتهنئات علينا من كل صوب وحدب. عبَّر الأخ عمر بلهجة قوية عن معارضتنا للاحتلال ودعوتنا الشعب الصومالي ليوحد صفوفه في وجه المعتدي. كانت رسالة قوية سلطت قبسًا من النور على آمال الشعب، وحفزت

إرادته على المقاومة، وهو يمر بفترة من أحلك فترات تاريخه على الإطلاق.

هاجمت المقاومة في وضح النهار دورية للاحتلال في منطقة "هوري وا" وأسفر هذا الهجوم عن مقتل وجرح عدد من جنود الاحتلال. إثر هذا الحادث وصلت إلى المنطقة تعزيزات من قوات البوليس لتتعقب المقاومة، ولكنها لقيت هزيمة نكراء. في ليلة الأحد ٢٨ الجاري هاجمت المقاومة مركز بوليس بحي "ياق شيدلي Yaaq Shiidle" وألحقت به أضرارًا واسعة، واستولت على أسلحة ومعدات مختلفة.

سافر اليوم إلى أديس أبابا كل من السيد ع/ي والسيد ع/م/ غيدي للاشتراك في قمة الاتحاد الإفريقي، حسب السبب المعلن لسفرهما.

من الناحية الأخرى، فإن واشنطن تتحدث، بعد نجاح الخطة العسكرية، عن أطروحات سياسية لاحتواء الموقف، قائلة: "إن أمريكا لا تتقيد برؤية خاصة حول التعامل مع المعتدلين (في هذا الخصوص معتدلو المحاكم) ". تقول: يجب إعطاء فرصة "للمعتدلين" للاشتراك في السلطة من خلال مصالحة عريضة القاعدة. هنا يمكن طرح هذا السؤال: من هم هؤلاء المعتدلون الذين تتحدث عنهم الحكومة الأمريكية؟ الذين تعرّفهم بهذه الصفة، ويبدو أنها واثقة من إمكانية انخراطهم في "حكومة عريضة القاعدة". حسب معلوماتنا المحدودة، فإن القياديين في اتحاد المحاكم الإسلامية الذين كانوا يُتهمون بصلتهم بالأمريكان كانوا يظهرون أكثر الناس تشددًا في المفاوضات مع الحكومة. هل هؤلاء القياديون كانوا كالإله الأسطوري "جانوس" ذي الوجهين: واحد أمامي والآخر خلفي؟ يتحدث الأول مع زملائهم الإسلاميين، والآخر مع الأمريكان؟ لا ندري ولكن الزمن سيحل هذا اللغز، ولا بد أن نكررها مرة أخرى إن المغالين الذين جمدوا مفاوضات الخرطوم ثم أفشلوها كانوا يرمون إلى تحقيق نفس أهداف الحكوميين، وهي تعطيل المفاوضات وتخريبها نهائيًا. والسبب واضح؛ لأن الجهات التي خططت للاحتلال المباشر كانت تعرقل أي تفاهم وتقارب بين الأطراف الصومالية المتنازعة.

وهي التي كانت تضغط على الصفين، لضمان التنفيذ الكامل للغزو العسكري والاحتلال، وفرض هيمنته بالحديد والنار كما حدث.

الثلاثاء ٣٠ يناير:

قصف الطيران الحربي الأمريكي أمس مناطق من" البحر الأسود" في جنوب كسمايو، وهي أدغال كثيفة على محاذاة البحر، ولا نعلم إلى الآن حجم الخسائر التي نتجت عن هذا الهجوم الجوي.

جاء من مقديشو النائبان يوسف إبراهيم حسن، وجمال حسن محمد لينضمّا إلى مجموعتنا. الأول كان سفيرًا سابقًا. أفادنا السيدان تفاصيل كثيرة ودقيقة عن الأحوال في العاصمة.

حكماء إفريقيا ما زالوا يواصلون مشاوراتهم بأديس أبابا حول قضايا القارة الساخنة، في حين أن الإعلام العالمي يعطي حيزًا واسعًا للأزمة في الصومال، وبصورة خاصة إمكانية انتشار قوات إفريقية في البلد لتفادي حدوث فراغ بعد انسحاب القوات الإثيوبية.

ولكن هذا الكلام عن انسحاب القوات المحتلة مبني على سفسطة بعيدة عن الحقيقة؛ لأن الجيش الإثيوبي لم يغز الصومال ليقوم باستعراضات ترفيهية، بل لبسط سيطرته على البلد، والبقاء فيه لأطول مدة ممكنة. "الفراغ" الذي سيحدث بعد الانسحاب الإثيوبي أكذوبة أخرى لا يصدقها عاقل؛ لأن القوات الغازية قد خلقت جوًا من التوتر والمواجهات الدامية، وعلقت الأمن والأمان إلى عنان السماء. فإذا فرضنا أنها ستنسحب إلى ما وراء حدودها، فإنها لن تترك "فراغًا أمنيًا"، لم يتحقق على أرض الواقع ، بل فاقمت الأوضاع الأمنية، بلد زلزلته الكوارث وسوء الأحوال الإنسانية. وبالتالي يجب تصويب هذه العبارة بحيث يكون معنى الفراغ استمرارية الاقتتال، وخلق مزيد من معاناة الشعب، وتصعيد الأحوال المأساوية الراهنة.

لذا نرى أنه من الملح البحث عن أساليب أخرى لإعادة السلام إلى الصومال مغايرة للتدخل العسكري، واللجوء إلى العنف والإرهاب لفرض سلام زائف سوف تذروه الرياح.

لا يمكن حل الأزمة إلا بالطرق السلمية بين أطراف قادرة على وضع مصلحة الصومال فوق كل الاعتبارات الشخصية، العشائرية والطائفية.

أما القوات الإفريقية التي نسمع مرارًا بأنها ستحفظ الأمن فلن تتمكن من ذلك في مكان جعله الاحتلال غير آمن، وأصبحت الحروب الأهلية والفوضى ملامح الحياة اليومية فيه.

ليس في الصومال "سلام" يحفظ إلا أن تكون مهام هذه القوات حراسة المؤسسات المؤقتة، والمرافق الحيوية في العاصمة. وهنا أيضًا ينبغي أن نسمي الأشياء بمسمياتها الحقيقية، وإذا أُرسلت القوات الإفريقية إلى الصومال سوف تكون قوات لحراسة المؤسسات الحكومية؛ لأن حفظ السلام مهمة واسعة تخص الأمن الشامل للبلد، وليس لعدد قليلة من المرافق في العاصمة وحدها.

الأربعاء ٣١ يناير:

ظهر على شاشات التلفاز السيد ع/ي، وهو في أديس أبابا، بشوش الوجه مستبشرًا بنجاحه، يُوزّع تحياته ذات اليمين وذات الشمال. تقرر في أديس أبابا، نتيجة لتفاهم بين الأمريكان والأوروبيين والأفارقة، أن تعطى للرئيس صلاحية واسعة، على أن ينظم مؤتمر مصالحة بين الصوماليين تحت إدارة الحكومة المؤقتة. وبعد هذا النجاح الباهر بأديس أبابا يعود الرئيس إلى بيدوه اليوم في ساعة مبكرة، ربما ليكون حاضرًا في المدينة ليتابع انتخاب محسوبه شيخ أدن في رئاسة البرلمان. كان ينافس شيخ أدن النائبان سالم عليو أبروا (وهو أستاذ جامعي) وإبراهيم أدن حسن (كيش بر). ولكن النائب الأستاذ انسحب قبل التصويت، وبقي في السباق كيش بر فقط ليعطي للعملية صيغة تنافسية، ربما بالتفاهم مع مؤيدي الشيخ. أجري التصويت وحصل الشيخ في الدورة الأولى على ١٥٣ صوتًا، أما كيش بر فحصل على ٥٤ صوتًا، بينما ألغيت ٦ أصوات. وكان عدد النواب الحاضرين ٢١٣ نائبًا. وهكذا أصبح شيخ أدن محمد نور رئيس البرلمان الجديد.

المندوب السامي الإثيوبي، "غبري" ،وهو في بيدوه، يأمر مساعدي شريف حسن أن ينقلوا عرباته إلى مبنى البرلمان ليتسلمه الرئيس الجديد (كانت الحكومة اليمنية قد أهدت عددًا من العربات الفاخرة لشخص رئيس البرلمان، ضمن تبعات اتفاقية عدن في شهر يناير ٢٠٠٦(انظر الملحق **5**).

بثت الـ بي.بي.سي / ق.ص تصريحًا نسبته إلى السيد لويس ميتشيل، المسئول عن الشئون الإنسانية في الاتحاد الأوروبي، يقول فيه: "إنه مسرور جدًا من لقائه مع الرئيس ع/ي الذي أكد له أنه سيعقد مؤتمرًا للمصالحة بين الأطراف الصومالية المختلفة". وقد سبق أن تعهد السيد ميتشيل، الذي التقته مجموعتنا يوم ٣٠ من الشهر الجاري، بأنه سوف يعلن رفضه

لقانون الطوارئ وإذكاء الخلافات في البرلمان. ولكنه اليوم يعلن عكس مواقفه السابقة التي أعلنها لوسائل الإعلام قبل وصوله إلى أديس أبابا. وبالتالي لا بد أن يكون الناس حذرين من وعود السياسيين ومسئولي الهيئات العالمية الكبرى، وعود تتكيف مع المستجدات، ولا يمكن الاعتماد عليها في أكثر الأحيان.

شهر فبراير ٢٠٠٧م

الخميس ١ فبراير:

تفيد الأخبار الواردة من مقديشو بأن المقاومة هاجمت الليلة الماضية خمسة أهداف في الأحياء الشمالية للمدينة، ولم تعلن الجهات المتقاتلة عن الخسائر الناتجة عن هذه الاشتباكات. وفي هذا الصباح سقطت قذيفة هاون على بيت من كرتون كانت تسكنه عائلة نازحة، وقتلت سبعة أشخاص من سكان المأوى العشوائي. يعتقد الأهالي أن الإثيوبيين كانوا يمطرون الأحياء الشمالية بوابل من قذائفهم المدفعية طوال الليل وفي فترة الصباح، وأنهم هم المسئولون عن هذه الكوارث المتكررة.

تؤكد بعض المصادر، التي يمكن الاعتماد عليها أن السلاح الجوي الأمريكي ما زال يقصف أهدافًا في جنوب كسمايو، بما في ذلك أدغال البحر الأسود، في ظل تكتم شديد. تعتبر هذه العمليات بمثابة قرصنة واضحة، وخرق للأعراف الدولية، والتستر على هذا الغزو الجوي المستمر، لعدة أسابيع على بلد لم تعلن الولايات المتحدة عن حرب ضده، يهدف إلى إخفاء الحقيقة عن الشعب الأمريكي خشية محاسبته الإدارة على الحروب العشوائية وغير المعلنة.

ومن الناحية الأخرى بدأت بعض الدول الإفريقية، التي أعلنت أنها ستشارك بقوات لتعزيز الأمن في الصومال، تتلكأ وتتحجج بعدد من الأسباب، وترى أنها مرغمة على مراجعة الوضع في الصومال، قبل تنفيذ وعودها. ومن هذه الدول جنوب إفريقيا التي أعلنت صراحة بأنها ليست مستعدة في الوقت الراهن، للاشتراك في القوات الإفريقية. كما أعلنت المحاكم أنها ستحارب القوات الإفريقية متعددة الجنسيات أسوة بالقوات الإثيوبية.

الجمعة ٢ فبراير:

كنت على موعد مع الأخ محمد طاهر أفرح في كافتيريا فندق منيلك، وسط مدينة جيبوتي، وبعد دردشة طويلة حول الدراسات الصومالية، مجال اهتمامنا نحن الاثنين، قررنا الذهاب إلى مطعم للمأكولات الشعبية في الأحياء الغربية. الأطباق المتميزة هي سمك الدور المشوي وفتة تمر، وصلصة حلبة. المطعم مملوء بالزبائن والكل يصيح بأعلى صوته ويدعو الجرسون لإحضار وجبته فورًا. تتخيل أن الجرسون سيغضب أو يرتبك من

الضجيج والأوامر المتضاربة من زبائنه المستعجلين، ولكنه لا يأبه إلى الضجيج والصياح كأنه لا يسمعه، ويثابر في توزيع الأطباق بوتيرة هادئة ثابتة، بحرفية تستوجب التنويه.

ولما عدت إلى فندق سييستا اشتركت في حديث كان يتجاذبه عدد من النواب، حول عدم تمكن شريف حسن من أن يلتقي بالسيد الرئيس، إسماعيل عمر جيللي، كما كان منتظرًا. ولكن لا غرابة في الأمر؛ إذ عُيِّن للبرلمان رئيس جديد منذ ثلاثة أيام، ويتابع الرئيس إسماعيل هذا الحدث عن كثب. ولا يمكن له أن يلتقي السيد شريف في وقت قد تغير فيه منصبه الرسمي. وليس من مصلحتنا نحن الصوماليين إحراج رئيس هذا البلد الشقيق الذي بذل كل مجهود ممكن لمساعدة إخوته الصوماليين لتخطي الأزمة التي يعانون منها. بعد أن تنكر كثير من البلدان الشقيقة والصديقة للصومال، وأوصدوا أبواب مدنهم في وجوه المتضررين والمهجّرين الصوماليين، جاءت جيبوتي لنجدتهم وفتحت حدودها لهم بلا تأشيرات مسبقة، أو أدنى عائق بيروقراطي.

تفيد الأنباء الواردة من مقديشو بتفشي الاضطرابات وتصاعد المواجهات ضد جيش أديس أبابا المحتل، لا هوادة في الاشتباكات ليلاً ونهارًا.

نشر مجلس الأمن للأمم المتحدة تقييمه للأحوال في الصومال بعد شهرين من صدور قراره ١٧٢٥، وأعلن أنه مرتاح للتطورات الأخيرة في البلد، بما في ذلك استعداد الرئيس ع/ي لعقد مؤتمر مصالحة داخل البلد.

ولكن في أرض الواقع ليس هناك في الصومال ما يدعو إلى راحة البال، أو يبشِّر بالخير، فمعاناة سكان مقديشو خاصة شديدة جدًا. هذه هي الأمم المتحدة التي تنكرت لمبادئها الأساسية وقيمها الإنسانية المنصوص عليها في ميثاق سان فرنسيسكو المعروف. يقول مثل شعبي صومالي: "إذا أصبح النار بردًا والدواء داء فأين المناص؟".

السبت ٣ فبراير:

عقدنا جلسة في فندق إمبريال بجيبوتي، حيث يسكن عدد من مجموعة النواب، من بينهم شريف حسن، وكان جدول الأعمال يحتوي على موضوعين:

١) سبل الانتقال من جيبوتي إلى أسمرا عاصمة أرتريا.
٢) المستجدات في أحوال مقديشو.

كان عدد المشتركين في الجلسة عشرين نائبًا. وجهنا جل اهتمامنا إلى توحيد صف

النواب الأحرار، وإقناع المتشككين بأنه لا رجوع إلى الصومال في هذه الظروف، حيث لا توجد مساحة للمعارضة، ولا يمكن لنا مسايرة الاحتلال وهو يفرض عملياته العدوانية على الشعب. عدد قليل من النواب يترددون في السفر إلى أسمرا، منهم من أعلن صراحة أنه سيعود إلى الصومال مهما كانت الظروف. كما تم الاتفاق أيضًا على أن ننتظر النواب المعارضين الذين ما زالوا خارج جيبوتي، وأكدوا انضمامهم إلى المجموعة ومشاركتهم لمواقف المعارضين.

ولكن بعض الجهات في النظام المؤقت تضغط على عدد كبير من مجموعتنا على أمل ألاّ يسافروا إلى أسمرا، هدفنا الأخير. لن تنجح هذه الجهات إلا في استمالة ٣ أشخاص، بعد جهد كبير.

الإخوة الأرتريون وقفوا معنا في وجه الاعتداء على أرضنا، بلا تردد. وأصبحت أرتريا هي البلد الوحيد الذي أدان صراحة الاحتلال، ورفض الهيمنة الأجنبية على الصومال، فإذا ما حاول أي صومالي أن يعارض الاحتلال بالقول في الداخل والخارج فإنه لا يجد أي ملاذ ومناصر إلا أرتريا. ولهذا، إذا كانت معارضتنا صادقة نريد لها النجاح، كان لزامًا علينا أن نذهب إلى هذا البلد ونعمل من خلاله.

تحدثت بعض وسائل الإعلام أن السيد ع/ي يريد أن يعد له مجمعًا سكنيًا ومكاتب في القاعدة الجوية السابقة بللي دوجلي، عمومًا هذا خبر غير دقيق وغير منطقي.

وقعت مجزرة في كسمايو، حيث ألقيت قنبلة يد على احتفال كان المسئولون يقيمونه بوسط المدينة، راح ضحية هذا الاعتداء ٤ قتلى وجُرح أكثر من عشرين حسب ما أعلنته المصادر الرسمية، وكان أغلبية الضحايا من أفراد الجيش والبوليس. وقعت هذه الحادثة يوم الأحد.

في الفترة الصباحية ذهبت إلى وسط المدينة لشراء بعض المستلزمات، وكالعادة التقيت في الفرشات وهم تجار الأكشاك جماعة تتعاطف معنا نحن النواب، ويتضامنون مع شعبنا المظلوم، ويؤكدون لي أنهم ما زالوا يدعون الله أن يخرج الشعب الصومالي من المحنة ويوفقنا في تحرير هذا البلد، لا أشك أن هذه المشاعر تعم المواطن الصومالي المخلص في أي مكان وجد.

الأحد ٤ فبراير:

كان من المفروض أن نسافر هذا المساء إلى أسمرا ولكن حدثت عوائق حالت دون سفرنا المباشر إلى أرتريا. أياد خفية تحاول عرقلة رحلتنا وتثبيطنا لخلق البلبلة بين صفوفنا. تستخدم هذه الجهات الضاغطة بعض الصوماليين المقيمين بجيبوتي ليثنوا عزم النواب عن السفر إلى أرتريا. يقولون في بعض الأحيان صراحة: "يمكن لكم أن تعارضوا الاحتلال وأنتم تستعينون ببرلمانكم وزملائكم، وتطلبون الانسحاب الفوري للجيش الغازي وأنتم في بلدكم" أو يقولون: "إذا ابتعدتم عن الوطن فسوف يقل تأثيركم على مجريات الأمور في الداخل". وسفسطة من هذا القبيل لا نهاية لها. يسعون إلى إحباط خططنا ولكنهم لن ينجحوا في محاولاتهم المستميتة هذه. لن يعود إلى النظام العميل إلا من لا يرى جسامة الاعتداءات التي ألحقها النظام بشعبه، وإلغائه الميثاق، وتعطيل اختصاصات البرلمان عبر قانون الطوارئ.

وبالتالي ليس من الحكمة في شيء الرجوع إلى برلمان معطل والاحتلال يدير توجهاته وقراراته، إذا ما انتهت فترة الطوارئ.

تعاملنا بعض الأوساط كأننا منبوذون وغير مرغوب فيهم، وربما بعضهم يحاول أن يشمت بنا عبر عبارات نفاق معلنة بالتضامن معنا، ولكن الأصدقاء الحقيقيين والشعب الجيبوتي بأغلبيته يتضامن معنا، ويتعاطف مع شعبنا الذي يرزح تحت جيش محتل. يقولون لنا بصراحة عندما نمر بالأسواق والمحلات التجارية: إنهم يعرفون مدى قساوة المحتلين وفظاظة معاملاتهم للشعب. هؤلاء هم الإخوة في غرب الصومال الذين حاولوا استعادة حريتهم من أباطرة الحبشة قرابة قرن من الزمن.

زرت الشيخ جامع(*) عمر عيسى في بيته في مجمع "علي رباح". والشيخ مؤرخ

(*) في الستينيات من القرن الماضي حاول الدكتور عبد الصبور مرزوق ترجمة بعض أشعار السيد محمد عبد الله حسن، مستعينًا بابنه حاج عبد الرحمن السيد، وكان حافظًا لأشعار والده بصوره فائقة. ولكن الديوان المنشور لم يكن محظوظًا؛ لأن كتابة الشعر الصومالي بالأبجدية العربية، في وقت لم تستخرج فيه للصومالية أحرف رسمية كالمدونة الآن، ولم تدرس أيضًا من قبل الباحثين (العرب) طريقة خاصة لكتابة الصومالية بالأحرف العربية، جعلت قراءة الكتاب عسيرة.(لدينا الآن دراسة أجريتها في سنة ١٩٩٨، بالاشتراك مع باحثين صوماليين آخرين لكتابة اللغة الصومالية بالأحرف العربية). هذه الدراسة مبنية على خصائص الألفبائية الصوتية الصومالية، وعلى غرار الأبجدية الرسمية للغة الصومالية المدونة من ١٩٧٢م. كنت رئيسًا للجنة اللغة التي أرست هذه القواعد وانتهت منها سنة ١٩٧١، قبل ترسيمها بسنة.

صومالي معروف، وله عدد من الكتب والبحوث الخاصة بالصومال، من بينها ديوان أشعار السيد محمد عبد الله حسن، المهدي الصومالي، الذي حارب الإنجليز لإحدى وعشرين سنة عبر حركته المعروفة بـ "الدراويش". ديوان السيد غالبيته باللغة الصومالية. كما نظم أيضًا بالعربية، ولكنها محدودة. وللشيخ جامع أيضًا مجلدان نشرهما حديثًا، يشتملان على مجموعة من نظيم الشعراء الصوماليين، وكلها باللغة الصومالية. نرجو أن نتمكن من ترجمة ديوان السيد من الصومالية إلى العربية عندما تكون الظروف أحسن وأسهل من الآن. لو نجحنا في ترجمة هذا الديوان الثري إلى العربية لخدمنا التراث العربي الإسلامي أجل خدمة.

أما عن الاجتماع بالشيخ جامع فقد ذهبت إلى لقائه وأنا معجب دائمًا بإبداعه وإصراره على البحث والكتابة، بالرغم من سنه المتقدم، فهو رجل بسيط متوقد الذهن، شديد الذكاء، حاضر البديهة لا يمل المرء الحديث معه أبدًا.

الإثنين ٥ فبراير:

ما زالت أمور السفر معقدة والمجموعة البرلمانية في ذهول وبلبلة أفكار. بالرغم من بعض المحاولات للانتقال إلى أسمرا مباشرة، إلا أن وضع الانتظار والتريث لم يتغير منذ أسبوع. ولن نسافر اليوم أيضًا على ما كنا نخطط له البارحة. رسمنا خطًا جديدًا لسفرنا: جيبوتي- دبي -الخرطوم ــ أسمرا، ولكن حدث أيضًا نوع من الارتباك في خطة هذا السفر الملتوي، والشبيه لـ" ودن جحا"، وخاصة الصعوبات التي تترتب في مطارات دبي والخرطوم؛ لأن الرحلات غير متواصلة. ربما الرحلة الموفقة تتزامن مع يوم السبت عن طريق الإمارات ولكن ضياع أسبوع كامل من وقتنا بمثابة فوز واضح" للمعرقلين" من عدة أوجه، منها: إمكانية تفكيك المجموعة، وخلق مراجعة المواقف في أوساطنا، خاصة من كان له سابقًا تحفظات في جدوى السفر إلى أرتريا.

ومن ناحية أخرى انضمت إلينا بعض الشخصيات التي أُرسلت من مقديشو في غضون اليومين الماضيين، منهم ع/ح/ع وهذه الشخصيات تقوم بنشاطات محمومة ومكثفة لزعزعة برامج سفرنا والتزاماتنا، واستدراج من تراه متشككًا. يبدو أن هؤلاء المرجفين مدفوعون من جهات خارجية، لها المصلحة الكاملة في إعاقة المقاومة وإكمام أفواه

الأبجدية الصومالية بلغة القرآن، كما كان يسميها باحث آخر في هذا المجال، تحتاج إلى تطبيقات ميدانية ومجال لنشرها، وهو ما ننتظر تحقيقه فيما يستقبل من الزمن بمشيئة الله تعالى.

المعارضة بعد أن اكتشفوا أن المجموعة البرلمانية الرافضة للاحتلال مرتبطة بالكفاح الداخلي، وأن رسالتها عبر الإعلام العالمي والمحلي قادرة على تأجيج الرأي العام، وحفز الهمم لمواجهة الاحتلال. يحاول هؤلاء المدسوسون في صفوفنا استمالة بعض الأنفس الضعيفة، والانتهازيين القابلين للميل حيث تميل الرياح النفعية. يهمسون في آذان المتشككين أن من مصلحتهم الانفصال عن المتجهين إلى أسمرا والرجوع إلى الصومال، حيث تنتظرهم مناصب وزارية مؤكدة في التشكيلة الوزارية المزمع تكوينها في شهر فبراير الجاري.

أحد هؤلاء المتشككين، من الذين وقعوا في شرك المفسدين، اختار حلاً وسطًا لئلا يخسر في كلا الجهتين. اختار ألاّ يعود إلى مقديشو وسافر إلى دبي؛ لأن دخول الإمارات سهل بالنسبة له، إذ ستمنح له التأشيرة في المطار لكونه يحمل جواز سفر دولة أجنبية متنفذة، وينتظر هناك التعيين الوزاري المرتقب، ولكن خاب أمله والتحق بالمجموعة بعد شهرين، وقد استقرت في مهامها الإعلامية والسياسية. أنا أستغرب دائمًا من الذين يلهثون وراء المناصب الوزارية ويستميتون في الحصول عليها في هذا الزمن الرديء في بلدنا.

في نظري هذه اللحظة التي نمر بها وكل شيء مهدم ومهدور، بما في ذلك مؤسسة الدولة، والحروب الأهلية مستمرة، وأقاليم عديدة ليست تحت سيطرة الدولة، بل تسعى للانفصال عنها، لا يوجد هناك ما يحث شخصًا عاقلاً على أن يطمع في منصب وزاري، في وزارة اسمية تفتقر إلى أدنى مقومات الحكومة؛ إذ ليس لهذه المؤسسة دخل أو مال لتصريف مهامها، وليس للوزير موظفون، وفي أكثر الأحيان ليس له مقر أو مكتب أو ما دون ذلك، وهو دائمًا تحت تهديدات مستمرة من المتمردين المسلحين، وأحيانًا يزهقون روحه هدرًا.

أنا مقتنع بأن المهرولين إلى مناصب وزارية أو حكومية يمكن على الأصح حصرهم في ثلاثة أصناف:

١- الانتهازيون الذين يسعون لاستخدام المنصب في العلاقات الخارجية للحصول على إمكانيات نفعية يستفيدون بها.

٢- البسطاء الذين يبهرهم المنصب، ويرونه استحقاقًا اجتماعيًا يرفع من اعتباراتهم الشخصية والعشائرية. عادة، هذا الصنف ليس لديه مفاهيم دقيقة عن وزن "الحكومات والوزارات". يظن أن الوزارات الراهنة لا تختلف عن سابقتها في الماضي، وهم

المغبونون الحقيقيون.

٣- الأخير هو ممثل العشيرة، هذا النوع من الطامعين هم الشخصيات البارزة المحبة لنعشيرة، لا بد له أن يحفظ "كرسي" العشيرة في أي وقت وفي أي مكان، وفي السراء والضراء. ليست له أجندة وطنية أو فكرة إصلاحية معينة في الشئون العامة يدافع عنها، ربما يتلقى من العشيرة كل مستلزماته من عربات" تكنكا" مزودة بحراس كثيرين مدججين بالسلاح على صيغة "الكابون" Al Capone ، ومسكن مشرّف، على ألاّ ينقصه اللمعان والفهلوة، وليمثل العشيرة أحسن تمثيل ممكن.

ذكرنا هذا الخروج عن مقياس ومفاهيم الدولة في الصومال الحاضر أكثر من مرة، في هذا الكتاب، والظاهرة تمثل بعض المعوقات التي تحول دون إنهاء الأزمة الراهنة وإعادة السلام في ربوع هذا البلد.

ولكن للأسف هناك من يعتقد أن حاضرنا المأساوي حالة اعتيادية من أغلبية المواطنين، خاصة في وسط البلد وجنوبه. هذه الفئات النازحة من البوادي والأرياف، وبالذات حديثو السن، يغيب عن خبرتهم بلد هادئ مستتب الأمن؛ لأنهم ترعرعوا أو وُلدوا في وطن تلتهمه ألسنة نار الحروب الأهلية وتعم الفوضى في أغلبية أقاليمه [في هذا الوقت إذا سمع الأولاد أن فلان مات أو فلانة لا يسألونك كيف مات/ أو ماتت بل يستخبرون: من قتل؟).

هذه المناصب الوزارية الراهنة عار على البلد لمن يحكم على الأشياء بنزاهة. أعتقد، قبل الجري وراء مناصب حكومية اسمية لا جدوى من الحصول عليها، بأنه من الملح أن نبني أولاً صرح الدولة المهدم بكل ما أوتينا من جهد وتضحية وإخلاص، وهو ارتقاء شاق إلى الأعلى، لا يُرجى من ورائه منفعة شخصية، وعبر نشاط سياسي تصالحي واقعي. بل أكاد أقول: إن الجيل الحاضر يجب عليه حمل كل أعباء التضحية لتعيش الأجيال القادمة في دولة عادية مبنية على الحق والعدالة والسلام.

عندئذ تكون مناصب الدولة ذات جدوى، والمستخدمون سوف يعيشون بكرامة. ولا يوجد هناك طرق مختصرة ولا فائدة في ضياع وقت في هذه المختصرات أو الـ"مؤقتات".

المعارضة بعد أن اكتشفوا أن المجموعة البرلمانية الرافضة للاحتلال مرتبطة بالكفاح الداخلي، وأن رسالتها عبر الإعلام العالمي والمحلي قادرة على تأجيج الرأي العام، وحفز الهمم لمواجهة الاحتلال. يحاول هؤلاء المدسوسون في صفوفنا استمالة بعض الأنفس الضعيفة، والانتهازيين القابلين للميل حيث تميل الرياح النفعية. يهمسون في آذان المتشككين أن من مصلحتهم الانفصال عن المتجهين إلى أسمرا والرجوع إلى الصومال، حيث تنتظرهم مناصب وزارية مؤكدة في التشكيلة الوزارية المزمع تكوينها في شهر فبراير الجاري.

أحد هؤلاء المتشككين، من الذين وقعوا في شرك المفسدين، اختار حلاً وسطًا لئلا يخسر في كلا الجهتين. اختار ألاّ يعود إلى مقديشو وسافر إلى دبي؛ لأن دخول الإمارات سهل بالنسبة له، إذ ستمنح له التأشيرة في المطار لكونه يحمل جواز سفر دولة أجنبية متنفذة، وينتظر هناك التعيين الوزاري المرتقب، ولكن خاب أمله والتحق بالمجموعة بعد شهرين، وقد استقرت في مهامها الإعلامية والسياسية. أنا أستغرب دائمًا من الذين يلهثون وراء المناصب الوزارية ويستميتون في الحصول عليها في هذا الزمن الرديء في بلدنا.

في نظري هذه اللحظة التي نمر بها وكل شيء مهدم ومهدور، بما في ذلك مؤسسة الدولة، والحروب الأهلية مستمرة، وأقاليم عديدة ليست تحت سيطرة الدولة، بل تسعى للانفصال عنها، لا يوجد هناك ما يحث شخصًا عاقلاً على أن يطمع في منصب وزاري، في وزارة اسمية تفتقر إلى أدنى مقومات الحكومة؛ إذ ليس لهذه المؤسسة دخل أو مال لتصريف مهامها، وليس للوزير موظفون، وفي أكثر الأحيان ليس له مقر أو مكتب أو ما دون ذلك، وهو دائمًا تحت تهديدات مستمرة من المتمردين المسلحين، وأحيانًا يزهقون روحه هدرًا.

أنا مقتنع بأن المهرولين إلى مناصب وزارية أو حكومية يمكن على الأصح حصرهم في ثلاثة أصناف:

١- الانتهازيون الذين يسعون لاستخدام المنصب في العلاقات الخارجية للحصول على إمكانيات نفعية يستفيدون بها.

٢- البسطاء الذين يبهرهم المنصب، ويرونه استحقاقًا اجتماعيًّا يرفع من اعتباراتهم الشخصية والعشائرية. عادة، هذا الصنف ليس لديه مفاهيم دقيقة عن وزن "الحكومات والوزارات". يظن أن الوزارات الراهنة لا تختلف عن سابقتها في الماضي، وهم

المغبونون الحقيقيون.

٣- الأخير هو ممثل العشيرة، هذا النوع من الطامعين هم الشخصيات البارزة المحببة لنعشيرة، لا بد له أن يحفظ "كرسي" العشيرة في أي وقت وفي أي مكان، وفي السراء والضراء. ليست له أجندة وطنية أو فكرة إصلاحية معينة في الشئون العامة يدافع عنها، ربما يتلقى من العشيرة كل مستلزماته من عربات" تكنكا" مزودة بحراس كثيرين مدججين بالسلاح على صيغة "الكابون" Al Capone ، ومسكن مشرّف، على ألاّ ينقصه اللمعان والفهلوة، وليمثل العشيرة أحسن تمثيل ممكن.

ذكرنا هذا الخروج عن مقياس ومفاهيم الدولة في الصومال الحاضر أكثر من مرة، في هذا الكتاب، والظاهرة تمثل بعض المعوقات التي تحول دون إنهاء الأزمة الراهنة وإعادة السلام في ربوع هذا البلد.

ولكن للأسف هناك من يعتقد أن حاضرنا المأساوي حالة اعتيادية من أغلبية المواطنين، خاصة في وسط البلد وجنوبه. هذه الفئات النازحة من البوادي والأرياف، وبالذات حديثو السن، يغيب عن خبرتهم بلد هادئ مستتب الأمن؛ لأنهم ترعرعوا أو وُلدوا في وطن تلتهمه ألسنة نار الحروب الأهلية وتعم الفوضى في أغلبية أقاليمه [في هذا الوقت إذا سمع الأولاد أن فلان مات أو فلانة لا يسألونك كيف مات/ أو ماتت بل يستخبرون: من قتل؟).

هذه المناصب الوزارية الراهنة عار على البلد لمن يحكم على الأشياء بنزاهة. أعتقد، قبل الجري وراء مناصب حكومية اسمية لا جدوى من الحصول عليها، بأنه من الملح أن نبني أولاً صرح الدولة المهدم بكل ما أوتينا من جهد وتضحية وإخلاص، وهو ارتقاء شاق إلى الأعلى، لا يُرجى من ورائه منفعة شخصية، وعبر نشاط سياسي تصالحي واقعي. بل أكاد أقول: إن الجيل الحاضر يجب عليه حمل كل أعباء التضحية لتعيش الأجيال القادمة في دولة عادية مبنية على الحق والعدالة والسلام.

عندئذ تكون مناصب الدولة ذات جدوى، والمستخدمون سوف يعيشون بكرامة. ولا يوجد هناك طرق مختصرة ولا فائدة في ضياع وقت في هذه المختصرات أو الـ"مؤقتات".

الثلاثاء ٦ فبراير:

يوم آخر ننتظر فيه التأشيرات من سفارة السودان، بعد أن قررنا المرور بهذا البلد الشقيق، ثم مواصلة السفر إلى أرتريا. الأشخاص المدسوسون في مجموعتنا يعملون بنشاط ليلاً ونهارًا ويهمسون في آذان المتشككين، وأحيانًا يصرّحون بنصائحهم إذا ما وجدوا نفرًا قليلاً.

النائبة الوحيدة الموجودة معنا هنا في جيبوتي تقول لي بصراحة: ما جدوى الذهاب إلى أسمرا؟ كان على السيدة أن تعلم أننا لسنا في رحلة سياحية، بل للدفاع عن قضية تخص مصير البلد كله.

عُقد مؤتمر للجاليات الصومالية في ستوكهولم بالسويد، وموضوع مداولاته: "الاحتلال الأجنبي"، ولم تصلنا قراراته بعد. يقال: إن هذا المؤتمر تحضيري لآخر أوسع منه يزمع انعقاده بلندن. سمحت مجموعتنا للنائب محمد عبدي يوسف بالاشتراك فيه ولكن سمعنا في ساعة لاحقة من اليوم بتأجيله إلى الشهر القادم، بإيعاز من رئيس البرلمان لأسباب لم يتم بحثها من المجموعة(انظر الملحق رقم 6).

السيد ع/م/ غيدي يستعد لتشكيل وزارة جديدة، هي الرابعة في غضون سنتين، بينما الوزارات السابقة كانت مشلولة ولم تعمل أي شيء يذكر في إعادة تأهيل البلد، ولو إرساء تنظيمها الإداري الأساسي. كما لا يعبر التغيير المزمع تنفيذه عن توجهات سياسية مقنعة. ويرى الكثيرون من المتتبعين لتقلبات هذه الحكومات، أن نظام [مباغاتي] الذي أفرز رئيس الدولة ورئيس الوزراء، لم ينهض يومًا من حالته المشلولة، بدأ في الانحطاط ولا يمكن لأي طرف أن ينفخ فيه روح جديدة تنجيه من مصيره المحتوم.

في مقديشو بدأت الأعمال التمهيدية لـ "مؤتمر الوطني" الذي تعهد الرئيس عبد الله بأن يعقده، ولكن الكل يعلم أنه لن يصل إلى أي نتيجة حقيقية؛ إذ ليست العشائر الصومالية في حرب بينها لتتصالح، وليس هدف المؤتمر البحث عن الأساليب الفعالة لإعادة بناء الدولة، بل يمكن القول: إن عُرابي هذا المؤتمر من صوماليين وأجانب هم الذين فرّطوا في سيادة الصومال، ورموا بآمال إعادة السلام في هوة سحيقة. ينهال حاليًا على هذا المؤتمر المسرحي النقد والاستنكار من جهات كثيرة. (انظر الملحق رقم ٥).

الأربعاء ٧ فبراير:

زار وفد قبلي برئاسة محمود محمد علسو أديس أبابا، وكان عدد أعضائه عشرة. وعاد الوفد إلى مقديشو اليوم بعد أن قضى يومين في العاصمة الإثيوبية. التقى الوفد رئيس وزراء إثيوبيا ملس زيناوي ووزير خارجيته سيوم مسفن. تمهد هذه الوفود القبلية لبيعة الأسياد الجدد، طبقًا لما كانت عليه الأحوال في القرن التاسع عشر، عندما كانت القبائل الصومالية تحرّر اتفاقيات حماية مع الدول الاستعمارية.

زيارة هذا الوفد إلى أديس أبابا قد يكون بمثابة تحد للشعب الصومالي ووصمة عار في جبين من يتشدقون بكونهم أعلى سلطة في الوطن. أما الإثيوبيون الذين اشتركوا مع المستعمرين الأوروبيين في اقتسام القارة السوداء، فيريدون إظهار هذه الصورة النمطية للصوماليين، والإعلان للرأي العالمي أنه ليس في الصومال دولة ولن تتحقق. يريد الأحباش أن يقولوا للعالم: إن وجود دولة صومالية وهم، بل يوجد هناك بطون وقبائل. وهذه فكرة حبشية خبيثة ومتجذرة، تكرّس ما هو من صميم قناعاتهم، من أيام الإمبراطور هيلاسلاسي. والصورة تتكرر في أدبياتهم. فكرة نمطية استخدمتها الإمبراطورية لإهدار حقوق الصوماليين المكافحين للخروج من تحت نير استعمارهم، وإسكات الحكومات الصومالية المتعاقبة حتى مأساة ١٩٩١م، كان من المعتاد قول الأحباش للصوماليين صراحة: "أنتم قبائل متفرقة، ليست مسئولية واحدة منكم[الحكومة الصومالية] أن تتدخل في شئون القبائل الأخرى. ومن هذه الأدبيات المتعجرفة كتاب لأستاذ إثيوبي اسمه مسفن ولد مريم: صوماليا بنات أفكار إفريقيا Somalia;Brainchild of Africa (كتبه في أوج حرب أغادين ١٩٧٧م) ينكر فيه وجود دولة صومالية، بل قبائل لم تصل إلى النضوج الكافي لتنتقل إلى مستوى الدولة.

عندما كنت أتسوّق اليوم في وسط مدينة جيبوتي التقيت بصومالي- جيبوتي قال لي: "إن جسمه عمّته التشعريرة عندما سمع عبر وسائل الإعلام أن قبيلة صومالية، ويشير إلى وفد علسو، التقت ملس زيناوي بأديس أبابا". وأضاف: "إنه يلم جيدًا بالعقلية الخبيثة للأحباش؛ لأنه عاش تحت إدارتهم زمنًا طويلاً". وكان هذا الصومالي رجلاً بسيطًا من الباعة المتجولين. ومما يؤسف له أن هذا الوعي العميق لرجل شارع صومالي، يغيب عن الصفوة الراهنة التي تتطلع إلى مناصب قيادية في البلد.

أعلن السيد ع/م/ غيدي أنه قام بتغيير وزاري آخر، ولم يحدد التغييرات والأنشطة

التي تعتزم حكومته الجديدة القيام بها، واتهم رئيس الوزراء بعض أعضاء حكومته باختلاسهم أموالاً عامة، لتبرير عملية إقصائهم. أغلبية هذه الشخصيات كانت متحالفة مع الرئيس ع/ي.

بعد المغرب التقيت بالسيد محمد شيخ حسن، مساعد شريف حسن، الذي أخبرني بأن مشكلة الانتقال إلى السودان ما زالت معقدة، والناس تائهون أمام هذه العراقيل المفتعلة في طريق سفرنا. ومن شبه المؤكد أن يوم السبت الذي قيل: إنه يوم السفر لن يتحقق فيه الانتقال.

تقول الأنباء الواردة من مقديشو: إن المقاومة هاجمت في الليلة الماضية بمدافع الهاون عددًا من الأهداف منها فندق "كاه" على الطريق المؤدي إلى مدينة بلعد، والفندق مقر للجنة التحضيرية لمؤتمر المصالحة المذكورة أعلاه. هاجمت المقاومة فندق "لفاويني" القريب من "كاه" كما هاجمت الميناء الجديد.

الخميس ٨ فبراير:

استنكر محمد قنيري أفرح، عبر مقابلة صحفية مع إذاعة هورن أفريك، التصريحات التي أدلى بها صلات علي جيلي للـ بي.بي.سي معلنًا فيها أن الحكومة استولت على أسلحة وذخائر ومفرقعات في حي داينيلي، مقر إقامة قنيري. كما ذكر قنيري في المقابلة: "أن الأسلحة التي يحاولون الاستيلاء عليها ما هي إلا خردة لا تصلح لأي استخدام عسكري، وأنه ليس له صلة بهذه النفايات". وعندما سأله سائل: ما هي الجماعات التي تنفذ عملية التفجير؟ أجاب محمد: "إنه يعرفها كما يعرف صلات علي جيلي أيضًا".

تشير بعض الأقاويل إلى أن شيخ شريف ما زال موجودًا في نيروبي، وأنه شبه موقوف. كما منع من الاتصال بوسائل الإعلام من السلطات الكينية، أو ممَّن؟ ذهبت مع إدريس يوسف وأحمد محمد سليمان "شراع" إلى معهد اللغة الصومالية للاشتراك في تقييم بعض البحوث باللغة الصومالية، وإدريس مدير هذه المؤسسة. ناقشنا هذه البحوث حوالي ساعتين وأبدينا أفكارنا حولها، وقدمنا بعض المقترحات لتحسينها من الناحية الميثودولوجية، واستخدام المصطلحات الأكثر ملائمة. كما تم ضبط طبيعة بعض التصريفات للأفعال في اللغة الصومالية. ومن اللافت للانتباه، في مجال اللغة الصومالية، أن الباحثين فيها الآن لا يميلون، في الأغلبية، إلى الاقتداء بالضوابط التي قررتها لجنة اللغة التي استحدثت الأبجدية، وأنظمة عديدة في تطوير استخدام هذه اللغة؛ إذ نجد أحيانًا

أبجدية متناقضة مع الرسمية المدونة. وترى الإصرار على تطبيقات غير علمية كتفكيك الحروف المدغمة بعضها في بعض كإلغاء النطق الشمسي للأحرف وجعلها قمرية. لهذا استشرت الفوضى في تدوين اللغة الصومالية واستخداماتها كما شبت الفوضى في جميع قطاعات المجتمع، بعد زوال المراكز العلمية في البلد.

عراقيل السفر ما زالت قائمة. في البارحة التقيت شريف حسن وقد أثارت هذه العراقيل حفيظته، وألمح لي بأنه ينوي السفر بمفرده إلى ماليزيا للرجوع إلى أسمرا؛ لأن دخولها لا يشترط تأشيرة. ولكن سرعان ما أبديت معارضتي لهذه الفكرة. وقلت له: "إن وجوده وبقاءه بين الزملاء عامل يقوي من وحدة المجموعة وتماسكها. أما إذا سافر كل واحد منهم إلى جهة غير التي نصبو إليها، فقد يؤدي ذلك إلى التفكك وإعطاء المدسوسين فرصة لتوسيع أنشطتهم التخريبية، ونشر شكوكهم بكل حرية، والوصول إلى بعض مآربهم على غرار الحكمة القائلة: "ما لا يدرك كله لا يترك كله". أما الآن فبحمد لله المجموعة البرلمانية موحدة ومطمئنة".

الجمعة ٩ فبراير:

هناك خبر سار مفاده: أن السودان سمح لنا بالمرور إلى الخرطوم، والتأشيرات ستأتي، بحيث نتمكن من السفر غدًا. ولكن أكد لي صديق مقيم بالخرطوم عكس هذه الطمأنات؛ إذ اتصل بالجهات الرسمية المعنية بالخرطوم وأخبروه بأنهم لم يتخذوا قرارًا حول هذا الموضوع بعد.

بازاء هذا التطور اقترح عدد من النواب أن نسافر جميعًا إلى ماليزيا عن طريق الإمارات، ولكن السفر مضن وباهظ التكلفة، وغير عملي كما ذكرنا.

نتتبع أخبار مقديشو التي تفيد بأن المقاومة هاجمت الليلة الماضية فندق جلوبال Global بمدافع الهاون، والفندق يقع في حي بيحاني شرقي المدينة. انهدم جزء من الفندق جراء هذه العملية. كما أخبرتني ع/ع/د عن مواجهة في حي حمرجب – جب، بين مليشيات مسلحة وحكومية، استخدمت في الاشتباكات أسلحة خفيفة وثقيلة، أفزع دويها سكان الحي. هجوم آخر في منطقة المنصة ضد قافلة من العربات الإثيوبية، ولكن الطلقات المتبادلة أصابت مركبة مدنيّة كانت تمر بشارع ٢٦ يونيو، الموازي لشارع لينين، حيث تقع المنصة. ولم يعلن بعد عن خسائر هذا الاصطدام من القتلى والجرحى. ومن المناطق المتضررة من هذه المواجهات منطقة "بركة" الواقعة على شارع ٢٦ يونيو والقسط الغربي

من شارع الثلاثين.

احتشد هذا الصباح مئات من الأهالي في ساحة حي "هوري وا" بشمال المدينة، مطالبين بخروج القوات الإثيوبية. أحرقوا أعلام إثيوبيا، وأوغندا، ومالاوي، ونيجيريا، وذلك بعد صلاة الجمعة. الدول الإفريقية الثلاث الأخيرة تعهدت بإرسال جنود لها ضمن قوات حفظ السلام الإفريقية.

السبت ١٠ فبراير:

يومًا عبوسا قمطريرًا(*) لا رحلة ولا رحيل ولا ترحيل أيضًا. كانت الوعود مخيبة ومضللة، مؤكدين مرة أخرى أنه لا موافقة من إدارة الهجرة السودانية. ولكن بحمد الله وفضله لم يخلق هذا النبأ أي امتعاض أو ارتباك على النواب؛ لأن ما قمنا به كانت محاولة وما أكثر هذه المحاولات التي قمنا بها في غضون الأسبوع المنصرم.

ذهب شريف حسن لمقابلة نظيره الجيبوتي دون أن يصطحبنا إليه، حسب ما تم الاتفاق عليه بالأمس، ولم يفصح كثيرًا عن نتيجة لقائه. ولما سأله بعضهم عن الزيارة المنفردة أجاب بأن نظيره خص اللقاء به. مرة أخرى عرضت عليه خطورة سفره الانفرادي في وقت يعيش فيه بعض أعضاء المجموعة في حالة من الإحباط والشعور بالمطاردة والانغلاق، وأن الزيارات التي كانت قد أعدت له عندما كان رئيسًا للبرلمان لا يمكن له الآن أن يقوم بها لتغير وضعه الشرعي في الصومال.

تفيد الأنباء الواردة من مقديشو استمرار هجمات المقاومة على أربعة أهداف جديدة. كان رد فعل المحتلين عنيفًا، إذ أمطروا نيران مدافعهم بعشوائية على الأحياء المكتظة بالسكان، ليلقوا اللوم على" الإرهابيين". كان عدد الضحايا في هذا الهجوم ٦ قتلى وعشرات الجرحى.

(*)هناك حكاية طريفة يجيدها قصاص البوادي في جنوب الصومال والمعروفون عند الأهالي بـ"أو شاعر" أو العم الشاعر، وهم يتجولون في البوادي وتجدهم أحيانًا في المدن وسط حلقة كبيرة من المتفرجين -المستمعين، يقصون للناس سيرة الأنبياء، وحكايات خرافية من الفلكلور الشعبي. قصصهم دراماتيكية وجذابة، فيها الفكاهة والتمثيل والوعظ كحكماء الإغريق المتجولين القدماء . وفي نهاية أي قصة فإن الشاعر يهلل، ويحوقل، ويصلي على النبي (صلى الله عليه وسلم). يحكى أن جنيًا مسلمًا كان يتعلم القرآن عبارة عبارة، يكررها في استذكاره. كان معروفًا أنه خبير في استئصال سنام الحدبة، على أن يعلّموه عبارات وألفاظًا جديدة، وكان يردد بمفرده: يومًا يومًا يومًا، فجاء إليه رجل ذو حدبة أفاده: عبوسًا عبوسًا عبوسًا، فقطع منه السنام ووضعها إلى جانبه. ثم جاء إليه رجل آخر محدب، فزاد له: قم قم قم. فقطع منه الحدبة أيضًا، ووضعها مع الأخرى، وكان مسرورًا جدًا؛ لأنه كان يحفظ العبارات ويقرؤها مترنمًا بها إلى أن جاءه رجل محدب ثالث زاد على مخزونه: طريرًا طريرًا طريرًا. ولكن صعب عليه نطق كلمة "طريرا" فغضب على الأحدب الأخير ورمى على سنمه المقطوعتين الأولبين الملقاتين إلى جانبه؛ لأنه أربك إيقاعه السابق الرتيب. والإحباط من سنة الحياة.

الأحد ١١ فبراير:

انفراج غير مرتقب؛ إذ يؤكد لنا جامع وهو رجل الاتصال وعضو في البرلمان الجيبوتي أنهم حلوا الإشكاليات التي كانت تقف عائقًا أمام سفرنا، وأنه من هذه اللحظة يمكن لنا الانتقال من جيبوتي إلى أسمرا مباشرة . كان وقع هذا الخبر على المجموعة كفرقعة رعد في سماء صافية. استبشر الجميع وفرحوا بالخبر السار. وللتو اقترحت على شريف حسن أن يلتقي نظيره فورًا للاستزادة من النبأ الكبير. هب في الحال إلى البرلمان بصحبة جامع واستمع من الآخرين جهينة الخبر، فلما رجع رئيس البرلمان إلى فندق سيبستا التف حوله المحترمون كأنهم طلبة يتزاحمون حول كشوف نتائج امتحاناتهم الملصقة بالجدران. استرسل شريف حسن، المبعوث، حول دقائق أمور عديدة والتباسات كثيرة، شوّشت على مسيرة سفرنا إلى أرتريا. ربما نظرية التآمر جزء منها ناتج من" شيزوفرينيا، أو انفصام الشخصية، لكن العراقيل التي كانت تحبكها الأيادي الخفية ضدنا سبق التخطيط لها من نفس الجهات التي حرضت الاحتلال ليعتدي على بلدنا.

كنا نعتبر أنفسنا ممثلين لبلد شاءت الأقدار أن يعيش في حالة كارثية لعقدين من الزمن، ورفضنا أن تسلب حريتنا، وهجرة الوطن المحتل كان أضعف الإيمان، ولكن المستكبرين وأتباعهم رأوا في تصرفاتنا العادية جرأة وخطورة يجب إخمادها في المهد، ولكن الباطل دائمًا كان زهوقًا.

نزل الأخ عبد الرحمن شيخ عبد الله "باديو" الآتي من مقديشو في فندق إمبريال حيث يقيم شريف حسن. طلبنا منه أن يوضح لنا، وهو رجل مثقف مستنير، بعض التطورات التي تزامنت مع الاحتلال. ولكن الجدل والنقاش احتدم بيننا حتى الثالثة صباحًا. يرى هذا الأخ الطموح سياسيًا، إمكانية التعايش مع الاحتلال، والقيام بإصلاحات كثيرة في جسم السياسات السقيمة الراهنة، وهذه الفكرة هي محور خلافنا.

أكدنا للأخ أنه لا يمكن التعايش مع الاحتلال وإجراء إصلاحات سياسية تحت سيطرته. وهو الذي اشترك في هدم الدولة الصومالية، لا بد من محاولة حل الأزمة بالطرق الواقعية الصحيحة. الأنظمة المؤقتة المتعاقبة هي أكبر المسئولين عن المأساة الجارية، ولا بد أن ترحل أولاً، ولا يمكن إصلاحها أبدًا؛ لأنها مبنية في الحاضر والماضي على قاعدة غير عقلانية. الهوس المستمر حول تشكيل "حكومة" قبل أن يتم بناء الدولة على أسس السلام والوفاق هو نهج السياسيين العشوائيين. هذا التفكير وأولوياته يرتكز

على رأسه، ورجلاه في الهواء. ولا يمكن إدخال الإصلاحات على نظام لا يمكن إصلاحه؛ لأن مقدماته وتركيبته كلتيهما فاسدة.

الإثنين ١٢ فبراير:

على طاولات الإفطار يتحدث النواب عن الجدل الذي دار بيننا، أنا والأخ محمد عبدي يوسف من جهة، والأستاذ "باديو"، من الجانب الآخر. وهم يرون أنه لا جدوى في إصلاح غصن شجرة على حدة، وقد اقتلعتها الرياح وألقتها على الأرض. ويتساءل النواب كيف يرضى متعلم أو مثقف، أن يحتل العدو بلده ولا يرى في ذلك طامة كبرى تهز مشاعره وتستفز نخوته؟ كيف يُتهاون مع هذا العدو المتغطرس الذي أذاق الشعب المذلة والهوان؟

تشير الأنباء الملتقطة من وسائل الإعلام في العاصمة مقديشو إلى وقوع هجمات بأسلحة مختلفة على مبنى الرئاسة (فيلا صوماليا)، الميناء الجديد، فندق بنادر، ومنزل الوزير عبد الله أحمد أفرح. كما حدث هجوم مضاد من الرئاسة بالمدافع الميدانية، وزّعتها على الأحياء السكنية الشمالية. تؤكد نفس المصادر نبأ انتقال مسلحين من جنوب الصومال، بالذات من مناطق الجوبيات، لتعزيز المقاومة المقدشية. في نفس الوقت وصلت إلى العاصمة قوات إثيوبية إضافية.

الثلاثاء ١٣ فبراير:

لفت انتباهي، وأنا أشاهد برامج قناة الجزيرة، رجل دين موريتاني، كانت القناة تجري معه مقابلة. اسم الشيخ حسن ود دادو، رئيس مركز هيئة العلماء في ذلك البلد، حسب ما قُدِّم به. إنه شاب مثقف هادئ واثق من نفسه، رصين التعابير، واسع الفهم للمصطلحات السياسية ومعارجها. يعترف بأهمية دور الديمقراطية في بلده، وهو غير متحفز للوصول أو الاشتراك في السياسة، حسب ما أعلنه من أفكار. لكنه يقول: إنه لا بد للحاكم من أن يكون ملمًا بالأحكام الدينية، وربما يستنتج من قناعته هذه تطلعه إلى السلطة في المستقبل.

يقول محمد محمود طوري، المراسل الوحيد للـ بي.بي.سي/ ق.ص، من مقديشو: إن الاشتباكات التي جرت في اليومين السابقين بين المقاومة والاحتلال وأعوانه، أسفرت عن مقتل ١٣ شخصًا وثلاثة أضعافهم من الجرحى. ومن الناحية الأخرى، صرّح بيان صادر من المفوضية الأوروبية بتمسكها بالقرارات التي اتخذتها في ٢٢ يناير

الماضي، والتي تدعو إلى مصالحة وطنية شاملة، وإلغاء لقانون الطوارئ. كما أيدت هذه المفوضية قرار تحويل مقر البرلمان من بيدوه إلى مقديشو. ولكن يبدو أن هذا التصريح دعوة من منبر عال للمصالحة بين الأطراف المتنازعة تحت قبضة الاحتلال. ولا تعدو، في الوقت الراهن، كونها أسطوانة مشروخة عفا عليها الدهر. وتدوير المسئولية لست مسئولية، أو Scaricabarile كما يقولها الطليان، أي تحويل الدلو إلى الواقف بجانبك، والعملية تحتاج إلى الجدية والإخلاص.

أخبرتني عائشة بأنها عانت من بعض المضايقات، وأنه وُجِّهت لها تهم من فضوليين، لكونها زوجة عدو معارض. هؤلاء السفهاء يتشابه عليهم المعارض والعدو، وعميل الاحتلال ومن يقاومه، وسلام الله عليهم.

أسمرا الأربعاء ١٤ فبراير:

يوم نستعد فيه للرحيل إلى أسمرا. تم حجز المقاعد مقدمًا. حوالي الساعة الثامنة مساء جاء إلى الفندق السيد النائب/ جامع، مسئول التشريفات ببرلمان جيبوتي ليصحبنا إلى مطار جيبوتي الدولي" عمبولي".

أعد لنا البروتوكول جناحًا لاستقبال كبار الزوار، حديث البناء، مرتب الأثاث فاخره. ودعنا بعض الدبلوماسيين. رحلة الخطوط الجوية الأرترية المتجهة إلى أسمرا تحمل رقم BB333 الطائرة تابعة لشركة تركية اسمها " جيتس". تستغرق الرحلة من جيبوتي إلى أسمرا حوالي خمسين دقيقة. رحب بنا في مطار أسمرا الدولي رئيس تشريفات الرئاسة الذي صحبنا إلى الفندق،" أمباسيرا"، في وسط مدينة أسمرا. الساعة تقترب من منتصف الليل، الجو بارد عكس جيبوتي والأوكسجين قليل؛ لأننا في أعلى مرتفعات حماسين، الهضبة الأرترية التي يصل ارتفاعها إلى ١٧٠٠ متر. لم نكن ننتظر هذه الحفاوة البالغة والترحيب الأخوي من كل فئات الشعب الأرتري. كثير من مجموعتنا وأنا منهم لم نكن نحلم بهذا النزل الوثير، وكنا مستعدين أن نسكن في المعسكرات؛ لأن اعتبارات الراحة في الأحوال التي اخترنا خوضها متحدين المؤسسة الرسمية، لم تكن في الحسبان.

مجموعتنا التي انتقلت هذه الليلة إلى أسمرا عددها ٢٥ نائبًا، على أن تنضم إلينا مجموعة أخرى لاحقًا، وعددها ستة. اخترت اسمًا نضاليًا لمجموعتنا فسميتها "النواب الأحرار" ومن هنا سنبدأ كفاحنا من الغد، مرحلةً ومنطلقًا جديدين(انظر الملحق رقم ٧ و رقم ٨)

ملحق1

<u>بيــــان عـــــدن</u>

بدعوة كريمة من فخامة الرئيس على عبدالله صالح رئيس الجمهورية اليمنية عقد فخامـة الرئيس الصومالي عبدالله يوسف أحمد ورئيس البرلمان الفيدرالي الانتقالي السيد/ شـريف حسن شيخ ادن لقاءً مباشراً لبحث القضايا المتعلقة بالمصالحة الصومالية وذلك في العاصمة التجارية عدن في الفترة من الثاني إلى الرابع من يناير 2006 م

وانطلاقاً من حرص الرئيس الصومالي عبدالله يوسف أحمد ورئـيس البرلمـان الفيـدرالي الانتقالي الصومالي السيد/ شريف حسن شيخ ادن .

واستذكاراً بالأهمية القصوى لوضع المصالح الوطنية العليا للشعب الصـومالي فـوق كـل الاعتبارات .

وانطلاقاً من أيماننا العميق في مواصلة الحوار الذي بدأ تحت رعاية فخامة الـرئيس علـى عبدالله صالح رئيس الجمهورية اليمنية بهدف إصلاح وحل الخلافات وتبـاين الآراء بـين أعضاء المؤسسات الدستورية للدولة .

واسترشاداً ببنود الميثاق الفيدرالي الانتقالي لجمهورية الصومال .

وأيماناً منا بضرورة بذل كل التضحيات والجهود المترامية في سبيل إحلال الأمن والاستقرار في الصومال .

وتقديراً واستجابة منا للجهود الدائمة لفخامة الرئيس علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية اليمنية للوصول إلى حل كل الخلافات التي برزت بين المؤسسات الفيدرالية للدولة .

اتفقنا على إصدار هذا البيان الذي يتضمن البنود الآتية :

(1) تم التفاهم بشكل كامل على تجاوز الخلافات وطي صفحة الماضي التي أضرت بأداء مسئوليات كل المؤسسات بروح من التعاون الذي بنى عليه الشعب الصومالي آماله السامية .

(2) اتفق القادة بضرورة التنسيق النشط المبنى أساساً على احترام المبادىء وبنود الميثاق الفيدرالي الانتقالي وفقاً للممارسات الدستورية المتعارف عليها وفي إطار من التشاور المتبادل الدائم بما يضمن تفادي الخروقات المتصلة بممارسات السلطات للمؤسسات الفيدرالية الانتقالية للبلاد .

(3) أن يجتمع البرلمان الفيدرالي الانتقالي في غضون ثلاثين يوماً ابتداءً من هذا التأريخ لعقد دورته الرسمية في أي مكان يتفق عليه داخل الوطن.

(4) أن يدعو القادة أعضاء البرلمان والحكومة لوضع حداً للخلافات والتباينات التي لا مبرر لها ، مطالبين بضرورة لم الشمل والوحدة ، واضعين في الاعتبار المصالح الوطنية العليا فوق كل الأنانية موجهين في نفس الوقت نداءً من اجل التعاون الشامل في تنفيذ بنود هذا البيان .

(5) دعوة المجتمع الدولي وخاصة الأشقاء والدول الصديقة بتقديم الدعم الكامل لهذه الجهود الرامية لعقد الدورة العادية للبرلمان في داخل الوطن .

أن رئيس جمهورية الصومال ورئيس البرلمان الفيدرالي الانتقالي يوجهان نداءً حاراً إلى جميع قطاعات الشعب الصومالي للإسهام في التخلي الذاتي عن استخدام السلاح لوضع حداً للاقتتال الأهلي والخلافات ، مستخدمين كل الوسائل السلمية المبنية على أساس من الاحترام المتبادل واللجوء إلى الحوار .

كما يوجهان نداءً إلى المجتمع الدولي بالالتزام بتقديم المساعدات والمعونات العاجلة لكل المناطق والأقاليم الصومالية التي تعاني من وطأة الجفاف .

أن رئيس الجمهورية ورئيس البرلمان الفيدرالي الانتقالي يعبران باسم الشعب الصومالي شكرهما العميق وامتنانهما لفخامة الرئيس علي عبدالله صالح رئيس الجمهورية اليمنية وتقديرهما لدوره الأخوي وجهوده المتواصلة والمخلصة طوال فترة المحنة التي عانى منها الشعب الصومالي ، كما يناشدوه القادة مواصلة تلك الجهود .

رئيس جمهورية الصومال
عبدالله يوسف احمد

رئيس البرلمان الفيدرالي الانتقالي الصومالي
شريف شيخ حسن ادن

حرر في الخامس من يناير 2006م بالقصر الجمهوري 22 مايو .

عدن – الجمهورية اليمنية

6. Resolution No.1744, at paragraph 2 welcomes "The announcement made by President Abdullahi Yusuf Ahmed to convene urgently a national reconciliation congress". This is in sharp contrast with the aim" at supporting peace and stability in Somalia through an inclusive political process" stated at paragraph 1 of Resolution 1725.
7. On both Resolutions(Res.1725 paragraph 2 and Res.1744 paragraph 3) are stated that Security Council would consider taking measures against those who seek to prevent or block [peaceful dialogue process (1725)]. In a formal legal framework there's considerable difference between "dialogue process" and 'political process". At least "dialogue" could take place only between two talking parties, while the "political process" is less specific. Apparently, this is a *mandatum apertum* encouraging Mr.Yusuf to stage-manage a congress of whose participating characters are chosen by him and his Ethiopian overlords. And this kind of *congress* would not solve the present crisis.

B - Misleading expressions in Res.1744

1 - Security vacuum.

In these expressions there's the allusion that the Ethiopians had already introduced security in Somalia and their departure, without relaying with fresh African Troops (AMISOM), would create a vacuum.
In real situation the Ethiopians had worsened security conditions in Somalia, especially in those regions which are suffering from their brutal occupation, including the capital, which has enjoyed previously a spell of safety and tranquility.
Further, in connection with Ethiopian troop withdrawal, as mentioned in Res.1744, is a clear contradiction with permission given to this country, by the same Resolution, to strengthen its presence inside Somalia, after UN Security Council has scrapped paragraphs 3 to 7 of Res. 1725, which excluded deployment of troops of those states bordering Somalia. Majority of Somali people rightly believe that Ethiopians had invaded the country to remain until such a time they will accomplish, not withstanding Security Council plans, its own strategic objectives.

2 - Stabilization forces.

In a low key, Res.1744 underscores the *importance* of maintaining stability and security throughout Somalia. Status of above forces had evolved, since 2005, from peace supporting military mission named IGASOM as envisaged in AU resolutions, to peace keeping mission in Res.1725 , developing further into a peace enforcing military mission, although Res.1744 had avoided giving a proper name to this mission. However, it is clear that among tasks of the mission is engagement in combat duties.
One of the prominent responsibilities of AMISOM is to:" support for Somalia Transitional Federal institutions". The intention is to enforce upon the country a

ملحق2

UN Security Council'sResolution No. 1744
On 20,February,2007 , justifies
Ethiopian occupation and
aggression to Somalia.

A - Differences between resolution No. 1725 of 6 December 2006 and Resolution No. 1744 dated 20th February,2007.

1. Resolution No. 1725 was addressing to Union of Islamic Courts (UIC) and the Transitional Federal Government, as the main Somali actors. Whereas Res.1744 does not mention the courts.
2. Resolution No.1725 chapter 4, the Security Council "endorsed the specification in the IGAD deployment plan that those states that border Somalia would not deploy troops to Somalia. In Resolution No.1744 paragraph 12, Security Council decided to scrap measures contained in paragraphs from 3 to 7 of Resolution No.1725. Thus empting Resolution No.1725 of its substances and operational core.
3. As a novelty, Resolution No.1744 talks of short term (Security) stabilization plan of Somalia to be undertaken, in 6 months time by African Union Military Mission (AMISOM). Subsequently, UN would take over the military mission under its auspices, for a longer term deployment. In this provision the Security Council added a second phase to what previously was specified in paragraph 3 of Resolution No.1725.
4. An obscure and undefined "withdrawal of all foreign forces from Somalia, was mentioned in paragraph 1 of Resolution No.1725, whereas in Resolution No.1744, at the preamble, there's a specific mention "welcoming the decision of Ethiopia to withdraw its troops from Somalia". A complete silence was maintained by Security Council on the brazen occupation of Ethiopia to Somalia, with considerable military and intelligence support, together with political collusion of some of its permanent members.
5. The Security Council while it was *deploring bombing in Baidoa and expressing* concern over violence, mentioned in the preamble of Resolution No.1725, *it condemns* in Resolution 1744 "acts of violence and extremism inside Somalia". This generalization of the word violence in the aim of the latter resolution does not include the devastation inflicted by Ethiopian invading forces to entire Regions of Somalia and their inhabitants; the air bombardment carried out by Ethiopian and American air forces, in which hundreds of people were killed, entire villages wiped out, thousands of animals destroyed. Similarly the "extremism" is to be solely related to the attitude of those Somalis opposing occupation and subjugation of an alien power. The UN Security Council is tacitly endorsing the daily indiscriminate shelling of Ethiopian occupying forces to peaceful districts of Mogadishu, where hundreds were killed and wounded; thousands became internally displaced people, as a consequence of this aggression.

Government, with the help of Ethiopian proconsuls. The MPs are continuously under threat of replacement, and other forms of psychological pressure, if they are suspected to dissent from official line. Some MPs are short listed for expulsion from parliament, after having amended, arbitrarily, its internal rules.
The executive branch of Government has shown utter incompetence. Lack of capacity is further compounded by the absence of will and clear vision to do something for the people and country. Priorities were made up side down, e.g. appointing diplomatic envoys to reside in foreign countries, which are not recognizing the TFI's, and at a time the Government subsists, exclusively, with hand outs from international community.
In more than 30 months in office, with the infusion of millions of US Dollars, donated by the International Community, to start with basic services, the Government shied away from doing any worthwhile undertaking. The basic ministerial offices: accounting, auditing, treasury, have not been set up, apparently on purpose. These departments could constitute the minimum structures for a functioning Government and they would some what control, and regulate the cash inflow donated by International Community, which has been arbitrarily spent or misappropriated by individual officials.
The present state institutions of Somalia will not be able to effect transition of the country from ongoing difficult stage to a normal and peaceful one.
These Transitional Institutions are markedly partisan and following narrow factional mentality. They are trying to impose on Somalia a harsh and conflictual regime, perpetuating internecine clashes and spread of anarchy. Those western countries who are supporting the TFG are not giving consideration to the plight of Somali people, especially in southern regions, where people are being killed daily, injured and displaced. They know well their proxy Ethiopia will not usher peace and stability in Somalia, but further fighting and destruction, with the risk of putting aflame the entire region of East Africa.
Whatever may be the result of Ethiopian invasion, and the support given to it by western countries, who are also riding on the waves of Mr. Abdullahi Yusuf's ambition to become the *conqueror* of Somalia, pursuing their strategic interest, the TFG is on irreversible path to decline.

Ambassador Sharif Salah Mohamed Ali
Member of Somali Parliament
Asmara, 06/03/2007.
Tel: +2911123411
E mail somparliament@gmail.com
March,20o07.

martial law which has scuttled the National Charter. Taking into consideration the harsh treatment of occupying Ethiopian forces inflicted to the people of Mogadishu and other towns in the South, *stabilization* becomes a misnomer. On the contrary, these alien forces will destabilize the country, and will be supporting the wrong side of the conflict, so as to ignite factional fighting and customary partisan confrontation.

3 – payment cost of Ethiopian invasion.

Apparently the aim of Res.1744 is to legitimize Ethiopian occupation, now for for then, and justify payment of expenses incurred, by all parties, that commissioned or concurred with its invasion to Somalia.
Otherwise, the Security Council had already authorized in Res.1725 that "IGAD and member states of African Union to establish a protection and training mission in Somalia ".

4 – Disarmament.

Res.1744, as its predecessor 1725, had emphasized the support of Security Council for the Transitional Federal Charter. According to Charter Art. 71 Par. 5, the problem of disarmament should be a general one, encompassing all districts and regions of Somalia performed simultaneously. The particularly targeted disarmament of Mogadishu, according to transitional Government's plans, executed through Ethiopian forces, is an illegal and a discriminatory act in breach of the Charter.
There's a multifaceted political crises in Somalia due to Ethiopian interference which started with creation of war-lords inside territories under its administration. In a subsequent phase, the Ethiopian Government succeeded in shaping first, the long Eldoret and Mbagathi conferences, according to her hegemonic plan and select, secondly, the teams which would guide the so called Federal Institutions.
At present, these institutions are existing only nominally, and are in deep structural, ideological and capacity crises. The Parliament is divided again on the issue of Ethiopian occupation and its over lordship. Hon.Sharif Hassan Sheikh Aden, the Chairman and 40 members of Parliament have refused to give in Ethiopian blackmail to endorse its colonialist occupation.
The Parliament can't claim any more to be the "legislative organ of the state" as it was agreed upon in Mbagathi (see Art. 28 of the Transitional Charter). It's an open secret that votes of confidence, passing a profoma bill or for other forms of authorization, are dealt with as shares at the stock-exchange. Many MPs believe that this repulsive practice is a normal *power-sharing politics*, and not wallowing in the mire of corruption.
The Parliament is often presided over by the head or state who overseas its normal transactions, directs on the form of vote to be followed, whether secret balloting or raising hands. This latter form of voting has been recently generalized in the Parliament, as it offers an easy detection of those breaking promises previously made for or against a bill. Free speech, and free expression of opinion inside Parliament, previously enjoyed, has been muzzled by the

Baarlamaanka Federaalka KMG ah
ee Jamuuriyadda Soomaaliyeed
Xafiiska Guddoomiyaha



برلمان جمهورية الصومال
الفيدرالي الإنتقالي
مكتب الرئيس

Transitional Federal Parliament
of Somali Republic (TFP)
Office of the Speaker

Date :27/01/2007
Ref :TFP/1/029/07

TO: IGAD Secretary General,
Djibouti.

Position Paper of the Somali Parliamentarians in Djibouti.

Excellency,

At the outset, I would like to thank Your Excellency for the interest and care you are devoting to Somalia plight. We are also very appreciative of your endeavors to find out a proper solution for the existing problems in Somalia. The occupation of Ethiopia to Somalia, a brazen act of aggression to a sovereign country, in violation of international law, is rejected and resisted by Somali people.

The occupation which has the effect of disrupting civilian life in all Central and Southern Regions of Somalia has heightened the animosity and spread the resentment of the population, inside the country and those living in foreign countries.

The occupation force's main objective was to impose on Somalia a dictatorial and unpopular system subservient to their colonial hegemony. And consequently, they are methodically working at present to force this dictatorial network upon Somali different social sectors, in evident disrespect and violation of Somali National Charter.

B. Occupation Failure to restore peace and effective Governance.

The occupation forces, and the dictatorship network they are sponsoring, are bent on sabotaging the already fragile social peace and stability in the country, by steering regional and clan conflicts, in a trial to strengthen their power grip through the infamous method of divide et impera.

New Africa Map

C. Possible Solution.

Somalia being at this juncture, in the above dismal situation, Where the crude and brutal occupation had only contributed to the worsening of peace status in the country, we would like to underline the importance of putting the **political**

Solution (dialogue and peace negotiation) as first priority considering African Peace keeping Forces as second option and as part of peace building program after achieving a comprehensive political solution. A practical and well thought of approach, to restore peace and social harmony, should be adopted and following points being made operational as urgently as possible:

1. Ethiopian occupation forces must leave Somalia immediately, without conditions and subterfuges, as their presence in Somalia is illegal and in violation of Security Council (UN) Resolution No. 1725 of December 2006, and in their place an International Peace keeping Forces should be deployed.
2. Intra Government Institution's Reconciliation should be carried out, Especially:
   I. Scrapping the emergency law, which was intended to annul the provisions and guarantees enshrined in the National Charter;
   II. To suspend all measures and decisions forced upon Parliament by the Executive, against the dictum of National Charter, including attempted removal of The National Speaker of T.F.Parliment.
   III. Restoration of free press and freedom of expression, and the abolition of all restrictive measures against the person and his properties, in accordance with provisions of National Charter.
3. A broad based reconciliation conference should be convened as soon as possible, and pertinent participants agreed upon in advance, along with a detailed agenda.
   II. The venue should be out of Somalia in a mutually agreed country.
   III. Among important items of the agenda would include power sharing paradigms and practicable reconciliation formulas.
   IV. As the Transitional Federal Institutions (TFI) will end their mandate on mid 2009, the conference should decide and focus on how to organize a general election within the above time framework, together with the best way to implement the provisions of the Charter in the remaining two years.

We Note With regret that on November 2006 we were on the threshold of accomplishing a peace agreement between Somali government and Union of islamic Courts, which has been shattered by Ethiopian occupation and its embedded divisive policies.

If the occupation aimed to "pacify" Somalia and impose a dictatorship, now it is very clear that both cases have ended up in dismal failure. The system groomed to gain strength and effectiveness is indeed incapable to take off in any form, despite the massive military, political and diplomatic propping up of Ethiopia. On the contrary, the country has relapsed again into further destabilization and chaos. The painful and the unlawful occupation had only the effect of leaving the brunt of its brutality by killing of innocent people and destroying peaceful villages and towns.

As a consequence of waged war on Somalia soil, entire communities are uprooted and their livelihood deprived. At present, the pópulation of the country in particular the capital city of Somalia, Mogadishu, is suffering the re-emergence of banditry activities, looting. random killings, raping, etc. Extortionist check points hamper the flaw of the economic activities, and the movements as well as the communications between districts and regions, leaving people in constant fear in this hostile environment.

The president's private militia, boosted by Ethiopian forces, carries out aggressive measures which include shootings, imprisonments and harassment of innocent citizens, by conducting night raids, rounding youth groups, executing all suspects on the basis of clan, political and religious affiliations, especially in the big cities. These actions are fomenting a popular uprising and a grass-root resistance to occupation and their local proteges.

We believe, the longer the occupation forces remain inside Somalia the more resistance will grow in strength, and armed clashes will spread all over Somalia.

In essence, the occupation can airlift unpopular president and Prime Minister to Mogadishu but it cannot impose their plans on the people.

When Mogadishu city is plunging into serious violence in the hands of Somali groups, resisting to the presence of Ethiopian forces, and joint Ethiopian and Government clan Milities disorders and conflicts will continue. It is very unfortunate that, president Yusuf has closed the reconciliation doors which is considered the only hope and sole solution for existing Somali Political crises, as he lately declared through the BBC/Somali Service on 27th January 2007 at 21: 00pm East Africa time, Mr. Yusuf has openly and publicly dismissed all efforts and endeavors of the International Communities, particularly the European Union and the Untited State of America as Futile.

Baarlamaanka Federaalka KMG ah
ee Jamuuriyadda Soomaaliyeed
Xafiiska Guddoomiyaha



برلمان جمهورية الصومال
الفيدرالي الإنتقالي
مكتب الرئيس

Transitional Federal Parliament
of Somali Republic (TFP)
Office of the Speaker

Date : 22/05/07

Aidememoire

Highlight - Somalia, a country already devastated by 20 years of civil war, has been subjected again to Ethiopian vandalic destruction, especially the capital Mogadishu where occupation forces razed to the ground one third of town's buildings, through indiscriminate heavy artillery shelling. If the pretext for the invasion of Somalia, by alien forces, was to usher in the country peace and stability, today both objectives are elusive as ever. By testimony of neutral and dispassionate observers, occupation forces have worsened peace condition and quality of life of individual Somali citizen. Consequently, it's crystal clear that imposition of peace through military might, whatever may be the size of power behind it, would not solve Somali crisis. For the sake of saving Somalia from further turmoil and avoiding, simultaneously, the region of Horn of Africa from new and dangerous conflagrations, the International Community should reverse its present passive attitude acquiescing unjust use of force, occupation of independent countries through Aesopian excuses.
We would, kindly, request the EU, UN and the International Community, at large, to help Somalia to solve its problems exclusively, through all genuinely inclusive dialogue.

A. Mbagathi Conference:

What is happening now in Somalia was planned and concocted by the Ethiopian regime in Nairobi(Mbgathi)Kenya, where many influential western countries, and organizations, helped Ethiopia, through the mask of IGAD to put in place a putative Somali institution(Transitional Federal Government), which would easily endorse its guidance and colonial policies.

As your Excellency may infer from this document the present Somali Crisis
cannot be solved through military means. Neither can't be effective a unilateral imposition of a leader with foreign military support. Only a genuine and sincere reconciliation efforts can bear fruits, on condition that concerned parties give way to the interest of the country rather than their personal interest.

Finally, in pursuing of a just and general reconciliation in Somalia, with the view of strengthening the base of TFis, I am requesting your support for our initiatives which we strongly believe that it could be the only way to solve the political Crises of somalia today.

Thank You,

Sharif Hassan Sheikh Aden
The Speaker

Except for few independent personalities, the Transitional Federal Parliament members and Government were selected by Ethiopian regime, through patient and accurate screening. Unfortunately, Ethiopia was not only given the green light to reshape an independent country, according to its imperialistic design, but it has been also privileged to undertake all these operations without financial burden, as the bill for the 2 years and half conference was footed by International Community. These expenses, which Ethiopia availed itself, included appropriations earmarked directly for the assistance of Somalia.

B. Blocked Condition of Transitional Institutions:

a. The President, in breach of Transitional Federal Charter had assumed, through an emergency law, a dictatorial power. He stripped off any semblance of responsibility from other state organs.
He chairs the Parliament at will, dismisses members of Parliament, if they are not obsequious to his directives. He appoints Governors, and Regional/District Councils, in violation of terms of peace agreement (Transitional Charter and 4.5 criteria).
Despite, President's zeal to emulate African strongmen of 1960s, he has to follow and obey the directives of his Ethiopian overlords, who are the real power today in Somalia. The president surrendered the independence and sovereignty of Somalia to Ethiopia.

b. The Parliament is a powerless misnomer. New parliamentarians have been arbitrarily appointed, in the place of our group. The new speaker vowed, in public, that he will submit his total obedience to the president. It would be, probably, appropriate if expert opinion is produced, by teachers of democracy, on the best way to differentiate between allegiance to the Republic and obedience to its president.

c. The Government (Executive), which is in place from October 2004, didn't undertake any worthwhile activity for the rehabilitation of basic services. Most of Ministers are without offices, personnel, budget and specific routine assignments. There isn't any hope that the present executive

can reverse its abject failure, even if endowed with all financial support needed. Its weakness is structural: lack of capacity; lack of public interest and vision, whereby almost all ministers are convinced that their departments are real sinecures to be exploited for private benefit. We would like that EU, UN should investigate the way various financial assistance, and especially cash allocations, had been spent by Somali Transitional Government.

d. Judiciary. A judiciary system is needed where the rule of law is supreme. Consequently, at present judiciary system isn't applicable in Somalia, as this structure is superfluous.

3. New warlords created, and old ones re-appointed:

Occupation has worsened the security condition of the whole country, particularly Central and Southern regions. Tense security situation is developing in many regions, because Ethiopians are appointing new warlords, providing with them arms and logistics, and re-instating the old ones to continue with their destructive policy. Now bandits and highwaymen are robbing and killing travelers in the interior.

4. Resurgency of piracy: Subdued piracy before Ethiopian invasion had reemerged again on Somali coast, with virulent attacks to ships, within and without Somali territorial waters.

5. Interrupted economic activity: Trade and commerce are interrupted in Mogadishu and the regions. The war has caused the displacement of over half a million people, from the capital alone, in what was described by ICRC as the biggest movement of people in recent history. Not only these evacuees ceased to be productive, but are living in appalling conditions, being dispersed inside and outside the country, without assistance. Lost properties, destroyed by the war, and vanished productive opportunities, had been estimated to total several billions of Euro.

3. Draw backs of the conference now being talked about in Mogadishu :

I. We believe that organizers of above conference are not intentioned to hold a genuine dialogue to solve present crises.

II. They are talking of a "social conference" mainly participated in by clan representatives, with the objectives of deliberately bypassing genuine and urgent political problems, which they consider irrelevant.

III. Objectives of the "social conference", besides being a smoke screen to deceive International Community, it aims to sanction 5 year extension of the mandate for present system of governance. According to the National Charter the above mandate, accorded to transitional system, will expire on July 2009.

IV. Organizers of the conference are planning to get as much cash contribution from International Community as possible for their personal benefit.

4. Political and inclusive conference :

We believe that a peace conference should be political, genuine and inclusive of all stakeholders, with the aim of solving concrete problems of peace and rehabilitation for Somalia.
There isn't "social conflict" between clans to waste time and resources on.

At it has now became evident, and in accordance with Somali Governance official position, a PROFORMA "social conference" is being prepared in Mogadishu, which deliberately escludes the SUSTANTive parties in conflict. Clearly, this kind of conference is being encouraged by Ethiopian regime and those western Governments who instigated the military occupation of Somalia.

We call upon UNs and EU to forestall the dangerous designs of those who are planning perpetuation and escalation of present conflict in Somalia, and to strenuously work for the pacification of our country, through genuine reconciliation and dialogue. A feasible objective for the interest of peace in Horn of Africa.

Tel.+2911123411 Ext. 27 – mobile +2917180969 Asmara, Eritrea
Email.: somparliament@gmail.com

6. US warships bombarded Bargal town of Somalia:

Lately we knew that a US war ship pounded heavily, Bargal town, north east of Somalia, apparently to punish some 3 suspected extremists, whose culpability is related to the bombing of US Embassies in Nairobi and Dar- Essalam.
This bombing happy to a peaceful rural settlement by a great power, such as US , is a grave act of violation to international law and to the world peace.
We call the UN and the International Community to condemn this blatant aggression to Somalia.

C. Suggestions and conclusions :

1. Ceasefire and Ethiopian withdrawal:

a. The Present Somali Governance should enter into agreement, for ceasefire, with all its opponents, patents and latents, similar to the one signed at Eldoret,Kenya by Transitional National Government and all factions, at the outset of reconciliation conference, October 2002. It isn't convincing Somali Governance view in insisting that it has "crashed ll enemies"; consequently, there's no any party to dialogue with. If this reasoning is consistent with reality the Governance wouldn't need foreign troops, to protect it.
b. It would follow Ethiopian forces leaving Somali soil.
c. An all inclusive peace conference would be held in an appropriate venue, accessible and acceptable to all stakeholders.

2. Peace Dialogue:

This dialogue should be upgraded to a general peace conference, since it should tackle all problems regarding "normalization" of Somalia, and lay down the broad lines, through which the state should evolve in future.

Tel.+2911123411 Ext. 27 – mobile +2917180969 Asmara, Eritrea
Email.: somparliament@gmail.com

MESSAGE OF FREE MEMBERS OF SOMALI PARLIAMENT TO ALL SOMALI CONFERENCE OF LONDON, 20th MARCH 2007.

a - Indroduction

Dear brothers, friends, ladies and gentlemen,
at the outset I would like to bring to you the warm greetings and whole hearted support of your brothers the Free Somali Parliamentarian, with HQs at Asmara.
As most of you are well aware, since 1991, at the collapse of Somalia state, while we were trying to recompose the disintegrated sovereign entity, the winners of cold war in the west were studying, and gradually refining, several methods to tackle Somali crises, in order to contain it, and possibly dovetail with it, other crisis in the region, within their global strategy. As the case is with biological engineering, Somali failed system of Government has become a subject of political engineering in the west with a view to coming up with a model of governance that could be easily towed.
No doubt the persistent crisis of Somalia finds its roots in the wrong perception of almost all actors, who had played one role or another, in the race to re-instate a national Government. They tried to blend their narrow and sectarian objectives with the supreme interest of the nation, and repeatedly failed to produce the right combination. There's a continuous talk of the notion of power-sharing, in Somali recent politics. But in true fact each side tried only to overpower on competing sides, without arriving at a genuine and workable compromise with them.

b - Mediation Ordeal

My self and colleagues worked to reverse this misconception which has constituted for the last 20 years or so, the most conspicuous hindrance on the path of political composition.
Immediately after the advent of Somali Council of Islamic Courts, our group of Parliamentarians, with a view of avoiding repetition of past mistakes of "winner takes all", tried to persuade the TFG and SCIC to enter into a power sharing compromise. It was thus possible to accomplish Khartoum One (22 June 2006) and Khartoum two (2 - 4 September 2006), despite the deep ideological reservation from both sides. When Khartoum 3 failed to materialize,we felt that a danger of confrontation was looming large at the horizon between the two parties; giving the enemies,

Consequently, we would advice the **International Community**, and single friendly countries, to withhold their financial and political support to such a dubious conference, until such time transparency and worthiness of initiative are secured.

5. Humantarian crisis and special court :

We would suggest that all kinds of urgent humanitarian assistance is provided to displaced people(IDP), sick and wounded, dispersed throughout Somali Territory. And their rehabilitation and return to their respective places of residence should be secured.
We appeal to UN and **International Community**, at large, to establish a special tribunal to investigate the crimes committed against Somali civilian, and prosecute the culprits.

Sincerely Yours,

Sharif Hassan Sheikh Aden
The Speaker

Tel.+2911123411 Ext. 27 – mobile +2917180969 Asmara, Eritrea
Email.: somparliament@gmail.com

The leadership of SCIC we met in Mogadishu was men of remarkable articulation, disciplined, sober and clear minded. We appreciated their sense of responsibility, integrity in financial transaction, and clear grasp of the importance of peace and power sharing in the Country.

On 30th November 2006 a group of Parliamentarian, lead by the Speaker Hon. Sharif Hassan Sheikh Aden, reached Nairobi, with the intention of campaigning for a peaceful solution of the crises. They met representatives of relevant western countries, envoys of the league of Arab States, IGAD and AU members, assuring them all that the leadership of SCIC would settle down to a political compromise, within the framework of Transitional Federal institutions. The MPs requested to all representatives that Somalia should be saved from a disastrous war which would entail unfathomable painful consequences.

However, as many of you are well aware, the plan for the invasion of Somalia by Ethiopia, as a proxy aggressor, was already finalized years before the advent of SCIC, in the cool chanceries of western big-powers. The Meteoric rise of SCIC, on the political landscape of Somalia, didn't deter the imperialists from quashing our country, and humiliate our people. The spread of SCIC had only the effect of changing intervention methods of aggressors. But the SCIC and peace in Somalia, as a whole, the *die was cast*.

When the country was invaded, at the end of December 2007, we have organized a number of press conferences and other contacts with international mass media, condemning the perpetrators of aggression. They tried to muzzle our voices. Police stormed our hotels in Nairobi, and arrested a number of our members, who were kept in detention for several days. Subsequently, the Kenyan authorities, in collusion with master-minders of occupation, issued a list of 26 MPs to be immediately expelled from Kenya, as *persona non grata*. These intimidatory police brutality never deterred us from speaking out, through international mass media, condemning the barbaric invasion to Somalia. On 13th January 2007, we left Kenya to Djibouti where we have been received brotherly. On behalf of my colleagues, lavail myself of this opportunity to thank the brotherly people of Djibouti, and President Ismail Omar Geelle for the hospitality we have been offered. On 14th February 2007, 26 members of our group traveled to Asmara, Eritrea, on the invitation of brotherly Eritrean Government.

Again, I would like to seize this opportunity to thank the people of Eritrea and President Issaias Afewarke, the only leader who openly supports our people, and supports our struggle for freedom and independence.

already poised inside Somalia, the chance for intervention. When Khartoum 3, scheduled to take place on 30 October 2006, became a non-starter, our group of deputies felt the urgency to bridge the gab between SCIC and the Government, particularly pressurizing the courts to soften their position. Part of our group in Mogadishu had a number of formal discussions with leaders of SCIC during September - October 2006, with the same objective.

When the Speaker of the Parliament and 30 deputies arrived in Mogadishu on 5th of November, in a unilateral move to mediate with the courts, we have intensified our contacts with them and agreed to hold the first official bilateral meeting on Thursday 9th of November 2006. We proposed to SCIC 4 core issues:

1. Recognition of Khartoum 1 and 2.
2. Participation of Khartoum 3 without a *priori* conditions.
3. Abstaining from any action which could provoke clashes.
4. Withdrawal of troops (Then face to face on a narrow strip of km. 8 to 10 between Baidoa - Bur Hakaba) to a distance of km.30 - 40, with view of avoiding accident clashes.

On Friday 10th November 2006, the two sides issued a joint communiqué based on above points, in addition to the understanding that ' Ethiopian troops must withdraw from Somali soil". Despite this positive mediation, we have undertaken on behalf of the Somali Parliament, with acclamation of Somali public everywhere, the executive in Baidoa disapproved our initiative, purely on formality consideration.

Similarly, our group was instrumental in accomplishing the talk between SCIC and the Secretariat of IGAD, which has taken place in Djibouti on 27/12/2006.

On 25th November, 2006, another communiqué was signed in Mogadishu between the two groups (Somali Council of Islamic Courts and members of Somali Transitional Federal Parliament), with the view to continue the dialogue for the attainment of total peace in Somali. It has been stressed in this latter communiqué that scheduled 15th December resumption of dialogue at Khartoum 3 should come up with tangible results in:

A. Solving the current political impasse and the way forward.
B. Arrive at a practical paradigm of power sharing.

Albeit different shortcomings in their approach to administrative and political matters, we found that the SCIC had introduced peace and tranquility in the regions, which came under their regime, especially Mogadishu. The courts, particularly, deserved enormous praise for the restoration and rehabilitation of public services they have undertaken in Mogadishu, during the short period of their administration.

c - Plans Ahead :

Ethiopian invasion is being sponsored by USA and helped by the puppet regime, steward of imperialism. No doubt, the occupation is in breach of international law, particularly UN Charter (see art.2.4) and AU Charter (see art.4 constutive act). Unfortunately, the Security Council, which is supposed to be the supreme seat of justice for the weak countries, tries to legitimize and consolidate the US backed Ethiopian war of aggression and invasion of Somalia, by adopting resolution 1744 of 20th February 2007. In front of this lawless world, where the big powers seem to abolish the peaceful coexistence of nations, we should shoulder upon us, all Somalis, the sacred duty of liberating our country from the invaders, with all possible means.

We should organize ourselves in such a way to restore our dignity, as men and women, and the sovereignty and independence of our country, today under the heel of a cruel invader.
If we are to succeed in the restoration of our independence and dignity, we should be united, leaving aside particularistic differences. And you should keep in mind that this conference is expected to chart for our future struggle, in the most valid manner to marshal Somali worthiness.

Thank You

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان صحفي مشترك بين المجموعة البرلمانية الحرة ومجلس المحاكم الإسلامية في الصومال

أسمرا: ٢٢ /٢٠٠٧/٥م

انطلاقاً من مسؤولياتنا الوطنية في ظل ظروف الاحتلال التي تواجه بلادنا، وتأدية للواجب الملقى على عاتقنا لتحرير البلاد، والتزاماً منا بمبدأ الحوار الوطني البناء بين فئات الشعب الصومالي كافة لطرد الاحتلال الإثيوبي وإرساءً لأسس ومبادئ هذا الحوار، عُقد اجتماع مشترك ضم المجموعة البرلمانية الحرة ومجلس المحاكم الإسلامية في العاصمة الإرترية– أسمرا – ناقش فيه الطرفان المستجدات الراهنة في الصومال وتقرر التوضيح التالي:

١. الوضع الصومالي الراهن:

الصومال بلد إسلامي، عربي، إفريقي يرزح تحت الاحتلال الإثيوبي المدعوم من قبل الإدارة الأمريكية منذ ديسمبر ٢٠٠٦م، وتُمارس فيه جرائم ضد الشعب تتمثل في الإبادة الجماعية والتهجير المتعمد والقتل الجماعي للمدنيين العزل والنهب والدمار الشامل للبنى التحتية الذي أصبح ممارسة يومية لقوات الاحتلال الإثيوبي، فضلاً عن الاعتقالات المنظمة للمواطنين الصوماليين الأبرياء.

٢. المصالحة الصومالية:

على الرغم من إيماننا الراسخ بضرورة وأهمية الحوار الوطني والمصالحة الشاملة بين الصوماليين لإعادة وتفعيل هياكل ومؤسسات الدولة الصومالية الحرة والموحدة، إلا أن تنظيم مؤتمر مصالحة بين القبائل الصومالية في مقديشو تحت مظلة ورعاية العدو المحتل في ظرف تهدد فيه أخطار المجاعة لمئات الآلاف من المواطنين النازحين الذين أرغمتهم قوات الاحتلال الإثيوبي على ترك منازلهم ومنعهم من العودة إلى ديارهم، مهزلة غير مقبولة، والهدف منها هو:

- إجبار المواطنين على المشاركة في المؤتمر المزعوم وانتزاع قرار منهم يمنح الشرعية للاحتلال الإثيوبي.
- محاولة عملاء المحتل إطالة أمد هيمنتهم من خلال التظاهر بأنهم ساعون إلى المصالحة الصومالية.
- صرف الأنظار عن المقاومة المباركة والجهود المبذولة من أجل تحرير الوطن.

وبناء عليه نعلن للشعب الصومالي وكل المنظمات الإقليمية والدولية والمجتمع الدولي التالي:

١. لا يمكن عقد مصالحة صومالية حقيقية في ظل الاحتلال الإثيوبي للصومال.

٢. مواقف الشعب الصومالي تجاه العدو المحتل موحدة، علما بأن الصراع الراهن صراع سياسي قائم بين الشعب الصومالي والعدو الإثيوبي المحتل وأعوانه، وليست هناك نزاعات قبلية تعقد من أجلها المصالحة كما تدعيه الفئة المرتزقة.

ولهذا لا يمكن عقد مصالحة وطنية إلا بعد:

- الانسحاب الكامل للقوات الإثيوبية من الأراضي الصومالية.
- توفير مكان محايد وتهيئة مناخ آمن وبيئة تناسب عقد مصالحة صومالية حقيقية .
- مشاركة جميع الأطراف الصومالية الفاعلة والمؤثرة في الأزمة الصومالية.

وبناء على ما سبق ذكره ندعو الشعب الصومالي إلى مقاطعة هذا المؤتمر المشئوم والفاشل، المقرر عقده بمقديشو في ٢٠٠٧/٦/١٥م، ونناشد المجتمع الدولي والدول المانحة على عدم دعم وتمويل هذا المؤتمر، لأنه سيزيد من تعقيدات الوضع في الصومال، ونحن واثقون بأن المجتمع الدولي لا يريد أن يكون طرفا في الصراع.

٣. **نثمن** موقف وزراء الخارجية في الاتحاد الأوربي الذي اتخذوه مؤخرا والداعي إلى الانسحاب الفوري غير المشروط للقوات الإثيوبية من الأراضي الصومالية، كما نثمن بصفة خاصة موقف نائبة وزير خارجية إيطاليا الداعي أيضا إلى الانسحاب الإثيوبي من الصومال.

٤. **نطالب** بتشكيل محكمة دولية لتحقيق جرائم الحرب المرتكبة ضد الشعب الصومالي يَمثُل أمامها مجرموا الحرب من الحكومة الإثيوبية وعملائها الصوماليين، وندين الأعمال التي يقوم بها المحتل وأعوانه في منع وعرقلة إيصال المساعدات الإنسانية إلى النازحين والمتضررين بشهادة الهيئات والمنظمات الدولية.

وفي الختام نناشد الشعب الصومالي بالوحدة ومواصلة المقاومة المباركة حتى النصر واستعادة الحرية والسيادة المسلوبة منهم، كما نناشد المجتمع الدولي دعم القضايا الصومالية العادلة.

شريف حسن شيخ آدم
رئيس البرلمان الصومالي

الشيخ شريف شيخ أحمد
رئيس المجلس التنفيذي للمحاكم الإسلامية

ملحق8

البيان الختامي

في الفترة من ٠٧/٦/٧ إلى ٠٧/٦/٨ عقد كل من المحاكم الإسلامية والبرلمان الصومالي الحر والمغتربين الصوماليين مؤتمرا في الدوحة بدولة قطر الشقيقة، تحت عنوان : التدخلات الأجنبية ومستقبل القرن الإفريقي وذلك تحت رعاية الحملة العالمية لمقاومة العدوان.

وبعد مناقشات مستفيضة واستعراض تام لكافة الظروف التي تحيط بالشعب الصومالي والمآسي التي يعاني منها والتي ترجع كلها وبدون استثناء إلى الاحتلال الإثيوبي الغاشم الذي تعرضت له البلاد مؤخرا والذي قتل ونهب وشرد واغتصب، وبعد التداول الحر والمخلص للموضوع برمته توصل المجتمعون في دولة قطر الشقيقة إلى الآتي:

١. اعتبار البلاد واقعة تحت الاحتلال الإثيوبي

٢. إدانة الاحتلال الإثيوبي الغاشم وعدوانه السافر على الشعب الصومالي

٣. اعتبار عمليات القتل العشوائي والمنظم جريمة حرب وإبادة جماعية ومطالبة المجتمع الدولي بتشكيل محكمة دولية لجرائم الحرب خاصة بالصومال.

٤. مطالبة الحكومة الإثيوبية سحب قواتها فورا من الصومال بدون قيد أو شرط وإلا فإنها تتحمل مسئولية تدمير القرن الإفريقي بإشعال الحروب فيه

٥. تحميل الحكومة الإثيوبية والمتعاونين معها مثل ما يسمى بالحكومة الفيدرالية الانتقالية وكل من ساعد على قتل الأبرياء كامل المسئولية عن كل الاعتداءات التي تمارس ضد الشعب الصومالي.

٦. مناشدة الدول والهيئات والمؤسسات الإغاثية العالمية والأفراد المحسنين تقديم العون الإغاثي العاجل والضروري للشعب الصومالي المنكوب بالاحتلال.

٧. مطالبة الأمم المتحدة ومجلس الأمن إلى تحمل مسئولياته تجاه المتضررين والنازحين ومعاقبة من يعرقلون تقديم الإغاثة للمحتاجين .

٨. إدانة ما يسمى بالحكومة الفيدرالية الانتقالية لدورها المشين في احتلال البلاد.

٩. اعتبار مؤتمر المصالحة المزعوم في الصومال فصلا جديدا من فصول تفريق المجتمع الصومالي على يد خصومه وتكريس الاحتلال وفاقدا للمصداقية.

١٠. اعتبار المصالحة الوطنية الصومالية مطلبا وطنيا ملحا ويجب أن تتم بأجندة وطنية ومكان محايد وأن تتوفر لها كافة وسائل النجاح ومشاركة كافة الأطراف المعنية على أن تكون سياسية لا قبلية وأن تنبثق عنها حكومة وحدة وطنية

١١. نرفض قتل وقصف الآمنين المتكرر في مختلف الأقاليم الصومالية تحت ذريعة الإرهاب المزعوم دون أي مبرر.

١٢. مطالبة الدول العربية والإسلامية إلى لعب دور أكثر إيجابية تجاه المشكلة الصومالية.

١٣. اعتبار المقاومة فريضة شرعية وضرورة وطنية وعملا مشرفا وعلى كافة المواطنين المساهمة في المقاومة.

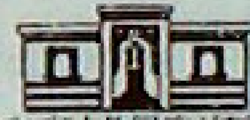
١٤. تشكيل تنظيم صومالي تكون مهمته تحرير البلاد من الاحتلال الإثيوبي الغاشم بكافة الوسائل المشروعة والمتاحة، وذلك عبر الخطوات التالية:

أ- تعيين لجنة تحضيرية للمؤتمر التأسيسي تتكون من ١٥عضوا يمثلون مؤسسة المحاكم الإسلامية وأعضاء البرلمان الصومالي الحر والمغتربين ومختلف شرائح المجتمع الصومالي.

ب-عقد المؤتمر التأسيسي بعد ٤٥ يوما

وأخيرا نقدم الشكر وخالص التقدير إلى دولة القطر الشقيقة وأميرها الكريم عن كل مواقفه الجليلة تجاه الشعب الصومالي.
تقديم الشكر للحملة العالمية لمقاومة العدوان على دورها في انجاح المؤتمر

وبالله التوفيق



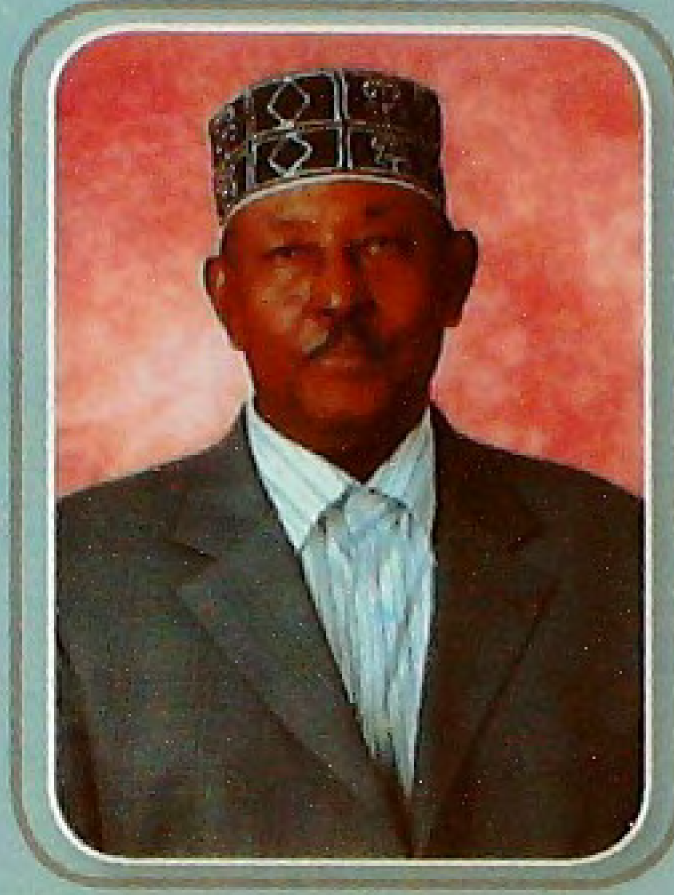
دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

على ، صالح محمد
ملحمة النواب الأحرار الصوماليين ضد الاحتلال الأثيوبى: ٢٠٠٦ - ٢٠٠٩م / صالح محمد على - ط ١ - [د. م. : د. ن.] ، ٢٠١٠ (قليوب: مطابع الأهرام التجارية)
عدد الصفحات : ٣٢٨ صفحة.
المقاس : ١٧ × ٢٤ سم.
فى رأس العنوان: مذكرات حول الحرب الأهلية الصومالية.
١ - الصومال - تاريخ - العصر الحديث
أ - العنوان.

٩٦٧,٧

رقم الإيداع ١٦٠٤٨ / ٢٠١٠

مطابع الأهرام التجارية - قليوب



المؤلف د.صالح محمد على

كان وزير تعليم سابق وسفيراً لدى بريطانيا وايطاليا والصين قبل الأزمة الصومالية . وهو كاتب متخصص فى الشؤون السياسية والإجتماعية لإفريقيا والقرن الإفريقى، والصومال بصورة خاصة. له عدد من المؤلفات فى المجالات المذكورة .

الإخراج الفنى والطباعة مطابع [illegible] التجارية - قليوب - مصر